منظمة التعاون الإسلامي
مجمع الفقه الإسلامي الدولي
زدني علما
مجمع الفقه الإسلامي الدولي
International Islamic Fiqh Academy
Académie Internationale du Fiqh Islamique

منظمة التعاون الإسلامي
Organization of Islamic Cooperation
l'Organisation de la Coopération Islamique

الموضوع الأول

بيان حكم الزامية التعليم

بشقّيه الدّيني والدّنيوي

على كلا الجنسين في الإسلام

الدّورة الخامسة والعشرون

لمؤتمر مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدّولي

من ٢٩ رجب إلى ٣ شعبان ١٤٤٤هـ

من ٢٠ فبراير إلى ٢٣ فبراير ٢٠٢٣م

بمدينة جدّة - المملكة العربيّة السّعوديّة

الشريك الاستراتيجي
صندوق البركة للاقتصاد الاسلامي
ALBARAKA FORUM

بيان حكم الزامية التعليم
بشقّيه الدّيني والدّنيوي
على كلا الجنسين في الإسلام

الدّورة الخامسة والعشرون
لمؤتمر مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدّولي

منظمة التعاون الإسلامي
مجمع الفقه الإسلامي الدولي
زدني علما
مجمع الفقه الإسلامي الدولي
International Islamic Fiqh Academy
Académie Internationale du Fiqh Islamique

ص.ب 13719 جدة 21414
المملكة العربية السعودية
هاتف: 6900346 - 6900347 - 2575662 - 6980518 (+96612)
فاكس: 2575661 (+96612)

@iifa.aifi
@iifa_aifi
www.iifa-aifi.org
info@iifa-aifi.org

المَوْضُوعُ الأوّلُ

بَيَانُ حُكْمِ إِلْزَامِيَّةِ التَّعْلِيمِ

بِشِقَّيْهِ الدِّينِيِّ وَالدُّنْيَوِيِّ

عَلَى كِلَا الجِنْسَيْنِ فِي الإِسْلَامِ

المَوضُوعُ الأوّلُ

بيانُ حكمِ الزاميّةِ التّعليمِ

بِشِقَّيهِ الدِّينيّ وَالدّنيويّ

عَلَى كِلَا الجِنسَيْنِ فِي الإسلَام

الدَّورَةُ الخَامِسَةُ وَالعِشْرُون

لِمُؤتَمَرِ مَجلِسِ مَجمَعِ الفِقهِ الإسلَاميّ الدَّوْلِيّ

مِنْ ٢٩ رَجَب إلى ٣ شَعْبَان ١٤٤٤هـ

مِنْ ٢٠ فبراير إلى ٢٣ فبراير ٢٠٢٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس الأبحاث

بحث فضيلة الأستاذ الدكتور قطب مصطفى سانو ٧
بحث فضيلة داتو حاجي وان زاهيدي بن وان تاه ٤٩
بحث فضيلة الشيخ محمود مال بكري ٧١
بحث فضيلة الدكتورة إنصاف المؤمني ٩٧
بحث فضيلة الشيخ عبد الرحمن محمد علي شمس الدين ١٣٩
بحث فضيلة الدكتور كوناتي أرنا ١٦٥
بحث فضيلة الدكتور محمد الحمليلي بو جمعة البشاري ١٩٣
بحث فضيلة الدكتور محمد شيرازي دمياطي إلياس ٢٣٣
بحث فضيلة الدكتور بدران مسعود بن لحسن وفضيلة الأستاذ الدكتور إبراهيم محمد زين ٢٧٣
بحث معالي الدكتور محمد نوح القضاة ٣١١
بحث فضيلة الدكتور النجاشي محمد أمانة ٣٣٩
بحث فضيلة الشيخ أبو بكر سيد عبد الله جمل الليل ٣٧٩

بحث معالي الأستاذ الدكتور قطب مصطفى سانو

عضو المجمع

الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي الدولي بجدة

المملكة العربية السعودية

تقديم الورقة

الحمد الله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، وأصلي وأسلم على النبي الإمام المعلم، وعلى آله أولي الفضل والعلم، ورضي الله عن الأصحاب الغر الأعلام، ورحم الله التابعين وتابعيهم وعنا معهم إلى يوم يقوم فيه الناس للخبير العلام.

فهذه وريقة معدودة عنينا بنسج خيوطها، وصياغة فقراتها حول مسألة بات بيان حكم الشرع الحنيف فيها فريضةً ملحة، وأصبح تحرير الرأي الشرعي الناصع في أنواعها، ومكانتها، وأهميتها مصلحةً زمانية، بل غدا تبيين موقعها في سلم المصالح والحقوق ضرورةً عصرية، وذلك لما حام حولها مؤخرًا في بعض الأمصار والأقطار من صخب ولجب، وما يطال معظم مسائلها بين الفينة والأخرى من لغط، وشطط.

إنها مسألة اكتساب الذكور والإناث والفتيان والفتيات والرجال والنساء والصغار والكبار سائر أنواع ومجالات المعارف، والمهارات، والمبادئ، والقيم، والمعتقدات تمكينًا لهم من القيام بمهمة الاستخلاف في الأرض، وعمارة الكون، وتحقيق السعادة في الدارين، إنها تلك الفريضة العظيمة التي دعت الشرائع والأديان إلى الامتثال بها، والمحافظة عليها بحسبانها مصلحة ضرورية تختل الحياة باختلالها، إنها ذلك الحق المقدس الثابت المسمى التعليم (التعلم) بأنواعه، ومجالاته، ومؤسساته، وأجهزته، ومرافقه.

وأملًا في إماطة اللثام عن حكم الشرع في إلزام الجنسين باكتسابه بشقيه الديني والدنيوي، فزعنا إلى توزيع فقرات هذه الوريقة على مباحث خمسة، كان أولها تأصيلًا لمفهوم مصطلح التعليم وعلاقته بالمفاهيم المشابهة، وتصدى المبحث الثاني لبيان أنواع التعليم، ومراحله، وأهميته ومكانته، وعني المبحث الثالث بتحرير القول في حكمه الشرعي في ضوء منظومة الحكم الشرعي التكليفي، ثم أوضح المبحث الرابع موقعه في مراتب المصالح وسلم الحقوق، وأما المبحث الخامس، فاختص بالحديث عن أهمية الإنفاق عليه بدعم مؤسساته، ومرافقه، والارتقاء بالبحث العلمي، والابتكار، والفكر الإبداعي والنقدي، بغية تمكين الأمة من استعادة عافيتها الحضارية، وريادتها الفكرية، وانتظمت الخاتمة أهم نتائج الدراسة.

وعلى أمل أن يأتي ذلك اليوم الأغر الذي يغدو فيه التعليم بشقيه الديني والدنيوي وبجميع مراحله متاحًا وميسرًا لكلا الجنسين في جميع أنحاء المعمورة، فإننا نضرع إلى المولى الجليل أن يمكن بناتنا

وفتياتنا التي حيل بينهن وبين هذه الفريضة الخالدة في أفغانستان العزيزة من العودة سريعًا إلى أفنية المدارس وباحات الجامعات بإذنه تعالى.

عساه، جل في علاه، أن ينفع بهذا الجهد المتواضع، ويجعله مما يمكث في الأرض، إن نريد إلا الإصلاح ما استطعنا، وما توفيقنا إلا بالله، عليه توكلنا وإليه المآب.

كتبها

أبو محمد / أ. د. قطب بن مصطفى بن إبراهيم سانو

نزيل مدينة جدة المحروسة

المبحث الأول
في مفهوم مصطلح التعليم وعلاقته بالمصطلحات المشابهة: عرض وتحليل

من أساسيات البحث العلمي ومقدماته الضرورية البدء بتكوين تصور رصين عن المصطلح المراد يتضمن تأصيلًا لمفهومه، فتحقيقًا لعلاقته بغيره من المصطلحات المشابهة، ثم تحريرًا لأنواعه، وصولًا إلى بيان محكم للحكم الشرعي المناسب له عامةً، والمناسب لكل نوع من أنواعه خاصة، وسيحاول هذا المبحث تناول هذه القضايا بالدراسة والتحليل من خلال الفقرات التالية:

الفقرة الأولى : في مفهوم مصطلح التعليم

تقرر المعاجم اللغوية[1] بأن كلمة «تعليم» مصدر لفعل علم يعلم تعليمًا، ومنه قولهم: علمه القراءة، إذا جعله يعرفها، وفهمه إياها، ولقنه إياها، وعلمه الكتابة والرماية، إذا دربه عليها، وقد ورد بهذا المعنى آيات قرآنية كريمة تبلغ عشرين (٢٠) آيةً، منها قول الباري جل جلاله: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١]، وقوله عز شأنه: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]، وقوله تبارك اسمه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [المائدة: ٤].

كما وردت عشرات الأحاديث الصحيحة في كتب السنن بالمعنى نفسه، منها قوله ﷺ في الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه عن عثمان بن عفان، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»، والحديث الذي أخرجه ابن ماجه في سننه عن معاذ بن أنس، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من علم علمًا، فله أجر من عمل به، لا ينقص من أجر العامل». وثمة آثار مروية عن عدد من الأصحاب، رضوان الله عليهم، حول هذا الموضوع، منها قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، علموا أبناءكم السباحة، والرماية، وركوب الخيل.

---

(١) انظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي، ولسان العرب لابن منظور، والمعجم الوسيط لمجموعة من المؤلفين.

وبناء على هذا، فإن مصطلح التعليم يراد به لغةً عند إطلاقه أن تعرف غيرك ما لا يعرفه، كما يراد به أن تلقن غيرك ما يجهله، ويراد به أيضًا أن تفهم غيرك ما لا يفهمه، وأن تدرب غيرك ما لا يعلمه. ويعني هذا أن التعليم في اللغة تعريف، وتلقين، وتفهيم، وتدريب يقوم به شخص يسمى المعلم لغيره الذي يسمى المتعلم.

وأما المراد به في الاصطلاح، فإن الناظر في المصادر والمراجع الشرعية القديمة خاصة المدونات الفقهية والأصولية يجدها ضنت بإيراد تعريف أو تعريفات له، وذلك اعتبارًا لكون معناه واضحًا وظاهرًا، بل إيمانًا منهم بأن معناه متصور لا يحتاج إلى مزيد بيان، بل معناه مشمول ومندرج ضمن ما ذكروه من تعريفات لمصطلح العلم، ولذلك، فإننا نرى أن نتوجه صوب الدراسات المعاصرة التي عني أربابها بإيراد تعريف أو تعريفات لهذا المصطلح، ونحسب أن ثمة تعريفًا بات اليوم أشهر تعريف معاصر له، أعني ذلك التعريف الذي اعتمدته منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) التي تضم في عضويتها مئةً وخمسًا وتسعين (١٩٥) دولة، وهذا نصه كما ورد في موقع المنظمة: «..التعليم عملية تيسير التعلم، أي اكتساب المعرفة، والمهارات، والمبادئ، والمعتقدات، والعادات..»[١].

على هدي من هذا التعريف الأممي للتعليم أورد باحثون عديدون تعريفات مختلفة لمصطلح التعليم، منها ذلك التعريف الذي ورد في موقع «موضوع» وهذا نصه: «.. التعليم عبارة عن العملية المنظمة التي يمارسها المعلم بهدف نقل ما في ذهنه من معارف ومعلومات إلى الطلاب المتعلمين والذين يكونون بحاجة إلى هذه المعارف..»[٢].

وأيًّا ما كان الأمر، فإننا نحسب بأن هذين التعريفين يشكلان اليوم الأساس الذي يستند إليه سائر التعريفات التي يجدها القارئ مبثوثة في ثنايا العديد من الكتب والأبحاث، كما نحسبهما يعبران تعبيرًا واضحًا عن الاستخدامات المختلفة للمصطلح، ولذلك، فإننا لا نرى حاجة إلى الإطالة في توضيحها، بل نرى بدلًا من ذلك تقرير القول بأن التعريف الأممي يتضمن بطريقة غير مباشرة ذلك المعنى اللغوي القار لمصطلح التعليم كما قررنا سابقًا، إذ إنه يعني تعريف المتعلم ما لا يعرفه من المعارف والمهارات والمبادئ والمعتقدات التي يجهلها، كما يعني أيضًا تفهيمه ما لا يفهمه من المعارف والمهارات والمبادئ والمعتقدات والعادات.

ولهذا، فإن هذا التعريف نخاله جديرًا بالاعتداد به بوصفه أهم تعريف شامل وعام لمصطلح التعليم

(١) انظر: موقع اليونسكو www.unesco.org

(٢) انظر: موقع موضوع www.maodoo3.com.

عامة، كما أنه يجدر اتخاذه أساسًا لوضع تصور لمصطلح التعليم خاصة، وذلك بإضافة قيود احترازية إلى المفهوم ليغدو خاصا بنوع معين من التعليم دون سواه، وبعبارة أخرى، إذا كان التعليم شاملًا مطلق اكتساب المعارف والمهارات والمبادئ والمعتقدات والعادات، وكان هذا التصور خاليًا من الإشارة إلى الغاية من ذلك الاكتساب، وخاليًا من بيان موقع ذلك الاكتساب في ضوء المشروعية وعدمها، بل خاليًا من الأثر المترتب على ذلك الاكتساب من حيث التعمير أو التدمير، لذلك، فإن صياغة تصور عن المصطلح بإضافة هاتي القيود يجعل منه مفهومًا منضبطًا وواضحًا ودقيقًا وقابلًا للمقايسة والتقويم.

وعليه، فإننا نركن إلى إعادة صياغة المفهوم بالقول بأن مصطلح التعليم يطلق ويراد به من المنظور الشرعي **اكتساب المعارف، والمهارات، والمبادئ، والقيم، والعادات والتقاليد التي تعين الإنسان على القيام بمهمة الاستخلاف في الأرض، وعمارة الكون، وتحقيق السعادة والفلاح في الدارين، وذلك وفقًا للضوابط والترتيبات التي تقررها الدولة التي يقطن فيها الإنسان.**

إن هذا التصور يؤكد على ماهية التعليم من حيث كونه اكتسابًا، ويعني ذلك بذلًا دؤوبًا للجهد، واستفراغًا حثيثًا للطاقة، ويؤكد أيضًا كون موضوعه دائرًا حول تحصيل العلم والفهم بمجموع المعارف والمهارات والمبادئ والقيم التي تمكن المكتسب من تحقيق الغاية من خلقه، ووجوده، ولا تفاضل بين تلك المعارف والمهارات التي ينبغي اكتسابها ما دامت كلها معينةً للفرد على القيام بالمهمة التي كلف بها، وهي الاستخلاف في الأرض، وعمارة الكون، وتحقيق السعادة في الدارين. كما يؤكد هذا التصور كون التعليم المنشود تعليمًا جامعًا وشاملًا لسائر المجالات الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية اعتبارًا بأن تمكين المكلف من القيام بالمهمة المرتجاة يتوقف توقفًا أساسًا على اكتسابه سائر المعارف والمهارات المتعلقة بتلك المجالات، مما يعني أن هذا التصور يعد التقسيمات المختلفة للتعليم تقسيمات تربويةً لا تعني بأي حال من الأحوال فصلًا حادًّا بين المعارف والمهارات، ولا تعني انفصامًا بين ما يعرف اليوم بالديني والدنيوي، أو العلمي والعملي، أو النظري والتطبيقي، إذ إن اكتساب المعارف والمهارات المتعلقة بتلك المجالات يعد ذلك كله مندرجًا ضمن هذا التصور للتعليم المنشود.

إن هذا التصور للتعليم يعتد بالتعليم بحسبانه وسيلةً لا غايةً في حد ذاته، بل بوصفه الوسيلة المثلى والكبرى التي يتوصل بها إلى تحقيق تلك المهمة الخالدة التي أنيطت بسيدنا آدم، عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] وقوله سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، وتعني تلك المهمة القيام بكل ما يحبه ويرضاه من قول وفعل، شاملًا ما يعرف في

دنيا الناس بالعقائد، والقيم، والمبادئ، والعبادات، والمناكحات، والمعاملات، والسياسات، والمهارات، والفنون، والآداب، وسواها مما يستجد من وسائل وآلات يؤدي اكتسابها والتمكن منها إلى تحقيق المهمة الخالدة المشار إليها آنفًا.

وتعضد تلك المهمة مهمة أخرى، وهي القيام بعمارة الكون الذي سخره الباري الكريم للإنسان وفق مراد الله وتعليماته من خلال الاستفادة المثلى المنبثقة عن العلم الأصيل والناصع بما أودعه الخالق المبدع في هذا الكون من كنوز، وذخائر، وزروع، وأشجار، وبحار، وأنهار، وأودية، وجبال، وسواها.

وأخيرًا، تتبع المهمة الأساس مهمة ثالثة تتمثل في تحقيق السعادة والفلاح للإنسان والمجتمع والعالم في الدنيا وفي الآخرة من خلال توظيف المخرجات والنتائج المتحصلة من تلك المعارف والمهارات والمبادئ والقيم لرفع المعاناة والعنت والضيق عن الإنسان في كل زمان وفي كل مكان بمكافحة الداء الثالوث المتمثل في الجهل، والمرض، والفقر.

وفضلًا عن هذا، فإن هذا التصور ينفتح إيجابًا على كل ما يداهم العملية التعليمية من تطور وتغير وتحول، وذلك بحسبانها وسيلةً لا غاية، مما يجعل الحاجة ماسةً إلى تعهد آلاتها ومؤسساتها ومرافقها بالمراجعة الحصيفة والتجديد الرصين والتحديث المكين، وضرورة ربط القيام بتلك المهمة في كل عصر من العصور، أو في كل مكان من الأمكنة، بالتزام الفرد والمجتمع بتلك الضوابط والترتيبات التي يختارها ولاة الأمر في ضوء الواقعات المتغيرة والمختلفة، تنظيمًا لمراحلها، وضبطًا لوسائلها، ضمانًا لتمكين النشء من اكتساب المعارف والمهارات والمبادئ والقيم المنشودة على الوجه الأمثل والأقوم.

ويعني هذا ضرورة الالتزام بالترتيبات القطريّة (المحليّة) التي تجود بها الأيام بين الفينة والأخرى من خلال النظم والمؤسّسات التي تعرف اليوم في دنيا النّاس بالنظم والمؤسّسات التعليميّة التي تعنى بتسهيل عمليّة التعلُّم والتلقين والتدريب والتأهيل.

على أنه من الحري تقريره أن هذا المفهوم يعد في نهاية المطاف تصورًا هادئًا لمفهوم المصطلح المركب تركيب إضافة الشائع الورود في الدراسات والمراجع الشرعية، أعني **مصطلح طلب العلم**، فهذا المصطلح المركب يعني لغةً اكتساب العلم، ويراد بالعلم، كما هو معلوم، مجموعة المعارف والمهارات والمبادئ والمعتقدات والعادات التي يكتسبها الإنسان عبر طرق مختلفة ومتعددة، مما يعني أن مصطلح التعليم يراد به تجوزًا عند إطلاقه هذا المصطلح المركب «طلب العلم»، وليس المعنى اللغوي السالف الذكر، فليتأمل.

وصفوة القول، فإن مرادنا بمصطلح التعليم في هذه الدراسة هو ذلك التصور الذي أصلنا فيه القول آنفًا، ونظرًا لوجود علاقة جدلية ومنطقية بينه وبين عدد من المصطلحات المشابهة، فإننا نعرج عروجًا عابرًا نتبين من خلاله علاقته بأهم تلك المصطلحات، وهي مصطلح التربية، ومصطلح التزكية، ومصطلح التثقيف، ومصطلح التنوير، وذلك كالتالي:

الفقرة الثانية : مصطلح التعليم والمصطلحات المشابهة

أولًا: العلاقة بين مصطلحي التعليم والتربية

ثمة اختلاف مكرور بين الباحثين في مجال التربية والتعليم حول تلك العلاقة الجدلية والمنطقية الثاوية بين مصطلحي التربية والتعليم، إذ يذهب طائفة من الباحثين إلى اعتبارهما مصطلحين مترادفين، ويعتبرون كل تعريف للتعليم تعريفًا للتربية، وكل تعريف للتربية تعريفًا للتعليم، وتتبنى منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة هذا التوجه، إذ إنها اكتفت بتعريف التربية، وعدته تعريفًا للتعليم، وترى طائفة أخرى أنهما مصطلحان مختلفان، ويوردون لكل واحد تعريفًا خاصًّا ومختلفًا عن تعريف الآخر، وهذا المنهج هو الأكثر شيوعًا لدى من عنوا بالحديث عن الغاية المرجوة من العملية التعليمية، إذ يرون التربية أكثر التفاتًا إلى الجانب الأخلاقي والروحي من التعليم، وترى طائفة ثالثة أنهما من جنس المصطلحات المعروفة بأنها إذا اجتمعت افترقت، وإذا افترقت اجتمعت، وتعني أنهما إذا ذكرا معًا (اجتمعا) كان لكل واحد منهما معنى مختلف عن الآخر (افترقا)، وإذا ذكر أحدهما دون الآخر (افترقا)، كان معناهما واحدًا (اجتمعا)، وهكذا دواليكم.

وبناء على هذا الاختلاف في ضبط العلاقة بين المصطلحين، تعددت تعريفات مصطلح التربية، ولا يسع المجال لسردها، وإنما سنكتفي بعرض أحد أشهر تعريفاته في الدراسات التربوية، أعني ذلك التعريف الذي انتهى إليه أحد مشاهير علماء التربية والاجتماع المعاصرين، إميل دوركايم، حيث عرف المراد بمصطلح التربية عند إطلاقه بأنه: «.. الفعل الذي تمارسه الأجيال الراشدة على الأجيال الصغيرة التي تصبح بعد ذلك ناضجةً للحياة الاجتماعية، وموضوعها إثارة وتنمية عدد من الاستعدادات الجسدية، والفكرية، والأخلاقية عند الطفل، والتي يتطلبها المجتمع السياسي في مجمله، والوسط الخاص الذي يوجه إليه»[1].

وبتعبير آخر، يراد به كما ورد في الصحاح في اللغة والعلوم «..تنمية الوظائف الجسمية والعقلية

(١) انظر: موقع www.new-educ.com.

والخلقية كي تبلغ كمالها عن طريق التدريب والتثقيف..»[١].

وبناء على هذين التصورين المتقاربين يطلق مصطلح التربية على «..كل عملية نمو واكتساب للخبرة، واستخراج ما لدى الفرد من قدرات كامنة، وتنميته خلقيا وعقليا لإحداث تغيير مرغوب فيه في سلوك الفرد خاصة، وفي المجتمع عامةً بواسطة تفاعل الفرد مع البيئة المحيطة به من أفراد، وكائنات حية وغيرها..»[٢].

وتأسيسًا على هذا، فإن العلاقة بين مصطلحي التعليم والتربية علاقة عام بخاص، فمصطلح التعليم عام يشمل مصطلح التربية، ذلك لأن كل تربية تعليم، وليس كل تعليم تربيةً، لأن التعليم كما يسع اكتساب القيم والمبادئ والعادات، فإنه يسع أيضا اكتساب المهارات والفنون والآداب وسواها، مما يجعل التعليم أعم وأشمل من التربية.

ثانيًا: العلاقة بين مصطلحي التعليم والتزكية

لئن كان الاختلاف شائعًا حول ضبط العلاقة بين مصطلحي التربية والتعليم، فإن ثمة اتفاقًا على وجود فرق واضح بين مصطلحي التعليم والتزكية، بل إن كثيرًا من الباحثين في الدرس التربوي يعزفون عن الحديث عن مصطلح التزكية بحسبانه عندهم مصطلحًا دينيا ميتافزيقيا لا يخضع للتجربة والمقايسة، ولذلك، فإن بيان العلاقة بين المصطلحين يتطلب العودة إلى المراجع الدينية التي تختص بالحديث عن التزكية وما يتفرع عنها.

بناءً على هذا، فليس من الوارد العثور على تعريف لمصطلح التزكية في الدراسات التربوية الحديثة، وأما المصادر والمراجع الشرعية، فإنها تضم بين طياتها نصوصًا وتصورات عن مصطلح التزكية، بل إن عددًا من اشتقاقاته ورد في ثنايا عدد من آي الذكر الحكيم، منها قوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۞ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩-١٠]، ﴿وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩]، وقد عني عامة المتصوفة قديمًا وحديثًا بصياغة تعريفات للمصطلح شبه متفق عليها عندهم، وهو أن المراد بمصطلح التزكية عند الإطلاق هو تطهير النّفس بالانقطاع عن العلاقات المتعلقة بالبدن، وتنقيتها من الصِّفات المذمومة والقبيحة، والسعي على تكميلها، وتجميلها بالأعمال الصالحة. وتعني عند الإمام الغزالي تكميل النفس الإنسانيّة بقمع أهوائها، وإطلاق خصائصها

(١) انظر: موقع موضوع www.mawdoo3.com

(٢) مفهوم التربية الاجتماعية في ضوء القرآن الكريم وتطبيقاته من خلال البيئة المدرسية، بلغيث بن أحمد بن عبد الله الغانمي، ص٢٨.

العليا[١]، وتتحقق التزكية عند المتصوِّفة بالتخلية والتحلية والتجلية، وتعني التخلية عندهم تخلية النفس بتطهيرها وترقيتها والسمو بها من الذنوب، والسيئات، والمعاصي، والقبائح، وأما التحلية، فإنّها تعني تحلية النفس بالعمل بالطاعات، والقربات والفضائل، وتنمية المستحسن من الأخلاق والعادات لتتحقق للنفس التجلية، وتعني السمو بالروح والنفس والعقل في سبوحات الأسرار والحكمة[٢].

إنه من الواضح من هذا المفهوم أن علاقة مصطلح التزكية بمصطلح التعليم علاقة وسيلة بغاية، فالتعليم وسيلة، والتزكية غاية، وتعد التزكية من أهم الغايات التي يتوصل إليها من خلال التعليم المتمثل في اكتساب المعارف والمهارات والقيم والفضائل، مما يعني أن تحقيق التخلية، والتحلية والتجلية يتوقف توقفًا أساسًا على التعليم، وبالتالي، فإن العلاقة بينهما علاقة وسيلة لا علاقة عام بخاص، ولا مطلق بمقيد.

ثالثًا: بين مصطلحي التعليم والتثقيف والتنوير

يراد بمصطلح التثقيف في المعاجم اعتماد المرء على نفسه في اكتساب العلوم، والمعارف، والمهارات، والمعتقدات، وهو مصدر لفعل ثقفه تثقيفًا إذا أدبه، ورباه، وعلمه، وهذبه، ودربه، ومنه قولهم: ثقف الشبيبة، وثقف الأخلاق، إذا أصلح السلوك، والآداب.

وبالنظر في هذا المعنى لمصطلح التثقيف نجده هو الآخر أخص من مصطلح التعليم، وذلك اعتبارًا بكونه عملية يعتمد المرء فيها على نفسه دون سواه، مما يعني أن التثقيف يعد تعليمًا من حيث كونه اكتسابًا للمعارف والمهارات والفنون، ولكنه يختص بكونه نوعًا من التعليم يعتمد فيه المتعلم في الغالب الأعم على نفسه، وهذا خلافًا للتعليم، فإن المتعلم فيه يمكنه أن يعتمد على نفسه، كما يمكنه أن يعتمد على غيره، مما يعني أنه شامل للاكتساب الذاتي للمعارف والمهارات والمعتقدات، والاكتساب غير الذاتي للمعارف والمهارات والمعتقدات.

وبناء على هذا، فإن العلاقة الثاوية بين المصطلحين علاقة عام بخاص، فكل تثقيف تعليم، وليس كل تعليم تثقيفًا، فالتثقيف أخص من التعليم، والتعليم أعم من التثقيف. فليتأمل.

وأما مصطلح التنوير، فإنه يراد به من حيث اللغة إضاءة الفكر والعقل، ومن حيث الاصطلاح يراد به تلك الحركة الفكرية التي ظهرت في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي في أوروبا، وكانت تعتمد فكرة التقدم، وإعمال العقل في فهم واقع المجتمع، وتدعو إلى التخلي عن التقاليد الدينية، والثقافية،

(١) انظر: موقع موضوع www.mawdoo3.com

(٢) انظر: الجزيرة مباشر www.mubasher.aljazeera.net

والأفكار اللاعقلانية[١].

إن هذا المفهوم لمصطلح التنوير لا تربطه علاقة مباشرة بمصطلح التعليم من حيث المفهوم، ولا يعدو أن يكون، والحال كذلك، توظيفًا للتعليم في فهم الواقع، والمجتمع، والطبيعة، مما يعني أن التعليم سابق على التنوير، والتنوير ناتج منه، كما يعني أيضًا أنه من الممكن أن يكون التعليم مقدمةً من مقدمات التنوير، إذ لا يقوم بالتنوير إلا من اكتسب المعارف والمهارات والمبادئ، ثم يقوم ذلك الشخص بتوظيف ما اكتسبه في فهم واقع المجتمع.

وبناء عليه، فإن العلاقة بين المصطلحين علاقة وسيلة بغاية غير تلازمية، وتعني أن التعليم يعد وسيلةً، والتنوير غايةً، وهذه العلاقة ليست تلازمية بل عادية، ذلك لأن مجالات توظيف التعليم متعددة بتعدد الغايات، والشأن في ذلك كالشأن في كل الوسائل التي يتوصل بها إلى غاية من الغايات.

رابعًا: العلاقة بين مصطلح التعليم ومصطلح التعلم

حقيق علينا قبل أن ننتقل إلى بيان أنواع التعليم، ومراحله أن نعرج هنيهةً على بيان علاقة مصطلح التعليم بمصطلح ينتمي إلى الجذر اللغوي نفسه، أعني مصطلح التعلم، وذلك رفعًا لما يقع من لبس عند الإطلاق. ولئن كنا قد أوضحنا من قبل بأن المراد بمصطلح التعليم لغةً أن تعرف غيرك ما لا يعرف، وتلقنه ما لا يفهمه، وتدربه ما لا يعلم، وبينا بأنه مصدر لفعل علم يعلم تعليمًا، فإن مصطلح «التعلم» يراد به لغةً معرفة الشيء وإتقانه، ومنه قولهم: تعلم الشيء إذا عرفه، وأتقنه، ومنه أيضًا قولهم: تعلم الأمور خير من جهلها: أي معرفتها وإتقانها[٢]؛ والتعلم مصدر لفعل تعلم يتعلم تعلمًا، وتعرف التاء بتاء المطاوعة، وهي التاء التي تكون في فعل مطاوع لما سبق متأثر به، مما يعني أن فعل تعلم يسبقه ولا محاله فعل وهو علم، فيقال علمه فتعلم، ويسمى هذا الفعل «تعلم» فعل مطاوع لأنه يطاوع فعل «علم» مضعف العين، ومنه قولهم: علَّمتُه الحسابَ فتعلَّم؛ أي: عرف الحساب وأتقنه.

وبناء على هذا، فإن مصطلح التعلم يطلق ويراد به مطلق المعرفة والإتقان الآتين من طرف آخر، وهو بهذا المعنى يلتقي مع مصطلح التعليم في كون كل واحد منهما دائرًا حول المعرفة والإتقان تحصيلًا واكتسابًا، ولكنهما يختلفان في كون التعليم أساسًا للتعلم، وكون التعلم أثرًا من أثر التعليم. مما يعني أن التعلم لا يعدو أن يكون أثرًا من آثار التعليم، ونظرًا لهذه العلاقة الوثيقة بين المصطلحين، فإن مصطلح التعليم يطلق حينًا ويراد به التعلم، كما يطلق التعلم ويراد به التعليم، مما يجعلهما مصطلحين إذا اجتمعا

(١) انظر: موقع ar.m.wikipedia.org

(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور، القاموس المحيط للفيروز آبادي، والمعجم الوسيط.

افترقا وإذا افترقا اجتمعا كما سبق بيان ذلك من قبل عند الحديث عن علاقة التعليم بالتربية.

وبناء على هذا التناوب الذي بات اليوم شائعًا وحاضرًا بالقوة والفعل في الدراسات والأبحاث التربوية المعاصرة، فإن مصطلح «التعلم» يطلق ويراد به التعليم، كما أن مصطلح «التعليم» يطلق ويراد به «التعلم»، ومنه قولهم: الحث على التعليم؛ أي: الحث على التعلم.

وانطلاقًا من هذا التداخل القائم بين المصطلحين، فإن هذه الوريقة تجنح إلى تقرير القول بأنه لا مشاحة في استخدام كلا المصطلحين «تعليم» الجنسين أو «تعلم الجنسين»، ما دام المراد من ذلك تمكين الجنسين من اكتساب وإتقان المعارف والمهارات والمبادئ والقيم والمعتقدات، وذلك ممن يعرف ويتقن ويفهم تلك المعارف والمهارات والمبادئ والقيم والمعتقدات، ويعتبر ولي الأمر أو من ينوب عنه في كل عصر ومصر (المؤسسات التعليمية المعاصرة) مسؤولًا عن هذا التمكين أمام الله جل جلاله الذي كلف ولي الأمر بحراسة الدين وسياسة الدنيا، وذلك بتوفير كافة السبل والوسائل لعباده ليقوموا بمهمة الاستخلاف في الأرض، وبعمارة الكون، وبتحقيق السعادة والاستقرار للإنسان.

وفذلكة القول، بهذا نصل إلى نهاية إبراز العلاقة المنطقية بين مصطلح التعليم والمصطلحات المشابهة، مقررين بأن هاتيك المصطلحات عدا مصطلح التنوير تطلق أحيانا ويراد بها التعليم، مما يجعل كثيرًا من الباحثين يعتبرونها مصطلحات مرادفة لمصطلح التعليم، بل إن عددًا من الباحثين جنحوا إلى القول بأن مصطلح التربية بالذات يعتبر مصطلحًا مرادفًا لمصطلح التعليم، ويعتبرونهما مصطلحًا واحدًا، ويعرفونهما تعريفًا واحدًا.

وأما مصطلحات التزكية والتثقيف والتنوير، فإنه قد تبدى لنا أنها مصطلحات مختلفة عن مصطلح التعليم، وليست مرادفة أو مشابهة له، بل يعد كل واحد منها غايةً من غايات التعليم، والتعليم وسيلة من الوسائل الموصلة إلى كل واحد منها.

وأيا ما كان الأمر، فلننصرف إلى تسليط الضوء على أنواع التعليم، ثم على مراحله، تمهيدًا لبيان حكم الشرع الحنيف فيه، وبيان موقعه في سلم المصالح الضرورية، والحاجية والتحسينية، فهلم بنا سائلين المولى العزيز السدد، والرشد، والمدد.

المبحث الثاني
في أنواع التعليم، وأهميته، ومراحله

لئن كان مصطلح التعليم يراد به عند إطلاقه اكتساب المعارف والمهارات والفنون والمبادئ والقيم والمعتقدات، فإن هذا المفهوم القار للمصطلح يدل أصالةً على إمكانية تعدد واختلاف الموضوعات والمسائل التي يراد اكتساب المعارف والمهارات المتعلقة بها من حيث كونها موضوعات محسوسة مجردة، وموضوعات غير محسوسة وغير مجردة، كما يدل على إمكانية تعدد المجالات التي يدور حولها ذلك الاكتساب من حيث كونها موضوعات نظرية وموضوعات تطبيقية، أو سوى ذلك، كما يدل ذلك المفهوم تبعًا على أن اكتساب الإنسان لتلك المعارف والمهارات والفنون والمعتقدات لا يخلو هو الآخر أن يكون اكتسابًا ذاتيا لا يخضع لرقابة أو سلطة أحد، أو يكون اكتسابًا غير ذاتي يخضع لإشراف أو توجيه من جهة ما، بل لا يخلو اكتسابه لها أن يكون دفعةً واحدةً أو على دفعات.

وبناء على هذه الأبعاد المختلفة للمسألة التعليمية عني الباحثون بالحديث عن أنواع التعليم من حيث موضوعه، كما عنوا بالحديث عنه من حيث مراحله ومراتبه، وعنوا ثالثًا بالحديث عنه من حيث مؤسساته ومرافقه، وغير ذلك.

ونظرًا لما لهذه الأبعاد الثلاثة من أهمية قصوى في بيان الحكم الشرعي المناسب للتعليم، فإن هذا المبحث سيحاول تسليط الضوء عليها خلال الفقرات التالية:

الفقرة الأولى : في أنواع التعليم

من نافلة القول إن مؤرخة تاريخ التعليم والعلوم عنوا بتقسيم التعليم إلى تقسيمات متعددة، وذلك حسب اعتبارات مختلفة[١]، ومن أشهر تلك التقسيمات تقسيمه باعتبار موضوعه الذي تدور حوله مباحثه، ومسائله، وقضاياه، إلى التعليم الموسوم اليوم بالتعليم الديني، والتعليم الموسوم بالتعليم الدنيوي، ومرادهم بالتعليم الديني ذلك النوع من التعليم الذي تدور مباحثه ومسائله حول الدين الذي هو عبارة عن مجموعة العقائد والتعاليم والقيم التي توجه الإنسان فكرًا وسلوكًا وممارسة، ومرجع الإنسان في التعامل

(١) انظر: مواقع www.almrsal.com .. www.nawa3em.com.. www.manhal.net

مع تلك العقائد والتعاليم والقيم هو الوحي، أو المقدس، أو المثال.

وأما التعليم الدنيوي، فإنه يراد به ذلك التعليم الذي تدور مباحثه ومسائله حول الدنيا التي هي عبارة عن مجموعة الظواهر والأكوان التي تحيط بالإنسان، وتؤثر في سلوكه، وتصرفاته، وحياته، ومرجع الإنسان في التعامل مع تلك الظواهر والأكوان هو العقل والحس والتجربة.

وقريبًا من هذا التقسيم ذهب جمع من أهل العلم بالتربية والتعليم إلى تقسيم التعليم باعتبار موضوعه من حيث النظر والتطبيق إلى تعليم نظري وتعليم تطبيقي، ومرادهم بالتعليم النظري ذلك التعليم الذي تدور مباحثه ومسائله حول قضايا وموضوعات لا تخضع للحس والتجربة، وأما التعليم التطبيقي، فيراد به التعليم الذي تدور مباحثه ومسائله حول قضايا وموضوعات تخضع للحس والتجربة.

وبناء على ذلك، يعد التعليم الديني الآنف الذكر تعليمًا نظريًّا بحتًا، اعتبارًا بأن مسائله ومباحثه وموضوعاته تدور حول قضايا لا تخضع بالحس والتجربة.

وفضلًا عن هذين التقسيمين الشهيرين للتعليم، هناك تقسيم ثالث للتعليم باعتبار الجهة التي تشرف عليه، وهو تقسيمه إلى تعليم نظامي، ويراد به التعليم الذي يتم تحت إشراف الدولة ورعايتها، وتعليم غير نظامي، وهو التعليم الذي لا تشرف عليه الدولة، ولا تعترف به، وقريبًا من هذا التقسيم أيضًا قسم التعليم إلى تعليم ذاتي، وتعليم غير ذاتي، ومرادهم بالتعليم الذاتي التعليم الذي يتحصل عليه الإنسان دون مساعدة أحد، والتعليم غير الذاتي هو التعليم الذي يتحصل عليه الإنسان من غيره.

وثمة تقسيمات متعددة لا يسع المجال لسردها، ولذلك، فإننا سنعرض عنها صفحًا لنقرر بأنه من رحم تلك التقسيمات للتعليم نشأ القول بتصنيف العلوم هي الأخرى إلى أصناف متعددة باعتبارات متعددة، فثمة علوم تعرف بالعلوم الدينية، وتنتظم مجموعة المعارف التي تعنى بدراسة الدين (الأديان) وما يتعلق به من مسائل وقضايا، وهناك علوم تسمى العلوم الدنيوية وتشتمل على المعارف والمهارات التي تعنى بدراسة سائر المسائل والقضايا التي لا تتعلق بالدين تعلقًا مباشرًا، وهنالك علوم تعرف بالعلوم النظرية وتنتظم سائر المعارف والفنون والمعتقدات والقيم والمبادئ غير المحسوسة، وعلوم أخرى تسمى بالعلوم التطبيقية وتشتمل على المعارف والفنون والمهارات الطبيعية المحسوسة.

ومن رحم هذه التصنيفات نشأ القول أيضًا بتصنيفات فرعية للتصنيفات الرئيسة الآنفة الذكر، إذ ثمة تصنيف فرعي للعلوم النظرية إلى علوم اجتماعية تعنى بدراسة الاجتماع الإنساني الذي سماه ابن خلدون بالعمران البشري، وإلى علوم إنسانية تعنى بدراسة الإنسان وكل ما يتعلق به من نفس، وتربية، واقتصاد،

وتاريخ، وسواه، وهنالك تصنيف فرعي للعلوم التطبيقية إلى علوم طبيعية تعنى بدراسة الطبيعة والظواهر الموجودة فيها، وعلوم بحتة تعنى بدراسة الأساسيات التي تقوم عليها العلوم الطبيعية، وتشمل الرياضيات، والكيمياء، والفيزياء، والأحياء، وسواها.

إن هذه التصنيفات المتعددة للعلوم وقبلها التقسيمات الأساسية لها لا تعدو أن تكون محاولات دائبة لمواكبة التطورات الحثيثة التي ما انفكت تداهم عالم المعارف، والمهارات، والفنون، والمبادئ والقيم والمعتقدات، مما يدفع الباحثين والدارسين إلى ابتكار مزيد من الوسائل المعينة على تيسير وتسهيل اكتساب المعارف والمهارات على النشء، كما لا تعدو أن تكون مسايرةً للتغيرات المتلاحقة التي ما فتئت تطرأ على الحياة، وتملي على القائمين على المسألة التعليمية البحث عن السبل المثلى لتمكين النشء من التفاعل الإيجابي مع تلك التغيرات بعد استيعاب رصين لها من خلال انفتاح مسؤول عليها.

ومن ثم، فإنه حقيق أن نخلص إلى تقرير القول بأن تلك التقسيمات وهاتيك التصنيفات بغض النظر عن مضامينها ومحتوياتها تقسيمات وتصنيفات مستحدثة في الملة بعد رحيل معلم البشرية، وإمام المعلمين، سيد الأولين والآخرين، محمد الأمين، صلوات ربي وسلامه عليه، إذ لم يرد في شأن أي من التقسيمات أو التصنيفات نص شرعي مباشر من الكتاب العزيز أو السنة النبوية الطاهرة، بل إننا لن نعلم خلافًا بين المؤرخة بأن نشأة القول بها في دنيا الناس كانت غداة ذلك التلاقي الحضاري بين الحضارة الإسلامية الناشئة والحضارات السابقة التي كانت حاضرةً إبان الفتوحات الإسلامية، كما أننا لن نعلم خلافًا بين المحققين من أهل العلم بالتربية والتعليم بأن الاهتمام بتلك التقسيمات والتصنيفات ازداد ضرورة عشية ركون العقل المسلم إلى اتخاذ التقليد منهجًا للتفكير بدلًا من الاجتهاد، واللواذ بالتبعية بدلًا من الاحتماء بالابتكار، واستمراء استهلاك الفكر بدلًا من الإصرار على إنتاج الفكر واختراعه.

ولهذا، فإن النظر في هذه التقسيمات والتصنيفات لبيان حكم الشرع إزاءها لا ينبغي أن يختلف بأي حال من الأحوال عن النظر في أية نازلة من النوازل، أو مستجد من المستجدات، وذلك من حيث كونها تقسيمات وتصنيفات اجتهاديةً لا نص فيها، وبالتالي، فإن الاعتداد بها أو الاعتذار عنها ينبغي أن يكون محكومًا بما يترتب على القبول والرفض من مصالح ومفاسد، واستنادًا إلى ما تقرره الإرادة السلطانية إزاءها في الأقطار.

وتأسيسًا على هذا، فإن التقسيم التقليدي الشائع للتعليم إلى تعليم ديني وتعليم دنيوي يعد تقسيمًا اجتهاديًّا مستحدثًا، كما يعد تقسيمًا تربويًّا مصلحيًّا يراد به حسن تمكين النشء من الإحاطة المثلى بسائر القضايا والمسائل التي تتعلق بالدين تعلقًا مباشرًا مع الإحاطة غير المغشوشة بالقضايا والمسائل التي تتصل

بالحياة والكون والمجتمع، كما يراد به تمكينهم من الإحاطة المركزة والمسؤولة بالقضايا والمسائل التي تتعلق بالحياة والكون والمجتمع مع الإحاطة المسؤولة بالقضايا والمسائل التي تتصل بالدين، مما يعني أن الأصل في هذا التقسيم أن يكون تقسيمًا تكامليًّا لا تقسيمًا تقابليًّا، وأن يكون تقسيمًا تربويًّا لا تقسيمًا فكريًّا، وأن يكون تقسيمًا تنظيميًّا لا تقسيمًا عقديًّا.

وإذ الأمر كذلك، وهو كذلك، فإن بيان حكم الشرع في التعليم بتقسيماته وفي العلوم بتصنيفاته تحدده الغاية من التعليم، وذلك بحسبانه، كما قررنا سابقًا، وسيلةً من الوسائل التي يتوصل بها إلى غاية من الغايات، مما يعني أنه لا يكتفى في الحكم على أي من التقسيمات أو التصنيفات بالحل أو الحرمة إلا في ضوء تلك الغاية المرادة منها، ويعني هذا أن اعتبار نوع من التعليم تعليمًا دينيًّا واعتبار نوع آخر منه تعليمًا دنيويًّا لا يعني ذلك حكمًا مباشرًا بحل وشرعية ما يسمى تعليمًا دينيا، وبحرمة وعدم شرعية ما يسمى تعليمًا دنيويًّا، ولا يعني أيضًا بوجوب ما يسمى تعليمًا دينيًّا، وعدم وجوب ما يسمى تعليمًا دنيويًّا، إن حكم الحل والتحريم يتوقف توقفًا أساسًا على حكم الغاية منه بغض النظر عن تقسيماته، وعن تصنيفاته، وذلك انطلاقًا مما هو مقرر في الشرع بأن حكم الوسائل مستمد من حكم الغايات، وتعتبر الوسائل مقدمات يتحدد حكمها وفقًا للنتيجة التي تؤدي إليها.

ولهذا، فإن ما سنورده في الفقرة التالية من تأصيل هادئ وتحرير متين لحكم الشرع الكريم في إلزامية التعليم وعدم إلزاميته لن يتأثر بأي حال من الأحوال من التقسيم التقليدي للتعليم إلى تعليم ديني، وتعليم دنيوي، ولن يلقي بالًا كبيرًا بذلك التقسيم التربوي المصلحي للتعليم إلى تعليم نظري، وتعليم تطبيقي، وذلك إيمانًا منا بكون التعليم بتقسيماته المختلفة وسيلةً من الوسائل التي لا تخلو من أن يتوصل بها إلى تمكين المكلف من تحقيق الغاية السامية من خلقه في الأرض المتمثلة في واجب القيام بمهمة الاستخلاف في الأرض، وعمارة الكون، وتحقيق السعادة في الدارين، أو يتوصل بها إلى تحقيق غاية أخرى سوى تلك الغاية المشار إليها آنفًا.

وبعبارة أدق إن القول بوجوب وإلزامية التعليم لكلا الجنسين، على سبيل المثال، لا ينبغي حصر ذلك تلقائيًّا في نوع من أنواع التعليم دون سواه، كالتعليم الموسوم بالتعليم الديني مثلًا، أو التعليم الموسوم بالتعليم الدنيوي، ولا ينبغي محاصرته، وحاشاه، في التعليم النظري أو التعليم التطبيقي، وبدلًا من ذلك كله، فإنه لا بد من الالتفات الرشيد إلى تلك الغاية السامية من التعليم دينيا كان أو دنيويا، نظريا أو تطبيقيا للتأكد من وجودها في التعليم المذكور.

وينطبق هذا الأمر أيضًا على ما يطلق عليه اليوم بالمراحل التعليمية التي ظهرت في دنيا الناس خلال

العقود المنصرمة، فلا يربط التعليم الملزم بأي مرحلة من مراحلها إلا في ضوء كون تلك المرحلة مؤهلة المتعلم من القيام بالغاية من التعليم المتمثل في القيام بمهمة الاستخلاف في الأرض، وعمارة الكون، وتحقيق السعادة في الدارين؛ مما يعني أن القول بوجوب وإلزامية التعليم، على سبيل المثال، لا ينبغي اقتصار ذلك الوجوب وذلك الإلزام على مرحلة بعينها من المراحل التعليمية دون سواها كحصر الوجوب والإلزام في المرحلة الابتدائية أو في المرحلة الثانوية أو سواها، وبدلًا من ذلك أيضًا، لا بد من التأكد المسؤول من مدى كون تلك المرحلة التي يراد الإلزام بها قادرةً على تمكين المتعلم من تحقيق الغاية المثلى من التعليم، وذلك اعتبارًا بأن المراحل التعليمية هي الأخرى تعد من الأمور المستحدثة في الملة، وبالتالي، فإن حكمها يخضع لما يخضع له حكم الوسائل في الشرع.

وأيًّا ما كان، لنضع هذا الأمر جانبًا، وننصرف إلى بسط القول في أهمية التعليم ومكانته، ثم ما مراحل التعليم، ثم بيان حكم الشرع في التعليم بتقسيماته، وبمراحله، فهلم بنا.

الفقرة الثانية: في أهمية التعليم ومكانته

نظرًا لوضوح موضوع هذه الفقرة وجلائه، واعتبارًا بتضافر آي الكتاب العزيز وتكاثر أحاديث السنة النبوية الشريفة التي وردت في تقرير تلك الأهمية الكبرى، والمكانة المثلى، والمنزلة العليا للتعليم بشقيه الديني والدنيوي، والنظري والتطبيقي، فإننا نرى أن ندعو القارئ الكريم إلى إلقاء نظرة عجلى فيما تعج المكتبات من مؤلفات قيمة ومتنوعة أوسع أربابها هذا الموضوع جانب التأصيل، والتحرير، والتحقيق، والتوضيح، وورثوا الأجيال تحليلًا وافيًا وشافيًا لمكانة العلم والعلماء.

ولهذا، فإننا سنكتفي بالقول بأنه يكفي التعليم شرفًا أن تكون أولى آية نزلت في القرآن الكريم نزلت فيه، وهي قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١-٢]، كما يكفيه قدرًا أن ملائكة الرحمن تضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع، كما ورد ذلك في الحديث الذي أخرجه الترمذي في سننه، ويكفيه مكانةً ومنزلةً أن يسهل الله به الطريق إلى الجنة، كما نص على ذلك الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه، ويكفيه سموًا وكرمًا أن الحيتان في أعماق البحار والأنهار والأودية تستغفر لطالب العلم، كما ورد ذلك في الحديث الذي أخرجه الإمام مالك في موطئه، ويكفيه علوا وقدرًا أن الباري جل جلاله، والملائكة، وأهل السماوات والأرضين حتى النملة في جحرها يصلون على معلمي الناس خيرًا، كما نص على ذلك الحديث الذي أخرجه الترمذي في سننه، ويكفيه شموخًا ومجدًا أن يحصر الله، جل جلاله، خشيته وتقواه وورعه في العلماء دون غيرهم، كما ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٞ﴾ [فاطر: ٢٨].

وتأسيسًا على هذا، فإنه من فضول القول التأكيد كل التأكيد على اعتداد الشرع الحكيم بالتعليم بوصفه من آكد الواجبات، وأعظم القربات، وأجل العبادات، وأشرف الوسائل، وأسمى المراتب، وأنفس المنافع، وما نهضت أمة قط إلا به، وما تقدم شعب إلا به، وما استقر مجتمع إلا به، بل ما قامت حضارة إلا به، وما بقي مجد ولا عز إلا به.

إنه من البدائه أن نهوض الأمم كان ولا يزال مرهونًا بتلك المكانة التي يحظى بها التعليم بين أبنائها، وأن تقدم الشعوب ما برح متوقفًا على ما يكنه أفرادها للتعليم من تقدير وتوقير، وأن استقرار المجتمعات ما فتئ قاصرًا على التعليم. بل إن قيام الحضارات وديمومتها يقوم على مدى اهتمامها وعنايتها بالتعليم في أرجائها وبين أبنائها. إذ كلما احتل التعليم المكانة العليا اللائقة به عند باني الحضارات حال ذلك دون أفول الحضارة وتراجعها، وكلما اهتزت مكانته، وخف الاهتمام والعناية به كان ذلك إيذانًا مؤكدًا بالأفول والتراجع.

وفضلًا عن هذا كله، فإنه من المتفق عليه لدى الأديان والشرائع أنه لا علاج لداء الجهل والتطرف والإرهاب إلا بالتعليم، ولا دواء لداء الفقر والعوز والحاجة إلا بالتعليم، بل لا شفاء من داء التخلف والتأخر والمرض إلا بالتعليم.

وإذ الأمر كذلك، وهو كذلك، فإننا نخلص إلى تقرير القول بأن أهمية التعليم وضرورته للأفراد والشعوب والأمم والمجتمعات محل إجماع واتفاق، كما نقرر بأن التعليم المقصود في هذا المقام يشمل جميع أنواعه، إذ لا فرق في ذلك بين تعليم ديني، وتعليم دنيوي، ولا بين تعليم نظري وتعليم تطبيقي، ولا بين تعليم نظامي وتعليم غير نظامي، ولا بين تعليم ذاتي وتعليم غير ذاتي، فكله مهم وضروري في كل عصر ومصر، ونقرر أيضًا بأن الجنسين يتساويان في أهميته لكل واحد منهما، ولا فرق في ذلك بين ذكر وأنثى، ولا بين فتى وفتاة، ولا بين رجل وامرأة، كما أن الشعوب والأمم والمجتمعات تتساوى في أهميته لها جميعًا دون استثناء، مما يعني أن أي تفريق بين أنواع التعليم، والمخاطبين به يعد تعسفًا واعتسافًا، وركوبًا متن الشطط، وخروجًا على الجادة ما دامت النصوص الشرعية الواردة في الكتاب المبين والسنة الطاهرة لم تفرق بين أنواع التعليم، ولا بين الذكور والإناث.

على أنه من الحري تقريره أن اعتداد الإسلام بالتعليم بحسبانه عبادةً من العبادات العظيمة، وقربةً من القربات الجليلة تقرير بأن منع إنسان أي إنسان منه ذكرًا أو أنثى، رجلًا أو امرأة، فتى أو فتاة يعتبر منعًا إياه من عبادة أمر الله بها، وتأكيد أيضًا بأن حرمان إنسان أي إنسان من أي نوع من أنواعه يعتبر أيضًا حرمانًا إياه من قربة فرضها الله عز شأنه على عباده، ولا فرق بين منع إنسان أو حرمانه منه وبين منع ذلك الإنسان وحرمانه من سائر العبادات والقربات من صلاة، وصيام، وحج، وسواه.

وبهذا نكون قد بسطنا على عجالة القول الرزين في أهمية التعليم ومكانته في الإسلام، أملًا في أن يكون الإيمان بتلك الأهمية القصوى، والمكانة العظمى للتعليم بشقيه الديني والدنيوي دافعًا قويًّا للأمة، حكامًا ومحكومين، دولًا ومجتمعات، على إيلاء مزيد من الاهتمام اللائق والاعتناء الفائق والامتثال التام بهذه الفريضة لتستعيد الأمة عافيتها الحضارية التي افتقدتها بسبب الداء الثالوث (الجهل، والفقر، والمرض)، وتستعيد أيضًا ريادتها الفكرية التي نخر فيها ذلك الداء الثالوث.

إن تحقيق هذا الهم الإصلاحي يحتاج إلى إرادة سياسية تخطيطًا، وتنفيذًا، حيث تكون تلك الميزانية المرصودة لتعليم الجنسين أكبر وأعظم ميزانية، وتشرع قوانين وتشريعات تجرم كل من منع من التعليم، أو قلل من شأنه، لما يمثل ذلك المنع والحرمان من خطورة بالغة على مستقبل الدول، ولما يترتب عليه من آثار وخيمة على المجتمعات، خاصة انتشار الفقر، والمرض، والتخلف، وسواه.

الفقرة الثالثة : مراحل التعليم

لئن انتهى أهل العلم بالتربية والتعليم إلى الاعتداد بتقسيمات للتعليم وتصنيفات للعلوم، فإنّه تتمة لسعيهم ذاك انتهوا خلال العقود الأخيرة إلى الاعتداد بتقسيم آخر مستحدث في الملّة لمراحل التعليم سعيًا منهم إلى تيسير وتسهيل تعلّم المعارف والمهارات والمبادئ والقيم والمعتقدات للنشء، وامتثالًا لتلك النتائج القيّمة التي توصل إليها الباحثون في مجال دراسات النمو الانفعالي والعقلي والجسماني للإنسان، وتتضمن ضبطًا محكمًا للكمّ والنوع من المعارف والمهارات اللذين يتوقف تحصيلهما على بلوغ المتعلّم مراحل محدّدة من النمو الانفعالي والعقلي.

وعلى هدي من تلك النتائج المستخلصة من الدراسات النفسيّة في المختبرات خلص أهل العلم بالتربية والتعليم إلى تقسيم مراحل التّعليم بأنواعه إلى تعليم عامّ (أساس) يشمل جميع المراحل التعليميّة ما قبل الجامعة، وإلى تعليم جامعيّ، ثم قسّموا التعليم العامّ (التعليم الأساسيّ) إلى تعليم ابتدائيّ، وتعليم متوسّط (إعداديّ)، وتعليم ثانويّ، وتعليم جامعيّ، ومع مرور الزمن أضافوا مرحلةً خامسةً إلى مراحل التعليم تعرف بالتعليم ما بعد الجامعي (الدراسات العليا الماجستير والدكتوراه)؛ بل إن بعضهم يعتدّون بمرحلة سادسة للتعليم، وهي مرحلة الروضة التي تسبق التعليم الابتدائي، ولا تزال الأيام حبلى بمزيد من الإضافات على هذه المراحل المختلفة للتعليم بتقسيماته وأنواعه.

بطبيعة الحال، ثمة اختلاف وتفاوت بين الدول حول الحدّ الأدنى من السن للالتحاق بمختلف المراحل التعليمية بدءً بالمرحلة الابتدائيّة، وانتهاء بالمرحلة الجامعيّة، كما أن الدول تختلف في ضبط السنوات المخصّصة لكل مرحلة من المراحل التعليمية، مما يؤكّد كون هذا التقسيم تقسيمًا مستحدثًا في

الملّة ينبغي أن يخضع حكمه خضوعًا تامًّا لما يخضع له حكم النوازل والمستجدّات في كلّ زمان ومكان.

وهذا يعني أن بيان حكم الشرع الكريم في مدى شرعيّة وعدم شرعيّة هذه المراحل التعليميّة لا يختلف بأيّ حال من الأحوال عن بيان حكمه في تقسيمات التعليم وتصنيفات العلوم التي حرّرنا القول فيه من قبل، وينبغي أن يكون هنالك التفات أمين إلى التأكّد من مدى قدرة مختلف المراحل على تحقيق الغاية من التعليم التي أشرنا إليها من قبل، كما ينبغي أن يخضع ذلك الحكم لما يقرّره وليّ الأمر في قطر من الأقطار في عصر من العصور من توجيهات في ضوء الموازنة بين المصالح والمفاسد.

وبهذا، نحسب أننا قد كوّنا، بفضل الله، تصوّرًا نحسبه متكاملًا عن المراد بمصطلح التعليم والمصطلحات المشابهة له، كما أنّنا تبيّنّا، بتوفيقه عزّ شأنه، من أنواعه، ومراحله، ولم يبق أمامنا سوى التوجه صوب أهمّ محطّة نضع عندها رحالنا إنّها محطّة بيان حكم الشرع في إلزاميّة التعليم بتقسيماته، ومراحله لكلا الجنسين، فهيا بنا، راجين من المولى العليم الحكيم الخبير أن يمنّ علينا بفيض رحمته، ويفقّهنا في دينه، ويعلّمنا التأويل.

المبحث الثالث
في حكم تعليم الجنسين بين الإلزام وعدمه

لئن وشّحنا الصفحات الماضيات ببيان محكم للمراد بمصطلح التعليم عند إطلاقه في العصر الحاضر عمومًا، ومن وجهة نظر هذه الوريقات خصوصًا، وأوضحنا تلك العلاقة المنطقيّة القائمة بين مصطلح التعليم والمصطلحات المشابهة، ولئن حرّرنا القول في أنواع التعليم وتقسيماته المختلفة، وسلّطنا الضوء على أهميّته ومكانته، وتبيّنا من مراحل التعليم، فإنّه حريّ بنا أن نؤصّل القول في حكم الشرع في إلزام كلا الجنسين بالتعليم أنواعًا، ومراحل.

إنّ هذا التأصيل المنشود لهذا الحكم يقتضي منا تقرير القول بأنّ ما سنذكره من حكم لمصطلح التعليم في هذه الوريقات، فإنّنا نقصد به مفهوم التعليم الذي صغنا له تصوّرًا هادئًا، ويقتضي منا هذا التأصيل أيضًا تأكيد القول بأنّ ذلك الحكم الذي سننتهي إليه بعد قليل لا يختصّ به تعليم دون آخر، بل هو حكم عامّ في كلّ تعليم سواء أكان ذلك التعليم تعليمًا دينيًّا أم كان تعليمًا دنيويًّا، وسواء أكان التعليم تعليمًا نظريًّا أم تعليمًا تطبيقيًّا، وذلك تقريرًا وتأكيدًا على إيماننا الجازم بأنّ سائر تقسيمات التعليم وتصنيفات العلوم تقسيمات مستحدثة في الملّة، كما يقتضي منّا تأصيلنا الآتي تأكيد القول بأنّ التعليم المقصود لنا لا يرتبط ارتباطًا آليًّا بمرحلة معيّنة من مراحل التعليم، ولكنّه يرتبط ارتباطًا أفقيًّا وعموديًّا بتلك المرحلة التعليميّة التي تمكّن المكلّف غالبًا من تحقيق الغاية السامية من التعليم المتمثّلة في القيام بمهمّة الاستخلاف في الأرض، وعمارة الكون، وتحقيق السعادة في الدارين، مما يعني أن ضبط المرحلة التعليميّة يتوقّف على مدى قدرتها على تحقيق الغاية المشار إليها آنفًا.

وفضلا عن هذا، فإنّ هذا التأصيل يقتضي منا تقرير القول المبين بأن المخاطب بالحكم الشرعي (المحكوم عليه) الذي سنوضّحه حالًا لا يختصّ به بأي حال من الأحوال جنس دون جنس، بل هو حكم عامّ وشامل لكلا الجنسين، الذكر والأنثى، الفتى والفتاة، والرجل والمرأة، وذلك التزامًا صارمًا وأمينًا بتلكم القواعد الجليلة المتواترة لدى عامّة أهل العلم بالأصول والفقه والمقاصد، وهي: قاعدة الأصل في الخطاب الشرعيّ من القرآن الكريم والسنة النبويّة الشريفة هو العموم والشمول للجنسين ما لم تكن ثمة قرينة مانعة من إرادة العموم والشمول، وقاعدة الأصل في الخطاب الشرعيّ هو العموم والشمول للأزمنة

والأمكنة ما لم تكن هناك قرينة مانعة من إرادة العموم والشمول.

وبناء على هذه المقدّمات الممهّدات، فإنّنا نخلص إلى تقرير القول بأنّ النّاظر الحصيف، والمتأمّل الرصين، والمتمعّن المتين في ثنايا جملة مباركة من نصوص الكتاب العزيز والسّنّة النبويّة الطاهرة لن يجدوا من بدّ سوى القول بأنّ حكم الشرع المناسب للتعليم هو الإيجاب بوصفه تصرّفًا طلب الشارع الكريم من المكلّف فعله طلبًا جازمًا، ومتعلّق هذا الحكم الشرعيّ هو وجوب التعليم على الجنسين أصالةً، وبعبارة أخرى، إنّ **اكتساب المعارف، والمهارات، والمبادئ، والقيم، والعادات والتقاليد التي تعين الفرد على القيام بمهمّة الاستخلاف في الأرض، وعمارة الكون، وتحقيق السعادة في الدارين، وذلك وفق الضوابط والترتيبات التي تقرّرها الدولة التي يقطن فيها الإنسان** واجب شرعًا على كلا الجنسين، يثاب المكلّف على فعله (اكتسابه المعارف والمهارات الخ..) ويعاقب على تركه (اكتسابه المعارف والمهارات الخ..) بلا عذر[1].

إنّ مستندنا في هذا الحكم الشرعيّ يرتكز على فحوى عدد معتبر من الآيات المحكمات من القرآن الكريم، وعلى منطوق عدد غير يسير من الأحاديث الصحاح الواضحات من السّنّة النبويّة الشريفة، ويكفي الناظر أن يتدبّر تدبّرًا في تلك الآيات المباركات الواردة في العلم، وفي أولي العلم ليجدها كلّها دعوةً صريحةً واضحةً إلى وجوب اكتساب المعارف والمهارات، كما يكفيه أن يتمعّن تمعّنًا في تلك الأحاديث الصّحاح التي وردت في العلم والعلماء فسيجدنها كلها تقريرًا وتأكيدًا لما وردت في لكتاب المبين.

ونظرًا إلى وضوح معاني تيكم الآيات، وتلكم الأحاديث، فإنّنا نرى أن نكتفي بالتدبّر في فحوى آية واحدة من آي الكتاب الحكيم، وبمنطوق حديث واحد من السّنّة النبويّة المباركة لإعطاء مزيد من الاستدلال على ذلك الحكم الشرعيّ الناصع الذي قرّرناه آنفا، وهو وجوب التعليم.

وأما تلك الآية المباركة، فهي قوله تقدّس اسمه: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، فقوله جلّ شأنه: «اقرأ» أمر مقدّس من الباري عظمت جبروته لأحبّ خلقه إليه وأشرفهم عنده بالقراءة، والقراءة تعني في جوهرها التعليم، والتعلّم معًا، وهذا الأمر الإلهيّ يقتضي الوجوب، وإنّما اقتضى الوجوب لأنّه من الخالق العظيم إلى مخلوقه الكريم.

وإذا كانت القراءة واجبةً عليه، وهو النبيّ الأعظم، فداؤه أبي وأمي، فمن باب أولى أن تكون القراءة واجبةً على أمّته بلا استثناء، وبما أن أمّته، صلوات الله وتسليماته عليه وعلى آله، تتكوّن من الذكور

(١) انظر: كتابنا معجم مصطلحات أصول الفقه مصطلح واجب، وإيجاب، ووجوب.

والإناث، والفتيان والفتيات، والرجال والنساء، والكبار والصغار، وبالتالي، فإنّهم جميعًا مشمولون بهذا الأمر الإلهيّ الخالد، ومأمورون بالقراءة التي تمكّنهم من القيام بمهمّة الاستخلاف في الأرض، وعمارة الكون، وذلك إلى قيام السّاعة.

بل إنّ فحوى هذا الخطاب القرآنيّ، كما هو واضح، لم يخصّ الأمر بالقراءة (التعليم) نوعًا معيّنًا من أنواع القراءة (التعليم)، ولم يربط تلك القراءة بمرحلة من المراحل، وبالتالي، فإنّ القراءة المأمورة بها في هذه الآية المحكمة شاملة أصالةً وابتداءً لجميع أنواع التعليم الدينيّ والدنيويّ، والنظريّ والتطبيقيّ، كما هي شاملة لكلّ مرحلة تعليميّة يتوقف عليها تحقيق الغاية من القراءة (التعليم).

على أنّه من الحريّ تقريره وتوضيحه أن قولنا بإلزاميّة ووجوب التعليم على كلا الجنسين من الذكور والإناث ومن الفتيان والفتيات ينصرف ذلك الوجوب والإلزام أصالةً إلى ولاة أمورهم قبل بلوغهم سنّ التكليف، فولاة أمور أولئك الذكور والإناث والفتيان والفتيات غير البالغين مأمورون أمرًا قاطعًا بالقيام بهذا الواجب الإلهيّ المقدّس الثابت الواضح الجليّ تجاه من ائتمنهم الله أمرهم، كما أن ذلك الوجوب والإلزام ينصرف أيضًا إلى الإمام (ولي الأمر، الحاكم) الذي كلّفه الله بالسهر والعمل على حراسة الدين وسياسة الدنيا، وذلك بالعمل الجازم والحزم الحاسم على تمكين كلّ فرد من أفراد رعيته من الامتثال بهذا الأمر الإلهيّ الثابت (التعليم) بحسبانه مقدّمةً ضروريّة للقيام بمهمة الاستخلاف في الأرض، وعمارة الكون.

وأما الحديث النبويّ الكريم، فيتمثل في ذلك الحديث الذي أخرجه الإمام مالك في موطئه، والإمام ابن ماجه في سننه عن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كلّ مسلم. وإنّ طالب العلم يستغفر له كلّ شيء حتى الحيتان في البحر».

إنّ منطوق هذا الحديث النبويّ العظيم المحكم الجليّ تقرير واضح، وتأكيد صريح على كون الحكم الشرعيّ الثابت للتعليم والتّعلّم هو الوجوب المطلق أصالةً وابتداءً، والتعليم الواجب طلبه واكتسابه عامّ في الأنواع، وعامّ في المراحل، بل إنّه عامّ في الأجناس، ذلك لأنّ الحديث تجاوز حصر ذلك التعليم في نوع أو في مرحلة أو في جنس من خلال لفظ «أل» في العلم، ويعدّ ذلك اللفظ صيغةً من صيغ العموم عند علماء الأصول، وهذا العموم شمول وإطلاق في الزمان والمكان، وفي الأنواع، والأشخاص لا يجوز تخصيصه بنوع أو بمرحلة، أو بجنس أو بزمان إلا بدليل مخصّص لا يقل رتبة عن رتبة الحديث الذي قرّره صحةً ووضوحًا.

وإذ لا تخصيص بنوع، أو بمرحلة، أو بجنس، أو بزمان، أو بمكان، فإنّ هذا الأمر النبويّ المؤكّد لما ورد في الكتاب باق إلى قيام السّاعة، ولا يمكن لأحد، أيًّا كان وأينما كان، تخصيصه بنوع من أنواع

التعليم، أو محاصرته في مرحلة من مراحل التعليم، بل إنّه يحرم قطعًا تخصيصه بذكر دون أنثى، أو بفتى دون فتاة، أو برجل دون امرأة، أو بكبير دون صغير. وبعبارة أخرى، إنّ أيّ تخصيص للعموم والشمول والإطلاق الوارد في هذا البلاغ النبويّ العظيم يعدّ تخصيصًا متكلّفًا، ويعدّ مساسًا بأمر يعتبر من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة، كما يعدّ اعتداءً خطيرًا على أمر محكم من المحكمات التي وصفها الله جلّ جلاله بأمّ الكتاب، بل إنّه يعدّ خروجًا سافرًا على ما أجمعت عليه الأمّة عبر العصور والدهور.

وتأسيسًا على هذا، فإنّ هذا الحديث النبويّ الجليل يؤكّد بمنطوقه ما قرّره فحوى الخطاب القرآنيّ الكريم، وهو وجوب التّعليم بشقّيه الدينيّ والدنيويّ، والنظريّ والتطبيقيّ على كلّ ذكر وعلى كلّ أنثى، وفي كلّ زمان، وفي كلّ مكان، ويترتّب على الامتثال به مدح في الدّنيا، وثواب في الآخرة، كما يترتّب على تركه ذمّ في الدّنيا، وعقاب في الآخرة.

أجل، إنّنا نحسب أن هذين الدليلين الواضحين والصريحين من الكتاب والسّنّة لكافيان كلّ الكفاية لبيان حكم الشرع في إلزاميّة التّعليم لكلا الجنسين في كلّ زمان ومكان، وكافيان للتأكيد على كون التعليم الملزم به شاملًا لكلّ تعليم يعين الفرد على القيام بمهمّة الاستخلاف في الأرض، وعمارة الكون، وتحقيق السّعادة في الدارين، ويستوي في ذلك التعليم الموسوم بالتعليم الدينيّ والتعليم الموسوم بالتعليم الدنيويّ بحسبانهما وسيلة لتحقيق الغاية منهما، بل إنّهما كافيان للدلالة على كون المراحل التعليميّة المختلفة هي الأخرى مشمولة بهذا الإلزام ابتداءً، ولا تختصّ به مرحلة دون مرحلة مادام تحقيق الغاية من التعليم متوقفًا على تلك المراحل.

ولئن كان هذان الدليلان كافيين كفايةً تامّةً لتقرير حكم الشّرع في إلزاميّة التّعليم على الجنسين في كلّ زمان ومكان، فإنّه لا يفوتنا الإشارة إلى أن هناك دليلًا ثالثًا من السنة النبويّة الشريفة يؤكّد الدليلين السابقين، أعني فعله ﷺ حيث إنّه خصّص للنساء في مسجده أيامًا لتعليمهن، وسار على منهجه هذا من بعده ﷺ السلف الصّالحون من الأصحاب الأخيار، رضي الله عنهم، والتابعين الأبرار، رحمهم الله.

وفضلًا عن هذه السنة الفعليّة المتطابقة مع السنة القوليّة، ثمة دليل رابع مؤكّد ومؤيّد لما ثبت بالكتاب والسنة، إنّه دليل الإجماع، إذ إنّه لم يعثر خلاف قط عبر تاريخ الأمّة المديد حول وجوب التّعليم على كلا الجنسين بشقّيه الدينيّ والدنيويّ من لدن رسول الله ﷺ ومرورًا بعصر الصحابة، رضوان الله عليهم، وعروجًا على عصر التابعين، رحمة الله عليهم، وانتهاءً إلى يومنا هذا، وهذا يدلّ على ثبوت إجماع الأمّة على هذا الحكم الواضح الصريح.

كما أن هنالك قواعد أصوليّة عظيمة تؤكّد هذا الوجوب وذلك الإلزام، منها قاعدة ما لا يتمّ الواجب

إلا به، فهو واجب[١]، وقاعدة مقدّمة الواجب واجب[٢]، وبالنسبة للقاعدة الأولى، فإنّها تعني هنا أنّه إذا كان القيام بمهمّة الاستخلاف في الأرض، وعمارة الكون، وتحقيق السّعادة في الدارين واجبًا شرعيًّا، وكان القيام بتلك المهمّة لا يتمّ إلا بالتّعليم، فإنّ التّعليم يعدّ في هذه الحالة واجبًا؛ كما تعني هذه القاعدة أيضًا أنّه إذا كانت المحافظة على مقاصد الشريعة الخمسة عامّة ومقاصد حفظ النفس، وحفظ الدين، وحفظ العقل خاصّة، واجبة، وثبت يقينًا أن تلك المحافظة لا تتمّ إلا بالتّعليم، فإنّ التعليم يعدّ حينئذ واجبًا، وأما بالنسبة للقاعدة الثانية، فإنّها تعني هنا أنّه إذا كان القيام بتلك المهمّة واجبًا، وكان التعليم مقدّمة لها، فإنّ التعليم يعدّ واجبًا لكونه مقدّمةً للواجب.

وصفوة القول، إنّ التعليم بشقّيه الدينيّ والدنيويّ، والنظريّ والتطبيقيّ واجب على كل الجنسين في كلّ زمان، وفي مكان، ووجوبه ثابت بالكتاب والسّنّة والإجماع والعقل، وبالتالي، فإنّه يثاب على الامتثال بهذا التكليف الإلهيّ السامي الخالد الدائم، ويعاقب على ترك الامتثال به بلا عذر شرعيّ، ولا يجادل في هذا الوجوب والإلزام الواضح الصريح إلا مكابر ومعاند ومخالف لما تواترت النصوص والأدلة على ثبوته وتقريره عبر العصور والدهور. فعسى الله أن يرينا الحقّ حقًّا ويرزقنا اتّباعه، ويرينا الباطل باطلًا ويرزقنا اجتنابه.

(١) انظر: الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية، محمد صدقي بن أحمد آل بورنو، بيروت، مؤسسة الرسالة العالمية ص٣٩٣.

(٢) انظر: الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية، محمد صدقي بن أحمد آل بورنو، بيروت، مؤسسة الرسالة العالمية ص٣٩٣.

المبحث الرابع
في موقع التعليم في سلم المصالح، والحقوق

الفقرة الأولى : في موقع التعليم في سلم المصالح

لئن تبيّنا من حكم التعليم من حيث الإلزام وعدمه، وأصّلنا القول في كونه واجبًا على الجنسين بغضِّ النّظر عن تقسيماته، ومراحله، وأكّدنا تأكيدًا على كون ذلك الوجوب باقيًا وماضيًا إلى يوم القيامة، وعلى كونه محلّ اتفاقٍ وإجماع بين علماء الأمّة عبر العصور والدهور، فإنّنا نرى أن نتبع ذلك البيان المتواضع ببيان موقع ذلك الوجوب فيما بات يعرف اليوم بسلم المصالح، ومراتبها، ونروم بذلك بيان موقع فريضةِ التّعليم بشقّيه الدينيِّ والدنيويِّ في مراتب المصالح من حيث كونه من جنس المصالح الضروريّة أو المصالح الحاجيّة أو المصالح التحسينيّة.

بالرجوع إلى المدونات الأصولية نجد أكثرها تعرف المصلحة بأنها عبارة عن جلب كل ما فيه منفعة، ودرء كل ما فيه مفسدة[١]. وتنقسم باعتبارات متعددة، منها من حيث اعتبار الشارع لها أو عدمه إلى مصلحة معتبرة ومصلحة ملغاة، ومصلحة مرسلة؛ وأما المصلحة المعتبرة، فهي المنفعة التي شهد لها الشرع بالصلاح[٢] (الاعتبار)، وتشمل كل منفعة ورد في شأنها نص من الكتاب أو السنة وتعرف بالأوامر، والمستحبات الشرعية المنصوص عليها نصا مباشرًا، كالصلاة، والصيام، والزكاة، وبر الوالدين، والعدل، والاستقامة، والصدقة، وإماطة الأذى، وإفشاء السلام، والرفق بالحيوان...إلخ.

وأما المصلحة الملغاة، فهي المفسدة التي شهد لها الشرع بالفساد[٣] (الإلغاء)، وتشمل كل مفسدة ورد في شانها نص من الكتاب أو السنة، وتعرف بالنواهي والمكروهات الشرعية المنصوص عليها نصا مباشرًا، كالشرك بالله، والقتل، والسحر، والزنا، والسرقة، والقذف، والغيبة، والنميمة، وكثرة السؤال، وقيل وقال، وإضاعة المال... إلخ.

وأما المصلحة المرسلة، فهي المنفعة أو المفسدة التي لم يشهد لها الشرع لا بالصلاح (الاعتبار) ولا

(١) انظر: كتابنا معجم مصطلحات أصول الفقه.
(٢) انظر: كتابنا معجم مصطلحات أصول الفقه.
(٣) انظر: كتابنا معجم مصطلحات أصول الفقه.

بالفساد[١] (الإلغاء)، ولكنها تندرج ضمن المصالح المعتبرة صلاحًا (اعتبارًا) وفسادًا (إلغاء)، وتشمل كل منفعة أو مفسدة لم يرد في شأنها نص مباشر من الكتاب أو السنة، وتعرف حينًا بالتروكات، وتعرف طورًا بالأمور المستحدثة في الملة بعد لحاقه، صلى الله عليه وآله وسلم، بالرفيق الأعلى، وتعرف تارةً بالنوازل والمستجدات، ويحتاج إلحاق هذه المصالح بالمصالح المعتبرة أو المصالح الملغاة إلى اجتهاد يرجح كونها قريبةً بالمعتبرة، فيعتد بها بحسبانها معتبرة، أو كونها قريبة بالملغاة، فيعتد بها بوصفها ملغاة.

وبعيدًا عن هذا التقسيم الأصولي للمصلحة من حيث كونها مصلحة معتبرة ومصلحة ملغاة ومصلحة مرسلة، ثمة تقسيم فرعي خاص للمصلحة المعتبرة باعتبار قوتها في ذاتها إلى مصلحة ضرورية، ومصلحة حاجية، ومصلحة تحسينية.

ويراد بالمصلحة الضرورية في الدرس الأصولي كل منفعة ورد في شأنها نص مباشر من الكتاب والسنة ينبغي تحصيلها وجلبها، بحيث يتوقف على تحصيلها صلاح الدين والدنيا، ويترتب على عدم تحصيلها وقوع الهرج والفساد الكبير في نظام الحياة بسبب فقدانها أو اختلالها. وبعبارة أدق عند الإمام المقاصدي الشاطبي، رحمه الله، يراد بها تلك المنفعة التي «..لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهارج، وفوت حياة، وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم، والرجوع بالخسران المبين..»[٢] وقد مال أكثر أهل العلم بالأصول إلى حصر هذا النوع من المصلحة المعتبرة في خمسة مقاصد دون سواها، وهي مقصد حفظ النفس، وحفظ الدين، وحفظ النسل، وحفظ العقل، وحفظ المال، وقرر الإمام الشاطبي أن هذه المصلحة تكاد أن تنحصر في هذه المقاصد الخمسة، وقال ما نصه: «..ومجموع الضروريات خمسة، وهي حفظ الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل، وقد قالوا: إنها مراعاة في كل ملة..»[٣].

وأشار، رحمه الله، إلى أن أصول العبادات كالإيمان، والنطق بالشهادتين، والصلاة، والزكاة، والصيام الخ.. راجعة إلى حفظ الدين، وأن تناول المأكولات والمشروبات والملبوسات.. راجعة إلى حفظ النفس والعقل، وأن المعاملات من البيوع والأنكحة راجعة إلى حفظ النسل والمال[٤].

وأما المراد بالمصلحة الحاجية، فهي عبارة عن كل منفعة ورد في شأنها نص مباشر من الكتاب

---

(١) انظر: كتابنا معجم مصطلحات أصول الفقه.

(٢) انظر: الموافقات، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي، ضبط وتقديم أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، طبعة دار عفان، م٢ص١٧-١٨.

(٣) انظر: الموافقات، م٢ ص٢٠.

(٤) انظر: الموافقات، ج٢ ص١٨-١٩ باختصار وتصرف.

أو السنة ينبغي تحصيلها، وجلبها لرفع الضيق والحرج والعنت والمشقة، ويترتب على عدم تحصيلها المشقة غير المعتادة، والحرج الشديد. وبتعبير آخر، هي المنفعة التي يفتقر إليها «..من حيث التوسعة، ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة اللاحقة بفوت المطلوب، فإذا لم تراع، دخل على المكلفين ـ على الجملة ـ الحرج، والمشقة، ولكنه لا يبلغ مبلغ الفساد العادي المتوقع في المصالح العامة..»[١].

وأشار الإمام الشاطبي إلى أن هذا النوع من المصلحة المعتبرة جار في العبادات كالرخص المخففة بالنسبة إلى لحوق المشقة بالمرض، وجار في العادات كإباحة الصيد والتمتع بالطيبات مأكلًا ومشربًا وملبسًا، ومسكنًا، وجار أيضًا في المعاملات كإباحة المضاربة، والمساقاة، والسلم، وجار في الجنايات كالقسامة، ووجوب الدية على العاقلة، وتضمين الصناع[٢].

وأما المصلحة التحسينية، فيراد بها كل منفعة ورد في شأنها نص من الكتاب والسنة ينبغي تحصيلها وجلبها لتحسين نوع الحياة وإتمام السعادة، ولكنه لا يترتب على عدم تحصيلها مشقة غير معتادة، أو حرج شديد، كما لا يترتب على عدم تحصيلها تهارج أو فساد كبير في نظام الحياة، وشأن هذه المصلحة إتمام وتحسين تحصيل المصلحتين الضرورية والحاجية، وهي بعبارة أخرى يراد بها، كما قال الإمام ابن عاشور، رحمه الله: «.. كمال الأمة في نظامها حتى تعيش آمنةً مطمئنةً، ولها بهجة منظر المجتمع في مرأى بقية الأمم، حتى تكون الأمة الإسلامية مرغوبًا في الاندماج فيها، أو التقرب منها..»[٣].

وأشار الإمام الشاطبي إلى أنه يندرج ضمن هذا النوع من المصلحة المعتبرة سائر الأوامر والمستحبات التي تحث على الأخذ بمحاسن العادات، وتجنب المدنسات التي تأنفها العقول الراجحات، ويجمع ذلك قسم مكارم الأخلاق، وهي جارية في العبادات كإزالة النجاسة، وستر العورة، وأخذ الزينة.. وآداب الأكل والشرب، ومجانبة المآكل النجسات، والمشارب المستخبثات، والإسراف والإقتار.. والمنع من بيع النجاسات.. وقتل النساء والصبيان والرهبان في الجهاد[٤].

بهذا نكون قد أصلنا القول في حقيقة المصلحة وأهم تقسيماتها عند الأصولية (الأصوليين)، ولم يبق أمامنا سوى البوح بأن موقع التعليم في هذه المنظومة الأصولية المحكمة الرصينة المتينة، وبالنظر إلى ما

(١) انظر: الموافقات ج٢ ص٢١.
(٢) انظر: الموافقات، ج٢ ص٢١-٢٢ باختصار وتصرف.
(٣) انظر: مقاصد الشريعة، ابن عاشور، ص٣٠٧.
(٤) انظر: الموافقات ج٢ ص٢٢-٢٣ باختصار وتصرف.

سبق أن ذكرناه من أهمية ومكانة للتعليم، واستنادًا إلى ما قررناه من ورود نصوص صريحة واضحة في بيان حكم التعليم، واعتبارًا بما يترتب على عدمه من آثار وخيمة، فإن لنا أن نقرر دونما تردد بأن التعليم بشقيه الديني والدنيوي مندرج ضمن المصالح الضرورية التي ينبغي تحصيلها وجلبها لكلا الجنسين في كل عصر ومصر، ذلك لأنه يتوقف على تحصيله وجلبه صلاح الدين والدنيا، كما يترتب على عدم تحصيله في مجتمع من المجتمعات تهارج وفساد عظيم في نظام الحياة.

إن مستندنا الشرعي في الاعتداد بكون التعليم بشقيه الديني والدنيوي ولكلا الجنسين مندرجًا ضمن المصالح الضرورية يعود إلى كونه أمرًا ورد في شأنه نصوص شرعية مباشرة أمرت بتحصيله كما أوضحنا ذلك من قبل، ولكونه أيضًا مشمولًا بالقاعدتين الفقهيتين الناصعتين، وهما قاعدة «ما لا يتم الواجب إلا به، فهو واجب»، وقاعدة «مقدمة الواجب واجب»، وإذا كان ثمة اتفاق بين العالمين بالأصول والمقاصد على الاعتداد بحفظ النفس والدين والنسل والعقل والمال من المصالح الضرورية، وإذا كان تحقيق ذلك الحفظ متوقفًا على التعليم بشقيه الديني والدنيوي، فإن التعليم يصبح عندئذ ضروريا تبعًا لضرورية ما يتوقف حفظه عليه.

وفضلًا عن هذا، فإنه لمن الأمر المشاهد اليوم ما تعانيه المجتمعات التي لم ينل فيها التعليم نصيبه من الرعاية والعناية من تهارج متمثل في انتشار الجرائم والأمراض، والأوبئة، والاضطرابات، فضلا عما تعانيه من فساد كبير متمثل في التخلف، والتأخر، والهامشية، والانسحابية، والتناحر.

ولهذا، فإن التعليم بشقيه الديني والدنيوي يعد من جنس المصالح الضرورية التي يجب تحصيلها وجلبها وتوفيرها وإشاعتها في الأقطار والأمصار في كل زمان ومكان، ويجب أن يكون متاحًا وميسرًا لكلا الجنسين ضمانًا لصلاح الدين والدنيا.

على أنه من الجدير ذكره أن الإمام الشاطبي، رحمه الله، أشار في كتابه القيم الموافقات إلى أن كل ما يعد تتمةً وتكملةً (مقدمة) للمصالح الضرورية أو الحاجية أو التحسينية تنضم إلى تلك المصالح التي تتمها وتكملها، وذلك بحسبانها مقدمة لها، وهذا يعني أن مقدمة الضروري ضروري، ومقدمة الحاجي حاجي، ومقدمة التحسيني تحسيني، وهكذا دواليكم.

وعليه، فإذا اعتبرنا التعليم مقدمةً للضروريات الخمس، حفظ النفس، والدين، والنسل، والعقل، والمال، فإن التعليم يعد حينئذ ضروريا، وكذلك الحال فيما لو اعتبرناه مقدمة للحاجيات أو للتحسينيات.

إن الناظر المتفحص والمتمعن في مكانة التعليم وأهميته لا يجد من بد سوى الاعتداد به مقدمةً لهذه

المصالح كلها، ولا يتعارض ذلك مع أن يكون مقدمة من أهم مقدمات الضروريات التي تعتبر في نهاية المطاف أصلًا للحاجيات والتحسينيات، كما قرر ذلك الإمام الشاطبي عندما قال: «.. الحاجيات كالتتمة للضروريات، وكذلك التحسينيات كالتكملة للحاجيات، فإن الضروريات هي أصل المصالح»[١].

وأوضح هذا الأمر بعبارة أكثر دقةً عندما قال: «.. المقاصد الضرورية في الشريعة أصل للحاجية والتحسينية، فلو فرض اختلال الضروري بإطلاق لاختلا باختلاله بإطلاق، ولا يلزم من اختلالهما (أو اختلال أحدهما) اختلال الضروري بإطلاق، نعم، قد يلزم من اختلال التحسيني بإطلاق اختلال الحاجي بوجه ما، وقد يلزم من اختلال الحاجي بإطلاق اختلال الضروري بوجه؛ فلذلك إذا حوفظ على الضروري، فينبغي المحافظة على الحاجي، وإذا حوفظ على الحاجي، فينبغي أن يحافظ على التحسيني إذا ثبت أن التحسيني يخدم الحاجي، وأن الحاجي يخدم الضروري، فإن الضروري هو المطلوب..»[٢].

وبهذا نصل إلى نهاية تحريرنا المقال في موقع التعليم في مراتب المصالح المعتبرة شرعًا، وحري بنا أن نضع رحالنا عند آخر محطة من هذه الوريقات، وهي بيان موقع التعليم في سلم الحقوق والواجبات.

الفقرة الثانية : في موقع التعليم في سلم الحقوق

بالرجوع إلى المدونات الفقهية والأصولية لا يجد الناظر اهتمامًا ذا بال بتعريف مصطلح الحق عند الفقهاء والأصوليين، وذلك لكون معناه واضحًا وظاهرًا لا يخفى على الناظر، ولذلك، فإننا سننصرف إلى التعرف على مفهومه عند إطلاقه في الدراسات القانونية والحقوقية المعاصرة التي أوسعت المصطلح جانب التحرير والتحقيق والتأصيل، حيث يجد الناظر فيها اتجاهات متعددة في تعريفه، ولا نرى حاجة إلى التعرض لتلك الاتجاهات، ويكفينا الإشارة إلى أهم تلك التعريفات، منها تعريفه بأنه عبارة عن «..قدرة أو سلطة إرادية تثبت للشخص ويأخذها من القانون، فالإرادة تنشيء الحق، وهي التي تعدله وتنهيه.. وبعبارة أخرى هي.. سلطة يمنحها القانون لشخص يتمتع بالإرادة»[٣].

وهناك تعريف آخر له بأنه عبارة عن «.. مصلحة يحميها القانون، إذ ينظر للحق من خلال موضوعه وليس من خلال صاحبه..»[٤]، مما يعني أن الحق ثابت لكل إنسان ولو لم تكن له إرادة. وثمة تعريف ثالث جامع بين التعريفين السابقين، وهو أن الحق عبارة عن «.. القدرة الإرادية للشخص في سبيل تحقيق

(١) انظر: الموافقات ج٢ ص٢٤ باختصار وتصرف.
(٢) انظر: الموافقات، ج٢ ص٣١.
(٣) انظر: محاضرات في مقياس نظرية الحق، شمامة بوترعة، موقع: موضوع www.mawdoo3.com.
(٤) انظر: نظرية الحق، وهاب حمزة، جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي.

مصلحة ما تحت راية القانون..»[١].

وهنالك تعريف رابع لا يعتد بعنصري الإرادة والمصلحة، وإنما يرى أن الحق عبارة عن «.. استئثار بقيمة معينة يمنحه القانون لشخص ويحميه»[٢].

بالنظر في هذه المفاهيم المختلفة لمصطلح الحق نتيجة الاختلاف في النظر إلى حقيقته وماهيته، فإننا نرى أن الخلاصة التي انتهت إليه الكاتبة عروب يونس في تعريفها مصطلح الحق لغةً واصطلاحًا تستحق الاعتبار، ومفادها أن «الحق هو الشيء الثابت الذي لا يمكن إنكاره، والذي ينبني عليه عدة التزامات، فلا يوجد حق دون واجبات، ولا يوجد واجب دون أي حقوق، ولا يتم حماية الحق إلا بوجود قانون رادع يضمن للأشخاص الحفاظ على حقوقهم تحت ظل القانون ضمن الحدود ودون أي تسلط أو تعسف..»[٣].

وبناء على هذا، فإننا نرى أن مصطلح الحق شامل لكل شيء ثابت منحه الشرع للإنسان، وخصه به دون سواه يترتب عليه صلاحه وفلاحه في الدارين، وشامل أيضًا لكل شيء ثابت يمنحه القانون للإنسان ويخصه به دون غيره. ويعني هذا التصور أن الحق في حقيقته نوع من المصالح المعتبرة التي أمر الشارع بتحصيلها وحث المكلفين على حفظها وحمايتها من كل ما يضر بها.

إن هذا التصور يقرر بأن للحق مصدرين، أولهما الشرع بحسبانه مالك الكون وما فيه ومن فيه، وقد أودع الحقوق في ثنايا الكتاب المبين والسنة النبوية الطاهرة، وبينها بيانًا شافيًا، وذلك من خلال العديد من النصوص التي تضمن ضبطًا محكمًا للحقوق وتحديدًا رصينًا للواجبات؛ وأما المصدر الثاني للحق، فهو ولي الأمر متمثلًا فيما يضع من قانون يتضمن ضبطًا للحقوق، وتحديدًا للواجبات، وذلك من خلال المواد القانونية الواردة في الدساتير.

وسواء أكان مصدر الحقوق هو الشرع أم القانون، فإن ثمة اتفاقًا بأن ذلك الشيء الثابت للإنسان يختص به دون سواه، وبالتالي، فإنه له التصرف فيه والاستئثار به وفق الضوابط والقيود التي وضعها الشرع، ولا يجوز لأحد حرمانه منه، أو منعه منه إطلاقًا، كما أنه يجب على من وقع هذا الحق في يده البدار إلى إعطائه إياه دون زيادة أو نقصان.

وإذ الأمر كذلك، فإن النظر في موقع التعليم في ضوء هذا التصور نجده أنه يعد حقًّا خالصًا منحه

(١) انظر: نظرية الحق، مزاحم مهدي النجار، جامعة الأنبار.

(٢) انظر: نظرية الحق، مزاحم مهدي النجار، جامعة الأنبار.

(٣) انظر: تعريف الحق لغة واصطلاحًا، عروب يونس، موقع: موضوع www.mawdoo3.com.

الشرع لكل إنسان من خلال نصوصه الدالة على وجوب طلبه وتحصيله بوصفه مصلحةً ضرورية يتوقف عليها صلاحه وفلاحه في الدارين، كما يتوقف عليه صلاح وفلاح البشر أجمعين، ويعد أيضًا حقًّا ثابتًا يمنحه القانون في كل زمان ومكان لكل إنسان من خلال التشريعات والمواد المتعلقة به.

ولهذا، فإن اكتساب المعارف والمهارات والمبادئ والمعتقدات التي تعين الإنسان على القيام بمهمة الاستخلاف في الأرض وعمارة الكون حق مقرر وثابت شرعًا وقانونًا، وبالتالي، فلا لا يجوز لأحد كائنًا من كان أن يسلبه منه، أو يمنعه منه، أو يحرمه منه، ذلك لأن كل أولئك (السلب، والمنع، والحرمان) يعد ظلمًا فادحًا، وعدوانًا أثيمًا، واعتداءً صارخًا، واعتسافًا سافرًا، يترتب عليه استحقاق فاعله ذلك الجزاء الأوفى الذي رصده الباري جل جلاله للظالم والغاصب للحقوق، والعياذ بالله.

وبطبيعة الحال، من فضول القول تأكيد القول بأن هذا الحق الإلهي والإنساني يستوي في استحقاقه، وتحصيله، والاستئثار به كلا الجنسين، ولا يختص به جنس دون آخر، وأي محاولة لتخصيص جنس به دون جنس تعد تلك المحاولة شططًا، وزللًا، وخطلًا، ومخالفةً لتعاليم الشرع القويم، وخروجًا على المواد القانونية التي تقرها الدول.

وبهذا، نكون قد تبينا من موقع هذه الفريضة العظيمة في مراتب المصالح، وفي سلم الحقوق، ونحسب أن ما ذكرناه فيه الغنية والبلغة إلى ما ننشده ونرجوه من هذه السياحة الفكرية في هذا الهم الجاثم على الصدر في العصر الراهن. سائلين المولى الكريم أن يفقهنا في الدين، ويعلمنا التأويل، ويفهمنا ما فهمه سليمان، عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم، فيما اختلف فيه من الحق، إنه سميع مجيب.

المبحث الخامس
في الإنفاق على التعليم والبحث العلمي، والابتكار، والإبداع

لئن وصف الإمام الشاطبي، رحمه الله، ذات يوم مقدمات المصالح الضرورية والمصالح الحاجية والمصالح التحسينية تتمات، وتكملات، وعد تتمة الضروري ضرورية، وتتمة الحاجي حاجية، وتتمة التحسيني تحسينية، فإننا نرى أن الإنفاق على التعليم بشقيه الديني والدنيوي يعد تتمةً وتكملةً لما قررناه من حكم شرعي للتعليم، ولما انتهينا إليه من ضبط لموقعه ضمن المصالح.

وإذ الأمر كذلك، فإننا نقرر بأن الإنفاق على التعليم يعتبر من حيث الحكم الشرعي واجبًا شرعيا من آكد الواجبات، وقربةً عظيمة من أعظم القربات، وذلك لانطباق قاعدة «ما لا يتم الواجب إلا به، فهو واجب عليه»، اعتبارًا بأن تحقق ذلك التعليم الذي عرفناه من قبل في واقع الأمر يتوقف توقفًا أساسًا على الإنفاق عليه، بحيث يتعذر تحققه في حقيقة الأمر عند انعدام الإنفاق، مما يجعل قاعدة «مقدمة الواجب واجب» هي الأخرى منطبقة عليه أيضًا.

وفضلًا عن هذا، فإن الإنفاق على التعليم يعد في المآل إنفاقًا على الضروريات التي يعد التعليم تتمةً وتكملةً لها، ويعني هذا أن حفظ المصالح الضرورية الخمسة التي أوضحناها من قبل يتحقق من خلال الإنفاق على التعليم وتمكين النشء منه.

على أن الإنفاق المطلوب صرفه على التعليم لا ينبغي له أن يميز بين تعليم وتعليم، ولا بين مرحلة ومرحلة، بل ينبغي أن يشمل كل الأنواع، وكل المراحل اعتبارًا بأن التقسيم لا يعدو أن يكون تربويا لا شرعيا، ولا يعدو أن يكون تنظيميا لا شرعيا، واعتبارًا بأن المراحل التعليمية لا تعدو هي الأخرى أن تكون تربوية لا شرعية، ولا تعدو أن تكون تنظيمية لا حقيقية، وبالتالي، فإن الإنفاق المنشود إنفاق على التعليم بشقيه الديني والدنيوي وعلى جميع مراحله.

إنه يرجى من ذلك الإنفاق السخي الملزم والواجب أن يجعل من التعليم بشقيه وسيلةً حقيقيةً ناجعةً قادرةً على تمكين المتعلم من القيام بمهمة الاستخلاف في الأرض، وعمارة الكون، وتحقيق السعادة والفلاح في الدارين، ويرجى منه أن يمكن مؤسسات التعليم وأجهزته في كل عصر ومصر من المساهمة الفعالة في تحقيق الغاية منه، كما يرجى منه أن يمكن العاملين في حقله من الإسهام الأمثل في تحقيق الغاية

المثلى منه، بل يرجى منه أن يرتقي ببرامجه ومناهجه ومقرراته نحو مدارج الجودة والإتقان والإبداع، بحيث تغدو برامج ومناهج ومقررات تعد أجيالًا أكفاء قادرين على تحقيق الشهود الحضاري للأمة، واستعادة الريادة العلمية التي كانت للأمة يوم أن كان الإنفاق على التعليم سخيا وعظيمًا.

إنه من نافلة القول أن ما تنعم به تلك الدول الموسومة اليوم بالدول المتقدمة أو المتحضرة من تقدم، وتطور، واستقرار مرده إلى ما تنفقه على التعليم، وما تحظى به مؤسساته، وأجهزته، ورجاله من عناية ورعاية فائقتين ودائبتين. بل إن تلك الدول التي شرعت مؤخرًا في اللحاق بركب الحضارة والنهضة والتقدم والتطور اتخذت من الإنفاق السخي الكبير على التعليم منطلقًا أساسًا للنهوض.

ومن ثم، فإن تطلع الأمة إلى استعادة عافيتها الحضارية، ومكانتها العلمية مرهونة كل الرهان بإحداثها نقلةً نوعيةً شاملةً في حجم تلك الموازنة التي ترصدها دولها للتعليم سنويا، لتغدو تلك الموازنة المرصودة موازية لموازنتها المرصودة للأمن، والدفاع، والتسليح، والاستخبارات، اعتبارًا بأن الإنفاق السخي على التعليم إنفاق غير مباشر على الأمن، والدفاع لأنه هو الذي يمكن العقول من ابتكار واختراع تلك آلالات التي يحتاج إليها الدفاع، والأمن، بديلًا عن الاستيراد والاستهلاك.

نعم، لقد حان الأوان للارتقاء بمؤسسات التعليم في دولنا لتغدو مؤسسات راقيةً تسر الناظرين في مظهرها ومخبرها، وتغري النشء على الإقبال عليها، وتنتج العباقرة، والمخترعين، والمبدعين الذين يحدثون التغيير المنشود في الأوطان.

أجل، حان الأوان أن تحظى تلك المؤسسات بالرعاية اللائقة والعناية الفائقة بحسبانها بيوتًا من بيوت الله التي أمر جل جلاله بإعمارها، والاعتناء بها، وإنما كانت بيوتًا من بيوت الله لأنها يدارس بين جنباتها كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وما يتصل بهما من علوم ومعارف ومهارات تعين على القيام بمهمة الاستخلاف في الأرض، وعمارة الكون، وتحقيق السعادة والفلاح في الدارين، وبالتالي، يصدق عليها ما ورد في الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله من عنده، أو كما قال.

وبناء على هذا، فإن هذه المؤسسات بمختلف مراحلها ينبغي التعامل معها بوصفها دور عبادة تستحق الإجلال والتقدير اللائق بجلال العلم، ومكانته، ومنزلته عند الله.

إي لعمر الحق، إن كلمة «قوم» وكلمة «بيت» المذكورتين في الحديث نكرتان في سياق النفي، والنكرة في سياق النفي تعم، ويعني ذلك أن وصف قوم يعم الرجال والنساء، والفتيان والفتيات، كما أن تدارس

كتاب الله المذكور ينطبق على كل تدارس، وتفاكر، وتباحث، ومراجعة يتحقق منه تدبر وتعلم تلك الكنوز التي يحملها النور المبين المنزل من عند الحق العليم الخبير، والهدي النبوي الكريم المأثور عن النبي الأعظم ﷺ، ويصدق هذا الأمر على اكتساب المعارف والمعلومات والقيم الموسومة بالمعارف والعلوم الشرعية من عقيدة، وفقه، وتصوف، كما يصدق على اكتساب تلك المعارف والمهارات والمعلومات الموسومة بالمعارف والعلوم الإنسانية والاجتماعية والتطبيقية مادامت الغاية المثلى، والهدف الأسمى الاستعانة بتلك المعارف والمهارات والمعلومات على القيام بمهمة الاستخلاف في الأرض، وعمارة الكون، وتحقيق السعادة والفلاح في الدارين.

وعليه، فإن السكينة والرحمة واحتفاء ملائكة الرحمن كل ذلك ينال تيكم المؤسسات، وينال أيضًا كل طالب علم يروم من اكتساب المعارف والمهارات والمبادئ والقيم القيام بالمهمة التي كلف بها.

وتأسيسًا على هذا، فإن الإنفاق على هذه المؤسسات إنفاق على بيوت الله، وأكرم بالإنفاق على بيت من بيوت الله، بل ما أعظم ذلك الإنفاق عندما يكون على تلك البيوت التي تحرسها عين الله، وتحفها ملائكته.

ولئن كان الإنفاق على مؤسسات التعليم بكل هذه الأهمية، فإن الإنفاق على برامجه ومناهجه ومقرراته لا يقل أهمية عن الإنفاق على مؤسساته، ونعني هنا بالإنفاق على برامجه ومناهجه ذلك الإنفاق السخي اللامحدود الشامل على ما يعرف اليوم بالبحث العلمي، والابتكار، والإبداع، والاختراع، وذلك بتوفير كافة المعدات، والأجهزة، والرواتب المجزئة، والامتيازات المتنوعة التي تمكن المؤسسات من إعداد عباقرة مبدعين ومخترعين، ومبتكرين يحولون المؤسسات التعليمية إلى مؤسسات تنتج الأفكار، وتصنع المعارف، وتبتكر الحلول العملية الناجعة الناصعة لمختلف المشاكل والنوازل والمستجدات، بعيدًا عن الاكتفاء باستيراد الحلول، وتقليد الأفكار، واستهلاك المنتجات.

وأيا ما كان الأمر، فإننا نحسب أن ما قدمناه من حديث عن أهمية الإنفاق وضرورته على التعليم كاف، وشاف، وبه نصل إلى نهاية تجوالنا الفكري بين ساحات هذا الموضوع الذي يحتل مساحةً كبيرةً في فكرنا، واهتمامنا، وقلوبنا، سائلين المولى الكريم أن يجعل ما حوته هذه الوريقة المتواضعة من تأصيل، وتحليل، وتحرير مما ينفع الناس، ويمكث في الأرض، إن نريد إلا الإصلاح ما استطعنا، وما توفيقنا إلا بالله، عليه توكلنا، وإليه المآب.

خاتمة الدراسة

بفضل من الله وتوفيقه توصلنا إلى جملة من النتائج نحسبها مهمة، ويمكن تلخيصها في النقاط التالية:

أولًا: ثمة تصور شائع معاصر للتعليم، وهو أنه عبارة عن اكتساب المعارف والمهارات والمبادئ والقيم والمعتقدات، ولا يتضمن هذا التعريف بيانًا للغاية منه، ولذلك، ركنا إلى صياغة تصور له من المنظور الشرعي يلتفت إلى الغاية منه، وهو أنه عبارة عن اكتساب المعارف والمهارات والمبادئ والقيم والمعتقدات التي تعين الإنسان على القيام بمهمة الاستخلاف في الأرض، وعمارة الكون، وتحقيق السعادة والفلاح في الدارين.

ثانيًا: إن هذا التصور للتعليم يستند إلى اعتباره عبادةً من العبادات المشروعة، وكونه ذا غاية ومقصد، ولا بد من بيان تلك الغاية وذلك المقصد، ويتمثل ذلك في الاستعانة بالمعارف والمهارات والقيم والمبادئ المكتسبة للقيام بالمهمة التي كلف بها الإنسان.

ثالثًا: إن تقسيمات التعليم إلى أنواع متعددة، وتصنيفات العلوم إلى أقسام مختلفة تقسيمات وتصنيفات اجتهادية تربوية مستحدثة في الملة لم يرد في شأنها نص مباشر من الكتاب والسنة، وبالتالي، فإنها تخضع لما تخضع له أية مسألة اجتهادية من قبول ورفض، ولا تأثير لها على حكم الشرع في التعليم، وذلك اعتبارًا بأن التعليم وسيلة من الوسائل التي يتحدد حكمها بتحديد الغاية منه.

رابعًا: إن تقسيم التعليم على مراحل مختلفة يعد ذلك أيضًا اجتهادًا تربويًّا لا عصمة فيه، ويخضع قبوله ورفضه لما تقرره الإرادة السلطانية في عصر من العصور، وفي مصر من الأمصار، وبالتالي، فلا يجوز ربط حكم التعليم الواجب تحصيله بمرحلة من تلك المراحل دون الرجوع إلى تلك الإرادة.

خامسًا: إن التعليم بشقيه الديني والدنيوي ملزم وواجب على كلا الجنسين، وذلك استنادًا إلى كون الأدلة الواردة في وجوبه عامةً في الذكر والأنثى، وفي الفتى والفتاة، وفي الرجل والمرأة، وعامةً أيضًا في التعليم الديني والتعليم الدنيوي، والتعليم النظري والتعليم التطبيقي، وبناء على هذا، فإن التفريق بين الجنسين، أو التفريق بين أنواع التعليم يعد ليًّا لأعناق النصوص، ومخالفة واضحة للمنهج النبوي الخالد، فضلا عن كونه اعتسافًا وتعسفًا، وخروجًا على إجماع الأمة في كل العصور والدهور.

سادسًا: إن التعليم بشقيه الديني والدنيوي من جنس المصالح الضرورية التي يجب تحصيلها وجلبها، وذلك بحسبانها تتمةً وتكملةً للضروريات الخمسة المتمثلة في حفظ النفس، والدين، والنسل، والعقل، والمال، وتتمة الضروري ضروري، كما أن تتمة الحاجي حاجي، وتتمة التحسيني تحسيني. وبناءً عليه، فإن اختلاله بمنعه، أو بعدم الاعتناء به يترتب عليه فساد كبير في نظام الحياة لأن ذلك يفضي في المآل إلى اختلال المصالح الضرورية.

سابعًا: إن التعليم بشقيه الديني والدنيوي حق شرعي منحه الشارع الحكيم لكلا الجنسين، فلا يجوز لأحد سلبه من الجنسين أو من أحدهما، كما لا يجوز لأحد حرمان أحد الجنسين منه، ويعد كل منع أو حرمان منه اعتداءً واضحًا على حق ثابت ومقرر بالكتاب، والسنة، واتفاق الأمة عبر العصور والدهور، كما أنه يعد أيضًا حقًا ثابتًا لكلا الجنسين كما يقرره القانون، مما يجعل الاعتداء عليه بمنع أو بحرمان خرقًا للقانون، وخروجًا على النظام.

ثامنًا: يعد التعليم من آكد الواجبات، وأعظم القربات عند الله كما دلت على ذلك أدلة متضافرة من الكتاب والسنة، ويعد أيضًا أساس التقدم والتطوّر والنهوض، بل إنه أساس الاستقرار والرخاء والازدهار، ولذلك، ما اختل في مجتمع إلا انتعش في أرجائه التخلف والتأخر والتقهقر، وما استهان به مجتمع إلا وفشا فيه الفقر، والمرض، والجهل.

تاسعًا: إن تمكين الجنسين من التعليم بشقيه الديني والدنيوي ووفقًا للمراحل التي تمكنهما من تحقيق الغاية من التعليم يعد ذلك امتثالًا لأمر الله، واتباعًا لسنة رسول الله، ﷺ، وعملًا بمنهج الأسلاف المنعمين من الأصحاب الكرام، رضوان الله عليهم، والتابعين العظام، رحمة الله عليهم، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، كما أن منعهما أو حرمانهما من أي نوع من أنواع التعليم يعد مخالفة لأمر الله، وبدعةً في الدين، وخروجًا على منهج السلف الصالحين من الصحابة والتابعين وتابعيهم.

عاشرًا: يعد الإنفاق على التعليم واجبًا شرعيًّا وتتمةً وتكملةً لوجوب التعليم بشقيه على كلا الجنسين، وذلك اعتبارًا بكون الإنفاق مقدمةً ضروريةً يتوقف عليه تمكين التعليم من تحقيق الغاية منه المتمثلة في إعانة المتعلم على القيام بمهمة الاستخلاف في الأرض، وعمارة الكون، وتحقيق السعادة والفلاح في الدارين، والإنفاق المنشود على التعليم ينبغي أن يرتقي بمؤسساته ارتقاءً، ويجعل منها مؤسسات راقيةً مظهرًا ومخبرًا، كما ينبغي أن يرتقي ببرامجه، ومناهجه، ومقرراته، ويجعلها برامج ومناهج ومقررات تنجب العباقرة، والمبدعين، والمخترعين، فضلا عن أنه ينبغي أن يشمل الإنفاق توفير الحوافز والامتيازات للموهوبين، وتشجيع التفكير النقدي والإبداعي.

وتحقيقًا لهذا، فإنه ينبغي على تلك الدول التي لم ينل التعليم فيها حقه من الرعاية الفائقة والعناية الرائقة، أن ترصد له موازنة لا تقل بأي حال من الأحوال عن الموازنة التي ترصده للدفاع والأمن، اعتبارًا بكون الإنفاق السخي على التعليم إنفاقًا على الدفاع والأمن والاستقرار والرخاء.

كتبها وحررها العبد الفقير الراجي ثواب ربه
المحتاج إلى ستره، وعونه
أبو محمد/ قطب بن مصطفى بن إبراهيم سانو
نزيل مدينة جدة المحروسة
المملكة العربية السعودية

مشروع القرارات

ـ إن المراد بالتعليم من المنظور الإسلامي اكتساب المعارف والمهارات والمبادئ والقيم والتقاليد التي تعين الإنسان على القيام بمهمة الاستخلاف في الأرض، وعمارة الكون، وتحقيق السعادة والفلاح في الدارين.

ـ إن تقسيم التعليم إلى تعليم ديني وآخر دنيوي ليس تقسيمًا شرعيًّا بل تقسيم تربوي مستحدث في الملة لا يقصد منه التفاضل بين أنواع التعليم، كما لا يقصد منه الفصل بين الدين والدنيا، ذلك لأن الدين والدنيا لا يتقابلان في الشرع، ولكنهما يتكاملان، ومقتضى التكامل الاستفادة المتبادلة بين الشيئين؛ كما أن تقسيم التعليم إلى تعليم نظري وتعليم تطبيقي يعد أيضًا تقسيمًا تربويًا لا يقصد منه تفضيل أحدهما على الآخر، ولا تقديم أحدهما على الآخر. وبناءً عليه، فإن الأمة الإسلامية تحتاج إلى كلا النوعين، ولا يغني نوع عن نوع، كما لا يجزئ أحدهما عن الآخر.

ـ إن التعليم بشقيه الديني والدنيوي واجب على كلا الجنسين شرعًا كما دلت على ذلك نصوص عديدة من الكتاب العزيز، والسنة النبوية الطاهرة، ومحل اتفاق بين علماء الأمة من لدن رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، إلى يومنا، إذ لم يعثر فيه خلاف معتبر عبر التاريخ.

ـ يعد حفظ التعليم بشقيه الديني والدنيوي بإيجاده وحمايته من الاختلال من جنس المصالح الضرورية الخمسة التي يجب تحصيلها وجلبها، وخاصة النفس، والدين، والعقل، ذلك لأنها مقدمة للمصالح الضرورية، ومقدمة الضروري ضروري، ومقدمة الحاجي حاجي، ومقدمة التحسيني تحسيني. وبناءً عليه، فإنه يجب الاعتناء به كما يعتنى بالضروريات، كما يجب الارتقاء بمؤسساته، وأجهزته، والعاملين في حقله، منعًا من اختلاله وفقدانه، إذ إن اختلاله وفقدانه يعد اختلالًا للضروريات، ويؤدي ذلك إلى تهارج وفساد كبير في نظام الحياة.

ـ إن المراحل التعليمية تعد من التدابير المصلحية التي تخضع لظروف الزمان والمكان، كما تخضع لتوجيهات ولاة الأمر في الأمصار، وذلك بحسبانها وسائل تربويةً يستعان بها لضبط كميات المعارف والمهارات والمعلومات التي يحتاج إليها النشء في كل مرحلة عمرية معينة. ولذلك، فإن لولي الأمر تحديدها وفقًا لما يحقق المصلحة، ويمكن التعليم من تحقيق الغاية المنشودة منه.

ـ يعد التعليم بشقيه الديني والدنيوي حقًّا ثابتًا لكلا الجنسين منحه الشرع الحكيم لهما، فلا يجوز شرعًا منعهما أو منع أحدهما مطلقًا، كما لا يجوز منعهما أو منع أحدهما من أي نوع من نوعيه، ذلك لأن الخطاب الشرعي الذي منحهما هذا الحق الفطري والإنساني والحضاري ولم يفرق بينهما، ولم يفرق أيضًا بين نوعيه الديني والدنيوي، والنظري والتطبيقي، ولذلك، فإن كل أشكال منع أو حرمان أحد منه بشقيه يعد اعتداءً على حق ثابت، وخرقًا للقانون. وكلاهما مخالفة واضحة للأمر الإلهي والفطرة.

ـ إن على الدول المسلمة أن تنفق بسخاء على التعليم بمؤسساته، وأجهزته، والعاملين في حقله، كما أن عليها أن ترصد موازنةً مجزيةً وعاليةً لدعم البحث العلمي، والابتكار، والإبداع، والاختراع، تمكينًا له بشقيه من إعداد جيل قادر على تحقيق الشهود الحضاري للأمة، واستعادة ريادتها العلمية والفكرية التي كانت لها ذات يوم.

بحث فضيلة داتو حاجي وان زاهيدي بن وان تاه

عضو المجمع

رئيس اللجنة الوطنية المذاكرة الفدرالية الماليزية سابقًا

مفتي ولاية بيراغ

ماليزيا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

أما بعد،

فإن ديننا الإسلامي الحنيف قد حث على التعلم والتعليم، ونشر المعرفة بين الكبار والصغار، الذكور والإناث، وقد حث القرآن الكريم على التعلم والتعليم، فجاءت فيه العديد من الآيات الكريمة التي بينت فضل العلم والعلماء، وأهمية نشر العلم والمعرفة بين الناس، وحث ديننا الحنيف على بذل الجهد والغالي والنفيس في سبيل تحصيل العلوم النافعة، وكذلك نبينا ﷺ قد حث على طلب العلم ونشره، وقد سار الصحابة والتابعون والأئمة الأعلام على هدي النبي ﷺ الذي هو أحسن الهدي، فحفلت سيرهم بالمآثر والمناقب في طلب العلم وتحصيله.

فدين الإسلام هو دين الوسطية والعدل والإحسان، دين يحث على تحصيل المعارف النافعة، بل إن تاريخ الأمم الإسلامية حافل بالأمثلة والشواهد على ما بذله المسلمون نتيجة التربية الدينية التي تحث الفرد والمجتمع على الاهتمام بالعلم، ولم يقتصر الاهتمام بالعلم بينهم على العلوم الشرعية من فقه وعقيدة وتفسير ونحو ذلك، بل شملت مختلف جوانب الحياة التي تتعلق بها أحكام الشريعة أيضًا.

إن سيدنا آدم عليه السلام الذي جاء بالإسلام، وهو أول البشر وأول نبي ورسول، قد أكرمه الله بأن علّمه بعد أن خرج مِن الجنّة أصول المعيشة، هو الذي علّم الناس كيف يُبذر البذر حتى تُخرِج الأرضُ نباتًا يتّخذُه الإنسانُ قُوتًا، وهو الذي ضرب الدّراهم والدّنانير بتعليمٍ مِن الله تعالى، فبعد أن نزلت عليه النبوّةُ كان يأتيه الوحي، فالله تعالى علّمه كيف شاء، أشياء تعلّمها مِن الملك بأمر الله، وأشياء تعلّمها بإفاضةٍ على قلبِه، اللّغاتُ علّمه الله تعالى إياها مِن غير أن يُعلّمه أحد؛ لا ملكٌ مِن الملائكة ولا جِن، ثم علّم أولاده، فأبونا آدم أبو البشر علم أمور الدين وأمور المعيشة.

بل إنه قيل: إن أول من أظهر الطب بين الخليقة هو نبي الله شيث عليه السلام، وأنه ورثه من أبيه آدم عليه السلام[1]، ولا يخفى ما ورد عن نبي الله سليمان الذي كانت تكلمه الأشجار وتخبره بفوائدها،

(١) مقدمة كتاب الطب النبوي للمقدسي، تحقيق د. كمال يوسف الحوت (بيروت، شركة دار المشاريع، ط١، ١٤٢٩هـ) ص١٠.

فيدوّن ذلك حتى وضع كتاب الطب. كان نبي الله إدريس عليه السلام خياطًا، وهو أول من خط بالقلم[١]، وكان نبي الله زكريا عليه السلام نجارًا. فإذا كان هذا حال الأنبياء واهتمامهم بالعلوم التي يحتاجها الناس لمعيشتهم، وهم الذين علموا الإسلام، وهم قدوة المسلمين، فهذا شاهد على أن الإسلام يحث على العلم والمعرفة، ولا يدعو للجهل والتخلف، ولا لمنع النساء من المعرفة والعلم.

ثم إن مسيرة العلم والتعليم عبر التاريخ مرت بمراحل كثيرة، وكان في الصحابة أطباء من الرجال والنساء، فمنهم رفاعة أبو رمثة التميمي[٢]، وضماد الأزدي، والشمردل بن قباقب الكعبي النجراني، ورفيدة الأنصارية أو الأسلمية التي كانت تداوي الجرحى في خيمة لها في المسجد وهي التي عالجت جراح سعد بن معاذ يوم الخندق بأمر من النبي ﷺ[٣]، وكان في الصحابة من عنده علم بالتجارة وأمورها كعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما، وكان فيهم من عنده علوم القيادة والحروب كخالد بن الوليد رضي الله عنه، وهلم جرًّا بأمثلة كثيرة غزيرة إلى أيامنا هذه، من أمثلة كثيرة لعلماء المسلمين في المجالات الدينية والدنيوية، في زمن الأمويين ثم العباسيين والأيوبيين والعثمانيين، وبما أني ممثل عن بلادي ماليزيا فأقول: وإلى مملكة ملاكا التاريخية الإسلامية المالايوية وعلمائها وأطبائها ومهندسيها وعساكرها وأسلحتها ومرافئها وتجاراتها ونظامها وسلاطينها، ووصولًا إلى مملكة ماليزيا اليوم التي بهرت كثيرًا من الدول في التقدم والتكنولوجيا والمدن الجامعية والاستشفائية، ماليزيا الصناعية الاقتصادية التربوية الطبية الزراعية التي تفوقت على كثير من البلاد في مجالات عديدة، وكان من أسباب ذلك اهتمامنا بالتعليم والتثقيف، حتى محونا الأمية بين أبناء شعبنا الملايو.

أهمية البحث :

إن أهمية هذا البحث ترجع إلى أهمية التعلم والتعليم للمجتمعات الإسلامية، وبيان الحكم الشرعي في أنواع التعلم الديني والدنيوي؛ لأن الجهل بهذا يؤدي ببعض الناس إلى أن تختلط عندهم المفاهيم، ويميلوا إلى الغلو والتطرف، لكن ديننا الحنيف هو دين الوسطية والاعتدال الذي ينهى عن الإفراط والتفريط، ولهذا فإني سأبين في هذا البحث فضل تعلم التعلم والتعليم للعلوم الدينية والدنيوية التي يحتاجها المسلمون، والحكم الشرعي في تعليمها للذكور والإناث، مع تسليط الضوء على تجربة الملايو التاريخية والحالية.

مشكلة البحث :

لا يخفى على المتطلع المراقب في هذا الزمان ما ينال ديننا الإسلامي من الهجمات المغرضة، فإن

(١) رواه ابن حبان في صحيحه من حديث أبي ذر الغفاري.
(٢) الطب النبوي لأبي نعيم، ج١، ص١٩٣-١٩٤.
(٣) الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص١٥٥-١٥٦.

أعداء الأمة الإسلامية الذين يكيدون للإسلام والمسلمين في مختلف المجالات باتوا يروّجون أفكارًا غير صحيحة عن الأحكام الشرعية لتعليم العلوم للذكور والإناث، فمنهم من يدعي أن الإسلام يُحرِّم تعلم اللغات الأجنبية، ومنهم من يدعي أن الإسلام لا يحث إلا على تعلم الفقه والحديث والتفسير وعلوم الشريعة، ولا يحث على تعلم العلوم الدينية أو يمنع من تعلمها، ونرى البعض يفتري بأن الإسلام يمنع المرأة من التعلم ويُحرِّم عليها دخول الجامعات، والعمل في مجال الطب والتكنولوجيا والهندسة وغير ذلك.

بل إننا نرى بعض من ينتسب إلى الإسلام من أدعياء التمسك بالقرآن والسنة ونبذ البدع قد أفتوا بتحريم تعلم اللغة الإنجليزية، وتحريم الذهاب إلى الجامعات وبالتالي إلى العمل، بل حرموا عليها قيادة السيارة واستعمال الإنترنت إن لم يكن معها مَحرَم. وليت شعري لو جاء أمثال هؤلاء إلى ماليزيا ماذا يحكمون علينا وجامعاتنا مفتوحة للنساء والرجال، بل إن النساء عندنا يقودون الدراجات النارية والحافلات الكبيرة.

وهناك مشكلة كبيرة في أن كثيرًا من الناس لا يعرفون حكم الدين في تعلم العلوم الشرعية، وانقسام ذلك إلى ما هو واجب عيني وما هو واجب كفائي، ولا يعرفون أن حكم تعلم العلوم التي يحتاج إليها المسلمون في معايشهم هو فرض كفاية؛ يجب على المسلمين أن يقوموا به ويبذلوا وسعهم في تحقيق هذا الواجب.

أسئلة البحث :

١ـ ما فضل التعلم والتعليم وأهميته في الإسلام؟
٢ـ ما حكم تعليم الذكور والإناث العلوم الدينية والدنيوية؟
٣ـ ما التجربة الماليزية في تعليم العلوم الدينية والدنيوية؟

أهداف البحث :

١ـ بيان فضل التعلم والتعليم وأهميته في الإسلام.
٢ـ بيان حكم تعليم العلوم الدينية والدنيوية للذكور والإناث.
٣ـ بيان نتيجة مسيرة تعليم العلوم الدينية والدنيوية في ماليزيا للذكور والإناث.

منهج البحث :

يستعين الباحث بالمناهج التالية:

١ـ المنهج الاستقرائي: وذلك بتصفح المصادر والمراجع بحثًا عن المعلومات ذات الصلة بالموضوع فيما يتوفر له من الكتب.

٢ـ المنهج التحليلي: ويعمد الباحث إلى مدارسة تلك المعلومات المستخرجة من مصادرها بهدف الوقوف على عناصرها ودواخلها بغية تنزيلها في مواقعها.

٣ـ المنهج النقدي: وذلك بمراجعة بعض المعلومات وبيان مواضع الخلل والخطأ لإظهار الحق من الباطل.

محتويات البحث

مقدمة

أهمية البحث

مشكلة البحث

أسئلة البحث

أهداف البحث

منهج البحث

الفصل الأول: فضل العلم والتعليم

المبحث الأول: العلم الديني
المبحث الثاني: العلم الدنيوي

الفصل الثاني: حكم التعلم في الإسلام للذكور والإناث

المبحث الأول: أقسام الفرض عند علماء الأصول
المبحث الثاني: حكم تعلم العلوم الدينية
المبحث الثالث: حكم تعلم العلوم الدنيوية

الفصل الثالث: اهتمام علماء ماليزيا بالعلوم الدينية والدنيوية

المبحث الأول: علماء ماليزيا والوسطية في التعليم الديني
المبحث الثاني: التجربة الماليزية في التعليم الدنيوي

الخاتمة والتوصيات

الفصل الأول
فضل العلم والعليم

المبحث الأول : العلم الديني

قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]، فحث سبحانه وتعالى المؤمنين في هذه الآية الكريمة على التفقه، ولو كان ذلك يحتاج إلى السفر والتعب، وحث تعالى على أن يفقِّه المعلم قومه بعد أن يحصِّل العلم ويعود إليهم، فمن أدى هذين العملين الساميين فإنما يقوم بأوامر الله سبحانه وتعالى، ويفعل ما يرضي الله، وقال الإمام الرازي عند تفسير هذه الآية: «متى عجز عن التفقه إلا بالسفر وجب عليه السفر»[١].

وقد جعل الله تعالى العلماء الفقهاء حماة الشريعة وحراس الدين الذين يدافعون عنه بالبيان والحجج النيرات، فحفظ الشريعة بالمتعلمين وأمر بالرجوع إليهم وسؤالهم في النوازل والحوادث، فقال عز وجل: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]. وقال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

وبين أن العلماء هم الذين يخشون ربهم حق خشيته فقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨]. وجعلهم خلفاء في أرضه، وحجته على عباده، وقرن شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته، فقال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

وقال تعالى مبينًا فضل العلماء على غيرهم: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، فأهل العلم الفقهاء ليسوا سواء مع غيرهم، بل قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١].

وقال تعالى: ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ [آل عمران: ٧٩]، قال ابن عباس في تفسيرها: حلماء فقهاء. ويقال: الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره[٢].

---

(١) فخر الدين محمد بن عمر الرازي، **التفسير الكبير** (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤٢٠هـ)، ج١٦، ص١١٧.

(٢) علي بن خلف بن بطال، **شرح صحيح البخاري** (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م)، ج١، ص١٥١.

لقد كان رسول الله ﷺ، وهو المعلم الأول لهذه الأمة، حريصًا على أمر تفقيه صحابته رضي الله عنهم، فكان ﷺ يعلمهم ويفقههم بحاله ومقاله وأفعاله، وحثهم على التفقه والتفقيه ونشر المعرفة والهدى بين الناس، وسيذكر الباحث هنا بعض الأحاديث الشريفة التي تبين هذا بحسب ما يقتضي المقام.

ففي صحيح البخاري عن ابن شهاب، قال: قال حميد بن عبد الرحمن، سمعت معاوية خطيبًا يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «من يُرِدِ الله بهِ خيرًا يفقِّههُ فِي الدِّين، وإنّما أنا قاسِمٌ والله يعطِي، ولن تزال هذِهِ الأُمّةُ قائِمةً على أمرِ الله، لا يضُرُّهُم من خالفهُم، حتّى يأتِي أمرُ الله»[(١)]. قال ابن بطال في شرح هذا لحديث: «وفيه فضل الفقه في الدين على سائر العلوم، وإنما ثبت فضله، لأنه يقود إلى خشية الله، والتزام طاعته، وتجنب معاصيه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]». وقال ابن عمر للذي قال له فقيه: «إنما المعلم الزاهد في الدنيا، الراغب في الآخرة»[(٢)]. فهذا يدل على أن من علامات حب الله للعبد أن ييسر له التفقه في الدين، ويجعل له سبيلًا سهلًا لتحصيل العلم الديني، وفيه بيان فضل المعلم والمتعلم على غيرهما من الناس.

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «تجدون الناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام، إذا فقهوا»[(٣)]. قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: «وأما قوله: إذا فقهوا ففيه إشارة إلى أن الشرف الإسلامي لا يتم إلا بالتفقه في الدين»[(٤)]. فإن العلم يشرِّف أهله ويرفعهم إلى المراتب العالية، ويكون لهم ذخرًا في الدنيا والآخرة إن أخلصوا لله في تعليمه وتعلمه.

وروى ابن ماجه في السنن عن عبد الله بن عمرو، قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم من بعض حُجَرِه فدخل المسجد، فإذا هو بحلقتين، إحداهما يقرؤون القرآن، ويدعون الله، والأخرى يتعلمون ويعلمون، فقال النبي ﷺ: «كل على خير، هؤلاء يقرؤون القرآن، ويدعون الله، فإن شاء أعطاهم، وإن شاء منعهم، وهؤلاء يتعلمون ويعلمون، وإنما بعثت معلمًا» فجلس معهم[(٥)]. فهذا الحديث فيه بيان فضل مجالس التفقه على غيرها من المجالس حتى ولو كانت مجالس عبادة وذكر لله سبحانه وتعالى، فالعلم أنفس ما أنفقت فيه نفائس الأوقات، ومجالسه خير وبركة تحفّها الملائكة وتنزل عليها الرحمة والسكينة.

---

(١) محمد بن إسماعيل البخاري، **الجامع المسند الصحيح**، تحقيق حمد زهير بن ناصر الناصر (بولاق: دار طوق النجاة، ط١، **١٤٢٢**هـ)، ج ١، ص**٢٥**، رقم الحديث: **٧١**.

(٢) ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، ج١، ص**١٥٤**.

(٣) البخاري، **الجامع المسند الصحيح**، ج٤، ص**١٧٨**، رقم الحديث: **١٧٨**.

(٤) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري** (بيروت: دار المعرفة، د.ط، **١٣٧٩**هـ)، ج ٦، ص**٥٢٩**.

(٥) محمد بن ماجه بن يزيد القزويني، **سنن ابن ماجه**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت: دار إحياء الكتب العربية، د.ط، د.ت)، ج١، ص**٨٣**، رقم الحديث: **٢٢٩**.

وقد سمى رسول الله ﷺ مجالس التفقه في الدين برياض الجنة، فعن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله: «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا»، قالوا: «يا رسول الله وأين لنا برياض الجنة في الأرض؟» قال: «حلق الذكر، فإن لله سيارات من الملائكة يطلبون حلق الذكر فإذا أتوا عليهم حفوا بهم». قال عطاء الخراساني يقول: مجالس الذكر هي مجالس الحلال والحرام. وزاد ابن راشد: كيف تشتري وتبيع وتصلي وتصوم وتنكح وتطلق وتحج وأشباه هذا[١].

وقد بين رسول الله ﷺ أن طلب العلم أفضل من صلاة النافلة، فعن أبي ذر، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر، لأن تغدو فتتعلم آية من كتاب الله، خير لك من أن تصلي مئة ركعة، ولأن تغدو فتتعلم بابًا من العلم، عمل به أو لم يعمل، خير من أن تصلي ألف ركعة»[٢]. فثواب طلب العلم عظيم، وهو أكبر من ثواب صلاة النفل، فإن الشخص يحصل من الثواب بحضوره مجلسًا واحدًا من مجالس العلم والفقه أكثر مما يحصله بصلاة ألف ركعة من النوافل، وألف ركعة تحتاج تقريبًا أربعة أيام للقيام، فالحمد لله الذي جعل كل هذا الخير في مجالس الفقه.

وعن أبي هريرة، وأبي ذر رضي الله عنهما قالا: «باب من العلم نتعلمه أحب إلينا من ألف ركعة تطوع، وباب من العلم نعلمه عمل به أو لم يعمل به، أحب إلينا من مئة ركعة تطوع»[٣].

بل إن السفر للتفقه وطلب العلم أمر يحبه الله ورسوله، وكان الصحابة والتابعون يفعلون ذلك؛ فعن كثير بن قيس، قال: كنت جالسًا مع أبي الدرداء، في مسجد دمشق فجاءه رجل، فقال: يا أبا الدرداء: إني جئتك من مدينة الرسول ﷺ لحديث بلغني، أنك تُحدِّثه عن رسول الله ﷺ ما جئت لحاجة، قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سلك الله به طريقًا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضًا لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السموات، ومن في الأرض، والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر»[٤].

في هذا الحديث فوائد كثيرة، فإن كثير بن قيس سافر من المدينة ليسمع حديثًا واحدًا من أبي الدرداء، في الزمن الذي لم يكن فيه طائرات ولا سيارات ولا قطارات، بل الدواب والسير على الأقدام وقطع

(١) الخطيب البغدادي، **الفقيه والمتفقه**، ج١، ص٩٤.
(٢) ابن ماجه، **السنن**، ج١، ص٩٧، رقم الحديث :٢١٩.
(٣) الخطيب البغدادي، **الفقيه والمتفقه**، ج١، ص١٠١.
(٤) سليمان بن الأشعث، **سنن أبي داود** (بيروت: المكتبة العصرية، د.ط، د.ت)، ج٣، ص٣١٤، رقم الحديث: ٣٦٤١.

البراري والصحاري، ثم إن هذا الحديث فيه بيان فضل طلب العلم وأنه موصل للجنة بإذن الله تعالى، وفيه أن الملائكة الكرام تضع أجنحتها لطالب العلم، بمعنى أنها تبطئ السير إذا رأته؛ تواضعًا له بسبب ما يصنعه من الخير، وفيه بيان فضل العلم وأن من في السموات والأرض حتى الحيتان تستغفر للعالم، وأن العلماء ورثة الأنبياء، وأن من حاز العلم فقد حاز خيرًا كثيرًا وفضلًا عظيمًا.

ثم إن العلم يحمي صاحبه من شياطين الجن والإنس، فالعالم قوي بعلمه، يصعب على الشيطان إغواؤه، فعن مجاهد، سمع ابن عباس يقول: قال رسول الله ﷺ: «فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد»[١]؛ لأن بعض الناس يتعبدون عن جهل فيسهل على الشيطان إضلالهم والتمويه عليهم، بل وإيقاع بعضهم في الشرك والعياذ بالله.

وبيّن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه فضل العلم والعلماء، وكيف أن العلم أنفع وأحسن من المال، فقال: «العلم خير من المال، العلم يحرسك، وأنت تحرس المال، العلم يزكو على العمل، والمال تنقصه النفقة، العلم يكسب العالم الطاعة في حياته، وجميل الأحدوثة بعد موته، وصنيعة المال تزول بزواله. مات خُزّان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة»[٢].

بل إن قيام الليل بالعلم ومطالعته ومراجعته فيه خير كثير وأجر كبير، فقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «تذاكُر العلم بعض ليلة أحب إلى من إحيائها»، وكذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه وأحمد بن حنبل[٣].

كما أن مجالسة العلماء والفقهاء فيها نفع لصاحبها، فمن جالس العطار إن لم يصبه عطره أصابته رائحته الطيبة، فعن عبد الرحمن بن حجيرة عن أبيه، قال: كان عبد الله بن مسعود يقول: «المتقون سادة، والفقهاء قادة، ومجالستهم زيادة»[٤].

عن مجاهد، في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]، قال: «ليست

(١) أحمد بن الحسين البيهقي، **شعب الإيمان** (الرياض: مكتبة الرشد، **١٤٢٣**هـ/ **٢٠٠٣**م)، ج**٣**، ص**٣٢٣**، رقم الحديث: **١٥٨٦**.

(٢) أحمد بن عبد الله الأصبهاني، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء** (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، **١٤٠٩**هـ)، ج١، ص**٩٧**.

(٣) محمد بن محمد الغزالي، **إحياء علوم الدين** (بيروت: دار المعرفة، د.ط، د.ن)، ج١، ص٨.

(٤) سليمان بن أحمد الطبراني، **المعجم الكبير** (الرياض: دار الصميعي، ط١، **١٤١٥**هـ/ **١٩٩٤**م)، ج**٩**، ص**١٠٥**، رقم الحديث: **٨٥٥٣**.

بالنبوة، ولكن الفقه والعلم»[١]. فالله تعالى رغّب عباده بالعلم والفقه، وبيّن فضله، وأنه خير كثير.

وهذه بعض الآثار التي جمعها الباحث لتسليط الضوء على فضل التفقه في الإسلام، ولو أردنا زيادة لجاء ذلك في مجلدات، وغرض الباحث أن يكون هذا المطلب وقودًا ترتفع به همة طلبة العلم ومعلميه، ويعلموا كم هو عظيم ما يقومون به من عمل، وكم هو مهم أن يبذلوا غاية جهودهم لتحقيق أهدافهم السامية.

المبحث الثاني : العلم الدنيوي

إن تعلم العلوم الدنيوية النافعة التي يحتاجها المسلمون له أهمية كبيرة، فإن المسلمين إن لم يتعلموا ما يحتاجون إليه في معايشهم من طب وحساب وغير ذلك كيف يقضون حوائجهم وكيف يقوون؟ وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ [هود: ٦١]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ [الملك: ١٥] ودراسة العلوم الدنيوية النافعة من وسائل عمارة الأرض وطلب الرزق. وقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ [الأنفال: ٦٠]، فما يقوي المسلمين على أعدائهم يحتاجون إلى تحصيله ليدفعوا به عدوهم.

وقد قال رسول الله ﷺ: «تداووا فإن الله لم يخلق داء إلا خلق له شفاء، إلا السام» رواه أبو نعيم[٢] وغيره. وتشخيص المرض مع معرفة نوع الدواء المناسب له يحتاج إلى طبيب عارف بهذا العلم.

وقد قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: «العلم علمان: علم الفقه للأديان، وعلم الطب للأبدان»[٣]. وقال البيهقي في مناقب الشافعي: «سئل أبو بكر بن طاهر عن قول الشافعي: العلم علمان فقال: عند العوام أن علم الأديان هو ظاهر الفقه وعلم الأبدان هو ظاهر الطب، وعند الحكماء أن علم الأديان هو علم مشاهدة القلوب بالمعاملات في صنع الله وتدبيره وهو الفقه النافع، وعلم الأبدان فهو ظاهر أوامر الله تعالى ذكره ونواهيه في الحلال والحرام، وهو حجة الله على خلقه، وهو الطب النافع»[٤].

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال «أمرني رسول الله ﷺ فتعلمت له كتاب يهود، وفي رواية: بالسريانية، وقال: «إني والله ما آمن يهود على كتابي»، فما مرّ بي نصف شهر حتى تعلمته وحذقته، فكنت

(١) الخطيب البغدادي، **الفقيه والتفقه**، ج١، ص١٣٢.
(٢) أبو نعيم، **الطب**، ج١، ص١٨٢.
(٣) البيهقي، **مناقب الشافعي**، ج٢، ص١١٤.
(٤) البيهقي، **مناقب الشافعي**، ج٢، ص١١٥.

أكتب له إليهم وأقرأ له كتبهم». أخرجه البخاري وأبو داود والترمذي[١].

إن دراسة العلوم الدنيوية النافعة ليست منافية للتفقه في الدين، والإسلام يدعو إلى الوسطية والاعتدال، فلا تترك العلوم الدنيوية المحتاج إليها للمعيشة، ولا تترك العلوم الشرعية لأجل الدنيا، وكان النبي ﷺ يقول: «اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي» رواه مسلم.

(١) ابن الأثير، **جامع الأصول في أحاديث الرسول**، رقم الحديث ٥٨٦٤، ج ٨، ص٣٠.

الفصل الثاني
حكم التعلم في الإسلام للذكور والإناث

المبحث الأول : أقسام الواجب عند علماء الأصول

الواجب لغة: من وجب بمعنى ثبت أو سقط[١]. وأما اصطلاحًا: فهو ما تعلق العقاب بتركه والثواب بفعله[٢]؛ كالصلوات الخمس والزكاة ورد الودائع والمغصوب وغير ذلك، ومعنى تعلق العقاب بتركه ترتب العقاب على تركه؛ أي: استحقاق تاركه العقاب، وذلك لا ينافي العفو عنه. والواجب واللازم والحتم، والمفروض، والمكتوب، واحد.

والواجب ينقسم إلى أقسام من عدة حيثيات، ومن هذه الأقسام أنه ينقسم إلى واجب عيني وواجب كفائي. وبيان ذلك كما قال علماء الأصول أنه: إذا ورد الخطاب بإيجاب فعل بلفظ العموم دخل فيه كل من صلح له الخطاب فيتناوله الأمر، ولا يسقط ذلك الفعل عن بعضهم بفعل البعض، إلا فيما ورد الشرع به وقرره أنه فرض كفاية، كالجهاد وتكفين الميت والصلاة عليه ودفنه وحفظ القرءان وقراءته كله، والتمكن في العلم زيادة عن قدر الفرض العيني منه، والرد بالحجة والدليل على الملاحدة وأهل البدع، فإنه إذا قام به من يقع به الكفاية سقط عن الباقين، لأن المقصود حصوله لا ابتلاء كل مكلف بفعله[٣].

فالواجب العيني هو الذي يجب على المكلف بعينه، كالصلوات الخمس وصوم رمضان، وأما الفرض الكفائي فهو الذي إذا قام به البعض سقط الحرج عن البعض الآخر.

المبحث الثاني : حكم تعلم العلوم الدينية

علم الدين قسمان:

الأول: قِسم يجب على كل مكلَّف؛ أي: بالغ عاقل، تعلُّمه، وهو فرض عين، فمن لم يتعلمه فهو عاصٍ فاسق، وهو ما يتعلق بمعرفة الله ورسوله وسائر أصول الدين، وما يتعلق بالصلاة؛ أي: الصلوات

(١) **المصباح المنير**: ٢ ص٨٩١، **القاموس المحيط**: ١ ص١٣٦.
(٢) الحطاب الرعيني، **قرة العين بشرح ورقات إمام الحرمين**.
(٣) سمير القاضي، **نيل السول من شرح مختصر لمع لأصول**، ج١، ص٢٦٤.

الخمس وصيام رمضان، هذا فرض عين لا يستغني أحد من المكلفين عنه، كذلك معرفة أعمال القلوب؛ لأن القلب له أعمال منها ما هي عبادات تقرب إلى الله، ومنها ما هي معاص تُبعد من الله، ثم مِن الذي هو فرض معرفته على كلّ مكلفٍ المعاصي التي تتعلق بالعين واللسان والأذن واليد والرجل والبطن ونحو ذلك، وكذلك معرفة أحكام ما يريد المكلف تعاطيه من المعاملات، فإذا لم يعرف ما المال الحلال في الشرع وما المال الحرام في شرع الله قد يقع في استعمال المال الحرام.

هذا هو العلم الذي يقال له: العلم الضروري الذي لا يجوز للمكلف الجهل به، هذا الذي من لم يتعلمه يكون مؤاخذًا في الآخرةِ معاقبًا؛ لأن السؤال في الآخرةِ يوم القيامة كما ورد في جامع الترمذي عن نبي الله ﷺ أنه قال: «لا تزولُ قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه».

وأما القِسم الآخرُ من علم الدين فهو فرض كفاية؛ أي: أنه يجبُ على بعض المسلمين، وهو ما زاد على ذلك من علم الدين. فرض الكفاية: هو العلم الذي يستطيع الشخص أن ينفع به غيره، وهذا القدر الذي هو فرض على بعض المؤمنين لا على جميع المكلفين، فهذا العلم الذي يزيد على حاجات هذا الشخص لنفسه وهو القدر الذي يصلح لأن يفتي غيره، القدر الذي يحتاج إليه للحادثات التي تحدث للناس، تحصل في الصلاة مسائل وفي الزكاة وفي الحج وفي النكاح وفي الطلاق مسائل غير ظاهرة، فيجب أن يوجد في المسلمين من يعرف هذه المسائل. هذا القدر إذا علمه بعض المسلمين سقط الحرج عن الآخرين.

ومن هذا العلم وجود أناس يعرفون علم العقيدة بأصولها وبأدلتها بحيث يستطيعون الردّ على أهل البدع الذين ينتسبون إلى الإسلام، وعلى الملحدين الذين لا ينتسبون إلى الإسلام كالدهرية. يجب أن يوجد في المسلمين من يستطيع الرد على هؤلاء، وهذا يتطلب العلم بالدلائل العقلية زيادة على الدلائل النقلية.

فليهتم الحكام وولاة أمور المسلمين بالإعانة على تعليم الفرض العيني في المؤسسات التعليمة، وكذلك تعليم القدر الذي هو فرض كفاية.

المبحث الثالث : حكم تعلم العلوم الدنيوية

إن تعلم العلوم الدنيوية التي يحتاجها المسلمون لأمور معيشتهم، هي من فروض الكفاية التي يجب على المسلمين أن يهتموا بها بالقدر الذي تحصل به الكفاية. فتعلّم ركوب الخيل وتعلُّم الرماية

والسباحة، والطب والهندسة، وقيادة السيارة، وقيادة الطائرات، وصناعة السلاح، وصناعة البواخر، والزراعة، والخبز والعجن؛ هذا يدخل في فروض الكفاية.

قال الغزالي رحمه الله: «بيان العلم الذي هو فرض كفاية» ثم قال «والعلوم بالإضافة إلى الغرض الذي نحن بصدده تنقسم إلى شرعية وغير شرعية»، ثم قال: «فالعلوم التي ليست بشرعية تنقسم إلى ما هو محمود، وإلى ما هو مذموم، وإلى ما هو مباح؛ فالمحمود ما يرتبط به مصالح أمور الدنيا كالطب والحساب. وذلك ينقسم إلى ما هو فرض كفاية، وإلى ما هو فضيلة وليس بفريضة؛ أما فرض الكفاية فهو علمٌ لا يُستغنى عنه في قوام أمور الدنيا، كالطب؛ إذ هو ضروري في حاجة بقاء الأبدان. وكالحساب؛ فإنه ضروري في المعاملات، وقسمة الوصايا، والمواريث، وغيرهما. وهذه هي العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها حُرِّج أهل البلد، وإذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين. فلا يُتعجب من قولنا: إن الطب والحساب من فروض الكفايات؛ فإن أصول الصناعات أيضًا من فروض الكفايات، كالفلاحة»[١]. وقال النووي رحمه الله: «وأما العلوم العقلية فمنها ما هو فرض كفاية كالطب والحساب المحتاج إليه»[٢].

فبعد هذا البيان فليهتم الحكام وولاة أمور المسلمين بالإعانة على تحقيق هذا الفرض الكفائي من خلال المؤسسات التعليمة التي تعنى بالعلوم التي يحتاجها المسلمون.

(١) الغزالي، **إحياء علوم الدين**، ج١، ص١٦.
(٢) النووي، **روضة الطالبين**، ج٧، ص٤٢٥.

الفصل الثالث
تجربة ماليزيا في التعليم الديني والدنيوي

المبحث الأول : علماء ماليزيا والوسطية في التعليم الديني

قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا﴾ [البقرة: ١٤٣] صدق الله العظيم.

إن الله تعالى قد جعل هذه الأمة أمة وسطًا، وأرسل إليها رسوله المصطفى ﷺ الذي دعا إلى العدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وهو الذي علم هذه الأمة الحضارة والاعتدال والأخلاق الرفيعة من بعد جاهلية مظلمة عم فيها الطغيان، والتخلف، والظلم، والإجرام.

إن الصحابة والتابعين ومن تبعهم ممن وفَّقه الله تعالى من أهل الفهم والمعرفة قد اقتفوا أثر رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، فنقلوا المفاهيم الإسلامية والاعتدال النقي جيلًا عن جيل، عبر نشرهم العلوم الدينية الصحيحة بطريقة التلقي بالأسانيد المتصلة للعلوم الإسلامية التي علمها النبي ﷺ، فكانت طريقة التلقي طوق أمان تحمي طلبة العلم من تلقف الأفكار المتطرفة الدخيلة التي لا تمت للإسلام بصلة، وكان المشايخ والعلماء يحذرون من أخذ العلم ممن لم يأخذه بالتلقي، وكانوا ينبهون الطلاب أن لا يستمعوا لمن عرف عنه الانحراف والشذوذ.

إن طريقة التلقي التي درج عليها علماء السلف والخلف في تلقي العلوم الإسلامية والتي هي الطريقة الصحيحة التي انتشر بها علم أهل السنة والجماعة عبر التاريخ، كانت أحد العوامل الكبيرة التي ساهمت في نشر الوسطية والاعتدال بين أبناء الأمة الإسلامية في ماليزيا، والتي ساهمت في إضفاء الأمن وتخفيف التطرف للنهوض بماليزيا في رحلة التقدم الاقتصادي والتكنولوجي، حيث كانت طريقة التلقي أحد أهم الأمور التي استعملناها لمكافحة انتشار الأفكار المتطرفة والعقائد الفاسدة بين أبناء الأمة الإسلامية، كما أنه كان لها دور كبير في المحافظة على علوم التراث الإسلامي ونقلها من جيل إلى جيل. إن هذه الطريقة تواجه تحديات كثيرة في هذا العصر من قِبل المتطرفين الذين يريدون التخلص من هذه الطريقة؛ بغية فتح المجال لأنفسهم لبثّ أفكار جديدة تخالف ما كان عليه سلف الأمة وخلفها، كما أن الحاقدين على تراثنا الإسلامي يريدون أيضًا القضاء على طريقة التلقي؛ بغية التخلص من نشر المفاهيم الإسلامية الصحيحة،

وهدم الشريعة الإسلامية، وإثارة الفوضى والتطرف في البلاد.

لا شك أن بلاد نوسنتارا قديمًا قد حظيت بحظ وافر من العلماء الذين نشروا فيها العلوم الإسلامية، عبر طريقة التلقي التي نقلها الدعاة إلى بلادهم مع وصول الدعوة الإسلامية إلى تلك البلاد، وعبر جهد أبناء شعوب تلك البلاد الذين كانوا يسافرون بالسفن عبر المحيطات للوصول إلى مكة أو المدينة أو مصر أو اليمن أو نواح أخرى؛ بغية تلقي العلوم الإسلامية من أفواه العلماء، فيمضي بعضهم عشرين سنة ويمضي بعضهم ثلاثين سنة ويمضي بعضهم أكثر من ذلك، ثم يعودون إلى بلادهم علماء وفقهاء ومحدثين ومفسرين، نهلوا من بحور العلم الشيء الكثير، ثم بعد وصولهم يبني لهم أبناء قريتهم الذين انتظروهم كثيرًا ما يعرف بـ«فودوق» في ماليزيا على منهج الأشاعرة الشافعية، ثم يبقى العالِم في تلك المدرسة سنين طويلة، يعمل على تلقين الطلاب العلوم الإسلامية مشافهة، وقد ترجم علماء هذه المدارس الكثير من كتب الأشاعرة الشافعية إلى لغتهم الملايوية، وعرفت تلك الكتب لاحقًا بـ«كتاب كونينغ» لأنها كانت تطبع على الأوراق الصفراء في الزمان الماضي، وهي في غالبها كتب الأشاعرة الشافعية الذي هو مذهب علماء هذه البلاد.

وأما أمثال علماء الملايو الذين هم من أبناء هذه البلاد ثم سافروا في طلب العلم إلى نواح شتى فكثيرون جدًّا، ومن أشهرهم الشيخ داود الفطاني المولود سنة **١١٣٣**هـ، والذي ألف الكثير من الكتب باللغة الملايوية في مختلف الفنون، ومفتي بنجر في القرن الثاني عشر الهجري الشيخ محمد أرشد البنجاري الذي أمضى خمسًا وثلاثين سنة في طلب العلم في بلاد الحجاز، وهو جد عالم قدح المشهور بتوان حسين قدح حسين طيب المسعودي البنجاري، ومن أشهرهم الشيخ أحمد بن محمد زين الدين الفطاني شيخ علماء الملايو والمفتين في زمانه، حيث تخرج عليه مفتي سلانجور الأول تونكو محمود زهدي، ومفتي بينينغ الشيخ عبد الله فاهم، وتوء كنالي كلانتن، والشيخ عثمان سرواك، وغيرهم كثير.

والملاحظ أن هؤلاء العلماء كانوا متمسكين بعقيدة أهل السنة والجماعة كما هو واضح من كتبهم القديمة التي تعتمد تدريس الصفات العشرين كأساس لعلم العقيدة، وما زلنا ندرس هذا في المدارس إلى الآن.

لقد ساهمت طريقة التلقي في نشر الوسطية والاعتدال ومحاربة التطرف في الاعتقاد والعمل عبر الأمور التالية التي نتجت عن استعمال العلماء لطريقة التلقي:

١ـ عزل الفكر المتطرف، ومنع وصول السموم التي ينشرها دعاته إلى الطلبة.

٢ـ تحصين المجتمع بسلاح العلم الديني الصحيح المتلقى من الأسانيد المتصلة، والصافي مما يشوبه، ويكدر عقول الشباب ويفسدها، ويجعلهم تائقين ومتحمسين للانخراط في أعمال التطرف.

٣ـ تناقل الكتب المعتمدة عند أهل السنة بالأسانيد إلى الأئمة الكبار، وجعلها مراجع تُعتمد في نقل العلوم، والتحذير من المؤلفات المسمومة التي ينشرها المتطرفون.

إننا إذا نظرنا إلى بلاد المسلمين وتاريخها نجد علماء الأمة في مشارق الأرض ومغاربها الذين اعتمدوا طريقة التلقي هم أعلام ومشاهير أهل السنة والجماعة، فمثلًا بلاد المالايو، ماليزيا وأندونسيا وبروناي وجنوب تايلاند، علماؤهم اعتمدوا طريقة التلقي منذ وصل الإسلام إلى بلادهم على أيدي علماء الأشاعرة، وإلى الآن ما زالت المدارس القديمة المعروفة بـ«الفنادق» يدرسون الناس الصفات العشرين، ويعتمدون تدريس كتب الأشاعرة في العقيدة بالتلقي كجوهرة التوحيد، والسنوسية، وسلم المبتدي، ومطلع البدرين، وعقيدة الناجين وغيرها من الكتب المشهورة، وقد حَمَت هذه المدارس القديمة المذهب الأشعري الشافعي لمئات من السنين، وشكل علماؤها خط دفاع منيع في وجه المتطرفين.

ومن أشهر علماء الملايو الذين اتبعوا طريقة التلقي تعلمًا وتعليمًا في مدارسهم ومجالسهم الشيخ محمد زين بن جلال الدين الأتشي صاحب كتاب بداية الهداية، والشيخ داود بن عبد الله الفطاني صاحب التصانيف المشهورة ومنها سلم المبتدي (ولد **١١٨٣** هـ)، والشيخ عبد الصمد الفلمباني (ت**١٢٠٦** هـ)، والشيخ عبد القادر بن عبد الرحيم من أشهر علماء ترنجانو (ت**١٢٨٠** هـ تقريبًا)، والشيخ توان منال زين العابدين الفطاني صاحب كتاب عقيدة الناجين (من علماء القرن **١٣** هـ)، والشيخ محمد عمر بن نووي البنتاني شارح سلم التوفيق (ت**١٣١٤** هـ)، والشيخ الحاج محمد صالح دارات من كبار علماء جاوا، وصديق الشيخ نووي البنتاني وتلميذ الشيخ أحمد زيني دحلان، كتب شرحًا على جوهرة التوحيد (ت**١٣٢١** هـ)، والشيخ العالم العلامة أحمد بن محمد زين الدين الفطاني (ت**١٣٢٥** هـ) شيخ علماء الملايو في زمانه وصاحب فريدة الفرائد، والشيخ الحاج عبد الله فاهم الذي كان معروفًا بتمسكه بمنهج الأشاعرة الماتريدية (ت**١٣٣٠** هـ)، والشيخ وان علي بن عبد الرحمن بن عبد الغفور كوتان الكلنتاني (ت**١٣٣١** هـ)، والشيخ محمد بن إسماعيل داود الفطاني صاحب كتاب مطلع البدرين (ت**١٣٣٣** هـ)، والشيخ أحمد خطيب المننكاباوي (ت**١٣٣٤** هـ)، والشيخ حسين بن محمد ناصر بن محمد طيب المسعودي البنجاري صاحب كتاب هداية المتفكرين (ت**١٣٥٤** هـ)، والشيخ مختار بن عطارد البنتاوي البقوري نزيل مكة وصاحب كتاب أصول الدين اعتقاد أهل السنة والجماعة، والشيخ سراج الدين عباس صاحب كتاب عقيدة أهل السنة الجماعة، والشيخ وان إسماعيل بن عبد القدير بن مصطفى الفطاني صاحب كتاب باكورة الأماني، والمسند المحدث الشيخ ياسين الفاداني (ت**١٤١٠** هـ).

ونحن مستمرون على هذه الطريقة بإذن الله تعالى

المبحث الثاني : التجربة الماليزية في التعليم الدنيوي

في بداية الألفية الثانية بدأ اسم بلادي ماليزيا يبرز، وبدأ الناس يتحدثون عن النمر الآسيوي الذي صار يشار إليه بالبنان، وبدأ البعض في إجراء دراسات على التجربة الماليزية لكشف سر هذا التحول الكبير في وضعها الاقتصادي والتنموي، وكان السر وراء كل هذا هو التعليم، فالدولة لن تنمو اقتصاديًّا بدون الاهتمام بالتعليم، وهذه كانت الحقيقة التي وعاها جيدًا المسؤولون في ماليزيا، وبدأ بها بناء الدولة القوية.

التجربة الماليزية تجربة مرت بظروف مماثلة لما تمر به بعض البلاد الإسلامية اليوم، ولكن كانت لنا رؤية مستقبلية للتقدم ببلادنا ونهضتها، وتمكنا بالفعل من تحقيق هذه الرؤية، وكان التعليم من أهم وسائله لتحقيق هذه الرؤية التي نقلت ماليزيا من مصاف الدول النامية إلى الدول المتقدمة.

ففي عام **١٩٨١**م كانت ماليزيا ما تزال دولة فقيرة، يعيش حوالي **٢٥**٪ من سكانها تحت خط الفقر، ولكننا قررنا عمل نقلة حقيقية في بلادنا، ومن هنا وضعت خطة لتنميتها اعتمدت على ثلاثة ركائز أساسية هي، **أولًا**: وحدة البلاد والتعاون، الركيزة **الثانية**: هي الاهتمام بالتعليم، و**الثالثة**: هي التصنيع، وبهذا نقلنا بلادنا من دولة زراعية فقيرة تعتمد على تصدير بعض السلع البسيطة؛ مثل المطاط والقصدير، إلى دولة صناعية متقدمة، وتمكنا خلال **٢٢** عامًا من رفع متوسط الدخل من **١٢٤٧** دولارًا في العام إلى **٨٨٦٢** دولارًا عام **٢٠٠٢**، وانخفضت نسبة البطالة بين الماليزيين إلى **٣**٪ فقط، ولأن النهضة التعليمية هي ما يهمنا في هذا المجال فقد أولى المسؤولون أهمية كبيرة لجميع مراحله، فجعلت مرحلة التعليم ما قبل المدرسة المسماة برياض الأطفال جزءًا من النظام الاتحادي للتعليم، وجعلت لها مقررات من الوزارة، كما تمت إضافة مواد دراسية تنمي المعاني الوطنية لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية، وفي المرحلة الثانوية أصبحت العملية التعليمية شاملة لكثير من الجوانب، حيث يدرس الطالب بجانب العلوم والآداب مواد خاصة بالمجالات التقنية والمهنية التي تمنح الطلاب فرصة تنمية مهاراتهم وصقلها، بالإضافة إلى إنشاء الكثير من معاهد التدريب المهني التي تستوعب طلاب المدارس الثانوية، وتؤهلهم لدخول سوق العمل في مجال الهندسة الميكانيكية والكهربائية.

ولأن الكمبيوتر من أهم المواد التكنولوجية التي يحتاج لدراستها والاهتمام بها في هذا الزمان، وضعت الحكومة الماليزية عام **١٩٩٦**م خطة تنمية شاملة، من أهم أهدافها إدخال الكمبيوتر والربط بشبكة الإنترنت في كل مدرسة، بل وفي كل فصل دراسي، حتى بلغت نسبة المدارس المرتبطة بشبكة الإنترنت عام **١٩٩٩** تقدر بـ**٩٠**٪ من المدارس الماليزية. كذلك أنشئت العديد من المدارس التي تساعد الطلاب على دراسة التكنولوجيا واستيعاب التقنيات الحديثة؛ من خلال مواد متخصصة في أنظمة التصنيع وشبكات الاتصال، ونظم استخدام الطاقة النظيفة.

ثم إن الحكومة الماليزية جعلت عملية التعليم والتدريس في المدارس مرنة، بحيث تتناسب مع حاجة الطلاب وقدراتهم ومستوياتهم الدراسية المختلفة، أما إدارة المدرسة فتُسند إلى أحد القيادات التربوية البارزة، ويساعده فريق من الأساتذة ممن لديهم قدرات مهنية ممتازة، كما أتاحت الحكومة فرصة للطلاب للمشاركة في اختيار البرامج الدراسية، بجانب حرص المدارس على التنويع والتطوير في أساليب التدريس من خلال الرحلات العلمية والترفيهية.

وقامت الحكومة الماليزية بزيادة المخصصات المالية للتعليم، بحيث أصبحت توجه له حوالي ٢٤٪ من إجمالي النفقات الحكومية، بحيث تنفق هذه المبالغ على بناء مدارس جديدة، خاصة المدارس الفنية، وإنشاء معامل للعلوم والكمبيوتر وابتعاث الطلاب خارج البلاد.

وقد أسست الحكومة قاعدة ممتدة لشبكة المعلومات في المؤسسات الجامعية وأمدتها بموارد المعرفة والبنية التحتية الأساسية في هذا الصدد، وتدعم الحكومة جهود الأبحاث العلمية في الجامعات بواسطة مؤسسة تحديث التقنية الماليزية، وهي تشجع الروابط بين الشركات والباحثين والمؤسسات المالية والتقنيين من أجل استخدام أنشطة البحث الجامعية لأغراض تجارية. كما أن هناك العديد من مراكز التقنية التي تهدف إلى توفير قنوات تعاون بين الأعمال العلمية والمصانع، وتوفير الموارد الأساسية لإنجاز أعمال بحثية تطبيقية.

ويقوم المجلس القومي للبحوث العلمية والتطوير بدور كبير في رعاية المؤسسات البحثية وتقوية العلاقة بين مراكز البحوث والجامعات من أجل البحوث والتنمية، والنتيجة تخريج نخبة من الخبراء المتمرسين في التخصصات التي تحتاج إليها البلاد، وهذا هدف استراتيجي هام للدولة.

الخاتمة والتوصيات

في الختام وبعد هذا العرض لحكم التعليم الديني والدنيوي للذكور الإناث، مع ما ذكرته مما يتعلق بذلك، ومن التعرض لتجربتنا الماليزية، أود أن أترك بعض التوصيات:

أولًا: تكثيف الجهود وحث أولي الأمر على الاعتناء بالتعليم في البلاد الإسلامية على الوجه الصحيح السليم الذي يوصل إلى الأهداف المنشودة.

ثانيًا: تكثيف الجهود في تعميم التعليم الديني الوسطي والدنيوي النافع للذكور والإناث، لنقطف في المستقبل ثمرات تنهض ببلادنا، ومجتمعاتنا، وتجعل بلادنا في مصافّ الدول المتقدمة.

ثالثًا: كتابة المزيد من الأبحاث عن حكم تعلم العلوم الدنيوية التي يحتاجها المسلمون، مع نشرها في وسائل الإعلام الحديثة لتصل إلى أفراد المجتمع بغية التوعية الفكرية الثقافية.

رابعًا: إقامة الندوات التي تحث الشباب على التعليم بشقيه الديني والدنيوي، وتشجيعهم على المشاركة في هذه الندوات ليشعروا بأهمية ذلك.

خامسًا: تكثيف الجهود لتأمين الدعم المالي الكافي؛ لأجل تقوية أنظمة التعليم والابتعاث العلمي في البلاد الإسلامية، مع التعاون بين هذه البلاد لتقوية الأمة الإسلامية.

سادسًا: الالتزام بالتعليم الديني الوسطي في المدارس الرسمية والجامعات، وإبعاد الأفكار المتطرفة التي تحث على التكفير الشمولي للمسلمين، ومما يساعد في تخريج الأجيال التي تنهض بالبلاد بدل أن تتخرج الأجيال المتطرفة التي همها التقتيل والتفجير.

سابعًا: التصدي للهجمات والفتاوى الباطلة التي فيها منع المرأة من التعلم والعمل والسعي في تقدم وطنها ومجتمعها، وعقد الندوات والمؤتمرات التي تشجع المرأة على التعلم والتعليم.

ثامنًا: التعاون والتكاتف بين البلاد الإسلامية للاستفادة من التجارب والخبرات في تقوية المجتمعات الإسلامية، للنهوض بها نحو برنامج ثقيفي علمي، ولتصير بلادنا محط الجامعات الدولية المعروفة، التي تكون رائدة في نشر العلم والمعرفة.

والحمد لله وصلى الله وسلم على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

بحث فضيلة الشيخ محمود مال بكري

عضو المجمع

جمهورية الكاميرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إن الشكر فضيلة إسلامية، ويقتضيه الوفاء بالجميل، ومن هذا المنطلق، فإنني أشكر أمانة المجمع على تكليفي من خلال دعوة الاستكتاب، بالكتابة في موضوع إلزامية التعليم في إطار محاور محددة، ذلك أن هذه الدعوة بقدر ما تحمل تكليفًا تتضمن اعتبارًا للشخص المستكتَب، أسأل الله عز وجل أن يوفقنا جميعًا، وأن يتقبل هذا العمل؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه.

فقد رأيت تفريغ الورقة البحثية إلى فرعين ينتظم بهما محاور الموضوع الواردة في دعوة الاستكتاب، الفرع **الأول**: في التعليم وأهميته، وعلاقته بالتربية والتزكية والتنوير، ومجالات التعليم إلخ، والفرع **الثاني**: في بيان إلزامية التعليم وموقعه من الحقوق والواجبات، ثم خاتمة تتضمن توصيات للموضوع المستكتب، يليها قائمة المصادر.

الحمد لله الذي خلق الإنسان وميزه عن سائر الكائنات بالعلم والتعلم، وهو القائل في محكم تنزيله: «اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم» وأصلي وأسلم على رسوله الكريم سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين، ومن والاهم وتبع سنته إلى يوم الدين، رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي.

وبعد،

الفرع الأول في التعليم :

أ - أهمية التعليم ومكانته في الإسلام.

إن الغاية الأسمى من التعليم هي إنتاج قادة للأمة دنيويًا أو أخرويًا، وهداة هم مصابيح إرشادها ومحاصد قتادها، ومهدئو نفوسها إذا أقلقها اضطراب مهادها... وهي مقصودة لمرشدي الأمم من رسل وحكماء ومرشدين ناصحين[1].

يعتبر التعليم أول حدث بدأت به مسيرة الإسلام، فكان أول ما نزل في غار حراء: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ [العلق:١-٥] فتلقى ﷺ وحي الله عز وجل وبلغه إلى أصحابه الكرام حيث كان يجلس في مسجده لتعليم الناس أمور دينهم، ويجيب على أسئلة السائلين، ويقص عليهم قصص الأنبياء السابقين، وكان يوصي ولاة الأمور كما كان يكتب للأمراء، ومن هنا تلقى عنه ﷺ الصحابة رضوان الله عليهم من رجالًا ونساء، إذ كان يخصص لهن أيامًا معينة.

ثم توارث هذه السُّنة بعد وفاته ﷺ صحابته الكرام الذين حضروا مجالسه وتفقهوا على يديه، فانتشروا في أقطار الخلافة الإسلامية لتبليغ ما حملوه عن النبي ﷺ، مما أدى إلى نشوء مراكز علمية كبيرة، كان لها دورها في ازدهار العلوم في الحضارة العربية الإسلامية.

ومن هنا، فإن الجهد المتسلسل من النبي ﷺ إلى صحابته الكرام فمن بعدهم في عملية التعليم يترجم

(١) أليس الصبح بقريب، التعليم العربي الإسلامي، ص٩.

إحساسًا عميقًا بأهميته لديهم، وأنه وظيفة جليلة وعبادة يتعدى نفعها إلى الأجيال اللاحقة. وقد نوه ابن الجوزي في كتابه صيد الخاطر بمكانة التعليم، وذكر أنه عبادة وأنه سنة النبي ﷺ وصحابته، وهو شغل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فيقول رحمه الله: وأما الانقطاع فينبغي أن تكون العزلة عن الشر لا عن الخير، والعزلة عن الشر واجبة على كل حال، وأما تعليم الطالبين وهداية المريدين فإنه عبادة العالم...، وإن من الخطأ الذي فيه بعض العلماء إيثارَهم للتنفُّل بالصلاة والصوم عن تصنيف كتاب، أو تعليم علم ينفع؛ لأن ذلك بذر يكثر رَيعه، ويمتد زمان نفعه...، فعليك بالنظر في السرب الأول، فكن مع السرب المتقدم، وهم الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، فهل نقل عن أحد منهم ما ابتدعه جهلة المتزهدين والمتصوفة من الانقطاع عن العلم والانفراد عن الخلق؟ وهل كان شغل الأنبياء إلا معاناة الخلق وحثهم على الخير، ونهيهم عن الشر؟[١].

وقد أورد الإمام الغزالي عدة آيات وآثار لإبراز فضيلة التعليم، منها قوله عز وجل: ﴿وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢] والمراد هو التعليم والإرشاد، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧] وهو إيجاب للتعليم، وقوله تعالى ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦] وهو تحريم للكتمان.

ومن الآثار قوله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: علم ينتفع به»، الحديث[٢]، وقال ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين؛ رجل أتاه الله عز وجل حكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس، ورجل أتاه الله مالًا فسلطه على هلكته في الخير»[٣]، وقوله ﷺ: «من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة»[٤]، وقال الحسن رحمه الله: لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم. أي: أنهم بالتعليم يخرجون الناس من حد البهيمية إلى حد الإنسانية[٥].

ثم إن فهم الإسلام والتفاعل مع مبادئه وأُطُره وآدابه لا يتم من غير درجة جيدة من الرقي الفكري والثقافي والشعوري، ذلك أن تحرير العقل من أغلال الوثنية والخرافة والجهل والارتقاء باهتمامات الإنسان وتوجيهها الوجهة الصحيحة، وتأسيس علاقات اجتماعية تقوم على الرحمة والتعاون والإنجاز المشترك...، كل هذه الأمور من جملة ما يهدف الإسلام إلى جعله واقعًا حيًّا في حياة الناس...، فيصعب

(١) صيد الخاطر، ص٤٢، ٤٣. بتصرف.
(٢) سنن الترمذي رقم ١٣٧٦.
(٣) صحيح البخاري رقم ٧٣.
(٤) سنن أبي داود رقم ٣٦٥٨.
(٥) يراجع إحياء علوم الدين، ص٩ وما بعدها، ج١.

على الوعي البشري التعامل معها من غير وسيط ثقافي ومعرفي، وهذا الوسيط يوفره التعليم بمراحله المختلفة، كما أن التقدم العلمي والتقني الذي يشهده العالم في كل لحظة أعطى للتعليم أهمية إضافية؛ حيث أن كل المعادلات تتجه لكل ما هو صناعي ومكتسب.

علاوة على ما ذكر، فإن التعليم إن لم يوصل المتعلم إلى طريق الهداية أوجد لدى صاحبه استعدادًا للتساؤل عنها وقبولها، والتربية الصحيحة وإن كانت ليست مطالبة بتوفير فرص عمل للشباب، لكنها تؤهلهم للتلاؤم مع الفرص الموجودة والفوز بها.

والخلاصة أن الأمم التي تُعلم وتربي وتدرب بطريقة أفضل هي المرشحة لأن تتبوأ القمة، وهذا ما نشاهده اليوم في حياتنا، فمعظم الأمم ذات الدخل المرتفع...، لم يتحسن اقتصادها بسبب ما تملك من ثروات، وإنما توظيف العلم والمعرفة وتقدم الصناعة[١]. كل ذلك يؤكد أن التعليم وسيلة هامة لبناء أمة مستقلة، لديها مقومات الاستقلال، وتمتلك عناصر التقدم، ويكون بمقدورها بناء نهضة منسجمة مع تراثها الثقافي والحضاري.

ب - التعليم وعلاقته بالتربية والتزكية، والتثقيف، والتنوير:

يعرف التعليم بأنه معرفة شيء لم يكن الشخص يعرفه من قبل، فهو إزالة الجهل بالشيء لنضع محله العلم به، ولا يتحقق التعلم إلا بالتعليم، فالتعليم هو الذي ينتج لنا المعرفة والخبرات والمهارات، ويعرّف أحيانًا بأنه العملية التي تهدف إلى إيصال المعلومات بشكل مباشر للمتعلم[٢]، نستنتج من هذا التعريف أن القدرة على التعلم والتعليم تشكل أبرز خصائص الجنس البشري.

ومن هنا فإنه؛ أي: التعليم، يعتبر من أصول المدنية البشرية، بل هو من نظم الحيوان، فهو بهذا الاعتبار على مستويات، فهناك تعليم طبيعي؛ كتعليم الأم ولدها المشي والنطق، وتعليم الأب ابنه طرق البلد وضروريات الحياة، وهناك تعليم مرتقٍ فوق الحد الطبيعي الضروري للإنسان، ولا توصف آثاره القائمة بمتعلمه باسم المعرفة، وهو التعليم الذي يفيد كمالًا في النوع باعتبار حاجات العصور والأقوام، والذي تتفاوت مدارك الناس فيه، ويفيد ترقية المدارك البشرية وصقل الفطر لإضاءة الإنسانية وإظهارها في أجمل مظاهرها، فيخرج صاحبها عن وصف مظاهر الحيوانية البسيط، وهو الشعور بحاجة نفسه خاصة إلى ما يفكر به في جلب مصلحته ومصلحة غيره بالتحرز عن الخلل والخطأ، وبحسب منتهى المدنية في وقته،

(١) بناء الأجيال ص٧ إلى ٩، بتصرف.

(٢) التربية وطرق التدريس ١/ ٥٩

فإن الإنسان امتاز عن الحيوان بالعقل، وأن التعليم رقي للعقل الإنساني، فهو تكملة لحقيقة الإنسانية[١].

ـ التربية:

يتضمن مصطلح التربية من الناحية اللغوية دلالات متعددة، لا تخرج في مجموعها عن ما ينبغي أن يتضمنه هذا المصطلح من الإصلاح والتهذيب، والنماء، والتعليم، والتزكية.

فهي بمعناها العام تشمل كل أنواع النشاط التي تؤثر في قوى الفرد واستعداده...، فكل ما يساعد على تشكيل الكائن البشري وجعله في الحالة التي هو عليها إنما هو جزء مؤثر في تربيته...، والتعليم يقصد به أولًا وبالذات نقل المعرفة إلى الفرد كوسيلة للتربية[٢]، فالعلاقة بين التربية والتعليم علاقة تكاملية، وتمثل التربية في هذه العلاقة «أداة تنفيذية تعكس في أحسن أحوالها ما تتطلع الأمم إلى تحقيقه في أبنائها؛ بناء على ما جدّ لديها من معارف وخبرات...»[٣].

ويرتكز الجانب التربوي في الإسلام على الربط بين العلم والعمل والتحذير من الانفصام بينهما، ولهذا نلحظ في القران الكريم اقتران الإيمان بالعمل الصالح في سياقات متعددة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٧].

فالرسول ﷺ في تربيته لأصحابه رضوان الله عليهم كان يقرن بين العلم والعمل، وقد جاء في الحديث الشريف الذي رواه أبو عبد الرحمن السلمي قال: «حدثنا من كان يقرئنا من أصحاب رسول الله ﷺ أنهم كانوا يقترئون من رسول الله ﷺ عشر آيات، فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا بما في هذه من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا العلم والعمل»[٤]، فالعلم وحده لا يكفي في تعديل سلوك الفرد، بل لا بد أن يؤازر بالتربية.

ويسوق الخطيب البغدادي في كتابه اقتضاء العلم العمل آثارًا عن السلف في الحث على العلم والعمل به، وأخرى في التحذير من ترك العمل بالعلم، فقد صدّر كتابه بنصيحة هامة لطالب العلم، يقول رحمه الله: ثم إني موصيك يا طالب العلم بإخلاص النية في طلبه، وإجهاد النفس على العمل بموجَبه، فإن العلم شجرة والعمل ثمرة، وليس يعد عالمًا من لم يكن بعلمه عاملًا، وقيل: العلم والد والعمل مولود، والعلم مع العمل، والرواية مع الدراية، فلا تأنس بالعمل ما دمت مستوحشًا من العلم، ولا تأنس بالعلم ما كنت

(١) أليس الصبح بقريب ص١٣، بتصرف.
(٢) التربية وطرق التدريس ص٥٩.
(٣) بناء الأجيال ص١٧.
(٤) مسند الإمام أحمد، رقمه: ٢٣٤٨٢.

مقصرًا في العمل، ولكن اجمع بينهما، وإن قل نصيبك منهما، وما شيء أضعف من عالم ترك الناس علمه لفساد طريقته، وجاهل أخذ الناس بجهله لنظرهم إلى عبادته...، والعلم يراد للعمل كما العمل يراد للنجاة، فإذا كان العمل قاصرًا عن العلم كان العلم كَلًّا على العالم، ونعوذ بالله من علم عاد كلًّا، وأورث ذلًّا، وصار في رقبة صاحبه غلًّا، قال بعض الحكماء: العلم خادم العمل، والعمل غاية العلم، فلولا العمل لم يطلب علم، ولولا العلم لم يطلب عمل[١].واسترسل رحمه الله في إيراد الآثار التي تبرز أهمية هذا الجانب الأصيل الذي به تتحقق السعادة في الدنيا والنجاة في الآخرة.

ووفق الرؤية الإسلامية فإن أهمية العمل بالعلم تتأكد عند العالم لكونه موضع القدوة لدي العامة، وتتعاظم الخطورة عندما يصبح العالم غير عامل بعلمه، بحيث يعكس سلوكه تناقضًا بين المقول والمعمول، وهذا مما يجعل المتصف بهذا في مصافّ علماء السوء الذين يقول فيهم ابن القيم رحمه الله: علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم، ويدعونهم إلى النار بأفعالهم، فكلما قالت أقوالهم للناس: هلموا، قالت أفعالهم: لا تسمعوا منهم، فلو كان ما دعوا إليه حقًّا كانوا أول المستجيبين له، فهم في الصورة أدلاء، وفي الحقيقة قطاع الطرق[٢].

وبهذا يتقرر أن للإسلام منهجًا أصيلًا في التربية، يمكن استلهامه في علاج كثير من الاختلالات التي تعتري المؤسسات التعليمية بخصوص دمج التربية مع التعليم.

ونود أن نختم هذه الجزئية بنص لابن القيم رحمه الله، حيث يبين أن مقاييس السعادة في الدنيا والآخرة مبنية على العلم والعمل، وأن الناس تتفاوت مراتبهم في تلك المقاييس على قدر تفاوتهم في العلم والعمل، فيقول رحمه الله: والمقصود أن الغفلة والكسل اللذين هما أصل الحرمان سببهما عدم العلم، فعاد النقص كله إلى عدم العلم والعزيمة، والكمال كله إلى العلم والعزيمة، والناس في هذا على أربعة أضرب:

الضرب الأول: من رزق علمًا وأُعِين على ذلك بقوة العزيمة على العمل، وهذا الضرب خلاصة الخلق، وهم الموصوفون في القرآن بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، وقوله: ﴿أُوْلِي ٱلْأَيْدِي وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾، وبقوله: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ فبالحياة تنال العزيمة، وبالنور ينال العلم، وأئمة هذا الضرب هم أولو العزم من الرسل.

الضرب الثاني: من حرم هذا وهذا، وهم الموصوفون بقوله: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾، وبقوله: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ

(١) اقتضاء العلم العمل ص١٤، ١٥.

(٢) الفوائد ص٨٥. مطبوعات المجمع.

سَبِيلًا﴾، وهذا الضرب شر البرية، إلى أن يقول: فهذا الضرب ناس بالصورة وشياطين بالحقيقة، وجلهم إذا فكرت فهم حمير أو كلاب أو ذئاب.

الضرب الثالث: من فتح له باب العلم وأغلق عنه باب العزم والعمل، فهذا في رتبة الجاهل أو شر منه، وفي الحديث المرفوع: «أشد الناس عذابًا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه»، ثبّته أبو نعيم وغيره، وهذا لا مطمع في صلاحه، فإن التائه عن الطريق يرجى له العود إليها إذا أبصرها، فإذا عرفها وحاد عنها عمدًا فمتى ترجى هدايته؟! قال تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

الضرب الرابع: من رزق حظًّا من العزيمة والإرادة، ولكن قل نصيبه من العلم والمعرفة، فهذا إذا وفق له الاقتداء بداع من دعاة الله ورسوله كان من الذين قال الله فيهم: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ رزقنا الله من فضله، ولا حرمنا بسوء أعمالنا إنه غفور رحيم[1]. والتزكية التي هي تحلية النفس بالأخلاق الحميدة وتخليتها من الأخلاق الذميمة إنما تتحقق من الجمع بين العلم والعمل.

وقد لاحظ ابن الجوزي أن الجمع بين العلم والعمل ليس منالًا سهلًا، وبيان هذا أن من علت همته طلب العلوم كلها ولم يقتصر على بعضها، وطلب من كل علم نهايته، وهذا لا يحتمله البدن، ثم يرى أن المراد العمل، فيجتهد في قيام الليل وصيام النهار، والجمع بين ذلك وبين العلم صعب، ثم يرى ترك الدنيا ويحتاج إلى ما لا بد منه ويحب الإيثار، ولا يقدر على البخل...، وفي الجملة يحتاج إلى معاناة وجمع بين أضداد؛ فهو أبدًا في نصب لا ينقضي، وتعب لا يفرغ [2].

هذه الهمة العالية في تحمل المعاناة والنصب في سبيل العمل بالعلم عرفت فتورًا في عصور الانحطاط، فاعترى الترابطَ بين العلم والعمل شيءٌ من الوهن، والعلامة محمد الطاهر بن عاشور في تشخيصه أسباب تأخر التعليم التي كانت عاملًا في التأخر العام في العالم الإسلامي، عد من تلك الأسباب هذا العامل «استكثار حفظ العلوم وقلة العناية بالأخلاق والآداب»، فيقول رحمه الله: «عروّ التعليم عن مادة الآداب وتهذيب الأخلاق وشرح العوائد النافعة وغيرها، وهو السبب الذي قضى على المسلمين بالانحطاط في الأخلاق والعوائد، وقد اعتنى المسلمون في صدر الإسلام بذلك، فتلقوا آداب القرآن وهدي الرسول، ثم عززوه في صدر نهضتهم بعلوم آداب الشريعة والمواعظ، أما إهماله بعد ذلك فسببه تأخر المسلمين

(١) مفتاح دار السعادة، ص٣٧٧-٣٨١/ ١، مطبوعات المجمع.
(٢) صيد الخاطر، ص٤٦٦.

وقصور أنظارهم، واعتقادهم أن العلم منحصر فيما تتضمنه القواعد العلمية كالنحو والفقه، وبعبارة أخرى ميل طائفة العلماء إلى الحفظ والاستكثار من فروع المسائل، ومن عدد العلوم».

ثم يسوق الأمثلة التي تجلو هذا التردي: ومن العار الكبير أن نرى كثيرًا ممن ينتصب لتعليم النشء تعجبك أجسامهم وتبهجك بَزتهم وتعظم صورهم، ولكن ما بينك وبين أن ترمقهم بضد ذلك إلا أن تحاكّهم وتعاشرهم أو تجادلهم، فترى تلك الهياكل العظيمة فارغة من الفضيلة ومكارم الأخلاق والمروءة، وبذلك رزئت الأمة أنفع عنصر في حياة الأمم وكمالها، وهو الأخلاق، وإذا كانت تلك حالة خاصة الناس فما ظنك بعامتهم؟! وإذا ذهب وقت التعليم عن الطلبة ولم يتلقوا فيه فضائل الأخلاق فمن العسير أو من المتعذر تلقينها لهم من بعد[١].

فطبيعة التعليم تفرض على المعلم أن يكون قدوة كما تفرض عليه أن يكون مربيًا، لأن الهدف الجوهري الذي تبنى من أجله المؤسسات التعليمية هو التربية، والتعليم ما هو إلا وسيلة تستخدمها تلك المؤسسات [٢]. ومن القصور أن يكون هناك اهتمام متزايد بالوسيلة على حساب الغاية.

ويبدو أن ما أثاره الشيخ بخصوص ما تعانيه المؤسسات التعليمية من أزمة تربوية ظاهرة عالمية إذ يشير أحد الباحثين إلى ذلك بقوله: «وهناك اعتقاد عام على المستوى العالمي بأن الأجيال الجديدة تعاني من نقص كبير في القيم والمثل والتسامي، ولذا فإن دولًا عديدة في الغرب تفكر جديًا في إعادة التربية الدينية والخلقية إلى المدارس بعد أن كانت تظن أن المبادئ العلمانية التي تدعو إليها تغني عن التربية الدينية»[٣].

ويحسن اللجوء لعلاج هذه الظاهرة إلى كليات التربية؛ باعتبارها الجهة المنوط بها النظر في مثل هذه الاختلالات التربوية، وأنها الأقدر والجديرة بالبحث والفحص عن أسباب هذه الاختلالات، وكيف يمكن التصدي لها؟ شريطة أن يراعى في ذلك كله ثوابت الشريعة ومقاصدها؛ لأن الأمة لا بد لها من قدوات علمية وعملية موجودة في الواقع، فلا بد من علماء عاملين يحتذي بهم عموم الناس، وهو أمر يزداد إلحاحًا في ظل وجود تيارات منحرفة تدعو بكل الوسائل الممكنة إلى أفكارها، وفي ظل مشروع تغريب يستهدف الأمة في منظومتها الأخلاقية وثوابتها الثقافية.

إن التربية التي تتشكل من العلم والعمل تبقى قيمة حضارية إسلامية، حرص عليها الإسلام ودعا

(١) أليس الصبح بقريب، ص١٠٨.
(٢) بناء الأجيال، ص١٢٠.
(٣) بناء الأجيال، ص٣١.

إليها، وهي التي تمنح الحضارة الإسلامية البقاء والاستمرارية، يقول المودودي رحمه الله: إن حضارة من الحضارات لا تنشأ عن مجرد الوجود الذهني والنظري لتصوراتها الأساسية، بل تنشأ عن السلوك العملي التابع لها، وبه تنمو وتزكو، وإذا انعدم هذا السلوك العملي ماتت الحضارة موتًا طبيعيًّا[١].

التعليم والتثقيف والتنوير:

إن التعليم في المدارس والجامعات يتناول جملة من المعارف التي تعد أساسًا في التثقيف، وليس من طبيعة هذا التعليم تقديم كل المعارف، ومن هنا يتعين الاعتماد على وسائل التثقيف الذاتي، ومن أهم تلك الوسائل القراءة، ويشكل الكتاب من بين المواد المقروءة كالصحف والمجلات الوسيلة الأساسية للتثقيف.

والمتابع لتاريخ النمو الحضاري في الإسلام يلحظ بوضوح أنه كان في توتره مقترنًا دائمًا بالقراءة، وحب العلم والشغف بالمعرفة، وكثرة العلماء والباحثين في ميادينها المختلفة، مما لا يدع مجالًا لأي شك في أن الولع بالمزيد من الاطلاع واصطحاب الكتاب هو أحد الحلول المهمة للأزمة الحضارية التي تعاني منها أمة الإسلام[٢].

ومن هنا فإن التثقيف «أداة للتربية وأداة لتصور المشكلات وتحديد التحديات، إنها الوسيط الذي نستخدمه في كل أعمالنا الحضارية الكبرى...، وما نتعلمه ونجهد في تحصيله من معارف يجب أن يستهدف على نحو جوهري خدمة مبادئنا وخدمة الناس من حولنا»[٣].

وينبغي أن يكون هذا التثقيف مؤسسًا على اطلاع واسع لكتب التراث الإسلامي ليتسنى الإلمام بالثقافة الإسلامية التي تعد الأساس في تكوين شخصية المسلم، وتكون لديه الدراية بمرتكزات هذه الثقافة.

وقد أظهر البحث الجدي حسب بعض الباحثين أن انعدام الروح العلمية والإبداعية راجع إلى القطيعة مع كتب التراث ومع الثقافة الإسلامية، كما أن هذه القطيعة هي مصدر غياب الحافز على البحث الجاد، وهي أصل الاستسلام لأخذ علوم الغرب ومناهجه دون تمحيص أو تطوير[٤].

يقول تقي الدين الهلالي في تقرير وجوب تأصيل ثقافي إسلامي: إن الركن الأول من ثقافة العرب

(١) نحن والحضارة الغربية، ص٣١٥.
(٢) القراءة المثمرة مفاهيم وآليات، ص٥.
(٣) بناء الأجيال، ص١٠٩.
(٤) حول التربية والتعليم، ص٢٨٢، ٢٨٢.

الذين نحن جزء منهم، وثقافة المسلمين الذين يؤلفون الأمة التي ننتمي إليها هو تعليم الدين تعليمًا علميًّا عقديًّا أخلاقيًّا جديًّا من روضة الأطفال إلى آخر سنة في الجامعة، وكل ثقافة تخل بهذا الركن الأساسي أو تقرره تقريرًا لفظيًّا فارغًا من معناه، ومن العقيدة والعمل والخلق والمعلمين الأكفاء، فنتيجتها صفر على اليسار[١]. والتثقيف بهذا المعنى حوزة المعارف ومحاولة توظيفها في خدمة المجتمع.

ويبقى أن أشير هنا إلى علاقة التثقيف بالثقافة التي قد تنشأ من خلال التطبيق العملي لتعاليم الإسلام التي تشمل العقيدة والأخلاق والنظم، ومن خلال ممارسة العادات والتقاليد السائدة، فتكون الثقافة بهذا المفهوم هي الوسط الذي تنمو فيه شخصية الفرد في إطار اجتماعي معين.

تصبح الثقافة بهذا المفهوم هوية للأمة وأهم العناصر التي تجسد شخصيتها، فلذلك يجب حمايتها من أي اختراق لثقافة أخرى قد تعرضها للاندثار؛ مما يترتب على ذلك من انهيار مرتكزات ثقافة الأمة وقابليتها لتبعية ثقافية جديدة.

وخير وسيلة لتوفير هذه الحماية يتمثل في التعليم ومؤسساته، وهو موضوع أثاره المفكر أبو الأعلى المودودي، ونصه: من المعلوم أن كل جامعة تخدم ثقافة بعينها، أما التعليم المجرد الذي لا يكون له لون ولا شكل فلم يبق قط في جامعة في الأرض...، وإذ كانت تلك الثقافة ثقافة إسلامية فلا بد لكم أن تبدلوا هيئة جامعتكم كلها، وأن تصوغوا صيغتها التركيبية على نمط يلائم روح تلك الثقافة ومزاجها من حيث المجموع، حتى تعود الجامعة وهي ليست محتفظة بتلك الثقافة فحسب، بل هي قوة رصينة لدفعها إلى الأمام[٢].

فانفصام التعليم عن الثقافة السائدة في بيئته يولد أزمة، يقول أحد الباحثين: يعاني التعليم في العالم الإسلامي من أزمة هوية، وهذه الأزمة تتعرض لها كل الأمم التي تعاني من انطفاء جذوة الإبداع وركود إنتاجها الثقافي الرفيع، وقد عانت أمة الإسلام من ذلك قرونًا عدة قبل أن يأتي الاستعمار...، عند النظر في أحوال جامعاتنا نجد منها روح العلمانية، ومنها ما تسري فيه روح قومية أو وطنية، وقليل منها تلك التي تتخذ من الإسلام عقيدة وشريعة إطارًا مرجعيًّا لها لما تقدمه إلى طلابها من علوم[٣].

ومهمة الرسالة التعليمية والتربوية غربلة الثقافة لتبقى القيم التي تشكل عوامل النهوض ماثلة في المجتمع، وتفضح الأفكار والسلوكيات التي قد تكون موروثة من عصر الانحطاط والتدهور الحضاري،

(١) الثقافة التي نحتاج إليها، ص٣٨.
(٢) نحن والحضارة الغربية، ص٣٠٨.
(٣) حول التربية والتعليم، ص٢٣٧.

وهو ما يقرره بجلاء الأستاذ مالك بن نبي: ومن أول واجباتنا تصفية عاداتنا وتقاليدنا وإطارنا الخلقي والاجتماعي مما فيه من عوامل قتالة ورِمم لا فائدة منها حتى يصفو الجو للعوامل الحية والداعية إلى الحياة، ولن تتأتى هذه التصفية إلا بفكر جديد يحطم ذلك الموروث عن فترة تدهور مجتمع، ويبحث عن وضع جديد هو وضع النهضة، ونخلص من ذلك إلى ضرورة تجديد الأوضاع بطريقتين: الأولى سلبية تفصلنا عن رواسب الماضي، والثانية إيجابية تصلنا بالحياة الكريمة[١].

التعليم والتنوير:

يرتبط مصطلح التنوير في ميدان الفكر والثقافة بحركة العقلانية التي ظهرت في أوربا في القرن الثامن عشر، فهو ترجمة للمصطلح الغربي «philosophie de lumiere أو époque de lumiere» فلسفة الأنوار أو عصر الأنوار.

ويحدد الفيلسوف الألماني إيمانويل كانط التنوير قائلًا: إنه خروج الإنسان من القصور الذي هو مسؤول عنه، والذي يعني عجزه عن استعمال عقله دون إرشاد الغير، وإن المرء مسؤول عن حالة القصور هذه عندما يكون السبب في ذلك ليس نقصًا في العقل، بل نقص في الحزم والشجاعة في استعماله دون إرادة الغير...، كن جريئًا في استعمال عقلك أنت، ذاك شعار الأنوار[٢].

وقد أدى ذلك إلى التحرر من كل القيود انسجامًا مع شعار التنوير «لا سلطان على العقل إلا العقل» وأصبح التعليم الغربي كله مبنيًّا على هذا التفكير باعتباره وسيلة أساسية للإبداع.

ومن هنا أصبح العقل وحده مصدرًا للمعرفة، وقد أدى ذلك إلى نشوء الصدام بين العلم والدين، وهو مشكلة حدثت في البيئة الأوربية بعيدة عن أقطار العالم الإسلامي، يقول الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود: فإنه إذا كانت ثقافة التعارض بين العلم والدين نشأت في أوربا للأسباب التي ذكرناها فإنه ما كان يجب أن تنقل إلى الشرق، وتناقش في الأجواء الإسلامية، فإن الإسلام نشأ كما رأينا حليفًا للعلم حاثًّا عليه موجبًا له مشيدًا به إلى درجة لا يدانيه فيها غيره[٣].

وهكذا أصحبت السمة البارزة لتلك الحركة إعلاء مرجعية العقل وإلغاء مختلف المرجعيات، وكان من نتائج ذلك علمنة التربية والحياة الاجتماعية بصفة عامة، يقول المودودي رحمه الله: قد نسمع كثيرًا من يقول: الدين صلة بين العبد وربه، وهذه الجملة القصيرة هي التي تدين بها المدنية الحديثة...، وقد أقامت

(١) مشكلة الثقافة، ص٧١.

(٢) ثلاثة نصوص تأملات في التربية، ما هي التربية؟ ما التوجه في الأفكار، ص٨٥

(٣) موقف الإسلام من العلم والفن والفلسفة، ص١٢٤، ١٢٥.

أنظمة حياتها بكافة العلاقات الإنسانية في صلة الإنسان بأخيه متحررة من السلطة الإلهية والتشريعية في ميادين الحياة كلها: الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والقانونية والسياسية وشؤون الحكم والإدارة...، فكل شأن من شؤون الحياة البشرية التي لا حصر لها إنما يعتمد على المعارف الإنسانية المكتسبة، ويكون وفق رغباته الخاصة، ولا ينبغي السؤال بعد ذلك عما إذا كان الله قد شرع للإنسانية في هذا السبيل شيئًا من المبادئ والأسس أم لا؟ بل أصبح مثل هذا السؤال رجعية وتخلفًا[١].

فالتنوير الذي يجب أن تتبناه مؤسسات التعليم في العالم الإسلامي هو التنوير الذي يستوحي تصوراته للتفكير وطرائقه من أسس العقيدة، «لقد جمع الإسلام بين تصور الذات الإلهية الذي له الخلق والأمر؛ أي: الخلق والتدبير للخلق كليهما، وبين تصور مكانة الإنسان في الكون كخليفة لله سبحانه وتعالى...، فكانت وسطيته بين الشريعة الإلهية وبين الشورى الإنسانية، بين عالم الغيب والشهادة، بين الدين والدولة، بين الدنيا وبين الآخرة، بين الروح والجسد، بين الفرد والطبقة والأمة، بين العقل والنقل والوجدان والتجربة كسُبُل أربعة للمعرفة والهداية للإنسان...»، ولهذا «فإن التاريخ الإسلامي اقترن فيه الازدهار الحضاري بالاحتكام إلى الشريعة الإلهية، وارتبطت فيه العقلانية الفلسفية بالتوحيد والفقه والكلام[٢].كما أن الوحي الذي استدبره الغرب لأسباب تاريخية هو الذي يمنح إطار التوازن والتكامل للأعمال التربوية، وهو الذي يؤمن نوعًا من الانسجام والتلاحم من متطلبات الفطرة في النفس البشرية، ومتطلبات الانتماء التاريخي والمجتمعي، ومتطلبات العيش الكريم[٣].

ومن هنا، فإنه لا مانع من وجود تنوير عربي إسلامي تتحد مضامينه ومفاهيمه وَفقًا للمرجعية الحضارية الإسلامية المتميزة عن الحضارة الغربية[٤]، فالمسلمون الأوائل نقدوا وتفاعلوا مع الفلسفة اليونانية مما يوحي بوعيهم بأن الإسلام قد دعا إلى التفكير والنقد عبر آيات قرآنية كثيرة تدعو إلى التدبر والتفكير واستخدام الطاقات الذهنية في شتى مناحي الحياة[٥].

وفي عصور الانحطاط أصيب التعليم بتراجع كبير في هذا الجانب، يقرر هذه الحقيقة الشيخ الطاهر بن عاشور، ويعتبرها من بين الأسباب التي أدت إلى تأخر التعليم العربي الإسلامي، يقول رحمه الله: سلب العلوم والتعليم حرية النقد الصحيح في المرتبة العالية وما يقرب منها، وهذا خلل بالمقصد من التعليم،

(١) الإسلام والمدنية، ص٦.

(٢) الإسلام بين التنوير والتزوير، ص٢٥.

(٣) حول التربية والتعليم، ص١٥.

(٤) الإسلام بين التنوير والتزوير، ص٢٦.

(٥) يراجع في ذلك كتاب العقاد «التفكير فريضة إسلامية»، من ٥ إلى ٢٣.

وهو إيصال العقول إلى درجة الابتكار، ومعنى الابتكار أن يصير الفكر متهيئًا لأن يبتكر المسائل ويوسع المعلومات كما ابتكرها الذين من قبله، فيتقدم العلم وأساليبه، ولا يكون ذلك إلا بإحداث قوة حاكمة في الفكر تميز الصحيح من العليل مما يلقى إليه...، ثم أصيب التعليم الإسلامي في عصور الانحطاط بشيء من سلب حرية النقد، وأصبحت متابعة كل ما يكتب فكرة سائدة في أهل العلم[١].

وهذا يستدعي إعادة النظر في المناهج التربوية ليكون بمقدورها بناء عقلية إسلامية تتأسس على الإذعان لأمر الله تعالى، وتقوم بإنتاج الأفكار والمفاهيم والمقولات وفق روح الشريعة الغراء، وفي ضوء أدبياتها، وفي إطار ثوابتها[٢].

فإن الثروة الحقيقية لأية أمة من الأمم لا تكمن في الأرض أو في المال أو في الأشياء التي تمتلكها، وإنما تكمن في كمية الأفكار البناءة التي تخلصها من قيود الضرورات على الوجه الأكمل، وتعلمها حل المشكلات، وإبصار دروب الفعل التي يسلكها[٣]. لذا فإن التفكير السديد هو الذي يمنح المسلم القدرة على ابتكار حلول للأزمات التي تعتريه، والقدرة على التعامل مع الأحداث والمعلومات من خلال تحليلها وتوظيفها توظيفًا حسنًا.

ومن هنا، فإننا نشاهد في بعض الدول الإسلامية توجه وزارات التعليم بخصوص إدراج مقرر «التفكير الناقد» ضمن مناهج التعليم العام بشقيه المتوسط والثانوي في إطار ثوابت الشريعة الإسلامية، وهو اتجاه نثمنه لأنه يعالج علة أصابت الأمة في عصر انحطاطها، كما أشار إليه الشيخ الطاهر بن عاشور رحمه الله.

ومن جهة أخرى فإن هذا التفكير الناقد هو الذي يؤدي إلى نمو العلم «فالعلم لا ينمو من خلال الأجوبة المُسكِتة، وإنما من خلال الأجوبة التي تثير المزيد من الأسئلة» وهو الذي يجنب المسلم من التصلب الفكري بحيث لا يرى إلا اتجاهًا واحدًا، ويجعله يتمتع بقدر جيد من المرونة الذهنية، فيستجيب للمعلومات الجديدة ويتفاعل معها، كل ذلك ضروري لجعل المسلم قابلًا للإبداع.

ج - دعم البحث العلمي لتحفيز الابتكار:

فإذا استطعنا بناء التعليم وفق هذا الأساس فإننا نكون قد أنشأنا تعليمًا إبداعيًّا، غير أنه ينبغي أن يترافق مع هذا التعليم تحقيق شروط أخرى تحفز هذا الإبداع وتخدمه تتمثل في دعم البحث العلمي وتنظيمه.

(١) أليس الصبح بقريب، ص١٠٩.
(٢) تشكيل عقلية إسلامية معاصرة، ص٥.
(٣) فصول في التفكير الموضوعي، ص١٥-١٦.

«ومن الجلي أن الهدف العام للبحث يتركز في تطوير المجتمع والارتقاء به وحل مشكلاته المختلفة فإن لم يستطع البحث العلمي أن يفعل ذلك فإنه لا مفر أمامه من أن يتخلف ويحيا على هامش النظام العلمي والتقني، وهذا ما هو حاصل الآن في معظم إن لم نقل في جميع أرجاء عالمنا الإسلامي الكبير»[١].

فالنهوض بالبحث العلمي يتطلب تحقيق شروط يمكن إجمالها فيما يلي:

توفير المال من أجل تفريغ الباحثين وتأمين المواد والتجهيزات المختلفة.

إيجاد عدد من التشريعات والتنظيمات التي تجعل الناس يشعرون بالحاجة إلى البحث العلمي، ويرغمون على العودة إلى مؤسساته من أجل المشكلات المختلفة التي يواجهونها[٢].

ويجب أن يراعى في الإنفاق على البحث العلمي سُلَّم المصالح الضرورية والحاجية والتحسينية للأمة، ومن المعلوم أن الضروريات الخمس التي اتفقت الشرائع السماوية على المحافظة عليها: الدين، النفس، المال، العقل ـ العرض تقع في السّلّم الأول، ومن هنا فإنه ينبغي أن يكون لها وزن معتبر في البحث العلمي.

من المعلوم أن الوسائل البدائية كانت كافية في إقامة الدين ونشره في صدر الإسلام، وبنفس الوسائل يمكن توفير الحماية والدفاع عن ثغور الإسلام، أما الآن فقد تغيرت المعادلة، واخترعت آلات الرمي ومعدات حربية حديثة، كل ذلك شكل في العصر الحديث عناصر ضرورية للحماية والدفاع، وكذلك ابتكار السكك وصناعة الطيران، مما نتج عنه تقارب المسافات وحمل الأثقال، فيجب على الأمة تعاطي كل العلوم التي يقتدر بها على صناعة تلك المخترعات، والأمر نفسه ينطبق على النفس من حيث العناية بالطب والصيدلة؛ مما يتصل بعلاج النفس وحمايتها، وكذا الفلاحة التي توفر لهذه النفس الغذاء، وهو مادة أساسية لنموه، والأمر نفسه يجري وينطبق على سائر الضروريات.

د - مجالات التعليم وأهميتها في تحقيق مصالح الأمة:

تتشعب مجالات التعليم حسب تقدم العمران، فكلما ارتقت الأمة في المدنية توسعت العلوم، وتفرعت حسب مقتضيات الرقي والتحضر، فإذا رجعنا إلى المتقدمين نجد العلوم على قسمين: علوم الدين وعلوم الدنيا، وكل واحد يتفرع إلى أقسام، يقول الإمام الغزالي رحمه الله في بيان العلم الذي هو فرض كفاية بعد أن أشار إلى العلم الذي هو فرض عين: اعلم أن الفرض لا يتميز عن غيره إلا بذكر أقسام

(١) حول التربية والتعليم، ص٢٧٦.

(٢) يراجع في ذلك كتاب حول التربية والتعليم، من ٢٩١ إلى ٢٩٨.

العلوم، والعلوم بالإضافة إلى الغرض الذي نحن بصدده تنقسم إلى شرعية وغير شرعية، وأعني بالشرعية ما استفيد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، ولا يرشد العقل إليه مثل الحساب، ولا التجربة مثل الطب، ولا السماع مثل اللغة، فالعلوم التي ليست بشرعية تنقسم إلى ما هو محمود، وإلى ما هو مذموم، وإلى ما هو مباح، فالمحمود ما يرتبط به مصالح أمور الدنيا كالطب والحساب، وذلك ينقسم إلى ما هو فرض كفاية وإلى ما هو فضيلة وليس بفريضة، أما فرض الكفاية فهو علم لا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا كالطب؛ إذ هو ضروري في حاجة بقاء الأبدان، وكالحساب فإنه ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرهما، وهذه هي العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها حُرِّج أهل البلد، وإذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين[١].

فأوضح رحمه الله أن العلوم التي تعين على تنمية العمران واجبة وجوبًا كفائيًّا، يتعين على مجموع الأمة تحصيلها، ومن هنا اهتم المتقدمون بعلوم الدنيا اهتمامهم بعلوم الاخرة، وقد أحصى الشيخ الطاهر بن عاشور علوم المتقدمين التي حصل الاهتمام بها ودوِّنت إلى اثنين وثلاثين علمًا؛ هي: التفسير، الحديث، السيرة، اللغة، النحو، الصرف، التصوف، العروض، الفقه، وأصوله، التاريخ، الطب، آداب العرب، البلاغة، الفلك، المنطق، الفلسفة، الهندسة، الحساب، الهيئة، الجغرافيا، الموسيقى، علم الحيوان، الطبيعة، الرواية والقصص، الكلام، الصيدلة، الكيمياء، الفلاحة، المساحة، الجبر، جر الأثقال والتحرك، وتتبعها علوم تتفرع من بعضها مثل مصطلح الحديث، وآداب البحث، ونقد الشعر[٢].

يلاحظ أن ارتقاء الأمة كان يصاحبه تقدم العلوم في مجال الدين والعمران، ثم نشأ اعتقاد في عصر الانحطاط أن التقدم في العلوم الدنيوية ينشأ عنه التأخر في الدين، والحال أن الواقع بالعكس، فإن الدين إنما تقهقر عند تأخر المسلمين في تلك العلوم، أما عند تقدمهم فقد كان له مزيد قوة وتمكن كما كان في الدول البغدادية والأندلسية، والعلوم الدنيوية والدينية لم تزل مشهورة الأخبار مشهودة الآثار [٣].

وهذا يعكس وعي العلماء المتقدمين بأهمية علوم الدنيا باعتبارها وسيلة لا يستغني عنها المسلم في عمله للآخرة، وقد أشار إليه الغزالي في مواضع متفرقة من كتاب العلم، يقول: «ولا نظام للدين إلا بنظام الدنيا، فإن الدنيا مزرعة الآخرة وهي الآلة الموصلة إلى الله عز وجل لمن اتخذها آلة، ومنزلًا لمن يتخذها مستقرًّا ووطنًا، وليس ينتظم أمر الدنيا إلا بأعمال الآدميين[٤]»، «فإن الدنيا مزرعة الآخرة، ولا يتم الدين

(١) إحياء علوم الدين، ١/ ١٣.
(٢) أليس الصبح بقريب، ص٣٦.
(٣) أليس الصبح بقريب، ص٩٥.
(٤) إحياء علوم الدين، ١/ ١٢.

إلا بالدنيا»[١].

ومن هنا يعلم أن الاهتمام بالدين يستلزم عمارة الدنيا، كما أن عمارة الدنيا تعين على إقامة الدين، وبهذا يتقرر أن علوم العمران معتبرة شرعًا وفقًا للقاعدة بأن الوسائل تأخذ حكم المقاصد.

والقران الكريم ينص على أن هذا الإنسان المخلوق المكرم هو الذي استأهل لأن يُحمله الله أمانة عجزت عن حملها السماوات والأرض ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢] ويُذكره بالمهمة الأساسية المنوطة به، وهي خلافة الله في الأرض ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] ودعاه إلى عمارة الكوكب الأرضي عمارة شاملة لكل ما تحويه كلمة العمارة من المعاني المادية والمعنوية ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ [هود: ٦١] كل ذلك دلائل تجعل العلوم التي يقتدر بها المسلم على القيام بما ذكر مطلوبًا شرعًا.

وقد رأيت أن أنقل في نهاية الحديث عن المحاور المرتبطة بالتعليم كلامًا نفيسًا للعلامة الطاهر بن عاشور، يقول رحمه الله: أما القواعد العلمية التي أسسها لنا السلف فإن الطالب يقرؤها ويكتسبها لتخدم فكره لا لتستبعد أفكاره، ومتى استأسرت القواعد الأفكار بانَ خطأُ النظر، واعلم أنه متى اقتصرنا في تعليماتنا[٢] على ما أسسه سلفنا، ووقفنا عندما حددوا رجعنا القهقرى في التعليم والعلم؛ لأن اقتصارنا لا يؤهلنا إلا للحصول على بعض ما أسسوه وحفظ ما استنبطوه، فنحن قد غلبنا بما فاتنا من علومهم ولو قليلًا، أما متى جعلنا أصولهم أسسًا لنا نرتقي بالبناء عليها فإنا لا يسوؤنا فوات جزء من تعليماتهم متى كنا قد استفدنا حظًّا وافرًا قد فاتهم[٣].

الفرع الثاني: إلزامية التعليم وموقعه من الحقوق والواجبات

تعتبر كلمة إلزامية التعليم من الكلمات الحديثة التي برزت في الفكر التربوي الحديث نتيجة لغلبة المؤسسات الديمقراطية وظهور مفاهيم العدالة والرفاهية الاجتماعية[٤]. ويقصد بالتعليم الإلزامي أن تأخذ الدولة على عاتقها نشر التعليم وتيسيره لكل الأطفال الذين هم في سن التعليم، وتوفير مستلزماته من أبنية وتجهيزات ولوازم ومعلمين وكتب وما إليها، وأن تسن الدولة التشريعات التي تلزم الآباء بإرسال

(١) إحياء علوم الدين، ١/ ١٧.

(٢) في الكتاب: تعليماتنا، ولعل الأنسب: علومنا.

(٣) أليس الصبح بقريب، ص١٥٥.

(٤) التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، ص١١٤.

أولادهم إلى المدارس متى بلغوا سن التعليم، وأن تضمن هذه التشريعات الغرامات والعقوبات الرادعة التي تحول دون امتناع الأهل عن إرسال أولادهم إلى المدارس(١).

وتتجه الدول اليوم في تشريعاتها الخاصة بالتربية الوطنية إلى جعل مراحل معينة من التعليم حقًّا للمواطن، يجب على الدولة أن توفره له، وقد نشط المجتمع الدولي في هذا الاتجاه، وعقدت مؤتمرات للغاية ذاتها تحت شعار «التربية للجميع» وذلك لما للتعليم من دور أساسي في عملية التنمية الشاملة.

وأول مؤتمر عقد بهذا الخصوص مؤتمر جومتين بتايلند تحت شعار «التربية للجميع» عام ١٩٩٠م، وقد اقترح المؤتمر تعميم التعليم الابتدائي لجميع الأطفال، وقد خرج المؤتمر بوثيقة تضمنت عدة مواد بشأن التربية للجميع عرفت بالإعلان العالمي حول التربية للجميع.

ويستخدم علماء المسلمين عبارة «وجوب تعليم الصبيان» للتعبير عن إلزامية التعليم، فيكون الأب مخاطبًا وملزمًا شرعًا بتعليم ابنه، وقد صحح القول بذلك الإمام النووي رحمه الله، ونصه : قال الشافعي والأصحاب رحمهم الله: على الآباء والأمهات تعليم أولادهم الصغار ما سيتعين عليهم بعد البلوغ، فيعلمه الولي الطهارة والصلاة والصوم ونحوها، ويعرفه تحريم الزنا واللواط والسرقة وشرب المسكر والكذب والغيبة وشبهها، ويعرفه أن بالبلوغ يدخل في التكليف ويعرفه ما يبلغ به، وقيل: هذا التعليم مستحب، والصحيح وجوبه...، ودليل وجوب تعليم الولد الصغير والمملوك قول الله عز وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم: ٦] قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومجاهد وقتادة: معناه: علموهم ما ينجون به من النار، وهذا ظاهر، وثبت في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «كلكم راع ومسئول عن رعيته»(٢).

ويرى القابسي وجوب تعليم الصبيان بصرف النظر عن حالتهم المادية، فإن كان للأب مال فإن أجرة التعليم في مال الأب ما لم يكن للولد مال، فإن كان الولد يتيمًا انتقل الحكم إلى الوصي، فإن لم يكن للولد وصي نظر في أمره حاكم المسلمين، وسار في تعليمه سيرة أبيه أو وصيه، وإن كان ببلد لا حاكم فيه نُظِر له في مثل هذا لو اجتمع صالحو ذلك البلد على النظر في مصالح أهله، فالنظر في هذا اليتيم من تلك المصالح(٣).

---

(١) مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، مجلة٢٢، العدد الثاني، ٢٠٠٦، ص٤٦١، التعليم الإلزامي في القران والسنة وفقه الأئمة، الدكتور صالح العلي، نقل التعريف من مصادر لم يتيسر لي الاطلاع عليها فاكتفيت بإحالته.)مشكلات التعليم الإلزامي في القطر العربي السوري، ص٢٤، الإلزام في النظم التعليمية، صحيفة التربية العدد ٤/ ١٩٧٧، ص٣٩-٤٠.

(٢) المجموع شرح المهذب، ج ١ ص٢٦.

(٣) التعليم في رأي القابسي، ص٢٦٥-٢٦٦.

وعلى الرغم من أن الدولة الإسلامية هي التي تهيئ المنشآت التعليمية من المساجد والمدارس، فإنها حسب رأي القابسي غير مسؤولة عن تحمل أجرة التعليم للصبيان: «ثم اعلم أن أئمة المسلمين في صدر هذه الأمة ما منهم إلا من قد نظر في جميع أمور المسلمين بما يصلحهم في الخاصة والعامة، فلم يبلغنا أن أحدًا منهم أقام معلمين يعلمون للناس أولادهم من صغرهم للكتاتيب، ويجعلون لهم على ذلك نصيبًا من مال الله جل وعز، كما قد صنعوا لمن كلفوه القيام للمسلمين في النظر بينهم في أحكامهم، والأذان لصلاتهم في مساجدهم مع سائر ما جعلوه حفظًا لأمور المسلمين وحيطة عليهم، وما يمكن أن يكونوا أغفلوا شأن معلم الصبيان، ولكنهم والله أعلم رأوا أنه شيء مما يختص أمره، كل إنسان في نفسه، إذ كان ما يعلّمه المرء لولده فهو من صلاح نفسه المختص به، فأبقوه عملًا من عمل الآباء الذي لا ينبغي أن يحمله عنهم غيرهم إذا كانوا مطيقيه[١].

والذي ينبغي تأكيده أن فقهاء الشريعة كانوا سباقين إلى مناقشة الأمر، وحددوا القدر الذي يلزم الفرد تعلمه مما تعلق به فرض عينه، وأن هذا الوجوب يتوجه إلى الآباء أساسًا، فهم المسؤولون عن تعليم أبنائهم ابتداء، ولم يفرقوا في ذلك بين الذكر والأنثى.

وانطلاقًا مما سبق فإن الفرق بين التعليم الإلزامي في الشريعة الإسلامية والتعليم الإلزامي وفق الأنظمة التربوية التي فرضته في القرن التاسع عشر يكمن في أن تلك الأنظمة سَنّت تشريعات قانونية تلزم الأفراد بالتعلم ومعاقبتهم إذا امتنعوا منه، بينما جعلت الشريعة إلزامية التعلم ذات اعتبارين؛ ديانية وقضائي، فالديانية يربي ضمير الفرد ويخاطب وجدانه، ويصلح ظاهره وباطنه، ويُقوِّم سلوكه من خلال مراقبة الفرد لخالقه وإيمانه بثواب الله وخالقه، ومسؤوليته أمامه يوم الدين عند تعلمه وتعليمه، أما القضائي فيبدو أن المصادر الشرعية الأصلية والفكر التربوي الإسلامي لم يتطرق للأحكام القضائية التي تنظم عملية إلزامية التعلم مع ملاحظة مشروعية ذلك اعتمادًا على طاعة ولي الأمر والمصادر الشرعية التبعية، كالمصالح المرسلة[٢].

وقد تطرق الشيخ الطاهر بن عاشور رحمه الله في رؤيته الإصلاحية لأوضاع التعليم العربي الإسلامي لمسألة إلزامية التعليم، فذكر رحمه الله أن من أسباب تأخر التعليم إهمال الضبط، يقول رحمه الله: السبب الثالث: إهمال الضبط، فإذا تتبعنا حال التعليم وجدناه اختياريًّا في سائر أحواله، فالمتعلم يتعلم باختياره،

(١) التعليم في رأي القابسي، ص٢٦٨-٢٦٩.

(٢) التعليم الإلزامي في القران والسنة وفقه الأئمة، ص٤٧٢. مجلة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد٢٢، العدد الثاني، ٢٠٠٦.

والمدرس يدرس ما يروق له من الكتب...، وبذلك كان التعليم اختياريًّا في سائر عصوره، وغير مضبوط ومتحد بطريقة واحدة...، ومن المبادئ لضبط التعليم بصفة طردية أربعة أمور: جعله إلزاميًّا، وضبط أوقات المدرسين، وضبط محل التعليم، وتقسيم التلامذة على العلوم والدروس[١].

يقرر الشيخ أن من مقتضيات الإصلاح والارتقاء بالتعليم جعله إلزاميًّا، ويستند الشيخ في رأيه إلى سلطة ولي الأمر في تقدير المصلحة الراجحة للأمة، وحمل الأمة عليها، ونصه: أما جعله إلزاميًّا فمن حق نصيحة الحكومات للرعايا في حال عدم وصولهم للرشد حملهم على مصالحهم بالجبر ما داموا في طور الطفولة، فالطفولة كما تكون للأفرد[٢] تكون للأمم...، فلا يفيد قدم تاريخ الأمة إذا كانت عقولها لم تزل كعقول الأطفال...، وعندي أن الحكومة لو وجهت عنايتها إلى تعميم التعليم وجعله إلزاميًّا، وجعل تعليم العلوم الإسلامية والعربية في أحد الشقين إلزاميًّا...، وضبطت تعاليم الكتاتيب، فكانت هي التعليم الرافع للأمية ليتأهل به المتخرج منه إلى الدخول في تعليم العلوم في درجة ابتدائية عالية ثم ثانوية لاستفادت البلاد التونسية من ذلك فائدة جليلة [٣].

ويبدو لي أن ما ذهب إليه الشيخ أقرب إلى القبول والصواب؛ لوجاهة الدليل الذي استند إليه، وهو كون ذلك يجلب للأمة مصلحة كبيرة، وخاصة إذا علمنا أن شيوع الأمية الأبجدية والحضارية قد جلب على أمة الإسلام مشكلات هي أكبر بكثير مما نظن، وليس ذلك على صعيد المعيشة والإنتاج فحسب، وإنما على صعيد فهم الإسلام أيضًا، فالإسلام بما أنه بنية حضارية راقية لا يتجلى على وجه كامل إلا عبر تجربة معرفية وحضارية رائدة، مما يعني أن التخلف الذي نعاني منه قد حال بيننا وبين رؤية المنهج الرباني على النحو المطلوب[٤].

ثم إن هذا الإلزام يشمل الجنسين معًا؛ لعموم المصلحة التي روعيت في الموضوع، ولعموم الأدلة التي وردت في الحث على طلب العلم، فلم تفرق بين الذكر والأنثى، منها قوله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»[٥]. إذ ما من حكم ورد في الشريعة لمسلم ومؤمن إلا والمسلمات والمؤمنات داخلات فيه؛ إما بطريق اللفظ أو القياس؛ لأن النساء شقائق الرجال في الأحكام، إلا ما ورد فيه استثناء؛ كأحكام

(١) أليس الصبح بقريب ص١٠٥.
(٢) هكذا كتب في الكتاب، ولعل الشيخ يقصد «الأفراد» أو جمع الفرد على أفرد.
(٣) أليس الصبح بقريب ص١٠٥.
(٤) القراءة المثمرة ص٩-١٠.
(٥) سنن ابن ماجه، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، رقم:٢٢٤.

الحيض والنفاس[١].

وقد ورد في تعليم النساء والعناية بذلك آثار، منها ما رواه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري: قالت النساء للنبي ﷺ: غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يومًا من نفسك، فوعدهن يومًا لقيهن فيه، فوعظهن وأمرهن، فكان فيما قال لهن: «ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها إلا كان لها حجابًا من النار» فقالت امرأة: واثنتين؟ فقال: «واثنتين». يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله: وفي الحديث ما كان عليه نساء الصحابة من الحرص على تعلم أمور الدين[٢]، ويؤيد ذلك قول عائشة رضي الله عنها: «نعم النساء نساء الأنصار؛ لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين»[٣]. وكان عليه الصلاة والسلام إذا خطب الرجال ووعظهم تقدم للنساء فخطبهن ووعظهن.

والنساء شاركن في أعمال عظيمة، ولم يؤذن لهن إلا ليكن على علم من أحكامها ودقائق مسائلها ومقاصدها، فما من مَنقَبة سبق الرجال إليها كالهجرة والبيعة والجهاد والنصرة في الدين والدعاية إليه، إلا وكان للنساء حظهن في ذلك[٤].

ولهذا انتشر تعليم المرأة في الإسلام بانتشاره وسرعة امتداده بعد الجهل العظيم، فظهرت فيه عالمات مقرئات مفتيات، راويات شاعرات...، واعظات مربيات مدرسات...، ثم تأخرت في الإسلام بتأخره..، وليس الذنب على الشريعة، بل على المسلمين[٥]. كل ذلك يجعل تعلق الإلزام بهن أقوى.

يقول الشيخ الأمين الشنقيطي رحمه الله في نهاية حديثه عن تعليم المرأة: ويجب أن تكون النظرة لهذه المسألة على ضوء واقع الحياة اليوم وفي كل يوم، وقد أصبح تعليم المرأة من متطلبات الحياة، ولكن المشكلة تكمن في منهج تعليمها، وكيفية تلقيها العلم[٦].

وأما ما يتعلق به حكم الإلزام من المقدار ونوع العلوم فنرى أن يترك للحكومات تقدير ما زاد على ما يرتفع به فرض العين وَفقًا لمقتضيات مصلحة الأمة.

(١) تعليم الفتيات لا سفور المرأة، ص٣٧.
(٢) فتح الباري ج١، ص١٩٦.
(٣) صحيح البخاري ج١، ص٣٨.
(٤) تعليم الفتيات لا سفور المرأة ص٤١.
(٥) تعليم الفتيات لا سفور المرأة، يراجع ص١٠١، وص١٠٣.
(٦) أضواء البيان ج ٩، ص٢٠ وما بعدها.

توصيات

ـ مشروعية القول بإلزامية التعليم؛ لأن الهدف الأسمى من وجود الإنسان في هذه الدنيا هو تحقيق العبودية لله عز وجل ثم النهوض بعمارة الأرض، وهذا متوقف على التعليم، وجعلُ هذا التعليم إلزاميًّا يعتبر أنجع وسيلة للوصول إلى ذلك الهدف.

ـ حث الحكومات على مضاعفة الجهود في العناية بالتعليم؛ لكونه يمثل إحدى مرتكزات الأمن القومي لأي أمة، فبناء الأجيال وتحقيق النهضة المرتقبة، كل ذلك رهين بنجاح عملية التعليم.

ـ الدعوة إلى تأصيل المنظومة التربوية على منهج التربية الإسلامية باعتبارها الأقدر على تقديم حلول ناجعة لعلاج الاختلالات التربوية التي تعانيها مؤسسات التعليم.

ـ دعوة مؤسسات التعليم في العالم الإسلامي إلى أن تبني الإسلام «شريعة وعقيدة» إطارًا مرجعيًّا لسياساتها التعليمية.

ـ إعادة الاعتبار لطرائق التفكير الناقد وفق ضوابط الشريعة لتنمية مهارات ذهنية باعتبارها أقوى محفز على الإبداع والابتكار، وأعون على التعامل مع الأحداث وتحليلها، وعلى اقتراح حلول لما يعنّ من المشكلات.

ـ ضرورة الاهتمام بالتثقيف الذاتي نظرًا لطبيعة التخصص التي تؤطر وتوجه نشاط المؤسسات التعليمية، مما يجعل المعارف المكتسبة منها تتسم بالقصور رغم أهميتها، والأحسن أن يشكل كتب التراث الإسلامي قاعدة لهذا التثقيف.

ـ الاهتمام بالقراءة والاطلاع باعتبارها أنجع وسيلة للتثقيف الذاتي، ويحتل الكتاب من بين مواد القراءة موقع الصدارة في البناء الثقافي، فأمة اقرأ تحتل مرتبة متدنية في نسبة القراءة مقارنة بسائر الأمم.

ـ توجيه الحكومات إلى ضرورة الإنفاق على البحث العلمي للتحفيز على الإبداع والابتكار، ولا يمكن للأمة تحقيق نهوض حضاري شامل ما لم تكن له مؤسسات بحثية متميزة، وأن يراعي في هذا الإنفاق سلم الضروريات والحاجيات.

ـ إرشاد الحكومات بسن تشريعات تنظم إلزامية التعليم بما يشمل الجنسين معًا، وأن تجتهد في رسم ذلك بناء على مقتضيات مصالح الأمة.

فهرس المصادر

ـ **أليس الصبح بقريب «التعليم العربي الإسلامي» دراسة تاريخية وآراء إصلاحية**، للشيخ الطاهر بن عاشور. دار سحنون للنشر والتوزيع، ودار السلام للنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الأولى ٢٠٠٦.

ـ **التربية وطرق التدريس**، لصالح بن عبد العزيز وعبد العزيز بن عبد المجيد، دار المعارف، مصر.

ـ **اقتضاء العلم العمل**، للخطيب البغدادي أبي بكر أحمد بن علي، تحقيق الشيخ الألباني، المكتب الإسلامي.

ـ **الفوائد**، لابن القيم، تحقيق عمر عزير شمس، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار العالم للنشر والتوزيع، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي الدولي، جدة ـ المملكة العربية السعودية.

ـ **القراءة المثمرة مفاهيم وآليات**، لعبد الكريم بكار، دار القلم، دمشق، الطبعة السابعة **١٤٢٩**هـ -**٢٠٠٨**م.

ـ **الثقافة التي نحتاج إليها**، لأبي شكيب محمد تقي الدين بن عبد القادر الهلالي، الناشر الجامعة الإسلامية.

ـ **الإسلام بين التزوير والتنوير**، للدكتور محمد عمارة، دار الشروق.

ـ **الإسلام والمدنية**، لأبي الأعلى المودودي.

ـ **التفكير فريضة إسلامية**، لعباس محمود العقاد، دار التقوى، دراسة ومراجعة وتحقيق: إبراهيم الصابر.

ـ **إحياء علوم الدين**، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي، دار المعرفة، بيروت.

ـ **التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية**، للدكتور محمد منير مرسي، دار المعارف عام **١٩٨٧**.

ـ **المجموع شرح المهذب**، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار الفكر.

ـ **التعليم في رأي القابسي من علماء القرن الرابع**، للدكتور أحمد الأهواني.

ـ **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

ـ **بناء الأجيال**، للدكتور عبد الكريم بكار.

ـ **تشكيل عقلية إسلامية معاصرة**، للدكتور عبد الكريم بكار.

ـ **تعليم البنات لا سفور المرأة**، لمحمد بن الحسن الحجوي تحقيق: محمد بن عزوز، دار ابن حزم.

ـ **ثلاثة نصوص في التربية: تأملات في التربية**، ما هي الأنوار؟ ما التوجه في التفكير، لإيمانويل كانط، الطبعة الأولى **٢٠٠٥**، دار محمد علي للنشر، صفاقس، تونس.

ـ **حول التربية والتعليم**، للدكتور بكار، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة: **١٤٣٢**هـ-**٢٠١١**.

ـ **سنن ابن ماجه**، للإمام أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.

ـ **سنن أبي داود**، للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

ـ **صحيح البخاري**، للإمام محمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري، دار طوق النجاة.

ـ **صيد الخاطر**، لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي المشهور بابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، **١٩٩٢**-**١٤١٢**هـ.

ـ **فصول في التفكير الموضوعي**، للدكتور عبد الكريم بكار، دار القلم، دمشق.

ـ **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، أشرف على طبعه محب الدين الخطيب.

ـ **مسند الإمام أحمد**، مؤسسة الرسالة، المحقق شعيب أرناؤوط وآخرون، إشراف الدكتور: عبد المحسن التركي.
ـ **مفتاح دار السعادة**، لابن القيم، تحقيق عبد الرحمن بن حسن بن قائد، إشراف الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد. دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي الدولي، جدة.
ـ **مشكلة الثقافة**، لمالك بن نبي، ترجمه عبد الصبور شاهين، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، دار الفكر دمشق، سوريا.
ـ **موقف الإسلام من العلم والفن والفلسفة**، للدكتور عبد الحليم محمود، دار الرشاد، القاهرة.
ـ **مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية**، مجلة٢٢، العدد الثاني، ٢٠٠٦.
ـ **نحن والحضارة الغربية**، لأبي الأعلى المودودي، الدار السعودية للنشر والتوزيع.

بحث فضيلة الدكتورة إنصاف المؤمني

أستاذة دكتورة

عمان ، المملكة الأردنية الهاشمية

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

تشغل المنظومة التربوية والتعليمية على الساحة المعاصرة حضورًا خاصًّا في عصر السباق التقني، والتكاثر المعرفي، والانفتاح على الفضاء الإعلامي والمجتمعي، ولعل استدعاء واستحضار الرؤى والمقترحات، والأوعية الشرعية من قيم الوحي الأصيلة ضرورة شرعية، وحضارية، وإنسانية، والتي تحمل بين أنفاسها كل تفاصيل الإمكان والتغيير الحضاري لنقلها إلى قلب المعاصرة؛ لتقديم النموذج المتفرد والبديل الحضاري المرتقب، وأستاذية الكونية في رحاب دائرتنا وفي رحاب الإنسانية جمعاء.

وحيث إن الشهود والإقلاع الحضاري تبدأ نواته بالتغيير الجاد الفاعل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، ومن المسلّم به أن لدينا رصيدًا ثريًا شامخًا بالعطاء والبناء، يتناغم فيه النبض الإيماني الروحي والوجداني بالنبض العلمي العقلي، بقالب ذوقي جمالي استثنائي متفرد، نَعِمت فيه المعمورة قاصية ودانية بالأمن والحب والسلام والعمران الإنساني.

فلا بد من استنطاق واستلهام واستبطان هذه الدعوة المفتوحة للعلم والتعليم تارة من منابع وحي السماء الخالدة. والتي تُعد فضاء رحبًا غير مسبوق لرفع رتبة وقداسة العقل والعلم وتزاوجه مع مصادر الوحي الأصيلة: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

وتجربتنا العلمية العملية (للمنظومة التعليمية) في قلب التاريخ أطوار أخرى، ألقت بظلالها على كل معالم، بل نواة انطلاق النهضة العلمية في الحضارة المدنية المعاصرة، لنقدم البديل الحضاري لمشروع الإبداع والتغيير الحضاري الإسلامي المرتقب المنشود؛ لنقلها إلى قلب المعاصرة برؤية تجديدية مؤصلة، المحتوى ومعاصرة الاتجاه، بقالبها الرباني الإيماني الجمالي العلمي المتفرد للمنظومة التعليمية خاصة ولكافة أطياف ودوائر الأبعاد الحضارية.

إن الحاجة ملحّة إلى تجديد منهج استنباط الأحكام الشرعية، ويجب أن تتصدر أولوياتنا أمام كثافة تحديات العصر اللامنتهية والمتسارعة، حيث يترك الفقه الإسلامي يدور في فراغات لا يمكن أن تملأ من

رصيد التراث الفقهي أو تستوعبه المدونة الفقهية الموروثة رغم الجهود الجبارة التي قدمتها عبر مسيرة العمران الإنساني.

«إضافة إلى إننا ما زلنا نفتقر إلى تأهيل أهل الاختصاص الذين يقرؤون الواقع، ويكشفون الحلول لنرد إليهم أمر ما يحيط بنا من المخاوف والأمن؛ ليشكلوا الرؤى ويبينوا المسالك لإعادة النظر في السياسات، والمواد التعليمية، والمناهج ومراجعتها، في ضوء قيم الوحي، والنظر إلى مدى أدائها من خلال الواقع والتمييز بين الوسائل وبين المقاصد، وتطور العلوم والمعارف والتحديات من حولها»[١].

وقد جاءت هذه الدراسة نافذة صغيرة على هذا الفضاء الرحب تلبية لدعوة كريمة من مجمع الفقه الإسلامي الدولي، وفي سبيل ذلك تناولت الدراسة المحاور والمطالب التالية:

يتناول **المطلب الأول**: مفهوم التعليم، والتربية، والتزكية، والتثقيف، والتنوير.

يتناول **المطلب الثاني**: أنواع التعليم ومراحله ومستوياته

يتناول **المطلب الثالث**: مكانة العلم وأهميته في الكتاب والسنة

يتناول **المطلب الرابع**: حكم إلزامية التعليم بأنواعه ومراحله ومستوياته.

يتناول **المطلب الخامس**: موقع التعليم في سلم المصالح الضرورية، والحاجية، والتحسينية

يتناول المطلب السادس: موقع التعليم في سلم الحقوق والواجبات وحكم الإنفاق عليه

يتناول المطلب السابع: دعم التعليم الإبداعي، والنقدي، والبحث العلمي، والابتكارات

وقد ختمت الدراسة بعدد من النتائج والتوصيات يمكن أن تشكل في مجملها منبهًا نشطًا لاستعادة الهمة وتحديد مكمن الخلل؛ لتجاوز إخفاقات الحاضر واستشراف الآتي، فإن لم نخطط لحاضرنا ومستقبلنا فسيأتي من يفرض علينا مخططه، ونحن أمة العلو الإيماني، والسمو الوجداني، ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

ومن الله وحده القبول، وإليه نتوجه بالأعمال والكلمات.

(١) قطب سانو، مناهج العلوم الإسلامية والمتغيرات العالمية قطر، وزارة الأوقاف القطرية، العدد ١٦٠، ربيع الأول ١٤٣٥هـ.

المطلب الأول
مفهوم التعليم والتربية والتزكية والتثقيف والتنوير

سنتناول في هذا المطلب إطلالة مختزلة على أبرز المفاهيم الواردة في هذا المطلب، والقواسم المشتركة بينها، ونقاط الاختلاف على النحو التالي:

أولا : التعليم

للتعليم تعريفات عديدة ومنها:

يعرّف التعليم أنه عملية تهدف إلى تنمية عقل الفرد، وتمكينه من اكتساب المعرفة والمهارات اللازمة لحياته ودرايته بعلم ما، أو فن ما، أو مهنة ما، أو غير ذلك(١).

وهناك من يعرّف التعليم بأنه زراعة الحكمة، والأمل، والاحترام داخل المتعلم(٢).

كما يُعرّف التعليم بأنه عبارة عن: علم يشتمل على أصول وقواعد محددة يمكن تدريسها(٣).

وترى الباحثة أن مفهوم التعلم هو: عبارة عن عملية منظمة وممنهجة ينقل من خلالها ما يختزن في ذهن المعلم وذخيرته المعرفية إلى الأوعية الذهنية للطلبة، وفق الرؤية المنشودة للنظام التعليمي بما يرتقي بسلوك المتعلمين، وخبراتهم، ووعيهم. ويجب أن تُراعى فيها العديد من المبادئ وعلى رأسها مبدأ التعزيز، ومبدأ مراعاة الفروق الفردية، ومبدأ المشاركة، ومبدأ التغذية الراجعة وغيرها.

مكونات النظام التعليمي(٤).

١ـ الكادر الأكاديمي ويشتمل (الطلاب، المعلمون، والوالدين أحيانًا أخرى).
٢ـ الهيئة الحكومية المشرفة.

---

(١) هيثم شعيب، الفرق بين التربية والتعليم، معهد المنار الجامعي، education. Wordpress.com، تاريخ الدخول ٢٦/ ٧/ ٢٠٢١م.
(٢) الفرق بين التعليم والتعلم والتربية، حياتك، hyatok.com، تاريخ الدخول ٢٦/ ٧/ ٢٠٢١م.
(٣) محمد وائل نمر، الفرق بين التعليم والتعلم والتدريس، wikiavticle. Xyz/، تاريخ الدخول ١٠/ ٧/ ٢٠٢١م.
(٤) سناء الدويكات، مكونات النظام التعليمي، ٧/ اكتوبر/ ٢٠١٨م، mawdoo3.com، تاريخ الدخول ١٠/ ٧/ ٢٠٢١م.

٣ـ استراتيجية التعليم.
٤ـ العملية التعليمية.
٥ـ مصادر المعلومات الأكاديمية.
٦ـ ثقافة الوسط المحيط.
٧ـ الدعم المالي.
٨ـ المكتبات.

بيد أن عناصر العملية التربوية تشمل الآتي[١]: - (المعلم، والمتعلم، والمحتوى التعليمي، وطريقة التدريس، والأهداف التعليمية).

ثانيا : التربية

ثمة تعريفات عديدة ومتباينة لمفهوم التربية؛ تبعًا لاختلاف المرجعيات والمعتقدات الدينية والثقافية، والحضارية، والتاريخية، فكُل من الفلاسفة والعلماء من ينظر للتربية من نافذته الخاصة، ولعل مفهوم التربية مثير للجدل في عمق العمران الإنساني إلى حاضرنا الراهن فمن أبرز التعريفات لمفهوم التربية[٢]:

ـ تعريف أفلاطون للتربية: هي أن تضفي على الجسم والنفس كل جمال وكمال ممكن.
ـ تعريف رفاعة الطهطاوي: التربية هي أن تبني خُلق الطفل على ما يليق بالمجتمع الفاضل، وتنمي فيه جميع الفضائل التي تصونه عن الرذائل، وتمكنه من مجاوزة ذاته للتعاون مع أقرانه في فعل الخير.

ـ تعريف إسماعيل القباني: التربية هي مساعدة الفرد على تحقيق ذاته حتى يبلغ أقصى كمالاته الروحية، والمادية في إطار المجتمع الذي يعيش فيه.

ـ تعريف هربرت سنر: التربية هي إعداد الفرد ليحيا حياة كاملة.
ـ تعريف جون دوي: التربية هي الحياة، وهي عملية تكيّف بين الفرد وبيئته.
ـ أما المرزوقي فعرّفت التربية بأنها العملية التي تتناول شخصية الإنسان بالتكوين والتصوير والتقويم والتنشئة، حتى يصبح إنسانًا جديرًا بالقيام بواجب الاستخلاف الذي أناطه به خالقه سبحانه وتعالى.

أما الباحثة فترى مفهوم التربية بأنها عملية مكتسبة متكاملة، تهدف إلى بناء الشخصية الإنسانية بجميع جوانبها الإيمانية، والعقلية، والوجدانية، والجمالية، والبدنية، والاجتماعية في شتى الأطياف والأساليب

(١) سناء الدويكات، مكونات النظام التعليمي، ٧/ اكتوبر/ ٢٠١٨م، mawdoo3.com، تاريخ الدخول ١٠/ ٧/ ٢٠٢١م.
(٢) ليلى جبريل، الفرق بين التربية والتعليم وأهميتهم، أغسطس، https//mqaall.com، تاريخ الدخول ٣/ ٧/ ٢٠٢١م.

والطرق لبناء إنسان صالحٍ في رحاب منظومته الأسرية، والوطنية، والكونية؛ لتعلن مبدأ الوحدة بين الدين والدنيا بين الآجل والعاجل.

ثالثا : التزكية

أما التزكية فتعرفها الباحثة بأنها إصلاح القلب والارتقاء في معراج السمو الإيماني، ولا تكون إلا في دائرة الفضيلة، وتستهدف إصلاح الباطن والسرائر.

ويعرض تويني المسائل الأساسية لنمو الحضارات فمن أبرزها: (الاعتكاف والعودة: فيتصف عمل الإنسان الخلاق في رأي تويني بحركة مزدوجة من (الاعتكاف) و(العودة)، الاعتكاف ليحقق الصفاء الذاتي واستلهام الحق، والعودة لهداية الاتباع ويتجلى هذا في اعتكاف ممن اصطفاهم الرحمن فاعتكاف سيدنا محمد ﷺ في غار حراء واعتكاف بوذا الذي يُعد شرطًا ضروريًّا للتجلي تأتي العودة إلى التنشئة الاجتماعية، و(العودة) هي جوهر الحركة كلها، كما إنها غايتها القصوى[١].

ونورد مُقتطفًا للمحاسبي من باب التزكية حيث يقول: «العقول أنوار وبصيرة أسكنها الله عز وجل القلوب يُفرق بها العبد بين الحق والباطل في جميع ما يرد عليه من خطرات قلبه ونزعات عدوّه ووساوس نفسه، بل إن أصحاب التصوف العقلي قد اعتمدوا منهج القلب في سبيل تحصيل المعرفة اليقينية، حيث يتداخل في هذا المنهج التجريبي الوجدان والعقل بطريقة لا يمكن وصفها»[٢].

رابعا : التثقيف

مفهوم التثقيف: يُقصد بمفهوم التثقيف تزويد الأفراد بمعلومات وظيفية مرتبطة بالعلم وتطبيقاته، وتُعد الثقافة المخزون المعرفي ومستودع قيم المجتمع، وأعرافه، وأحكامه ومفاهيمه السائدة التي يتأثر بها أفراد المجتمع بمختلف فئاتهم: العالم والجاهل، وهي التي تُيسر للإنسان سُبل التفاعل مع الواقع، تكيفًا أو تجاوزًا أو نحو المستقبل، وهي ظاهرة إنسانية، أي إنها فاصل نوعي بين الإنسان وسائر المخلوقات[٣].

خامسا : التنوير

مفهوم التنوير كما يراه (إيما نويل) أنه: خروج الإنسان من قصوره الذي اقترفه في حق نفسه من خلال

(١) عماد الدين خليل، التفسير الإسلامي للتاريخ، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٥م، ص٨١.

(٢) حسين القوتلي، التصوف العقلي في الإسلام نموذج المحاسبي في كتابة القصد والرجوع إلى الله، اقرأ للطباعة والنشر، ١٩٨٨م، ص٣٦.

(٣) محمود أحمد السيد، الثقافة العلمية ومتطلبات العصر، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، المجلد (٨٧)، الجزء (٢)، ص٣-٤.

عدم استخدامه لعقله إلا بتوجيه من إنسان آخر.

ويحصر (كنت) أسباب حالة القصور تلك إلى السببين الأساسيين التاليين، الكسل والجبن، فتكاسل الناس عن الاعتماد على أنفسهم في التفكير أدى من جهة إلى تخلفهم، ومن جهة أخرى هيأ الفرصة للآخرين لاستغلالهم بسبب الخوف(١).

ومن الجدير بالذكر أن مصطلح التنوير والاستنارة من الوافد إلينا، وقد يحمل مفهوم التنوير الجوانب المشرقة، وفي الوجه الآخر قد يحمل الجوانب المظلمة فهي تبرز القيمة المحورية لقيمة العقل لإيصالنا إلى المعرفة، ولكنها ترفض كل وحي وغيبي.

بعد استعراض المفاهيم السالفة الذكر نلحظ جليًّا أن هناك خطوطًا عريضة، وقواسم مشتركة تجمع هذه المفاهيم، ومن أبرز معالمها: استهداف بناء الشخصية الإنسانية، وتوسيع الفضاء المعرفي، والخبرات التراكمية، والنهوض والرقي برتبة الإنسان؛ إلا إن هناك نقاط اختلاف وتباين بينهما. فالفرق بين التعليم والتربية جلي؛ فالتعليم جزء من العملية التربوية، والتربية تشمل التعليم وهي أعم وأشمل منه. حيث إن دائرة التربية تتسع لتشمل جميع جوانب الشخصية الإنسانية، ويُخشى على العملية التعليمية أن تقتصر على الجانب النظري، وتغفل عن الجانب العملي التطبيقي، فتصبح معلومات معرفية جافة صامتة لا حراك ولا روح فيها في بناء الشخصية الإنسانية الفاعلة، ومما يجدر التنويه إليه أن حضور القدوات العملية الفاعلة تضيق الفجوة بين القول والعمل، وما بين النظر والتطبيق، لا سيما في جانب العلوم الإنسانية، وتحديدًا الجانب الأخلاقي.

ولعل التربية تأتي بصورة عرضية مباشرة منظمة كما في التعليم، إضافة إلى أن التربية أقدم من التعليم، والتعليم يمكن حصر بعض جوانبه، أما التربية فقد تقع في دائرتها كافة الوسائط التربوية والاجتماعية من المسجد والإعلام... إلخ.

إضافة إلى أن أهداف التعليم محددة، ودقيقة يمكن تحقيق الشطر الأكبر منها، أما أهداف التربية فهي واسعة الفضاء فمنها الأهداف القريبة ومنها الأهداف العامة التي لا يمكن أن نلمس أثرها بسهولة وبصورة مباشرة.

وإذا انتقلنا إلى مفهوم التزكية نلحظ جليًّا أن الاهتمام ينصب على الأوعية الروحانية والوجدانية القلبية، وربما لا يستطيع أن يتولى زمام هذا الأمر إلا (الثلة القليلة) من أصحاب القلوب الرقيقة العذبة النابضة بالإيمان، والانسلاخ من قبضة الماء والطين، والاستعلاء على دونية الأرض وهشاشة أهدافها الضيقة.

---

(١) Wiki/ http//ar.mwikipedia.org، ما هو التنوير، ويكيبيديا، تاريخ الدخول ٣/ ٧/ ٢٠٢١م.

فلا بد أن يأتي دور التعليم والتربية لعظم هذا الجانب؛ حتى لا يقع تحت سطوة التلقائية والعشوائية التي قد تقودنا في نهاية المطاف إلى العبثية واستهلاك الطاقات والأوقات.

ولا بد أن يوازي تزكية النفس الرقي برصيدها المعرفي وخبراتها الحياتية حتى لا ينسحب المسلم من معركة الحياة، وشهودها الحضاري، بل قيمة التزكية تكمن بما ترفد منظومتها الاجتماعية والوطنية والكونية بالعمران والبناء الحضاري والإنساني، بما في ذلك جمال ورقي الذوق الإيماني الأخلاقي، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

فقد يسبق التزكيةَ أحيانًا كثيرة عملية التعليم والتربية، فلا بد من رؤية ناضجة شاملة ممنهجة لتزكية النفس، تنطلق من مرجعيتنا الأصيلة تجمع بين النبض العقلي، والنبض الوجداني بقالب إيماني جمالي أخلاقي حضاري تناغم وتوازن بين الثنائيات المتقابلة ما بين الدين والدنيا، وما بين الفرد والجماعة، وما بين جمال الروح وجمال القلب.

بيد أن التربية حتى تأتي في مختلف المعاني الإيجابية والسلبية فقد نقول: التربية الإيمانية أو التربية الروحية، وقد نقول: التربية المادية أو التربية الماركسية.

بيد إن الثقافة مفهوم عام وتعني (نافذة على المعرفة من كل أنواع المعرفة) فهذا يحتم علينا أن لا ينسلخ المثقف عن جذوره ومرجعيته العقدية وخصوصيته الثقافية، بل لا بد من العودة إلى منابع الوحي الأصيلة، ومصادرها لتصويب المسار.

أما مفهوم التنوير فهو مفهوم نشأ على أرض الآخر وجاء ردود أفعال لآهات وويلات استفراد واستحواذ رجال الدين على العقل والقلب، والوقوع تحت سطوة السلطة الجائرة، وتفشي سرطان الأنا، وحب الذات تحت مسميات مزيفة باسم الدين والآلهة، لذا نلحظ جليًّا العداء الخفي لكل منابع الشرائع السماوية، بل الدعوة المفتوحة إلى تأليه العقل.

ولكن «الكلمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها»[1]، علينا أن نستثمر الفرصة لتقديم روعة نموذجنا الريادي الذي يتناغم بين قداسة الوحي ونور العقل والوجدان الفطري لنقدمه للإنسانية وللكونية جمعاء.

(١) رواه الترمذي وابن ماجه، وحكم الألباني على الحديث بأنه ضعيف جدًّا.

المطلب الثاني
أنواع التعليم ومراحله ومستوياته

هناك معايير عديدة في تصنيف أنواع التعليم لا تتسع مساحة الدراسة الإحاطة بها.

بيد إن هناك من يقسم التعليم إلى ثلاثة أقسام، يمكن أن نوجزها بالآتي[١]:

١ـ التعليم المهني: وهو التعليم الذي يهدف إلى تأهيل الطلبة لممارسة مهنة معينة من متطلباتها أن يكون لديهم قدرات فنية ومهنية محددة، ومن الأمثلة عليه التعليم الزراعي، والتعليم الصناعي وهو التعليم الذي يهدف إلى امتلاك المتلقي حرفة معينة.

٢ـ التعليم الأكاديمي: وهو التعليم الذي يحصل عليه المتعلمون في كافة مراحلهم الدراسية بما فيها مراحل التعليم العالي في المؤسسات التعليمية غير المهنية وهو الأكثر شيوعًا.

٣ـ التعليم الشامل: وهو التعليم الذي يضم التعليم الأكاديمي والمهني معًا، فمثلًا في التعليم المهني تتواجد دروس لها علاقة باللغة والتاريخ إلى جانب الصناعة والزراعة.

ولكن التقسيم والتصنيف الذي يتناغم وطبيعة دراستنا، والله أعلى وأعلم تقسم أنواع العلوم حسب موضوعاتها ومجالاتها يمكن أن تُصنف إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول العلوم النقلية (معارف الوحي)، فنظرًا لخصوصيتها الاستثنائية وربانية مصادرها كان من الضرورة الملحة إفرادها في قسم خاص.

القسم الثاني: ويتفرع عنه:

١ـ العلوم التطبيقية والطبيعية، وتعد هذه العلوم من العلوم المحايدة التي لا تُقَولِبُها خصوصية ثقافية، أو مرجعية عقدية إلا في بعض التطبيقات العملية والأخلاقية لها.

٢ـ العلوم الإنسانية والتي لا ينفك الجدل حولها؛ لارتباطها بالخصوصية الثقافية والمرجعية العقدية والاجتماعية، ووقوعها تحت سطوة المناطقية والبعد المكاني والزماني.

---

(١) طارق محمد، تعريف التعليم، ٤/ ٣/ ٢٠١٨م، mawdoo3.com، تاريخ الدخول ٢٣/ ٦/ ٢٠٢١م.

بيد أن هناك من يُصنف أقسام العلم الشرعي إلى ثلاثة أقسام هي[١]:

الأول: فرض عين: وهو تعلم المكلف ما لا يتأدى الواجب الذي تعين عليه فعله إلا به، ككيفية الوضوء والصلاة، وأصل واجب الإسلام كل ما يتعلق بالعقائد ويكفي فيه التصديق بكل ما جاء به رسول الله ﷺ واعتقاده اعتقادًا جازمًا سليمًا من كل شك، ولا يتعين على من حصل له هذا تعلم أدلة المتكلمين.

النوع الثاني: فرض كفاية: وهو تحصيل ما لا بد للناس منه في إقامة دينهم؛ من العلوم الشرعية كحفظ القرآن الكريم، والأحاديث وعلومها، والأصول، والفقه، والنحو، واللغة، ومعرفة رواة الحديث، والإجماع والخلاف، وأما ما ليس علمًا شرعيًّا ويحتاج إليه في أمر الدنيا كالطب والحساب ففرض كفاية أيضًا كما نص عليه الغزالي.

النوع الثالث: النفل: وهو كالتبحر في أصول الأدلة، وكتعلم العامي نوافل العبادات لغرض العمل، وقد أورد البعض من العلوم الخارجية لأقسام العلم الشرعي ما هو محرم كتعلم السحر والتنجيم، في أصول الفقه أو غيرها[٢].

مراحل التعليم ومستوياته

لعل القسم السائد في التعليم على الساحة الوطنية والأكثر شيوعًا هو تقسيم المراحل التعليمية وعلى النحو التالي:

أولًا: مراحل التعليم المدرسي

١ـ مرحلة رياض الأطفال ومدتها عامان.

٢ـ مرحلة التعليم الأساسي ومدته عشر سنوات من التعليم الإلزامي.

٣ـ التعليم الثانوي ومدته عامان.

ثانيًا: مراحل التعليم الجامعي (الدرجات العلمية)

١ـ درجة الدبلوم، وتُعد أقل الشهادات الجامعية من حيث كثافة المنهاج وعدد الساعات المقررة، وتستغرق مدة الدراسة بالدبلوم سنتين.

---

(١) وقد اعتمد هذا التقسيم لكافة أنواع العلوم النقلية ومصادر الوحي والإنسانية والتطبيقية في هذه الدراسة.

(٢) محيي الدين بن شرف النووي، المتوفى (٦٧٦هـ)، تحقيق: عبد الله بدران، بيروت، قردان، دمشق حلبوني، ١٩٩٣م ١٤١٣هـ، ص٨٥.

٢ـ درجة البكالوريوس، حيث تستغرق أربع سنوات تقريبًا، وتُعد إحدى أشهر الدرجات العلمية التي يحصل عليها الطلاب.

٣ـ درجة الماجستير، وتأتي بعد الانتهاء من درجة البكالوريوس.

٤ـ درجة الدكتوراه، وتأتي تالية لمرحلة الماجستير، ويستلزم ذلك التخصص في مجال معين من مجالات الدراسة.

المطلب الثالث
مكانة العلم وأهميته في الكتاب والسنة

إن دلالة الاستهلال الذي بدأ به الوحي في أول كلمة نزلت من السماء (اقرأ) وبصيغة الأمر والوجوب يؤكد ويؤصل القيمة المِفصلية والمحورية للعلم والقراءة في هيكلة البناء الحضاري والمنظومة الإنسانية عبر مسيرة قاطرة الحياة، وشهودها الحضاري.

فلم يكن عبثًا أن أول كلمة من خطاب السماء تبدأ بالأمر بالقراءة: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۞ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۞ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ﴾ [العلق: ١-٤]، وذلك لأن العلم مفتاح النهوض الحضاري والإنساني فلم يأمر العليم الحكيم بالتوحيد، ولم يأمر بطول العبادة، ولم يأمر بحسن الخلق... إلخ، رغم أهميتها وقيمتها المفصلية؛ إلا إنه أمر بالقراءة ليسير المسلم بأنوار العلم ويشعل من قناديل الهداية الواعية ما يبدد ظلمات الجهل؛ ليأتي كل ما يندرج تحت تفاصيل الحياة تحت سقف العلم والنور الرباني. ثم انتقل إلى ذكر (القلم)، يقول القاسمي في تفسيره: «والتعلم بالقلم من أعظم نعم الله على عباده؛ إذ به تُجلب العلوم، وتُثبت الحقوق، وبذا يُفيد أخبار الماضين للباقين»(١).

ويضيف المراغي في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾: إن الله تعالى يُقسم بالقلم والكتب فتحًا لباب التعليم بهما، ولا يقسم الله إلا بالأمور العظام ليعم العلم والمعرفة(٢)، ونلحظ جليًّا «وما يسطرون» تشمل جميع فنون الكتابة وما يندرج تحتها.

هناك حشود عديدة من خطاب السماء الخالد من العسير حصرها عبر هذه النافذة البحثية ترفع من رتبة العلم والعلماء، ومن المسلَّم به أن في تفاصيل خصوصية خطاب السماء الربانية المتفردة ما يغني عن كل أطياف الطلاقة التعبيرية والرؤى التحليلية. فمنها: قوله تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ﴾ [المجادلة: ١١]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ

(١) القاسمي، محاسن التأويل، ج ١٧، ص٦٢٠٩.
(٢) المراغي، تفسير القرآن، ج٢٩، ص٢٧.

ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]، وقوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠]، وقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، وبهذه الآيات الكريمة ـ وما جرى مجراها ـ تقررت فريضة التفكير في الإسلام حيث يقول العقاد: إن العقل الذي يُعظم الضمير، ويدرك الحقائق، ويميز بين الأمور ويُبصر ويتدبر ويُحسن الرؤيا، وإنه العقل الذي يُقابله العنت والجمود والظلال، فالتنويه بالعقل على اختلاف خصائصه لم يأت في القرآن الكريم عرضًا، ولا تردد فيه كثيرًا من قبيل التكرار المعاد؛ بل كان هنا التنويه بالعقل نتيجة مُنتظرة يستلزمها لباب هذا الدين وجوهره، ويترقبها من هذا الدين كل من عرف كنهه الإنسان في تقديره، فالدين الإسلامي لا هيكل فيه ولا كهانة يطلب فيه من العقل أن يبلغ رشده، ووسعه من الحكمة والفهم[١].

ونجد في المصدر الثاني من مصادر الوحي الأصيل حشودًا من الأحاديث الشريفة نقتطف منها: قوله ﷺ «فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد»[٢]. وقوله ﷺ «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[٣]. أما في عمق التراث الإسلامي وعبر مسيرته التاريخية نجد من أقوال وأعمال السلف الصالح ما يبهر العقول والقلوب معًا، فيقول أبو مسلم الخولاني رحمه الله: «مثل العلماء في الأرض مثل النجوم في السماء إذا بدت للناس اهتدوا بها، وإذا اختفت تحيروا»[٤]، ولعل حيرتنا في ظل الواقع المعيش مرده إلى غياب الدور المفصلي للعلماء.

ولعل أبجديات النهوض والإبداع الحضاري والعمران الإنساني تقوم على أبجديات العلم وأصوله ومبادئه بقالبها الأخلاقي والإنساني، ومن أبرز هذه المبادئ وفق رؤيتنا الإسلامية مبدأ (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) المبدأ الإنساني الذي ينقل الفرد من دائرة عبودية الأنا وعشقها المطلق إلى رحاب منظومتنا الاجتماعية، بل والكونية فهو مبدأ إيماني تربوي حضاري إنساني.

يقول سعيد إسماعيل علي في هذا المبدأ: إنما هو تربية تتسع باتساع الأمة أفرادًا وجماعات، تأسيسًا وتبيانًا وسلوكًا ومعرفة، ذلك أن هذا المبدأ يحتم على كل مسلم أن يكون رقيبًا على ما يجري حوله من أعمال، وما يغيب من أعمال أخرى ووزن ذلك كله بموازين الشرع، ثم الأمر بما خفي من المعروف

---

(١) عباس محمود العقاد، التفكير فريضة إسلامية، مصر، المكتبة العصرية، ٢٠٠٨م، ص٢٠.

(٢) رواه الترمذي الحديث بلفظه رواة الطبراني في الأوسط «مجمع الزوائد»: ١/ ١٢١، والبيهقي في شُعب الإيمان.

(٣) رواه مسلم.

(٤) اختلف في اسمه فقيل عبد الله بن ثوب، وقيل عبد الله بن عبد الله، أسلم في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، كان واعظًا زاهدًا مستجاب الدعوة، حلية الأولياء: ٢/ ٢٢، سير أعلام النبلاء ٤/ ٧.

والنهي عن المنكر على أساس من العلم والمعرفة، وهو منهج يتطلب أن يكون الجميع على شيء من العلم بالضروريات، والحلال والحرام، والسنن والواجبات[١].

إن شيوع التعليم بين الناس وتأكيد برامج التعليم ومناشطه على مبادئ (حقوق الإنسان) من شأنه أن يساعد في تكوين مجتمع أكثر إنسانية وعدلًا؛ إذ سوف يؤدي إلى إبراز قيمة الإنسان، واعتباره خليفة الله في الأرض ويسهم أيضًا في صناعة مجتمع أكثر وعيًا[٢].

بل إن الإسلام يعلن مبدأ ومنطلق الوَحدة والتآخي والتناغم بين الدين والدنيا، وبين العقل والدين.

ولعل ما تحدَّثنا عنه في هذا المطلب ينسحب على دائرة العلم بمختلف أطيافها ومواضيعها ومجالاتها، ولكن تتباين مراتب العلم والحاجة الشرعية والحضارية والإنسانية له.

(١) سعيد إسماعيل علي، رؤية إسلامية لقضايا تربوية، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م، ص٢٧٧.

(٢) آمال بن حمزة المرزوقي، تطور تعليم البنات في التعليم الجامعي بالمملكة العربية السعودية، المجلة التربوية، العدد ٥١، ربيع أول ١٩٩٩م.

المطلب الرابع
حكم إلزامية التعليم، أنواعه، مراحله، ومستوياته

مبدأ إلزامية التعليم والمساواة العادلة في توزيع الأدوار بين الناس مبدأ يقره الإسلام ويدعو إليه[١]، وقد أكد القابسي في كتابه ورسالته القيمة «أحوال المتعلمين وأحكام المعلمين». إلا أن الإسلام يُلزم تابعيه بوجوب التعلم، وقد أقر كثير من الفقهاء المغاربة والمشارقة الإمام القابسي على نظريته هذه، ولذلك أوجبوا التعليم الإلزامي الابتدائي للأطفال المسلمين مستندين إلى ذلك في الحديث النبوي القائل: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة»، وهم وإن اختلفوا في نوع هذا العلم المفروض طلبه على كل مسلم ومسلمة، فإنهم مجمعون على إلزام تعليم تلك الضرورات الدينية، وإن الحديث عن التعليم الإلزامي عند علماء المسلمين وأصله في مصادر التشريع الإسلامي من القرآن والسنة، يُسجل سبقًا للشريعة الإسلامية، والفكر التربوي الإسلامي في النص على مبدأ إلزامية التعليم والتعلم وشيوع روح العدل في التعليم والتعلم؛ بإتاحة فرصة التعلم لأبناء المجتمع جميعًا ذكورًا وإناثًا[٢].

وبعد استعراض عدد من الأدلة من مصادر الوحي الأصيلة نقف على أبرز معالم أدلة وجوب إلزامية التعليم لكلا الجنسين، وسنوردها بإطلالة مختزلة تناغمًا مع مساحة الدراسة.

أولًا: الأدلة من القرآن الكريم

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

قال القرطبي: «هذه الآية أصل في وجوب طلب العلم؛ لأن المعنى: وما كان المؤمنون لينفروا كافة والنبي ﷺ مقيم لا ينفر وحده، (فلولا نفر) بعد أن علموا أن النفير للجهاد لا يسع جميعهم (من كل فرقة منهم طائفة)، ويبقى بقيتها مع النبي ﷺ ليتعلموا عنه الدين ويتفقهوا، فإذا رجع النافرون إليهم أخبروهم

(١) محمد أسعد أطلس، التربية والتعليم في الإسلام، هنداوي، hindawi.org/books، تاريخ الدخول ٣١/ ٧/ ٢٠٢١م.
(٢) صالح العلي، التعليم الإلزامي في القرآن والسنة، وفقه الأئمة، مجلة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد ٢٢، العدد الثاني، ٢٠٠٦م، ص٤٧٣.

بما سمعوا وعلموا وفي هذا إيجاب التفقه في الكتاب والسنة، وأنه على الكفاية دون الأعيان»[١].

وقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣] الآية تأمر سؤال أهل الذكر الذين هم أهل العلم عما لا يعلمون من أمور الدين والدنيا، والأمر بالسؤال أمر بالتعليم، والأمر يفيد الوجوب، فيكون التعليم واجبًا[٢].

وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧].

قال ابن عباس: المعنى بلّغ جميع ما أنزل إليك من ربك فإن كتمت شيئًا فما بلغت رسالته وهذا خطاب للنبي ﷺ وتأديب لحملة العلم من أمته، ألا تكتموا شيئًا من أمر الشريعة[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

قال الغزالي: في هذه الآية (إيجاب التعليم)[٤].

ثانيا: الأدلة من السنة المطهرة

قوله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة»[٥]. والحديث فيه دلالة صريحة على إلزامية التعليم ووجوبه لكلا الجنسين ذكورًا وإناثًا. ويتكامل مع هذا الحديث في تعليم النساء أحاديث نبوية أخرى كقوله ﷺ: «أيما رجل كانت عنده وليدة فعلمها وأحسن تعليمها، وأدبها فأحسن تأديبها، ثم أعتقها وتزوجها فله أجران»[٦].

ويبدو جليًّا أن طلب العلم في الإسلام ليس واجبًا على الذكور فقط، وإنما هو واجب على الإناث أيضًا، فقد روي عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: «نعم النساء نساء الأنصار؛ لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين»[٧].

---

(١) محمد بن أحمد الأيصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٥م، ص٢٩٣.

(٢) صالح العلي، التعليم الإلزامي في القرآن والسنة، ص٤٦٦، مرجع سابق.

(٣) جمال الدين عبد الرحيم الإسنوي، التمهيد في تخريج الفروع على الأصول، تحقيق محمد حسن هيتو، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٤م، ص١٨٣.

(٤) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، بيروت، دار الكتاب العربي، ج١، د ت، ص١٧.

(٥) ابن ماجه، فضل العلماء والحث على طلب العلم: ٨/١١ بإسناد ضعيف، مقال لكنه حسن وقال عنه المناوي في فيض القدير: ٢٦٨/٤: قال الزركشي في..... روي من طرق تبليغ.....

(٦) البخاري؛ كتاب النكاح، باب تزويج الصغار، ٦/ ١٩٥٥، مسلم بن حجاج القشيري، الجامع الصحيح، صحيح مسلم بيروت، دار إحياء التراث، (د-ت).

(٧) روته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، المحدث: مسلم، المصدر صحيح مسلم من الصفحة أو الرقم ٣٣٢ خلاصة الحديث صحيح.

ثالثا : أدلة الفقهاء على إلزامية التعليم

لقد شغلت إلزامية التعليم حيزًا واسعًا من اهتمام فقهاء الإسلام في عمق التاريخ إلى واقعنا الراهن، فقد تحدث برهان الدين الزرنوجي عن إلزامية التعليم وبين حكمه، وفرق بين حالاته تبعًا لفائدة العلم وحاجة المتعلمين والمجتمع إليه(١).

فقد جعل طلب العلم فرض عين على المتعلم إذا كان العلم متعلقًا بما لا بد منه لإقامة دينه، وإخلاص عمله لله تعالى، فقد فرض على كل مكلف تعلم ما تصح به عقيدته، فالفرض العيني بعلم الحال فلا يفترض على كل مسلم طلب كل علم، وإنما يفترض عليه طلب علم الحال، فالصلاة واجبة على المسلم فعليه علم بقدر ما يؤدي به فرض الصلاة، وكذلك في سائر المعاملات والحرف، وكل من اشتغل بشيء منها يفترض عليه علم التحرز من الحرام فيه، أما العلوم التي يحتاجها الناس لإقامة دينهم كحفظ القرآن وقوام دنياهم كالطب وسائر الصنائع من فروض الكفاية إذا قام بها البعض تسقط عن الباقين، فإن لم يقم بها أحد من المجتمع فإنه يقع بالإثم عليهم جميعًا بحسب إمكاناتهم.

يكمن الفرق بين التعليم الإلزامي في الشريعة الإسلامية والأنظمة التربوية التي فرضته في القرن التاسع عشر، في أن تلك الأنظمة سنت تشريعات قانونية تلزم الأفراد بالتعلم ومعاقبتهم إذا امتنعوا منه، بينما جعلت الشريعة الإسلامية إلزامية التعليم ذات اعتبارين: دياني وقضائي، فالدياني يربي ضمير الفرد ويخاطب كيانه ويصلح ظاهره وباطنه ويقوم سلوكه؛ من خلال إيمانه بثواب الله وعقابه ومسؤوليته عن الدين يوم القيامة عند تعلمه وتعليمه، أما القضائي يبدو أن المصادر الشرعية الأصيلة والفكر التربوي الإسلامي لم يتطرق للأحكام القضائية التي تُنظم إلزامية التعلم. مع ملاحظة مشروعية ذلك اعتمادًا على مبدأ طاعة أولي الأمر، والمصادر الشرعية كالمصالح المرسلة...إلخ(٢).

ومن هذا المنطلق على رواد الإصلاح تنظيم هذه العملية بالانفتاح على الواقع المعاصر، وتأصيله من قلب رؤيتنا الإسلامية بما يخدم منظومتنا التربوية والتعليمية، ويحيط بخصوصيتها الثقافية وتفرد مرجعيتها.

فالإسلام يعطي خطوطًا عريضة وقواعد وسياسة عامة، ولكن التفاصيل يتركها للدولة، فالتعليم يترك لولي الأمر وللمصالح المرسلة، حيث إن المصالح المرسلة هادية لولي الأمر ومصدر تشريع له وليست منافسة ومناكفة له، وهناك مصالح معتبرة أو ملغاة لولي الأمر أن يأخذ بها.

ومن هذا المنطلق فإن حكم إلزامية التعليم لكلا الجنسين حسب تقسيم مراحل التعليم الأكثر شيوعًا

---

(١) برهان الإسلام الزرنوجي، تعليم المتعلم وطرق التعليم، تحقيق السعدوني، ١٩٣٢، ص١٩-٢٠.

(٢) صالح العلي، التعليم الإلزامي في القرآن والسنة، مرجع سابق، ص٤١٧.

وأشهرها والتي اعتمدنا في المطلب الثاني[١] من دراستنا الحالية.

فإن التعليم الأساسي إلزامي في الأردن تحديدًا، ويمتد عشر سنوات وهو مجاني في المدارس الحكومية الأردنية، بيد إن اليونيسيف وقانون العهد الدولي الخاص بالحقوق الاجتماعية والاقتصادية والذي ينص في المادة (١٣) منه على أن التعليم الابتدائي إلزامي، وليس التعليم الأساسي[٢].

فالتعليم الابتدائي ليس مرادفًا للتعليم الأساسي، كما أكدت ذلك منظمة الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسيف) بالقول إنه: «يعد التعليم الابتدائي والذي يمتد ست سنوات أهم عنصر من العناصر المكونة للتعليم الأساسي؛ إذ يشمل الأشخاص البالغين الذين لا يعرفون القراءة والكتابة، ويواجهون مشاكل في النطق والحساب وحل المشكلات، ومشاكل في المضامين الأساسية للتعليم والقيم والاتجاهات، بحيث يقع التزام على الدولة أن توفر لهم تعليمًا أساسيًّا لتنمية قدراتهم وتمكينهم من العيش بكرامة»[٣].

وقد أكدت دائرة الافتاء أن نفقة الأب على أولاده واجبة لا يشاركه فيها أحد قال النووي: «لا يشترط يسار الوالد في نفقة ولده الصغير، فيستقرض عليه ويؤمر بوفائه إذا أيسر»[٤]. وكذلك نص قانون الأحوال الشخصية على وجوب نفقة الأب على ابنه في المادة (١٨٧)، والتعليم من ضمن النفقة يُلزم الأب بالإنفاق على الابن لإنهاء المرحلة الجامعية الأولى إذا كان الولد أهلًا للتعليم وقد جاء في المادة (١٩٠): يُلزم الأب الموسر نفقة تعليم أولاده في جميع المراحل التعليمية بما في ذلك السنة التمهيدية قبل الصف الأول الثانوي الأساسي، وإلى أن ينال الولد أول شهادة جامعية على أن يكون الولد ذا أهلية للتعليم[٥].

ولا تفوتنا الإشارة إلى قرار وتوصيات مجمع الفقه الإسلامي والذي نص على: «إلزامية ومجانية التعليم الأساسي في جميع الدول الإسلامية لمكافحة الأمية، وتزويد النشء بمبادئ الإسلام والثقافة المعاصرة[٦]».

أما بقية المراحل التعليمية فإن تعلمها على فرض الكفاية، فإلزاميتها تتمحور بحاجة المنظومة الوطنية والإنسانية لها للبناء الحضاري والعمران الكوني؛ فإذا قام به نفر سقط عن مجموع الأمة، وعلى الدولة أن

---

(١) يُنظر مراحل التعليم في المطلب الثاني من هذه الدراسة.

(٢) ليث لوير، التعليم الأساسي إلزامي في الدستور الأردني، موقع رصين Rasseen.com، تاريخ ٢/ ٨/ ٢٠٢١م.

(٣) ليث لوير، التعليم الأساسي إلزامي في الدستور الأردني، موقع رصين Rasseen.com، تاريخ ٢/ ٨/ ٢٠٢١م.

(٤) مغنى المحتاج، ٥/ ١٨٥.

(٥) الموضوع نفقة تعليم الأولاد واجبة على الأب، رقم الفتوى ٣٣٧٨، تاريخ ١٠/ ٤/ ٢٠١٨م،... لجنة الإفتاء، نوع الفتوى بحثية، دار الإفتاء،aliftaa.jo، تاريخ الدخول ٣/ ٨/ ٢٠٢١م.

(٦) قرار بشأن إسلامية مناهج التعليم، قرار رقم ١٣٨(١٥/ ٤)، مجمع الفقه الإسلامي الدولي، ١١/ مارس/ ٢٠٠٤م.

تصنع لها سياسات وخططًا واستراتيجيات استشراقية تعليمية تراعي فيها سوق العمل، وتنسق بين مختلف أطياف الدوائر والمؤسسات ذات الصلة، وتُفعل دور أصحاب المشورة ورواد الفكر والإصلاح وفق رؤية إسلامية، لتحقق الأمن والسلم المجتمعي والنهوض الحضاري.

فلا بد من السعي الجاد الدؤوب لإحياء فروض الكفاية والسعي صوب تحقيقها على أرض الواقع المعيش لتحقيق النمو الحضاري والتعليمي والتربوي... إلخ.

ولا بد لنا أن نستحضر الأهمية الكبرى لفرض الكفاية والنفرة لتحصيلها؛ لأن إقصاء هذا الفرض أو تهميشه والانسحاب من دائرة المسؤولية يوقعُنا تحت سطوة التأثم الشرعي؛ حيث إن التقصير في فرض الكفاية تتعدى مخاطره دوائرنا الذاتية إلى دوائرنا الاجتماعية والإسلامية وحتى الكونية، بيد إن القصور في فرض العين يُلقي بظلال السلبية والانكسار الحضاري والتأثم على الأفراد، ومن ثم من هم في مواقع التمكين والمسؤولية.

وحيث إن أكثر ما يقع الخلط في تقسيم أنواع العلوم بين فرض العين وفرض الكفاية، وحق التعليم لا يُقتصر في الإسلام على طلب العلوم الشرعية، بل يتعدى ذلك إلى ما هو نافع للناس من علوم الدنيا (تكنولوجيا، وهندسة، وطب،... إلخ) فالصحابة رضوان الله عليهم منهم العالم بالقرآن كابن مسعود، وابن عباس، ومنهم المحارب كخالد بن الوليد، ومنهم الشاعر كحسان بن ثابت، ومنهم التاجر كعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف[١].

وتأسيسًا على ما أشرنا في المطلب الثاني من أقسام العلوم الشرعية حيث قُسمت إلى قسمين: فرض عين وفرض كفاية وتجنبًا للتكرار[٢] فإننا نؤكد أن هذا التقسيم ينسحب على كافة أنواع العلوم من العلوم النقلية (معارف الوحي) والعلوم التطبيقية والعلوم الاجتماعية، فإن إلزامية التعليم تقوم أولًا على إلزامية تعلم فرض العين من العلوم الشرعية، وإلزامية تعلم ما يعين كل فرد على ما يحقق له أكبر قدر من كرامة إنسانية في مختلف أصناف العلوم. أما بقية العلوم الأخرى فهي فرض كفاية.

(١) سمر عصام، حق التعليم والإبداع الحضاري في الإسلام، islamonline.net، تاريخ الدخول ١/ ٨/ ٢٠٢١م.

(٢) يُنظر أقسام العلوم الشرعية من المطلب الثاني في هذه الدراسة.

المطلب الخامس
موقع التعليم في سلم المصالح الضرورية، والحاجية، والتحسينية

«إن المقصد العام في التشريع، هو تحقيق مصالح الناس في هذه الحياة، لجلب النفع لهم، ودفع الضرر عنهم، لأن مصالح الناس تتكون من أمور ضرورية لهم، وأمور حاجية، وأمور تحسينية، فإن توافرت هذه الأمور تتحقق مصالحهم، ولا يقل مراعاة الحاجيات والتحسينات عن الضروريات؛ لأنها مكملات للضروريات، ووسائل لها وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ولا شك في أن المحافظة على الحاجي والتحسيني فيه محافظة على الضروري»[١].

فالمقاصد الشرعية تلبي تحديات المشروع الإسلامي المرتقب، وتستوعب مستجداته، وسيتم تناول مراتب المصالح الثلاث التي اعتمدها الشاطبي، والأكثر شيوعًا، وهي على النحو التالي:

المرتبة الأولى :

المقاصد الضرورية عرفها الشاطبي بأنها: ما لا بد منها في القيام بمصالح الدين والدنيا بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وفوت حياة وفي الآخرة فوت النجاة والنعيم[٢].

ومن الجدير بالذكر أن المقاصد مراعاة في جميع الملل والشرائع؛ لأنها من المهمات التي يرتب بها نظام العالم[٣].

والتقسيم الأكثر شيوعًا للمقاصد الضرورية (خمسة أقسام): حفظ الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال.

يقول الإمام الغزالي: «إن جلب المنفعة ودفع المضرة مقاصد الحق ومصالح الخلق في تحصيل مقاصدهم، ونعني بالمصلحة هنا على مقصود الشرع خمس: وهو أن يحفظ عليهم دينهم، وأنفسهم،

(١) إبراهيم بن موسى الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق عبد الله دراز، محمد دراز، دار الكتب العلمية، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

(٢) إبراهيم بن موسى الشاطبي، موافقات في أصول الشريعة.

(٣) محمد عبد العاطي علي، الضروريات والحاجيات والتحسينات، أبحاث وقائع المؤتمر العام الثاني والعشرون، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، www.imtithal.com، تاريخ الدخول ٣/ ٨/ ٢٠٢١م.

وعقلهم، ونسلهم، ومالهم، فكل ما يتضمن هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول الخمسة فهو مفسدة، ودفعها مصلحة»[١].

وقد حرّم الإسلام كل ما يزلزل المقاصد السالفة أو يؤثر على هدف من أهدافها[٢].

المرتبة الثانية:

المقاصد الحاجية وعرفها الشاطبي: ما يقتصر إليه من حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة اللاحقة بفوات المطلوب؛ فإذا لم تراع دخل على المكلفين، على الجملة، الحرج والمشقة، ولكنه لا يبلغ الفساد العادي المتوقع في المصالح العامة[٣].

والفرق بينهما أن الحاجية لا يقع جميع الناس في الحرج، بل البعض.

المرتبة الثالثة:

المقاصد التحسينية: عرفها الشاطبي بقوله: «فمعناها: الأخذ بما يليق من محاسن العادات وتجنب الأحوال المدنسات التي تألفها العقول الراجحات، ومَجمَع ذلك قسم مكارم الأخلاق»[٤].

وبناءً على ذلك التقسيم الذي اعتمدناه في أنواع العلوم من هذه الدراسة: النقلية (مصادر الوحي) وغير النقلية (العلوم الإنسانية، والتطبيقية) وتقسيمها إلى واجب عيني وواجب كفائي؛ فإن معرفة وتعلم الواجب العيني في العلوم الشرعية على الأفراد وعلى من يتصدر المسؤولية في تأمينها لهم هي واجب عيني، وتندرج تحت المقاصد الضرورية، إضافة إلى أنها حق مجتمعي وواجب عيني على أصحاب القرار والتمكين، وتبدأ نواتها من الهيئة الحاكمة ومرورًا بالأسرة وانتهاءً بالمسؤولية المجتمعية، وعلى غرار ذلك أنواع العلوم الأخرى التي لا غنى عنها في النهوض العمراني والبناء الحضاري، أما بقية العلوم فهي فرض كفاية على الأفراد إلا أن يكون إنسان بعينه وصاحب (كفاءات وقدرات خاصة واستثنائية) لا يملأ الفراغ غيره فهي واجب عيني عليه تحديدًا، ولا يسقط عنه وعلى الدولة أن تلزمه بالقيام بدوره المرتقب، أما بقية الأفراد فهي واجب كفائي، ومن الجدير بالذكر أن فرض الكفاية قد يكون أكثر أهمية وأشد خطرًا من فرض العين؛ لتعلق فرض الكفاية بالحق المجتمعي ومسيرة العمران الحضاري، أما فرض العين فيتعلق بالأفراد.

---

(١) أبو حامد الغزالي، المستصفى، ص١٣٩ -١٤٠.

(٢) عبد المحسن بن عبد العزيز الصويغ، خصائص وأهداف النظام الاجتماعي في الإسلام. Alukh.net، تاريخ الدخول ١/٨/٢٠٢١م.

(٣) محمد عبد العاطي علي، الضروريات، الحاجيات، التحسينات.

(٤) إبراهيم بن موسى الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة.

كما إن تأمين كافة أطياف العلوم ومستلزماتها وما تحتاجه الأمة من المقاصد التحسينية الحاجية فإنه يندرج تحت المقاصد الضرورية على أصحاب القرار، ومن هم في مواقع التمكين، بيد إنه في حق الأفراد يندرج تحت المراتب الثلاث السالف ذكرها من مقاصد الشريعة (الضرورية، الحاجية، التحسينية)، فمن المقاصد الضرورية تأمين أجواء ومناخات كافة أنواع التعليم والتعلم ومستلزماتها بما يخدم مسيرة قاطرة العمران الحضاري ولا يُعد من فرض الكفاية، بل من فرض العين بحق أصحاب المسؤولية والقرار والتمكين.

أما من حيث تقسيم المراحل التعليمية الذي اعتمدناه في هذه الدراسة، فإن المرحلة الأساسية للتعليم تندرج تحت المقاصد الضرورية بحق الأفراد، وهي حق لهم وواجب عليهم أيضًا.

ولعل رأي دائرة الإفتاء الذي أشرنا إليه في حكم الإنفاق على الأبناء حتى نهاية المرحلة الجامعية في المطلب الرابع في حكم (إلزامية التعليم) يُدخِل المرحلة الجامعية الأولى تحت سقف المقاصد الضرورية، لا سيما في المناطق التي تسودها المناخات العلمية الآمنة والعناية الخاصة به، ولعل الأردن على سبيل المثال لا الحصر تفرض ثقافتها المجتمعية، وخصوصيتها حصول الذكور والإناث على الحد الأدنى من المرحلة الجامعية الأولى للتعليم. فلربما غياب هذه المرحلة قد يعيق أبجديات مسيرة الحياة من حيث الفرص الوظيفية وفرص الزواج خاصة للإناث.

وبالعودة إلى التقسيم الثلاثي لمراتب مقاصد الشريعة، وتظهر لنا أهمية هذا التقسيم من مسائل الترجيح بين المصالح. وذلك على الترتيب التالي:

١ـ الضروري
٢ـ مكمل للضروري
٣ـ الحاجي
٤ـ مكمل للحاجي
٥ـ التحسيني
٦ـ مكمل للتحسيني

فإذا حصل تعارض بين مصلحتين نتج عن هذه المراتب الست حالات أخرى، فإذا كانت دراسة البكالوريوس المرحلة الجامعية الأولى لا تبدو للوهلة الأولى أنها من الضروريات؛ فهي مكمل لها، وأيضًا استنادًا للقاعدة الفقهية (الحاجة تنزل منزلة الضرورة).

ولا يفوتنا الإشارة إلى أن هذا الأمر لا يمكن أن ينسحب على بقية الأقطار؛ حيث هناك تباين جلي في البيئة والبنية التعليمية والمجتمعية والسياسية... إلخ. أما بقية المراحل التعليمية فهي واجب كفائي بحق الأفراد، إلا أن تكون حالات خاصة كما أسلفنا؛ لحاجة المنظومة الوطنية والحضارية إلى أفراد بعينهم ذوي قدرات وكفاءات خاصة واستثنائية، فيصبح واجبًا عينيًّا عليهم، ولكن يبقى واجبًا عينيًّا، ومن مراتب المقاصد الضرورية على مجموع الأمة وأهل القرار والتمكين وأيضًا المقاصد الحاجية والتحسينية؛ لأن غيابها يترك ثغورًا وفراغات قد تزلزل وتعرقل المسيرة المنشودة.

ومن الحكمة استحضار عدد من التفصيلات والرؤى ذات علاقة وثيقة بهذا المطلب، يمكن أن نجملها بالآتي:

١ـ الجوانب (الجمالية التحسينية للمرأة) لربما كانت سابقًا تندرج تحت التحسينات أما في ظل الانفتاح الإعلامي والاجتماعي لعلها باتت تدخل إلى دائرة الضروريات؛ استنادًا للقاعدة (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب)، فإغلاق الثغور في حياة الزوج وكلا قطبي الحياة الزوجية، والإشباع العاطفي، والاستقرار النفسي ضمن الطاقات المتاحة حقًّا شرعيًّا وتربويًّا، وإنسانيًّا للزوج على زوجته... وأيضًا وجب على الزوج أن يحقق الاكتفاء للزوجة ضمن الطاقات والسبل المتاحة والمستطاعة.

فلا بد أن تكون كوكبة من نساء رائدات في هذا الميدان لتعليم وتجدير وتأكيد الفطرة الأنثوية، الجمالية، الإيمانية في شخصية المرأة المسلمة المعاصرة، بعيدًا عن ملوثاتها التي تقع تحت سطوتها الشريحة الأكبر من النساء في هذه المعمورة، في ظل إفرازات المعاصرة والانفتاح الإعلامي والمجتمعي، وطغيان ثقافة الصورة وتكشف الأسرار والخصوصيات، في مختلف أطياف المنظومة الزوجية والأسرية والاجتماعية، وارتفاع سقف المطالب لقطبي الحياة الزوجية، وهشاشة الرقابة الذاتية، والتربية الإيمانية.

فمن الضرورة إعداد نساء رائدات لتنمية الذوق الجمالي الإيماني الأنثوي الفطري للمرأة المسلمة، تناغم بين جمال الصورة وجمال القلب وجمال الكلمة ودفء المشاعر، ممكن أن يندرج تحت مرتبة المقاصد الضرورية أو المقاصد الحاجية؟[1].

---

(١) يُنظر إنصاف أيوب المومني، هدي النبي ﷺ في التعامل مع زوجاته، عائشة أم المؤمنين أنموذجًا، من أعمال المؤتمر الدولي للسيرة النبوية ٢/ ١/ ٢٠١٣م، جمهورية السودان.
توظيف السنة النبوية في بناء الشخصية للمرأة عائشة أم المؤمنين أُنموذجًا، مجلة الحجاز العالمية المحكمة للدراسات الإسلامية، تصدر عن دار الحجاز بمنظومة الأعمال والمعرفة جامعة الملك عبد العزيز، السعودية ٢٠١٧م.
معالم تربوية من سيرة عالمات مسلمات عائشة الباعونية أُنموذجًا جلة الحجاز العالمية المحكمة للدراسات الإسلامية تصدر عن دار الحجاز بمنظومة الأعمال والمعرفة جامعة الملك عبد العزيز، السعودية، العدد الثاني والعشرون/ ديسمبر/ ٢٠١٧م. =

٢ـ الإقبال غير المسبوق على الدراسات العليا في الجامعات، إذا كانت المخرجات في تخصصات مشبعة في سوق العمل، وقد تستهلك من طاقاتنا البشرية وإمكاناتنا المادية الكم الهائل، ومن ثم تصبح هذه المرحلة تشكل ثقلًا آخر في سوق التخصصات المشبعة، ورصيد البطالة وعدم الإنجاز، وربما حملة الشهادات العليا لا سيما الدكتوراه، قد تجد غضاضة في الوظائف الدنيا، ولا تتاح له الفرصة في الوظائف التي تتناغم ومكانته العلمية والاجتماعية، إضافة إلى أن المخرجات قد تصبح هشة لا ترتقي إلى الحد الأدنى من المستوى المنشود، نظرًا لتغوُّل أصحاب القرار بمصالحهم الشخصية والنفعية الآنية لترفع رصيد رؤوس أموالهم، لا سيما الجامعات الخاصة، فما الحكم في هذه الحالة حيث إننا سنسأل عن أموالنا وأوقاتنا وشبابنا، وطاقاتنا؟!

وهل ممكن أن تدخل في دائرة التأثم الشرعي؟

٣ـ وفي صدد الحديث عن الدور الأنثوي للمرأة المسلمة تجدر بنا الإشارة إلى الحاجة الملحّة (لمساحة تعليمية وتطبيقية) تعنى بدور للمرأة الرسالية (نموذج المرأة المسلمة) الذي يجب أن يظهر لنا على الساحة المعاصرة في رحاب دائرتنا، وفي رحاب الكونية التي تحتاج إليها الإنسانية جمعاء، ولعل الإنسانية تنتظر البديل الإنساني الحضاري، لا سيما لاضطراب هذا المفهوم في واقعه المعيش، ووقوعه تحت سطوة الإفراط والتفريط؛ ما بين انسحاب نموذج المرأة المتفلت من أبجديات الفطرة الإنسانية وما بين الوقوع تحت سطوة الانغلاق؛ والانسحاب الحضاري من معركة الحياة لسوء فهم النص الديني، ولاستحواذ عقدة الذكورة والموروث الاجتماعي، فما حجم هذه الحاجة لهذا النموذج؟ وحيث إن غياب هذا النموذج يجد من يملأ الفراغ من القدوات البائسة والعابثة، مما يشكل خطرًا في البناء الإيماني والحضاري للمسلم المعاصر، فهل ممكن أن تندرج هذه الحاجة تحت رتبة المقاصد الضرورية أو الحاجية[1]؟

= هدي النبي ﷺ التعامل مع زوجاته، عائشة أم المؤمنين أنموذجًا، من أعمال المؤتمر الدولي للسيرة النبوية ٢١/ ٢٠١٣ جمهورية السودان.

مجموعة مقالات تحت سلسلة (هو وهي) وغيرها.

(١) يُنظر إنصاف أيوب المومني، أُنموذج المرأة المسلمة المعاصرة: مفهومه ومعالمه المقترحة، المجلة الأردنية للدراسات الإسلامية، جامعة آل البيت، مجلد ٥، العدد ٢١، ١٤٤٠ هـ- ٢٠١٩م.

/ إنصاف أيوب المومني نموذج المرأة المعاصرة بين الواقع والطموح، من منشورات أعمال مؤتمر الإسلام والتحديات المعاصرة عمان الأردن ٢٠١٧م.

يُنظر: مجموعة مقالات للكاتبة تحت عنوان المرأة الرسالية والعديد من اللقاءات من اللقاءات الإعلامية بهذا الميدان.

المطلب السادس
موقع التعليم في سلم الحقوق والواجبات وحكم الإنفاق عليه

يشكل موقع التعليم في سلم الحقوق وحكم الإنفاق عليه دورًا مفصليًّا في مسيرة المنظومة التعليمية وقد تضطلع في هذا الجانب أطياف متعددة من مسؤولية الدولة والتي تشكل السقف الأعلى لإدارة المشهد التعليمي، مرورًا بالأسرة نواة الانطلاق وهي من تصاحب التفاصيل والدقائق في المسيرة التعليمية بل وتجذر الجوانب العقلية والوجدانية، انتهاءً بالمسؤولية المجتمعية (الحق المجتمعي) التي يندرج تحت سقفها كل أطياف المجتمع؛ كلٌّ حسب قدراته وإمكاناته المتاحة، إن من أهم المعضلات التي تقع تحت سطوتها في واقعنا المعيش في اللحظات الراهنة ولربما عبر مسيرة العمران الإنساني والحضاري الخلطَ، وعدم التوازن بين (الثنائيات المتقابلة) الحقوق والواجبات بين الأخذ والعطاء فمالك الكون سبحانه وتعالى بجلال عظمته وتفرد جبروته وعظم قدرته جعل له حقًّا على العباد وجعل لهم حقًّا عليه سبحانه وتعالى فهناك مؤلفات تحت مسمى (حق الله على العباد وحق العباد على الله) فالأصل التوازن بين الثنائيات: الأخذ والعطاء فالأخذ لا بد أن يوازيه العطاء، والعطاء لا بد أن يوازيه الأخذ، فالمطالبة غير المنطقية بالأخذ دون إعطاء الحق وتقديم الواجب (أنانية بائسة) تمثل صنمية الأنا، وعشقها اللامنتهي بيد إن العطاء غير المتكرر الدائم دون مقابل وبناء الذات، وترتيب أبجديات أولوياتها خسارة مضاعفة وضعف، ووهن ربما يفوق خسارتنا بالشق الأول، وقد يزلزل منظومتنا الإنسانية، وتأسيسًا على ما سبق سنتناول في هذا المطلب المفاصل المحورية التي تضطلع بالدور الرئيس في موقع التعليم بين الحقوق والواجبات، وحكم الإنفاق عليه في محاور رئيسية:

المحور الأول: موقع الدولة (السلطة الحاكمة والإدارية) فالمسؤولية التعليمية للدولة من منطلق تقسيمات علماء الإسلام في عمق التجربة الإسلامية يمكن أن نوجز القول تندرج تحت ثلاثة مستويات[١]:

أولها: الإلمام بأمور الدين الأساسية، وشؤون الدنيا الضرورية، والتعليم عند هذا المستوى واجب عيني، وعلى الفرد أن يسعى إليه، كما إنه واجب على الدولة أن تهيئه للطالبين أو المحتاجين؛ باعتبار إن

(١) علي حسن القرشي، دراسة تحليلية لمقومات التربية السياسية في ضوء القرآن والسنة، أطروحة دكتوراة، كلية التربية، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٨٦م، ص١٤٦-١٤٨.

ذلك جزء من الوظيفة التربوية والتثقيفية التي تضطلع بها الدولة.

ثانيهما: العلم الديني على المستوى التخصصي الذي يصنع العالم المجتهد الذي يكون بمقدوره بيان الأحكام ورصد الفتوى واستنباط الحكم الشرعي في النوازل المستجدة فهو واجب كفائي ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١٢٢].

ثالثهما: العلم الدنيوي، فالرؤية الإسلامية لطلب العلم لم تقتصر على العلم الشرعي، بل على كل أنواع العلوم المادية والطبيعية بما يتصل بضروريات الحياة ومتطلباتها وفائدة المسلمين ونفعهم وتقدمهم، وقد أكد العلماء تعلم الطب والصناعات والفنون واجبًا كفائيًّا، مما يعني أن الدولة تتحمل هذا المستوى من التعليم وتهيئته للقادرين علية، فالدولة الحضارية الإسلامية هي من تكون حاضرة في قلب الحدث وليست منسحبة من دورها، فالمسؤولية الحضارية للدولة تتسع وتضيق تبعًا للظروف التي تمر بها الأمة، ويتعاظم الدور المطلوب من الدولة في مجال التعليم والصحة حتى تخرج الأمة من حالة التردي بوصفها المسؤولة عن أحوال الأمة، وفي المقابل يمكن القول: إن الأمة هي المكلفة بفعل النهضة والعمران وعليه يُتوقع أن دور الأمة في التعليم والصحة وغيرها هو الدور الرئيس والدولة تقوم بدورها في هذه المجالات لتعويض الناقص، أو على الدولة التدخل في مواجهة الأزمات فإذا انخفض مستوى الخدمات التعليمية على الدولة أن تتدخل[١].

وقد كان هذا الأمر حاضرًا في نواة الانطلاق للمشهد التعليمي: «فحينما تأسست الدولة الإسلامية في المدينة المنورة (يثرب) وكان المسجد النبوي من أهم دعائمها، وكان المؤسسة التعليمية الرسمية الأولى، وإن معظم المسلمين كانوا يتلقون في هذا المسجد تعاليم الدين وما أوجبته الظروف المرتبطة بنشأة هذا المجتمع، فآيات القرآن الكريم، وفرائض الدين، والقوانين المنظمة لهذا المجتمع، وسبل حمايته»[٢]. وكان كل مسلم بعد إعلان إسلامه بنطقه الشهادتين عليه أن يحفظ آيات القرآن الكريم، بطريقة التلاوة إذ يتلو الرسول ﷺ آيات الله كما أُنزلت عليه بطريقة التلاوة، ويرددها المسلمون حتى يحفظوها عن ظهر قلب[٣].

فالهيئة الحاكمة والإدارية هي من تقوم برسم استراتيجيات وخطط ومشاريع، وتتابعها في نشأتها وتطورها وتفتح أبواب الشراكة لكافة المؤسسات والجهات ذات الصلة، وأن تتابع الخطط والمشاريع بالإشراف والمحاسبة والمتابعة ويُعد ذلك واجبًا إلزاميًّا على الدولة وهذا الأمر يُعد (حقًّا مجتمعيًّا) وحقًّا

(١) رفيق حبيب، الوسطية الحضارية تحديات الفكرة والحركة، القاهرة، مكتبة مدبولي، ٢٠١٠م، ص١٩٠.
(٢) ابن خلدون، المقدمة، ص٥٠٦.
(٣) سعيد إسماعيل علي، رؤية إسلامية لقضايا تربوية، ص٧٨.

لمجموع الأمة، والحق العام كما يقول الشاطبي يترتب عليه واجب على الدولة، ولعل الفرض الكفائي بحق الأفراد يكون بحق الدولة واجبًا عينيًّا، فرضًا على السلطة أن تؤمن المناخات العلمية الآمنة وتوفر كل سبلها ومختلف تخصصاتها التي تحتاجها المسيرة العمرانية والبناء الحضاري، ويؤكد الشاطبي أن ما هو مندوب في حق الأفراد هو واجب في حق المجتمع، ويُعد الدعم المالي جانبًا من الجوانب التي يجب على الدولة أن توليها الاهتمام والرعاية الأولية لطلبة العلم ولكافة عناصر العملية التعليمية ولمؤسساتها وأجهزتها، كما لا يفوتنا أن على الدولة أن تفتح قنوات الشراكة مع كافة أقطاب مؤسساتها وأركانها؛ لتعمل مجتمعة صوب الهدف المنشود؛ لأن تخلف أي مؤسسة أو وسيط عن دوره سيفرز لنا اضطرابًا في مسيرة قاطرة التعليم.

وفي المقابل حق للدولة أن ينفذ الأفراد خططها ومشاريعها، بل وحق لها أن تُجبر المواطنين على تنفيذ كل ما يطلب منهم للنهوض برتبة التعليم، بل واجب عليهم السعي الدؤوب والعمل الجاد وإيجاد الحلول والرؤى الإبداعية لتحقيق الغرض المنشود.

المحور الثاني: الأسرة

ففي صدر الإسلام وعصر الرعيل الأول عصر النقاء الإسلامي انتظم أمر الكتاتيب بصورة فنية فائقة لعناية الناس بأمر أولادهم، واشتداد الدولة واهتمامها بأمر التعليم(١).

أما عن دور الأسرة في التعليم فقد قال فيه الشافعي والأصحاب رحمهم الله: على الآباء والأمهات تعليم أولادهم الصغار ما يتعين عليهم بعد البلوغ، فيعلمهم الولي الطهارة، والصلاة، والصوم، ونحوها، ويُعرفهم تحريم الزنا، واللواط، والسرقة، وشرب الخمر، والكذب، والغيبة، ويعرفهم أن البلوغ يدخل في التكليف، ويعلمهم النظر في مالهم، ويُعرفهم ما يصلح به معاشهم، ودليل تعليم الولد الصغير والمملوك قوله عز وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم: ٦].

ومما تجدر الإشارة إليه أن علم القلب ومعرفة أمراض القلب كالحسد، والعُجب وشبهها قال فيها الغزالي: معرفة حدودها وأسبابها وعلاجها فرض عين(٢). ولعل الأسرة وتحديدًا قطبي الحياة الزوجية الوالدين هما الأكثر التصاقًا بالأبناء، وهم الأقدر على تحديد وتزكية هذا الجانب.

المحور الثالث: المسؤولية المجتمعية

---

(١) محمد أسعد أطلس هنداوي، التربية والتعليم في الإسلام، handawi.org، تاريخ الدخول ٣١/ ٧/ ٢٠٢١م.

(٢) محيي الدين يحيى بن شرف النووي المتوفى (٦٧٦هـ)، كتاب العلم وآداب العالم والمتعلم، تحقيق عبد الله بدران، بيروت، قردان، دمشق حلبوني، ١٩٩٣م / ١٤١٣هـ، ص٨٤- ٨٥، مرجع سابق.

المطلب السابع
دعم التعليم الإبداعي، والنقدي، والبحث العلمي، والابتكارات

يضطلع تفعيل دور المبدعين، وفتح قنوات الابتكار، والتفكير النقدي والبحث العلمي بالنهوض والإبداع الحضاري علوًّا وانكسارًا، أخذًا وعطاءً، تبادلًا وتفاعلًا.

إن امتنا الإسلامية التي شهد لها خطاب السماء بأنها خير أُمة اخرجت للناس: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، لا بد لها أن تقدم البديل الحضاري وأستاذية الكونية للإنسانية المضطربة كما قدمته في تجربتها الريادية ردحًا من الزمان فنعمت المعمورة، والإنسانية بالحب، والسلام والأمن، والأمان.

ولعل تقدم الآخر علينا يعود إلى الاهتمام الخاص بفضاء البحث العلمي الجاد، وتفعيل دور المبدعين في شتى أطياف الإبداع والابتكار، التي تنهض برتبة الإنسان إلى علياء العطاء واستثمار القدرات والطاقات (فالحضارة فعل وليس نقلًا).

ولعل التزام الباحث المسلم والثلة المبدعة في رحاب ديار الإسلام «بالضابط الحضاري مقترنًا بالضابط التعبيري إضافة إلى الضابط المنهجي»[١] سيقدم لنا نواة إشعال فتيلة الإبداع الحضاري؛ للانطلاق لأهداف الأمة العليا في مشروع التغيير الحضاري الإسلامي المرتقب.

«ومن خلال قراءة (التفسير الحضاري للتاريخ) نخلص إلى أن الحصيلة النهائية لدور الجماعة تقاس بمدى دورها الحضاري، حماية ونقلًا أو إبداعًا وابتكارًا»[٢].

لقد أراد الله للإنسان أن يكون خليفته في الأرض، فمنحه القدرة العقلية على التعلم، والمقدرة الجسدية على التنفيذ والعمل والإبداع، والإرادة (الحرة) لاختيار أسلوب الحياة التي يقوده إليها فكره، ودوافعه، النفسية والجسدية لكي لا يحس (بالدونية) ورفعة مكانته إلى أعلى المصاف، وطلب من الملائكة أن يسجدوا له، وتلك هي أسس تقود بلا ريب إلى تصور دور الإنسان في العالم كقوة فاعلة، مفكرة، قادرة، منفذة، مستقلة، مفضلة الأمور التي لا بد منها لأي إبداع حضاري على الأرض[٣].

---

(١) علي عجين، أساليب البحث ومصادر الدراسات الإسلامية، الأردن، جامعة آل البيت، سنابل الخير، ٢٠١٨م، ص٣٠.
(٢) عماد الدين خليل، التفسير الإسلامي للتاريخ، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٥م، ص١٧٣.
(٣) عماد الدين خليل، التفسير الإسلامي للتاريخ، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٥م، ص١٩٢.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾ [البقرة: ٣٤]، إن مقياس التفوق الحضاري لا يكمن في خضم الإنتاج الكمي بقدر ما يكمن في مدى (أخلاقية) الجماعة المتحضرة وسعيها لخدمة الأهداف الإنسانية الشاملة[١].

إن أمتنا وهي تتطلع إلى الشهود والإبداع الحضاري، وتفعيل دورها الغائب المرتقب، لا بدّ من العودة إلى...الأولى التي نهل منها الرعيل الأول تجربته الإبداعية الرائدة؛ انطلاقًا لبناء النخبة المبدعة التي تمثل عقل الأمة وقلبها النابض، لتعمد أمام هذه الأعاصير العاتية من الداخل والخارج والتي تسعى... ثوابتها العقدية وربما أدنى أبجديات حقوقها وكرامتها الإنسانية.

وربما هذا الصراع على الجهات المتعددة والترهل والانسحاب الحضاري، يشكل... المناسب لتنشيط الإدارة، واستعادة الهمة لإشعال فتيلة الغير والإقلاع والإبداع الحضاري.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الإبداع والابتكار والبحث العلمي وكل ما يندرج تحت سقف هذا المفهوم تحكمه جملة ضوابط لا يمكنه أن ينسلخ منها، فعلى رأس هذه الضوابط: «الهدفية والغاية السامية من الإبداع من تعلم علمًا مما يبتغى به وجه الله عز وجل لا يتعلمه إلا ليصيب عرضًا من الدنيا لم يجد... الجنة يوم القيامة»[٢]. فلا يعد الإبداع المظلم من فن هابط.

كما لا يفوتنا الإشارة والتأكيد على أخلاقيات الإبداع الإسلامي. إضافة إلى أن الإبداع الإسلامي يشتعل بارتباط كل فعل بالنية الخالصة لله والتقوى (اتقِ ترتقِ) أما الأخيرة فإن استثمار طاقات المبدعين ليست مسؤولية الأفراد وحدهم، بل لا بد من تعاضد الفئات المجتمعية كاملة وتت... لهذه المسؤولية المشتركة.

وبعد عملية بحثية استقصائية لرصد النسق المفهومي للإبداع الإسلامي، وما يندرج تحت تفاصيله من المفاهيم ذات الصلة والأشد التصاقًا به في التصور الإسلامي، اجتهدنا في حصر عدد من المرادفات التي تستوعبه وتتجاوزه إلى فضاء أوسع، وبما أن هذه الدراسة تنصب على التطبيقات... وأحكامها... فسنورد إطلالة مختزلة على أهم مرادفاته وبتركيز شديد ومنها:

التجديد لقوله ﷺ: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها»[٣]. وهذا يعمل على زحزحة العقل المسلم من حالة السكون والجمود إلى آفاق الفاعلية والبناء، والدعوة التجديدية تمس

(١) عماد الدين خليل، التفسير الإسلامي للتاريخ، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٥م، ص٢٩٠.
(٢) سنن أبي داود، كتاب العلم، باب طلب العلم لغير تعالى، ص٥٤، قال الألباني: حديث صحيح.
(٣) المستدرك على الصحيحين، كتاب ألف... والملاحم ج٤، ص٥٦٧، رقم الحديث (٨٥٩٢) سنن أبي داوود.

عمق الأشياء والظواهر، فعلى المسلم أن يلم بمعرفة كيف يتم إبداع الأشياء[١]؟

الإحسان: فالعبادة في الرؤية الإسلامية مسار مفتوح على كل فعل إسلامي يقوم به المسلم طلبًا للارتقاء بدرجات الإبداع.

السنة الحسنة: لقوله ﷺ: «من سن في الإسلام سنة حسنة، فعُمل بها بعده كُتب له مثل أجر من عمل بها بعده، ولا ينقص من أجورهم شيئًا، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعمل بها من بعده، كُتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيئًا»[٢].

وفي هذا الحديث دعوة إلى التفكير البدع الذي يسن سنة حسنة... الخروج إلى دائرة الابتكار.

الاجتهاد: وهو رديف الإبداع، وربما يستوعبه إلى فضاء أوسع منه، والاجتهاد سبب من أسباب الابتكار في الإسلام، وشاهد على حضور العقل الإبداعي المتوقد الفعال، وخلاصة القول: إذا أردنا من مُعِيقاتنا الحضارية لنخرج من الترهل فما علينا إلا أن نُعيد فاعلية الاجتهاد المؤسسي؛ لتملك زمامه طلائع من الفئة المبدعة، التي تجمع مقومات الشخصية الإسلامية بإطارها المتوازن: الإخلاص، والنبض الإيماني المتدفق، والكفاءة العلمية، ويستدعي ذلك منا وقفة متأنية لجغرافيا الفكر الإسلامي لحصر طاقاته...لنخرج من قوقعة الانتظار إلى الفعل والبناء، ونتجاوز محنة فن الإبداع في دفن وإقصاء الطاقات الإبداعية تارة، ومحنة الأدمغة المهاجرة أطوارًا أخرى.

ويمكن لنا أن نشير إلى مفهوم الاجتهادية للفكر التربوي الإسلامي، حيث يستفرد الفكر التربوي الإسلامي بطبيعته التي تميزه عن غيره وهي (الاجتهادية)، ويُقصد بها: أن الفكر التربوي الإسلامي هو عملية إنسانية؛ لتحث على تفكير الإنسان ونظره وتأمله، واستخداماته لآليات المناهج لمصادر المعرفة المتاحة، كما أنها تقوم على ثلاثية تفاعل العقل مع النصوص الشرعية مع واقع الحياة التربوي، ولولا هذا التفاعل بين هذه الثلاثية (العقل، والنص، والواقع) لما خلصنا إلى فكر تربوي إسلامي[٣].

وذلك يُلقي بظلاله على استقلالية الباحث المفكر الإسلامي التربوي، أو ما يمكن تسميته بالفقيه التربوي بالقراءة الواعية، وبذهنية ناقدة لأدبيات الفكر التربوي؛ للانفتاح على الخبرات التربوية العالمية ومختلف الخبرات التراكمية، للانتقاء التربوي بما يتناغم ورؤيتنا الإسلامية ليثري رصيدنا الإبداعي.

---

(١) مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ص٥٥-٥٦.

(٢) رواه أبو داود والحاكم والبيهقي في المعرفة عن أبي هريرة، حديث رقم (١٨٤٥)، ج٢، ص٢٨٢.

(٣) عدنان خطاطبة، محددات الفكر التربوي الإسلامي وانعكاساتها على رؤية المفكر التربوي الإسلامي، مجلة المنارة للبحوث والدراسات، مجلد ٢١، عدد٢، جامعة آل البيت، ٢٠١٥م، ص١٦٥.

وأمام عجز الدول العربية والإسلامية على خدمة الاحتياجات الراهنة للتقدم العلمي المجاني، وخروج جامعاتنا من التصنيفات العالمية للجامعات ظهرت الحاجة إلى الوقف على البحث العلمي بما يحقق للأمة اكتفاءها الذاتي، ويعمل على تعزيز استقلاليتها عن طريق التوجيه نحو النفقة على الجامعات ذات التخصصات الحيوية، والتوسع بالاستثمارات الوقفية؛ لتشجيع المبادرات؛ ولتحقيق جودة التعليم[١]. ولتحقيق الإبداع الحضاري والتنمية العلمية الشاملة في كافة فضاءات الابتكار والإبداع.

إذ تتميز الجامعة الوقفية في الغالب باستقلال تمويلها وإدارتها...إلخ، مما يتيح أمامها الإبداع والتطور، وهناك عدة قنوات للإسهام في الوقف العلمي ومنها: المساهمة العينية، والاستقطاع الشهري، ووقف العلم بالخبرة والوقت[٢].

وقد جاءت جامعة (هارفرد) بالمرتبة الأولى عالميًّا وفقًا للمبالغ المخصصة لها. وقد أثمر ذلك عدة مؤشرات كمية ونوعية تعكس من خلالها ما وصلت إليه من تطور[٣].

أما إذا تحدثنا عن دور الوقف في المرتبة الأولى من الفقه المقاصدي وعنايته الخاصة بالعقل، فإن للوقف إسهامات واضحة وملموسة في حفظ العقل، وذلك من خلال بناء الشخصية العلمية، وإنعاش العقل العلمي، وبناء محافل التعليم والعلم، والصرف على مستلزماتها والقائمين عليها من أساتذة ومدرسين[٤].

من القضايا الملحة في البناء العلمي للأمة إنشاء مراكز لدعم وتطوير البحث العلمي، فهي الواجهة التي تستطيع من خلالها الأمة أن تبني حاضرها وتضمن مستقبلها، والمتتبع لفقه الوقف يجد الفقهاء استدلوا إلى مراعاة المصلحة في كثير من المسائل ومن ذلك: استجابة للقاعدة الفقهية «تصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة»، وتأسيسًا على ذلك يجب على والي الوقف أن يراعي حاجات المجتمع وفق الأولويات الشرعية بترتيبها المعروف؛ الضروريات، ثم الحاجيات، ثم التحسينات، بما يحقق التنمية

(١) محمد الحبيب منّاوي، أثر الوقوف في البحث العلمي والنهوض الحضاري: نموذج الوقف على الجامعات، mall.doc، تاريخ الدخول ٥/ ٨/ ٢٠٢١م.

(٢) محمد الحبيب منّاوي، أثر الوقوف في البحث العلمي والنهوض الحضاري: نموذج الوقف على الجامعات، mall.doc، تاريخ الدخول ٥/ ٨/ ٢٠٢١م.

(٣) محمد الحبيب منّاوي، أثر الوقوف في البحث العلمي والنهوض الحضاري: نموذج الوقف على الجامعات، mall.doc، تاريخ الدخول ٥/ ٨/ ٢٠٢١م.

(٤) علاء الدين رحال، أحمد محمد السعد، دار الإفتاء، دراسات وبحوث، aifta.a.jo، ٧/ ٢/ ٢٠١٣م، تاريخ الدخول ٥/ ٨/ ٢٠٢١م.

البشرية والنهضة الحضارية للأمة، فالواجب على ولي الأمر على الوقف بذل الواجب فيما هو أصلح للمسلمين فإذا استوعب فكرة في وجوه المصالح ووجد مصلحة هي أرجح للمسلمين وجب عليه فعلها، فإن رأى توجيه الوقف على البحث العلمي وجب ذلك؛ لما له من أهمية في عز الأمة وشهودها الحضاري[١].

خلاصة الأمر «أن استثمار أموال الوقف في مجال مشاريع البحوث العلمية فريضة عصرية يدل عليها الواقع، وفريضة يلزمنا بها الشارع»[٢].

وحيث أن تفعيل الإبداع الإسلامي مسؤولية مشتركة... بها مختلف الأطياف المؤسسية والفردية والرسمية وغير الرسمية؛ لأن تفعيل دور الثلة المبدعة ووصولها إلى مواقع التمكين وفق التصور الإسلامي، هو ما يجب أن يتصدر الأولويات، فإذا كان للوقف الدور المحوري فإن على الهيئة الحاكمة دعم الثلة المبدعة... مع أهل الخبرات والشورى والاجتهاد... الدؤوب في ذلك، بل ورسم سياسات وخطط هادفة... وبدعم مالي وإعلامي، وكافة أقطاب ومحاور الفضاء الاجتماعي تبدأ من الأسرة... الكشف عن الطاقات الاستثنائية من خلال تفعيل حرية التعبير وحرية الرأي، ونشر أجواء ومناخات الحرية الواعية الهادفة، وإقصاء كل أنواع القمع الأسري والمدرسي... إلخ.

وعلينا أن ندرك أن لا نحصر القدرات والطاقات في جوانب تخصصية محددة، بل نفتح آفاق التخصصية للخروج من زنزانة التخصص أولًا، ولحاجة الأمة لمختلف أطياف العلوم والقدرات الهادفة.

(١) عالية ضيف الله، الوقف على البحث العلمي، مشروعيته، وضوابطه، الإمارات العربية المتحدة، جامعة الإمارات العربية، العين.

(٢) عالية ضيف الله، الوقف على البحث العلمي، مشروعيته، وضوابطه، الإمارات العربية المتحدة، جامعة الإمارات العربية، العين.

القرارات والنتائج والتوصيات

أولًا: التعليم والتربية والتزكية والتثقيف والتنوير مفاهيم بينها قواسم مشتركة وتباين في جوانب شتى.

ثانيًا: المعيار الأكثر شيوعًا في تقسيم أنواع التعليم تقسيمها إلى علوم نقلية؛ مصادر الوحي، وعلوم طبيعية وإنسانية، أما حيث الحكم فرض عين وفرض كفاية.

ثالثًا: الرؤيا الإسلامية دعوة مفتوحة لنشر ألوية العلم الهادف في كل تفاصيل الحياة، ومنابع الوحي الأصيلة تُجذر وتؤكد قيمة العلم، وتعده من أعلى مراتب العبادة للنهوض الحضاري والعمران الإنساني، ولتحقيق وظيفة الاستخلاف والاستعمار في الأرض.

رابعًا: مبدأ إلزامية التعليم والمساواة العادلة بين الناس مبدأ يقره الإسلام ويدعو إليه.

فالإسلام يعطي خطوطًا عريضة وقواعد وسياسة عامة، ولكن التفاصيل يتركها للدولة فالتعليم يترك لولي الأمر وللمصالح المرسلة؛ حيث إن المصالح المرسلة هادية لولي الأمر ومصدر تشريع له، وليست منافسة ومناكفة له، وهناك مصالح معتبرة أو ملغاة لولي الأمر أن يأخذ بها.

ومن هذا المنطلق فإن حكم إلزامية التعليم لكلا الجنسين حسب تقسيم مراحل التعليم الأكثر شيوعًا وأشهرها، التي اعتمدنا في المطلب الثاني[١] من دراستنا الحالية.

فإن التعليم الأساسي إلزامي في الأردن تحديدًا، ويمتد عشر سنوات، وهو مجاني في المدارس الحكومية الأردنية، بيد إن اليونيسيف وقانون العهد الدولي الخاص بالحقوق الاجتماعية والاقتصادية والذي ينص في المادة (١٣) منه على أن التعليم الابتدائي إلزامي وليس التعليم الأساسي[٢].

فالتعليم الابتدائي ليس مرادفًا للتعليم الأساسي، كما أكدت ذلك منظمة الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسيف) بالقول: إنه «يعد التعليم الابتدائي والذي يمتد ست سنوات أهم عنصر من العناصر المكونة للتعليم الأساسي؛ إذ يشمل الأشخاص البالغين الذين لا يعرفون القراءة والكتابة، ويواجهون مشاكل في النطق والحساب وحل المشكلات، ومشاكل في المضامين الأساسية للتعليم والقيم والاتجاهات، بحيث

(١) يُنظر مراحل التعليم في المطلب الثاني من هذه الدراسة.

(٢) ليث لوير، التعليم الأساسي إلزامي في الدستور الأردني، موقع رصين Rasseen.com، تاريخ ٢/٨/ ٢٠٢١م.

يقع التزام على الدولة أن توفر لهم تعليمًا أساسيًّا لتنمية قدراتهم وتمكينهم من العيش بكرامة»[١].

وقد أكدت دائرة الافتاء أن نفقة الأب على أولاده واجبة لا يشاركه فيها أحد، قال النووي: «لا يشترط يسار الوالد في نفقة ولده الصغير، فيستقرض عليه ويؤمر بوفائه إذا أيسر»[٢]. وكذلك نص قانون الأحوال الشخصية وجوب نفقة الأب على ابنه في المادة (١٨٧) والتعليم من ضمن النفقة يُلزم الأب بالإنفاق على الابن لإنهاء المرحلة الجامعية الأولى؛ إذا كان الولد أهلًا للتعليم وقد جاء في المادة (١٩٠): يلزم الأبَ الموسر نفقةُ تعليم أولاده في جميع المراحل التعليمية، بما في ذلك السنة التمهيدية قبل الصف الأول الثانوي الأساسي، وإلى أن ينال الولد أول شهادة جامعية على أن يكون الولد ذا أهلية للتعليم[٣].

ولا تفوتنا الإشارة إلى قرار وتوصيات مجمع الفقه الإسلامي، الذي نص على: «إلزامية ومجانية التعليم الأساسي في جميع الدول الإسلامية؛ لمكافحة الأمية وتزويد النشء بمبادئ الإسلام والثقافة المعاصرة»[٤].

أما بقية المراحل التعليمية فإن تعلمها على فرض الكفاية، فإلزاميتها تتمحور بحاجة المنظومة الوطنية والإنسانية لها للبناء الحضاري والعمران الكوني؛ فإذا قام به الغير سقط عن مجموع الأمة، وعلى الدولة أن تصنع لها سياسات وخططًا واستراتيجيات استشراقية تعليمية؛ تراعي فيها سوق العمل، وتنسق بين مختلف أطياف الدوائر والمؤسسات ذات الصلة، وتُفعل دور أصحاب المشورة ورواد الفكر والإصلاح وفق رؤية إسلامية؛ لتحقق الأمن والسلم المجتمعي والنهوض الحضاري.

فلا بد من السعي الجاد الدؤوب لإحياء فروض الكفاية والسعي صوب تحقيقها على أرض الواقع المعيش؛ لتحقيق النمو الحضاري والتعليمي والتربوي... إلخ.

خامسًا: موقع التعليم في سلم المصالح الضرورية، والحاجية، والتحسينية، حسب أنواع العلوم وأقسامها والمراحل التعليمية، وبناءً على ذلك التقسيم الذي اعتمدناه في أنواع العلوم من هذه الدراسة: النقلية (مصادر الوحي) وغير النقلية (العلوم الإنسانية، والتطبيقية) وتقسيمها إلى واجب عيني وواجب كفائي؛ فإن معرفة وتعلم الواجب العيني في العلوم الشرعية على الأفراد، وعلى من يتصدر المسؤولية في

(١) ليث لوير، التعليم الأساسي إلزامي في الدستور الأردني، موقع رصين.م2/8/2021 خبر، Rasseen.com

(٢) مغنى المحتاج، ٥/ ١٨٥.

(٣) الموضوع نفقة تعليم الأولاد واجبة على الأب، رقم الفتوى ٣٣٧٨، تاريخ ١٠/ ٤/ ٢٠١٨م... لجنة الإفتاء، نوع الفتوى بحثية، دار الإفتاء، aliftaa.jo، تاريخ الدخول ٣/ ٨/ ٢٠٢١م.

(٤) قرار بشأن إسلامية مناهج التعليم، قرار رقم ١٣٨(١٥/ ٤)، مجمع الفقه الإسلامي الدولي، ١١/ مارس/ ٢٠٠٤م.

تأمينها لهم هي واجب عيني وتندرج تحت المقاصد الضرورية، إضافة إلى أنها حق مجتمعي وواجب عيني على أصحاب القرار والتمكين، وتبدأ نواتها من الهيئة الحاكمة، ومرورًا بالأسرة، وانتهاءً بالمسؤولية المجتمعية، وعلى غرار ذلك أنواع العلوم الأخرى التي لا غنى عنها في النهوض العمراني والبناء الحضاري، أما بقية العلوم فهي فرض كفاية على الأفراد، إلا أن يكون إنسان بعينه وصاحب (كفاءات وقدرات خاصة واستثنائية) لا يملأ الفراغ غيره؛ فهي واجب عيني عليه تحديدًا، ولا يسقط عنه، وعلى الدولة أن تلزمه بالقيام بدوره المرتقب، أما بقية الأفراد فهي واجب كفائي، ومن الجدير بالذكر أن فرض الكفاية قد يكون أكثر أهمية وأشد خطرًا من فرض العين لتعلق فرض الكفاية بالحق المجتمعي ومسيرة العمران الحضاري، أما فرض العين فيتعلق بالأفراد.

كما أن تأمين كافة أطياف العلوم ومستلزماتها، وما تحتاجه الأمة من المقاصد التحسينية الحاجية، فإنه يندرج تحت المقاصد الضرورية على أصحاب القرار، ومن هم في مواقع التمكين، بيد أنه في حق الأفراد يندرج تحت المراتب الثلاث السالف ذكرها من مقاصد الشريعة (الضرورية، الحاجية، التحسينية)، فمن المقاصد الضرورية تأمين أجواء ومناخات كافة أنواع التعليم والتعلم ومستلزماتها، بما يخدم مسيرة قاطرة العمران الحضاري، ولا يُعد من فرض الكفاية، بل من فرض العين بحق أصحاب المسؤولية والقرار والتمكين.

أما من حيث تقسيم المراحل التعليمية والذي اعتمدناه في هذه الدراسة، فإن المرحلة الأساسية للتعليم تندرج تحت المقاصد الضرورية بحق الأفراد، وهي حق لهم، وواجب عليهم أيضًا.

ولعل رأي دائرة الإفتاء الذي أشرنا إليه في حكم الإنفاق على الأبناء حتى نهاية المرحلة الجامعية، في المطلب الرابع في حكم (إلزامية التعليم) يُدخِل المرحلة الجامعية الأولى تحت سقف المقاصد الضرورية، لا سيما في المناطق التي تسودها المناخات العلمية الآمنة والعناية الخاصة به، ولعل الأردن على سبيل المثال لا الحصر تفرض ثقافتها المجتمعية، وخصوصيتها حصول الذكور والإناث على الحد الأدنى من المرحلة الجامعية الأولى للتعليم، فلربما غياب هذه المرحلة قد يعيق أبجديات مسيرة الحياة من حيث الفرص الوظيفية، وفرص الزواج خاصة للإناث.

وبالعودة إلى التقسيم الثلاثي لمراتب مقاصد الشريعة، تظهر لنا أهمية هذا التقسيم من مسائل الترجيح بين المصالح، وذلك على الترتيب التالي: الضروري مكمل للضروري، الحاجي مكمل للحاجي، التحسيني مكمل للتحسيني، فإذا حصل تعارض بين مصلحتين نتج عن هذه المراتب الست حالات أخرى؛ فإذا كانت دراسة البكالوريوس المرحلة الجامعية الأولى لا تبدو للوهلة الأولى أنها من الضروريات فهي

مكمل لها، وأيضًا استنادًا للقاعدة الفقهية (الحاجة تنزل منزلة الضرورة).

ولا يفوتنا الإشارة إلى أن هذا الأمر لا يمكن أن ينسحب على بقية الأقطار؛ فهناك تباين جلي في البيئة والبنية التعليمية والمجتمعية والسياسية... إلخ. أما بقية المراحل التعليمية فهي واجب كفائي بحق الأفراد، إلا أن يكون حالات خاصة كما أسلفنا لحاجة المنظومة الوطنية والحضارية إلى أفراد بعينهم ذوي قدرات وكفاءات خاصة واستثنائية، فيصبح واجبًا عينيًّا عليهم، ولكن يبقى واجبًا عينيًّا، ومن مراتب المقاصد الضرورية على مجموع الأمة وأهل القرار والتمكين وأيضًا المقاصد الحاجية والتحسينية؛ لأن غيابها يترك ثغورًا وفراغات قد تزلزل وتعرقل المسيرة المنشودة.

سادسًا: موقع التعليم في سلم الحقوق والواجبات، وحكم الإنفاق عليه يتمحور في الأدوار الوظيفية التي تضطلع بها كل من:

الهيئة الحاكمة: فالهيئة الحاكمة والإدارية هي من تقوم برسم استراتيجيات وخطط ومشاريع، وتتابعها في نشأتها وتطورها، وتفتح أبواب الشراكة لكافة المؤسسات والجهات ذات الصلة، وأن تتابع الخطط والمشاريع بالإشراف والمحاسبة والمتابعة، ويُعد ذلك واجبًا إلزاميًّا على الدولة وهذا الأمر يُعد (حقًّا مجتمعيًّا) وحقًّا لمجموع الأمة، والحق العام كما يقول الشاطبي يترتب عليه واجب على الدولة، ولعل الفرض الكفائي بحق الأفراد يكون بحق الدولة واجبًا عينيًّا؛ فرضًا على السلطة أن تؤمن المناخات العلمية الآمنة، وتوفر كل سبلها ومختلف تخصصاتها التي تحتاجها المسيرة العمرانية والبناء الحضاري، ويؤكد الشاطبي أن ما هو مندوب في حق الأفراد هو واجب في حق المجتمع، ويُعد الدعم المالي جانبًا من الجوانب التي يجب على الدولة أن توليها الاهتمام والرعاية الأولية لطلبة العلم، ولكافة عناصر العملية التعليمية ولمؤسساتها وأجهزتها، كما لا يفوتنا أن على الدولة أن تفتح قنوات الشراكة مع كافة أقطاب مؤسساتها وأركانها؛ لتعمل مجتمعة صوب الهدف المنشود؛ لأن تخلف أي مؤسسة أو وسيط عن دوره سيفرز لنا اضطرابًا في مسيرة قاطرة التعليم.

وفي المقابل حق للدولة أن ينفذ الأفراد خططها ومشاريعها، بل وحق لها أن تُجبر المواطنين على تنفيذ كل ما يطلب منهم للنهوض برتبة التعليم، بل واجب عليهم السعي الدؤوب والعمل الجاد وإيجاد الحلول والرؤى الإبداعية لتحقيق الغرض المنشود.

الأسرة: في صدر الإسلام وعصر الرعيل الأول عصر النقاء الإسلامي انتظم أمر الكتاتيب بصورة فنية

فائقة؛ لعناية الناس بأمر أولادهم، واشتداد الدولة واهتمامها بأمر التعليم[١].

أما عن دور الأسرة في التعليم فقد قال فيه الشافعي والأصحاب رحمهم الله: على الآباء والأمهات تعليم أولادهم الصغار ما يتعين عليهم بعد البلوغ، فيعلمهم الولي الطهارة، والصلاة، والصوم، ونحوها، ويُعرفهم تحريم الزنا، واللواط، والسرقة، وشرب الخمر، والكذب، والغيبة، ويعرفهم أن البلوغ يدخل في التكليف، ويعلمهم النظر في مالهم، ويُعرفهم ما يصلح به معاشهم، ودليل تعليم الولد الصغير والمملوك قوله عز وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم: ٦].

ومما تجدر الإشارة إليه أن علم القلب ومعرفة أمراضه كالحسد، والعجب وشبهها قال فيها الغزالي: معرفة حدودها وأسبابها وعلاجها فرض عين[٢]. ولعل الأسرة وتحديدًا قطبي الحياة الزوجية الوالدين هما الأكثر التصاقًا بالأبناء، وهم الأقدر على تحديد وتزكية هذا الجانب.

المسؤولية المجتمعية: أما عن المحور الثالث والأكثر اتساعًا «المسؤولية المجتمعية» فإن أهم ما يميز النظام الاجتماعي وفق الرؤية الإسلامية أنه نظام تكاملي حيث تقوم المنظومة الاجتماعية على التكامل والتناغم والتعاضد في الأدوار والوظائف والتخصصات، كما يقوم على التكامل والتكافل في القدرات والمواهب والطاقات وكافة مناشط العمران الحضاري والبناء الكوني، وقد ذكر ابن عابدين في تنقيح الفتاوى الحامدية: إنه يلزم على المسلمين كفاية طالب العلم إذا خرج للطلب، حتى لو امتنعوا عن كفالته يجبرون كما يجبرون في دفع الزكاة إذا امتنعوا عن أدائها، وقد ذكر ابن عابدين في رحلة المحتار: أن من مصارف بيت المال كفالة وكفاية العلماء، وطلاب العلم المتفرغين له[٣]، وينسحب ذلك على مؤسسات التعليم وتبعاتها.

ونحن نعلم أن من صور التكافل الاقتصادي والاجتماعي في الإسلام الحق المجتمعي في أموال أصحاب رؤوس الأموال والأثرياء، لا سيما في حال عجز الدولة عن ذلك، ووجود ثغرات في مسيرة البناء الحضاري يجب أن تغلق، وفي سبيل ذلك يصبح الأمر على الإلزام والوجوب، وإن إعانة طالب العلم على مواصلة الطلب من أهم ما ينبغي أن ينفق عليه، ولو أن شخصًا قام بكفالة طالب علم فنرجو أن ينال مثل

(١) محمد أسعد أطلس هنداوي، التربية والتعليم في الإسلام، handawi.org، تاريخ الدخول ٣١/ ٧/ ٢٠٢١م.

(٢) محيي الدين يحيى بن شرف النووي المتوفى (٦٧٦هـ)، كتاب العلم وآداب العالم والمتعلم، تحقيق عبد الله بدران، بيروت، قردان، دمشق حلبوني، ١٩٩٣م / ١٤١٣هـ، ص٨٤- ٨٥، مرجع سابق.

(٣) الفتوى فضل إعانة طالب العلم، رقم الفتوى (٢٣١٤٤٨)، إسلام ويب، islam web.nit، تاريخ النشر ٨/ صفر/ ١٤٣٥هـ، ١١/ ١٢/ ٢٠١٣م، تاريخ الدخول ٢/ ٨/ ٢٠٢١م.

أجره بسبب كفالته وإعانته وقد قال النبي ﷺ «الدال على الخير كفاعله»[١] وقال ﷺ: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا»[٢] وفي الصحيحين من حديث عبد الرحمن بن زيد خالد الجهني رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من جهَّز غازيًا في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازيًا فقد غزا»[٣]. ومن هذه الأحاديث وما جاء في معناها: أخذ العلماء قاعدة عامة وهي: «أن كل من أعان شخصًا في طاعة الله كان له مثل أجره، من غير أن ينقصَ ذلك من أجره شيئًا»[٤]، ويمكن الاعتماد على أموال الزكاة كصيغة من صيغ من التمويل للتعليم الإسلامي ومؤسساته، ويُعد تفعيل الوقف الإسلامي للإنفاق على التعليم ومؤسساته من الروافد الهامة لذلك «حيث إن أغلب المؤسسات التربوية التي نشأت في العهود الإسلامية كانت ذات نشأة خاصة، وكانت تعتمد في تمويلها على أموال الوقف الإسلامي اعتمادًا كبيرًا؛ فقد كانت تزدهر وتقوى بمقدار ازدهار العقارات الموقوف عليها»[٥].

والدعم والتناصر لا يقتصر على الجانب المالي، بل يتعداه إلى المسؤولية المجتمعية في الكشف عن المبدعين أصحاب القدرات والكفاءات، واقتناصهم والترويج الإعلامي لهم في عصر الفضاء الإعلامي، والسعي الجاد لإيصال الرجل المناسب في المكان المناسب، والمرأة المناسبة في المكان المناسب.

ومما تجدر الإشارة إليه أن العناية والرعاية الخاصة للتعليم لا سيما الإلزامي في حالة الاضطراب السياسي والاجتماعي، تبرز دور المسؤولية المجتمعية إلى الساحة أكثر؛ حيث إننا نلحظ جليًّا ارتفاع نسبة الجهل والأمية في بلاد النزاع والحروب، كما في العراق، وليبيا، واليمن، وغيرها.

سابعًا: خلاصة القول في دعم التعليم الإبداعي والنقدي والبحث العلمي والابتكارات:

إذ تتميز الجامعة الوقفية في الغالب باستقلال تمويلها وإدارتها...إلخ، مما يتيح أمامها الإبداع والتطور، وهناك عدة قنوات للإسهام في الوقف العلمي ومنها: المساهمة العينية، والاستقطاع الشهري، ووقف العلم بالخبرة والوقت[٦].

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

(٤) الفتوى، فضل إعانة طالب العلم، رقم الفتوى (٢٣١٤٤٨) إسلام ويب، islam web.nit، تاريخ النشر ٨/ صفر/ ١٤٣٥هـ، ١١/ ٢١/ ٢٠١٣م، تاريخ الدخول ٢/ ٨/ ٢٠٢١م.

(٥) لينا زيادة صبح، صيخ تمويل التعليم المستقاة من الفكر الإسلامي وأوجه الإفادة منها في تمويل التعليم الجامعي الفلسطيني، جامعة غزة، كلية التربية، قسم أصول التربية، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٥م، ص٢٠.

(٦) لينا زيادة صبح، صيخ تمويل التعليم المستقاة من الفكر الإسلامي وأوجه الإفادة منها في تمويل التعليم الجامعي الفلسطيني، جامعة غزة، كلية التربية، قسم أصول التربية، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٥م، ص٢٠.

وقد جاءت جامعة (هارفرد) بالمرتبة الأولى عالميًّا وفقًا للمبالغ المخصصة لها. وقد أثمر ذلك عدة مؤشرات كمية ونوعية، تعكس من خلالها ما وصلت إليه من تطور[١].

أما إذا تحدثنا عن دور الوقف في المرتبة الأولى من الفقه المقاصدي وعنايته الخاصة بالعقل، فإن للوقف إسهاماتٍ واضحة وملموسة في حفظ العقل، وذلك من خلال بناء الشخصية العلمية وإنعاش العقل العلمي، وبناء محافل التعليم والعلم، والصرف على مستلزماتها والقائمين عليها من أساتذة ومدرسين[٢].

من القضايا الملحَّة في البناء العلمي للأمة إنشاء مراكز لدعم وتطوير البحث العلمي، فهي الواجهة التي تستطيع من خلالها الأمة أن تبني حاضرها وتضمن مستقبلها، والمتتبع لفقه الوقف يجد الفقهاء استدلوا إلى مراعاة المصلحة في كثير من المسائل، ومن ذلك: استجابة للقاعدة الفقهية «تصرُّف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة»، وتأسيسًا على ذلك يجب على والي الوقف أن يراعي حاجات المجتمع وَفق الأولويات الشرعية بترتيبها المعروف: الضروريات، ثم الحاجيات، ثم التحسينات، بما يحقق التنمية البشرية والنهضة الحضارية للأمة، فالواجب على ولي الأمر على الوقف بذلُ الواجب فيما هو أصلح للمسلمين، فإذا استوعب فكرة في وجوه المصالح، ووجد مصلحة هي أرجح للمسلمين، وجب عليه فعلها، فإن رأى توجيه الوقف على البحث العلمي وجب ذلك؛ لما له من أهمية في عز الأمة وشهودها الحضاري[٣].

خلاصة الأمر «أن استثمار أموال الوقف في مجال مشاريع البحوث العلمية فريضة عصرية؛ يدل عليها الواقع، وفريضة يلزمنا بها الشارع»[٤].

التوصيات :

ـ توسيع الفضاء تجاه فقه اجتهاد مؤسسي وفردي، لاستشراف واستبطان مستجدات وتحديات

(١) لينا زيادة صبح، صيخ تمويل التعليم المستقاة من الفكر الإسلامي وأوجه الإفادة منها في تمويل التعليم الجامعي الفلسطيني، جامعة غزة، كلية التربية، قسم أصول التربية، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٥م، ص٢٠.

(٢) علاء الدين رحال، أحمد محمد السعد، دار الإفتاء، دراسات وبحوث، aifta.a.jo، ٢٠١٣/٢/٧م، تاريخ الدخول ٢٠٢١/٨/٥م.

(٣) عالية ضيف الله، الوقف على البحث العلمي، مشروعيته، وضوابطه، الإمارات العربية المتحدة، جامعة الإمارات العربية، العين.

(٤) عالية ضيف الله، الوقف على البحث العلمي، مشروعيته، وضوابطه، الإمارات العربية المتحدة، جامعة الإمارات العربية، العين.

المنظومة التعليمية الحضارية التربوية المستقاة من قيم الوحي؛ لنقلها إلى قلب العصر لإشعال فتيلة الإبداع الحضاري.

ـ استدعاء منظومة التربية والتعليم من عبق السنة المطهرة، وتجربة الرعيل الأول لاستقطاب شحناتها التربوية والتعليمية والحضارية والوجدانية؛ لتكون لنا نبراسًا يُنير لنا قاطرة الحياة المعاصرة.

ـ إعادة النظر، والقراءة الواعية لمختلف أطياف العلوم التخصصية التي تضطلع في العمران والبناء الحضاري والإنساني، لتعلن مبدأ الوحدة بين الدين والدنيا، وذلك من خلال تفعيل (فروض الكفاية)، وتوسيع عوالمه.

ـ النظر بعين العصر وبأصالة قيم الوحي ضمن جهود فردية ومؤسسية، لإيصال الطاقات المبدعة لمواقع التمكين والريادة، ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب، والمرأة المناسبة في المكان المناسب.

ـ تعاضد وتآزر مختلف المؤسسات والجهات الرسمية وغير الرسمية والجهود الفردية، لاستحضار نموذج منظومتنا التعليمية وفق رؤيتنا الإسلامية المتفردة، وتفعيلها على أرض الواقع، في رحاب مساحاتنا وفي رحاب الكونية.

ـ بث روح الوعي والمسؤولية المجتمعية والرقابة الإيمانية لدعم التعليم الإبداعي، والنقدي، والبحث العلمي والابتكارات بالجهود المالية، والبشرية، والإعلامية... إلخ حيث يُعد ذلك فريضة عصرية يدل عليها الواقع وفريضة يُلزمنا بها الشارع.

بحث فضيلة الشيخ عبد الرحمن محمد علي شمس الدين

رئيس الهيئة العليا للإفتاء

في جمهورية جيبوتي

مقدمة البحث

الحمد لله الذي علم بالقلم، والصلاة والسلام على خير المربين والمعلمين المبعوث رحمة للعالمين؛ محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد،

فإن إصلاح التعليم لرفع كفاءته وزيادة إنتاجه من المسؤوليات الكبيرة التي يقوم بها رجال التربية والتعليم، وعلى رأسهم الإداريون والمعلمون، وإن من أهم القضايا التي طرأت على العملية التعليمية تطورَ التعليم نفسه واتساع مفهومه، وتبعًا لذلك فقد تغير دور المعلم، الذي كان محصورًا في تقديم ما لديه من معلومات ونقلها إلى أذهان الطلاب، بل أصبح يقوم بأدوار متعددة الجوانب. مما يتطلب إصلاح العملية التعليمية وإدخال تحسينات وإحداث تغيرات على كل عامل من عوامل التعليم الرئيسية، وإن هذا البحث يرمي إلى الإسهام في الارتقاء بعملية التعليم من خلال بيان إلزامية التعليم في أمور الدين والدنيا معًا، وإبراز مكانة التعليم ودورها في نهضة المجتمع.

ولهذا يُعتبر التعليم من أهمّ المقومات التي تساهم في قيام ورفعة الأمم؛ فتقاس قوة الأمة وتقدمها بالمستوى التعليمي فيها، ومنذ القدم عملت الدول والحكومات على تطوير القطاع التعليمي والاهتمام بالمؤسسات والدوائر المعنية بالتعليم؛ كالمدارس، والجامعات، والمعاهد، وغيرها.

وقد أنشأت الدول للتعليم الوزارات التي تُعنى بشؤونه، وقدّمت له الدعم المالي اللازم، ومع تطوّر التكنولوجيا وعصر المعرفة أصبحت العملية التعليمية متطورة أيضًا، وتهدف إلى بناء الفرد والمجتمع، ومحو الأمية، وننوّه إلى أن التعليم يعتبر المحرك الأساسي لتطوّر الحضارات ونمو المجتمعات.

الهيكل التنظيمي للبحث :

لقد اشتمل هذا البحث على مقدمة وستة فصول، وذلك على النحو الآتي:

الفصل الأول: التعريف بالتعليم وعلاقته بالألفاظ ذات الصلة

المبحث الأول: التعريف بالتعليم

المبحث الثاني: علاقة التعليم بالتربية

المبحث الثالث: علاقة التعليم بالتزكية والتثقيف والتنوير

الفصل الثاني: أنواع التعليم ومجالاته وموضوعاته وآثاره ومكانته

المبحث الأول: أنواع التعليم

المبحث الثاني: مجالات التعليم ومستوياته

المبحث الثالث: موضوعات التعليم

المبحث الرابع: مستويات التعليم

المبحث الخامس: آثار التعليم على الفرد والمجتمع

المبحث السادس: مكانة التعليم وأهميته في الكتاب والسنّة والآثار

الفصل الثالث: حكم إلزامية التعليم بأنواعه ومجالاته ومستوياته بالنسبة للجنسين

المبحث الأول: حكم التعليم عمومًا

المبحث الثاني: حكم تعليم الأطفال في الإسلام

المبحث الثالث: حكم تعليم النساء

المبحث الرابع: موقع التعليم في سلم المصالح الضرورية والحاجية والتحسينية

المبحث الخامس: موقع التعليم في سلم المصالح والحقوق

المبحث السادس: آداب المعلم والطالب

الفصل الرابع: حكم الإنفاق على التعليم والإبداع والابتكار

البحث الأول: حكم الإنفاق على طلبة العلم

المبحث الثاني: دعم التعليم الإبداعي والنقدي والبحث العلمي والابتكارات

المبحث الثالث: وسائل دعم الإبداع والابتكار في المؤسسات التعليمية

وختامًا: أسأل الله تعالى التوفيق والسداد، وأن ينفع بهذا البحث، وأن يسدد خطى الجميع على طريق العمل لخدمة الإسلام والمسلمين، والله ولي التوفيق.

الفصل الأول
التعريف بالتعليم وعلاقته بالألفاظ ذات الصلة

المبحث الأول : التعريف بالتعليم

التعليم في اللغة مصدر علَّم يعلِّم: يقال: عَلِم الأمر وتعلَّمه: إذا عرفه وأتقنه[١]

والعلم: هو إدراك الشيء على حقيقته على سبيل الثقة، وهو نقيض الجهل[٢]

والتعليم في الاصطلاح: عملية إيصال المعلومات كما هي عليه إلى طالبها ومن يريدها[٣].

ومن خصائص التعليم التكرار والتكثير حتى يحصل منه أثر في نفس المتعلم.

المبحث الثاني : العلاقة بين التعليم والتربية

التربية هي: تبليغ الشيء إلى كماله شيئًا فشيئًا [٤]وبالتالي فإن العلاقة بين التربية والتعليم علاقة عموم؛ فالتربية أعمُّ وأشمل من التعليم، فالتعليم جزء من التربية، وإذا كان التعليم يهدف إلى تحصيل المعرفة، أو التدرب على مهارة، أو حفظ نص، أو الاطلاع على قانون رياضي أو طبيعي، فإنّ التربية تهدف إلى تنمية الإحساس بالذوق والجمال في الكون، وتربية الضمير والوجدان، وتعديل أنماط السلوك البشري، وتنمية الإرادة الحرة الواعية، والنهوض بالقيم الإنسانية، وإذا كانت التربية أداة التغيير، فالتعليم أداة البناء، وليس بينهما أي انفصال أو انفصام، بل هما متآزران ومتكاملان، فكلاهما يسعى للمستقبل الأفضل.

المبحث الثالث : العلاقة بين التعليم والتزكية والتثقيف والتنوير

كلمة التزكية في اللّغة مشتقة من الزكاة وهي الطهارة والنظافة[٥].

التزكية في الاصطلاح: هي تنظيف النفس البشرية من رواسبها الجاهلية، سواء كانت من نوع الأفكار الباطلة أو المعتقدات الفاسدة أو الأخلاق السيئة.

---

(١) لسان العرب المحيط، لابن منظور، ج٢، ص٣٧١ دار إحياء التراث العربي، بيروت

(٢) المفردات، للراغب الأصفهاني، ص٣٤٨ ط ١٣٨٠هـ.

(٣) علم النفس التعليمي، للدكتور / سيد خير الله، ص٧ ط١٩٨٨م مكتبة الاتحاد، القاهرة

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي.

(٥) مختار الصحاح، للرازي، ص٢٩٥ ط ١٣٦٩هـ.

وأساس التزكية تقوية الإرادة البشرية وتحرير النفس من الأهواء والشهوات. بدليل قوله تعالى:(هُو ٱلَّذِي بعث فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رسُولا مِّنۡهُمۡ يتۡلُواعليۡهِمۡ ءايٰتِهِۦ ويُزكِّيهِمۡ ويُعلِّمُهُمُ ٱلۡكِتٰبوٱلۡحِكۡمة)[١]

بينما التعليم هدفه إضافة المعارف الجديدة للإنسان لدفع عجلة البشر إلى الأمام، وهو يعتمد على طاقة العقل الكامنة فيه، إذًا فالعلاقة بين التعليم والتزكية علاقة تكامل بحيث تكتمل عملية التزكية بعملية التعليم وتأتي الواحدة تتمة للأخرى.

العلاقة بين التعليم والتثقيف:

التثقيف: مصدر ثقف، يقال: ثقفت الرمح: أي سويته وأزلت عوجه، ويقال: رجل ثقف: إذا كان حاذقًا فطنًا سريع الفهم، وثقف الإنسان: أدبه وعلمه وهذبه[٢].

والثقافة هي: مجموع الخبرات والتقاليد والعادات والمسالك المتراكمة التي يتحصل عليها الإنسان منذ صغره إلى شيخوخته، وينقلها إلى الأجيال المتلاحقة من بعده.

إذا العلاقة بين التعليم والتثقيف علاقة عموم وخصوص بحيث إن العلم أعمّ وأوسع من الثقافة، فكل علم ثقافة وليس كل ثقافة علمًا، وعلى هذا نجد أن التعليم في كل بلد، يعكس أوضاع ذلك البلد التاريخية والاجتماعية والفكرية، ومع ذلك توجد عدة خصائص وفروق بين العلم والثقافة؛ من أبرزها أنه تم اعتبار العلم على أنه ظاهرة عالمية، إذ تندمج فيها معظم الأمم والشعوب، ويتمكن الأفراد من نشر العلم بشكل مباشر ويسير ومبسط بين بعضهم البعض، بينما توجد مجموعة من الاختلافات بين ثقافات الأمم والشعوب، فلكل أمّة ثقافتها الخاصّة بها استنادًا لهويتها، ومنها خاصية التبادل ونشر ثقافة معينة فهناك قيود بالنواحي التي تصدر منها، فيمكن لنا أن نجد أممًا لا تسمح بدخول ثقافات جديدة من غيرها، ذلك بسبب ارتباط كافة عمليات أمنها القومي والثقافي بذلك، ومنها خاصية الاكتساب والوصول للثقافة بحيث يمكن معرفة الثقافة والوصول لها من خلال مجموعة من عمليات البحث والاستكشاف، أمّا بالنسبة للعلم فلا يتم الوصول إليه إلا من خلال مجموعة من التجارب التي تخضع للبحث الدقيق والدراسة العميقة، التي تقوم على قواعد معينة

العلاقة بين التعليم والتنوير:

التنوير في اللغة مشتق من النور وهو ضد الظلام، ويُعرف التنوير بحركة فلسفيّة فكرية أخذت

---

(١) الجمعة، ٢.

(٢) لسان العرب المحيط، لابن منظور، ج٢، ص٣٧١، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

انطلاقتها بأوروبا في القرن السّابع عشر مع الثورة العلمية آنذاك، ثمّ انتقلت إلى شمال أمريكا بعد ذلك مع نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التّاسع عشر، وتسمى أيضًا بعصرِ العقلانية، وقد ادّعى روّادُ هذه الحركة أنّهم يقومون بتنوير العقل والثقافة البشريتين بعد العصور الوُسطى «المظلمة». وقد ظهرت مفاهيم مُميّزة للتنوير مثل العقلانية، والحرية والمنهج العلمي، والتشكيك في كلّ من الدّين، خصوصًا الكنيسة الكاثوليكية القوية، والأنظمة الملكيّة والأرستقراطية المُورثة. وكان لفلسفة التنوير تأثير قوي على الثورتين الفرنسية والأمريكية ودستوريهما[1].

ويمكن القول: إن العلاقة بين التعليم والتنوير هي السببية؛ بحيث يكون التعليم سببًا في تنوير عقل الإنسان بالمعرفة، فقد لعب نظام التعليم دورًا هامًّا للغاية في نقل أفكار ومُثل عصر التنوير، وكان التعليم في أوروبا خاضعًا للتطوير بصفة مستمرة، وخلال فترة عصر التنوير أخذ تطوير نظام التعليم في التنامي، وقد أدى التطوير الحادث في نظام التعليم إلى ظهور عدد كبير من العامة ممن لديهم القدرة على القراءة، بالإضافة إلى انفجار ثقافة الطباعة، التي ساعدت على توفير احتياجات الطلب المتزايد من القراء بين مجموعة واسعة من الطبقات الاجتماعية.

فالتنوير يمنح النظام التعليمي الأدوات والوسائل التي تمكن المعلمين من إنجاز اختيارات واقعية كمًّا وكيفًا، وكذلك يساعدهم في بناء صورة إيجابية لشخصيتهم، ويرفع من مستوى حسن معرفة الأذواق وترتيب الاهتمامات.

(١) لسان العرب المحيط، لابن منظور ج٩، ص١١١، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الفصل الثاني
أنواع التعليم وأثاره ومكانته

المبحث الأول : أنواع التعليم

التعليم له انواع عديدة منها ما يلي:

١ـ التعليم اللفظي: وهدفه تنمية قدرات الأفراد على استيعاب بعض المعلومات والحقائق واسترجاعها وقت الحاجة إليها، وكذلك يتدربون على إدراك العلاقات بين الأشياء والحكم الصائب والتقييم السليم.

٢ـ التعليم الحركي: ويهدف إلى تنمية قدرات الأفراد على استخدام عضلاتهم مثل تعلم الكتابة على الآلة الكاتبة أو ركوب الدراجة أو قيادة السيارة.

٣ـ التعليم الإدراكي: ويهدف إلى إعادة تنظيم المثيرات الحسية بأنماط جديدة.

٤ـ التعليم لمهارات الاتجاهات السلوكية الانفعالية التي يشعر الأفراد بالانتماء إليها

٥ـ التعليم لأسلوب حلّ المشكلات: وهي عبارة عن ميل الناس إلى تغيير نشاطهم استجابة لما يحدث في بيئتهم، تبعًا لإشباع حاجاتهم وتسمى بعملية التكيف.

المبحث الثاني : مجالات التعليم

١ـ التعليم الديني الشرعي وهو النوع الأكثر انتشارًا، ويتم بشكل كامل داخل الغرف الصفية في المدارس أو الجامعات أو المعاهد؛ حيثُ يتم نقل المعلومة من المعلم إلى الطالب مباشرةً، ولا يتم استخدام أساليب تكنولوجيّة متطوّرة فيه، باستثناء بعض الوسائط المستخدمة عادةً في العملية التعليمية، مثل شاشة العرض والعروض التقديمية.

٢ـ التعليم المهني الفني: وهو التعليم الذي يهدف إلى تأهيل الطلبة لممارسة مهنة معينة، من متطلباتها أن يكون لديهم قدرات فنية ومهنية محددة، ومن الأمثلة عليه: التعليم الزراعي، والتعليم الصناعي[١].

٣ـ التعليم الأكاديمي: وهو التعليم الذي يهدف إلى امتلاك المتلقي حرفة معينة؛ كالغزل، والنسيج،

---

(١) استخدام الحاسب الآلي في التعليم، للدكتور/ عبد العزيز الموسى ص٦.

وتصليح الأجهزة الدقيقة، ويشبه إلى حد ما التعليم المهني إلّا أنّه أسهل، ومدة تلقّيه أقل.

٤ـ التعليم الشامل: وهو نوع التعليم الذي يضم التعليم الأكاديمي والمهني، فمثلًا في التعليم المهني تتواجد دورس لها علاقة باللغة والتاريخ إلى جانب الصناعة والزراعة.

٥ـ التعليم الإلكتروني المتزامن: تتمّ العملية التعليمية بشكل إلكتروني عن طريق العديد من الوسائل المختلفة، وإن تمّت عن طريق الشبكة العنكبوتية فهي قد تحدث بشكل متزامن أو غير متزامن؛ فالتعليم المتزامن هو التعليم الذي يتمّ عبر الهواء مباشرةً ويحتاج إلى وجود المتعلمين والمعلّمين أمام أجهزة الحاسوب في الوقت ذاته، من أجل إجراء النقاش وتبادل المعلومات وطرح الأسئلة، ويتم بواسطة أدوات تعليمية مختلفة، وله العديد من الإيجابيات، ومنها: حصول المتعلّم على تغذية راجعة فورية، تقليل التكاليف المادية، عدم الحاجة للذهاب إلى المدارس والجامعات[١].

المبحث الثالث : موضوعات التعليم

له عناصره عديدة منها:

١ـ المعلم وما يتعلق به من المستوى الذي يؤهّله إلى التعليم، والخلفية الثقافية والاجتماعية التي يمتلكها، ومهاراته وكفاءاته الأدائية.

٢ـ الطالب وما يتعلّق به من دوافع وميول واتجاهات.

٣ـ البيئة التعليمية، من فصول وقاعات ومستوى تنظيمها.

٤ـ المنهج أو المادة الدراسية، ونوعيتها، وطريقة تنظيمها وطرق التدريس، والأساليب المتبعة به.

٥ـ الأنشطة والتدريبات التي يتم تنفيذها خلال العملية التعليمية.

٦ـ الاختبارات والتقويم وأساليبه والمواضيع التي يشتمل عليها[٢].

المبحث الرابع : مستويات التعليم

إنّ التعليم له مستويات ومراحل، ولكلّ مرحلة دراسية غايات وأهداف، ومن المفيد للمعلم أن يطلع على أهداف المرحلة التي يقوم بالتدريس فيها، ولهذا أذكر في هذا الأجانب. مراحل للتعليم:

أولا: مرحلة الحضانة، وهي مؤسسات رياض الأطفال بتعليم الأطفال في سن مبكر بكيفية التواصل

---

(١) ١٩٤.

(٢) الإدارة المدرسية الحديثة مفاهيمها النظرية وتطبيقاتها العملية جودت عزت عطوي، ص٢, ١٨، ط١، ٢٠٠٤م دار الثقافة للنشر، عمان.

والتفاعل مع أطفال بنفس أعمارهم، من خلال قضاء أوقات من اللعب والمرح فيما بينهم كما تساعدهم على التأقلم مع الابتعاد عن أولياء أمورهم، والتغلب على الخوف والقلق المرتبط بهذا الابتعاد، توفير مكان آمن يبقى به الطفل في حال انشغال أولياء الأمور بالعمل، وتحفيز الاطفال على اكتساب مهارات مفيدة، كالقراءة والحساب واستماع الأصوات والنغمات الممتعة وتعلم السلوكيات والقيم الاجتماعية[١].

ثانيا: المرحلة الابتدائية: وهي القاعدة الذي يرتكز عليها إعداد الناشئين للمراحل التالية من حياتهم العلمية، وفيها يتمّ تزويد الأطفال بالأساسيات من العقيدة الصحيحة والسلوكيات الحميدة والخبرات والمهارات.

ثالثا: المرحلة المتوسطة: وفيها يتمّ غرس الاطفال بالثقافة العامة والمبادئ الأساسية للعلوم والتربية الشاملة لتنمية القدرات العقلية.

رابعا: المرحلة الثانوية: ولها طبيعتها الخاصة من حيث سنّ الطلبة، وتستدعي ألوانًا من التوجيه الإعداد، وتشمل الثانويات العامة والعلمية والمهنية والفنية، وتهتم بتنمية التفكير العلمي لدى الطالب وتعميق روح البحث والتجريب واستخدام المراجع[٢].

خامسا: المرحلة الجامعية: وتشمل الكليات الجامعية والمعاهد العليا في مختلف التخصصات، ومن خصائصها: تراكم العلوم وتضاعف المعارف والخبرات، ويبدأ الطالب في تعلم أسس البحث العلمي ومناهجه، فيختبرها ويخوض تجربتها عمليًّا.

سادسا: مرحلة الدراسات العليا: وهي الدراسات الأكاديمية التي يقوم الباحثون بإعدادها لإتمام الحصول على درجة أكاديمية معينة، وتمنحها الجامعات والكليات والمعاهد، ومن أهدافها إيجاد روح المناقشة حول أمر ما ودراسة قضية أو ظاهرة معينة والإجابة على الاستفسارات الخاصة بها، لإدراك أمر ملموس يفيد المجتمع، وبيان لطبيعة العلاقة التي تربط ما بين متغيرين، وتوضيح ماهية العلاقة بينهما وكيفية تطور العلاقة ومسبباتها، ومن ذلك إعادة ترسيخ لأفكار معينة كانت سائدة وظاهرة، وبفعل الزمن تغيرت أو اختفت عن الظهور والوجود، وبحاجة إلى إعادة إثباتها لمناسبتها لما يدور في الزمن الحالي، وقد يؤدي إتمام الباحث لرسالة الأكاديمية الحصول على ترقية مهنية ووظيفية، والحصول على علاوات ترفع من المسمى أو المركز الوظيفي الذي يشغله الباحث.

---

(١) الإدارة المدرسية المتميزة سلامة عبد العظيم حسين، ص٤٨-٤٩. دار النشر، عمان.

(٢) التربية الإسلامية، الدكتور أحمد الحمد ص٢.

سابعا: الحلقات العلمية:

يتعلم الناس في الحلقات العلمية أصول الدين وفروعه ومتطلباته في العقيدة والتفسير والحديث والفقه واللغة العربية، لأن الدروس العلمية الشرعية هي أسلم طرق التربية في نشر الدين الإسلامي، وهي كذلك أعظم وسائل العلم والتعليم والتربية في القديم والحديث[١].

ومن خصائص ومميزات هذه الحلقات العلمية:

١ـ أن معنى مجالس الذكر يتحقق فيها أكثر من غيرها؛ لأنها تكون في بيت من بيوت الله وهو المسجد.
٢ـ أن المتلقي فيها يكون أكثر التزامًا للأدب والإنصات.
٣ـ أن المتلقي فيها يكون أكثر استعدادًا لقبول العلم.
٤ـ أن الحلقات العلمية تساهم في الحفاظ على الهوية الإسلامية.
٥ـ أنها تحصن الفرد والمجتمع من الأفكار الهدامة والمذاهب المنحرفة.
٦ـ أن الدراسة فيها مجانية غالبًا.

وخلاصة القول أنّه لا يمكن حصر التعليم بمرحلة عمرية ما، أو درجة أكاديمية، أو منصب وظيفي، فالعلم والتعلم عملية لا متناهية، تزداد وتتطور وتتضاعف مع استمرار التعليم واستحداث مجالات وتجارب واختراعات علمية جديدة، فالعلم وسيلة كبيرة لتنمية الفكر والإدراك، وحاجة الإنسان لا تنتهي لتطوير هذه المهارات وتغذيتها بكل ما هو جديد.

المبحث الخامس: آثار التعليم ونتائجه على الفرد والمجتمع

يؤثر التعليم بشكل أساسي على حياة الأفراد؛ حيث يعد تعليم العلوم من أهم الموضوعات التي يجب الاهتمام بها في المؤسسات التعليمية لارتباطها بشكل مباشر بحياتهم بحيث يستطيع الفرد بعلمه التخلص من الجهل والفقر، ويتجلى أثر التعليم على الفرد منذ سِنِي طفولته الأولي ففطرة الطفل تدله على تعلّم المشي والكلمات وسبل التواصل والتعبير، فالتعليم يحرّك إمكانيات الأفراد، ويلهمه للمزيد من الإنجاز والإبداع والتقدّم، وهذا من شأنه أن يحقق تكافؤ الفرص، ليتمكّن كل فرد من تطوير معارفه النظرية، وتقوية خبراته العملية، وقدراته الذهنية، وبالتعليم يعرف الفرد حقوقه وواجباته نحو ربّه وأسرته ومجتمعه، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]، يقول الشيخ ابن باز رحمه الله: هذه الآية

(١) الدكتور ناصر العقل، أثر العلماء في تحقيق رسالة المسجد بتصرف ص١٦-١٧، مفهوم الحلقات العلمية ومكانتها، نعيمة عبد الحكيم ص٣٢-٣٣.

عظيمة وهي تدل على أن العلماء وهم العلماء بالله وبدينه وبكتابه العظيم وسنة رسوله الكريم، هؤلاء هم أكمل الناس خشية لله، وأكملهم تقوى لله وطاعة له سبحانه وعلى رأسهم الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وإن كل مسلم ومسلمة وكل مؤمن ومؤمنة يخشى الله عز وجل ويخافه سبحانه، لكن الخوف متفاوت ليسوا على حد سواء، فكلما كان المؤمن أعلم بالله وأفقه في دينه كان خوفه من الله أكثر وخشيته أكمل، وهكذا المؤمنة كلما كانت أعلم بالله وأعلم بصفاته وعظيم حقه كان خوفها من الله أعظم وكانت خشيتها لله أكمل من غيرها، وكلما قل العلم وقلّت البصيرة قل الخوف من الله وقلت الخشية، ووقع الشخص في المحظور في حق الخالق والمخلوق، وقد صرح النبي ﷺ بذلك لعبد الله بن عمرو، وقد بلغه أنه يقوم الليل كله، ويصوم الدهر كله، ويختم القرآن في كل ليلة فقال: «فلا تفعل، قُم ونم، وصُم وأفطِر، فإنّ لِجسدِك عليك حقًّا، وإنّ لِعينِك عليك حقًّا، وإنّ لِزورِك عليك حقًّا، وإنّ لِزوجِك عليك حقًّا، فأعطِ كل ذي حق حقّه»[(١)]، ففي جانب الروح والقلب: على المرء أن يصقلها ويغذيها بالعبادة، وأن يسعى في تحصيل ما يجلب لها السكينة والطمأنينة والسعادة، بحضور مجالس الإيمان وكثرة ذكر الرحمن، وقراءة وتدبر القرآن، وأما في جانب العقل فلا بد من تغذيته بالعلوم والمعارف الدينية والدنيوية، وأن يفتح له نوافذ الفكر على كل جديد ومفيد، يقرأ في التاريخ الماضي والحاضر، ويأخذ من كل شيء أحسنه وأجمله، فلا هو منقطع عن ماضيه، ولا هو أسير لحاضره، يتأمل في قصص الماضي وأحداث الحاضر، ويستفيد من الأحداث والتجارب، ويفتح فكره وعقله على كل مفيد ونافع، يأخذ الحسن ويدع القبيح، ويرفض الخرافات والأوهام والخزعبلات والبدع، خصوصًا في جانب الإيمان والكفر والحق والباطل، وهو في كل ذلك منضبط بضوابط شرعه وقواعده دينه، فكما يحتاج الإنسان إلى قلب سليم وروح مطمئنة، كذلك يحتاج إلى فكر سديد وعقل راجح، وكما أنه لا بد من نور الذكر وسعة الصدر، كذلك لابد من قوة الفكر وروح العصر؛ فإن الأمم لا تقوم إلا على علم وقوة[(٢)].

وأما في جانب الجسم: فقد جاءت هذه الشريعة لتنصف الجسم والبدن، كما أنصفت العقل والروح؛ ففي الوقت الذي كانت بعض الديانات المحرفة والمذاهب الأرضية تقوم على تعذيب البدن، وحرمانه من الطيبات والملذات والراحة؛ زعمًا منهم أن ذلك طريق صفاء الروح وترقيها، جاء القرآن ليقول: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣٢﴾ [الأعراف: ٣١، ٣٢].

---

(١) رواه البخاري برقم ٥١٩٩

(٢) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز ٤ج ص٣٦١

وهكذا يكون التعليم عاملًا مساعدًا للفرد بكيفية التفكير السليم وتنمية القدرة على حل المشكلات، واتخاذ القرارات الصحيحة، ثمّ تقييمها وفهم الأدلة الكامنة وراء الأمور التي تحدث في حياتنا، ويمنحهم المهارات والمعارف التي يحتاجون إليها للنجاح في حياتهم العلمية والعملية، بالإضافة إلى ذلك تمكين الأفراد من أن يكونوا أكثر إنتاجية، وبالتالي الحصول على نوعية حياة أفضل، والمساهمة في النمو الاقتصادي العام للبلد.

أثر التعليم على المجتمع

إن التعليم من أهم أعمدة بناء المجتمعات، ونورها المضيء، فهو يصنع حياة كريمة وراقية للمجتمع وما نشاهده في العصر الحاضر من المصنوعات والمخترعات الحديثة، من سفن فضاء وصواريخ عابرة للقارات وطائرات أسرع من الصوت، ومنها من دون قائد، وعقول إلكترونية، وغير ذلك من المخترعات الحديثة التي يستخدمها الإنسان المعاصر، كل ذلك دليل ظاهر، وبرهان ساطع، يشير إلى منزلة التعليم وأثره على البشرية، فالتعليم هو المحرك الرئيسي لتحقيق التنمية المستدامة، حيث يعد من أقوى الأدوات لمحاربة الفقر وتحسين الصحة العامة، إذ يمكن للمجتمعات تطوير إمكانياتهم التعليمية، وتقرير حياتهم المستقبلية، عن طريق تدريس المعرفة والممارسات المتعلقة بالصحة الغذائية، وبالتالي تقليل الأمراض والوفيات في المجتمع، كما يحسّن التعليم قيم المواطنة لدى المجتمع، حيث إنه يغرس في الأشخاص الشعور ليصبحوا مواطنين صالحين، عن طريق إدراكهم لتراثهم الديني الثقافي، والاجتماعي، كما يجعلهم يدركون الواجبات والمسؤوليات التي تقع على عاتقهم تجاه وطنهم، فالمجتمع الذي يولي التعليم الأهمية الكبيرة، ويهتم بتعليم أبنائه على مختلف المستويات يتقدم على المجتمعات الأخرى علميًّا واقتصاديًّا وثقافيًّا وصحيًّا، ولن يتم إنتاج مجتمع واعٍ إلا بالتعليم المناسب.

مكانة التعليم وأهميته في الكتاب والسنة والآثار

لقد حثت الشريعة الإسلامية على تعليم العلوم التي تحتاجها الأمة في دينها ودنياها، وجاءت الآيات والأحاديث بذلك، ومن الآيات قول الله تعالي: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]، والمراد بذلك هو التعليم.

وقوله جل شانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، وهو إيجاب للتعليم، وقال النبيّ ﷺ: «من سئل عن علم فكتمه الجم بلجام من نار يوم القيامة»[١]، وقال

(١) رواه أحمد في مسنده ج٢، ص٢٦٣، طبعة دائرة المعارف العثمانية.

ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»[١]، ومعناه تحصيله والاجتهاد في اقتباسه وتعليمه، والتحقيق حمل العلم في الحديثين السابقين على المعنى العام، فيشمل علوم الشرع: علم الكلام والفقه والتفسير والحديث، وعلوم الدنيا ومنها الزراعة والصناعة والسياسة الشرعية والحرف والطب والتكنولوجيا والحساب والهندسة، وغير ذلك من أنواع العلوم وما يرتبط به مصالح امور الدنيا[٢].

ومن الآثار قول علي أبي طالب رضي الله عنه: كفى بالعلم شرفًا أن يدعيه من لا يحسنه، ويفرح إذا نسب إليه، وكفى بالجهل ذمًّا أن يتبرأ منه من هو فيه.

وقال الإمام النوويّ: تعليم الطالبين فرض كفاية، فإن لم يكن هناك من يصلح إلا واحد تعين عليه[٣]. وقال ابن الحاج: ينبغي للعالم أو يتعين عليه إذا رأي الناس قد اعرضوا عن العلم أن يعرض نفسه عليهم لتعليمهم وإرشادهم وإن كانوا معرضين[٤].

ولهذا يعتبر التعليم مهمًّا، كونه ينمي المهارات الأساسية أولًا، كمهارة اتخاذ القرار وحل المشكلات والحوار والإلقاء ومهارة النقد البنّاء، ثم إنّه يجعل الطالب في بيئة مجتمعية متكاملة في المدرسة، حتى يندمج مع مكوناتها ويتفاعل معها بصورة إيجابية.

(١) رواه ابن ماجه ج١، ط الحلبي.
(٢) إحياء علوم الدين للغزالي ج١، ص١٦.
(٣) المجموع للنووي ج١، ص٥٢ المكتبة العالمية.
(٤) المدخل لابن الحاج ج٢، ص٨٨.

الفصل الثالث
حكم إلزامية التعليم بأنواعه ومجالاته بالنسبة للجنسين

المبحث الأول : حكم التعليم عمومًا

إنّ الدلائل من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تتطابق في لزوم التعليم؛ كما قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

وقول النبيّ ﷺ: «إن الله لم يبعثني معنتًا ولا متعنتًا، ولكن بعثني معلمًا ميسرًا»(١)

وقد يكون التعليم فرض عين، وهو تعلم ما لابد منه للمسلم، لإقامة دينه وإخلاص عمله لله تعالى أو معاملة عبادِه، فقد فرض على كل مكلف ومكلفة بعد تعلمه ما تصح به عقيدته من أصول الدين تعلم ما تصح به العبادات والمعاملات؛ من الوضوء والغسل والصلاة والصوم وأحكام الزكاة والحج لمن وجب عليه، وإخلاص النية في العبادات لله، وتعلم أحكام البيوع على التجار ليحترزوا عن الشبهات والمكروهات في سائر المعاملات، وكذا أهل الحرف وكل من اشتغل بشيء يفرض عليه تعلم حكمه؛ ليمتنع عن الحرام فيه، وقد يكون التعلم فرض كفاية وهو تعلم كل علم لا يستغنى عنه في قيام أمور الدنيا؛ كالطب والحساب والنحو اللغة والكلام والقراءات وأسانيد الحديث، ونحو ذلك، ومن التعلم ما هو مندوب، ومنه التبحر في الفقه بالتوسع فيه والاطلاع على غوامضه، وكذا غيره من العلوم الشرعية(٢).

وقد يكون التعلم حرامًا، مثل تعلم السحر والشعوذة، وكذا الكهانة وضرب الرمل والعرافة.

وقد يكون التعلم مكروهًا، ومنه تعلم أشعار الغزل مما فيه وصف النساء المعينات.

وقد يكون مباحًا، ومنه تعلم الأشعار التي ليس فيها ما ينكر، ولا إساءة لأحد من المسلمين.

هذا ويلزم تعليم العلم اللازم تعليمه، كاستعلام كافر يسأل عن الإسلام، أو استعلام حديث عهد بالإسلام عن صلاة حضر وقتها، وكالمستفتي في الحلال والحرام، فإنه يلزم في هذه الأمور الإجابة ومن امتنع كان آثمًا.

---

(١) رواه مسلم ج٣، برقم ١١٠٥ ط الحلبيّ.

(٢) المغني لابن قدامة ج٨، ص١٥٠ ط الرياض.

المبحث الثاني : حكم تعليم الأطفال

إنّ تعليم الأطفال واجب، ودليله قول الله عزوجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ﴾ [التحريم: ٦]، وثبت في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال : «كلكم راع ومسئول عن رعيته»[١]، وقال القاضي أبو بكر بن العربي : إن الصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة، وهو قابل لكل نقش وقابل لكل ما يمال به إليه، فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة يشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب، وإن عُوِّد الشر وأهمل شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيم به والولي عليه. ومهما كان الأب يصون ولده من نار الدنيا فينبغي أن يصونه من نار الآخرة، وهو أولى، صيانته بأن يؤدبه ويهديه ويعلمه محاسن الأخلاق، يحفظه من قرناء السوء ولا يعوده التنعم ولا يجب إليه الزينة وأسباب الرفاهية فيضيع عمره في طلبها إذا كبر ويهلك هلاك الأبد، وينبغي أن يعلمه أيضًا من أمور الدنيا ما يحتاج إليه من: السباحة والرمي وغير ذلك مما ينفعه في كل زمان بحسبه[٢].

المبحث الثالث : حكم تعليم النساء

إنّ الشريعة الإسلامية تكفل مبدأ المساواة التكاملية بين الرجل والمرأة، التي تراعي الخصائص والسمات التي يتمتع بها كلٌّ من الجنسين، ويختلف بها عن الأخر وتحقق العدل للجميع، والإسلام كرم المرأة وحافظ على حقوقها ومنع التمييز ضدها، ومن المهم في هذا الصدد الإشارة إلى أن النظام التعليمي يجب أن يراعي تحقيق المساواة بين الرجل والمرأة في كل جوانبه، سواءً ما يتعلق بآليات القبول والالتحاق بالمراحل الدراسية، أو ما يتعلق بالمناهج ألدراسية والاختبارات، أو ما يتعلق بالمنح والإعانات والتدريب والتوظيف، أو ما يتعلق بمؤهلات المعلمين والمحاضرين، أو في نوعية المرافق والمعدات الدراسية.

ولا خلاف بين الفقهاء في مشروعية تعليم النساء القرآن والعلوم والآداب. ومن الفقهاء من قال بوجوب قيام المتأهلة من النساء بتعليم علوم الشرع، كما كانت عائشة رضي الله عنها ونساء تابعيات[٣]، وقد قال الله تعالى لنساء نبيه عليه الصلاة والسلام ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤]، من ذلك حديث الشفاء بنت عبد الله رضي الله عنها. قالت: دخل علي رسول الله ﷺ وأنا

(١) رواه البخاري ج٢، ص٣٨٠.
(٢) تفسير القرطبيّ ج١٠، ص١١٨.
(٣) تفسير القرطبيّ ج١٠، ص١١٨.

عند حفصة فقال: «ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة»[١]، قال الشيخ مجد الدين بن تيمية في المنتقى: وهو دليل على جواز تعلم النساء الكتابة.

ويجب أن يكون تعليم النساء مع مراعاة آداب أمر الشارع المرأة بالتزامها للحفاظ على عرضها وشرفها وعفتها، من عدم الخضوع بالقول إذا كانت هناك حاجة للكلام مع الأجانب.

ويجب تعليم النساء العلوم التي تعتبر ضرورية بالنسبة للأنثى كطب النساء. قال في الجوهرة: إذا كان المرض في سائر بدن المرأة يجوز النظرة إليه عند الدواء، لأنه موضع ضرورة، وإن كان في موضع الفرج فينبغي أن يعلِّم امرأة تداويها. قال ابن عابدين: والظاهر أن ينبغي هنا للوجوب. فهي إلى جانب كل ذلك مطالبة بأن تتعلم وتتثقف وتكتسب خبرات مفيدة لها ولأسرتها، وهذا لا يدخل في نطاق الحقوق، ولكنه يتجاوزها ليصبح واجبًا عليها، لا يجوز لها التخلي عنه بأي حالة من الأحوال ما دامت قادرة عليه.

المبحث الرابع : موقع التعليم في سلم المصالح الضرورية والحاجية والتحسينية

إنّ الدول تعقد الآمال على التربية والتعليم في تحقيق التقدم وتطوير وتنمية الفرد والمجتمع؛ إذ به تتحقق النهضة، فالتربية أداةُ التغيير، والتعليم أداة البِناء، وكلاهما يسعى للمستقبل الأفضل، وهذا ما نراه في الدول التي حقّقت نهوضًا بعد نكسة الحرب العالمية الثانية؛ كاليابان وألمانيا، حين استثمرت التربية والتعليم في إعادة بناء نهضتها، وإن ما يميِّز أفراد مجتمع ما عن أفراد مجتمع آخر، هو ثقافة وتعليم ذلك المجتمع، ونوع التربية السائدة فيه، والتي تجعل منهم أشخاصًا أصحاب هُوية.

ومن المعلوم أن المصالح التربوية التعليمية من أهم ما اعتني به الإسلام، وذلك بحكم أن تربية الإنسان هي أجلّ ما جاء من أجله، سواء في خاصة نفسه أو عامة مجتمعه، وكلمة التعليم من أكثر الكلمات شيوعًا في الخطاب الإلهي بجميع دلالاتها؛ وقد وردت بصيغ فعلية متعددة في آيات كثيرة؛ منها ما يفيد أن «فعل التعليم» من أظهر الأفعال الإلهية؛ كما في قوله تعالى:﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]، وقوله تعالى ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۞ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۞ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۞ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ٤]، وقوله تعالى ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النساء: ١١٣].

١ـ المصالح الضرورية: ويدخل فيها كلّ العلوم التي لا بد منها للناس في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد[٢].

(١) رواه أبو داود ج٤، ص٢١٥.

(٢) الفروق للقرافي ج٩، ص٩٥ دار عالم الكتب بيروت.

٢ـ المصالح الحاجية: وتدخل فيها العلوم التي يحتاج المجتمع إليها لتحقيق مصالح هامة في حياتهم، يؤدي غيابها إلى المشقة والضيق والحرج واختلال النظام.

٣ـ المصالح التحسينية: ويدخل فيها العلوم التي يتم بها اكتمال وتجميل أحوال الناس وتصرفاتهم، وإذا أردنا لمقصد التعليم أن يكون له تفعيل تربوي موافق لقصد الشارع وخادم لمصالح الإنسان؛ فلا بد أن تقوم المؤسسات المعنية بالتربية والتعليم بتهيئة الفضاءات التربوية بكل ما يلزمها من موارد بشرية، وبنيات تحتية ووسائل تعليمية، لتعميم التعليم على الجميع.

المبحث الخامس : موقع التعليم في سلم الحقوق والواجبات في الإسلام

الحقوق هي الأمور التي يجب أن يتمتع بها كل إنسان على وجه هذه الأرض، ولا يحقّ لأي أحد إلغاؤها أو انتقاصها، وقد تكفل الإسلام والمواثيق الدولية على سنّ تلك الحقوق ضمن دساتيرها.

والواجب هو عبارة عن التزام الشخص انطلاقًا من عقيدته تجاه الآخرين وتجاه المجتمع وتجاه وطنه، أما الحق فهو حق المواطنين داخل الوطن ويكون في إطار قانوني، حيث يضمن القانون حقوق أفراد المجتمع في داخل الدولة، كذلك هناك حقوق أخرى تكون في إطار غير قانوني، ولكنه تكون في إطار أخلاقي وإطار مجتمعي، حيث تحكم المجتمعاتِ الأعرافُ والالتزام الخلقي والدين، بجانب القوانين، مثال حق الجار وحقوق الوالدين وغيرها من الحقوق.

وعن حق التعليم أمرت أول أية نزلت من الوحي القرآني على سيد الخلائق محمد ﷺ.

المبحث السادس : آداب المعلم والطالب

فصل الفقهاء القول في آداب المعلم ووظائفه وأهمها ما يلي:

ـ أن يقصد بتعليمه وجه الله تعالي، ولا يقصد توصلًا إلى غرض دنيوي.

ـ وأن يتخلق بالمحاسن التي ورد الشرع بها وحث عليها، والخلال الحميدة والشيم المرضية التي أرشد إليها.

ـ المساواة بين الطلبة وعدم التفرقة بينهم على أساس الدين، أو الجنس، أو اللون، أو الانتماء.

ـ وأن يحذر من الحسد والرياء والإعجاب واحتقار الناس، وإن كانوا دونه بدرجات[1].

ـ وأن لا يذل العلم ولا يذهب به إلى مكان ينتسب إلى من يتعلمه منه، وأن كان المتعلم كبير القدر.

---

(١) المجموع للنووي، ج١، ص٥٣.

ـ أن يشفق على المتعلمين، وأن يجريهم مجرى بنية بأن يقصد إنقاذهم من نار الآخرة، وهو أهم من إنقاذ الوالدين ولدهما من نار الدنيا.

ـ وأن لا يتعظم على المتعلمين، بل يلين لهم ويتواضع. قال عمر رضي الله عنه: تواضعوا لمن علمكم، وتواضعوا لمن تُعلِّمون، ولا تكونوا من جبّاري العلماء.

ـ أن يتفقد المتعلمين، ويسأل عمن غاب منهم، وينبغي أن يكون باذلًا وسعه في تفهيمهم وتقريب الفائدة إلى أذهانهم[١].

آداب الطالب:

إن التعليم داخل المدرسة يمثّل ضرورة حياتية بالنسبة للتلميذ الذي يتمتّع بحقوق عديدة داخل هذا الفضاء الهامّ، كما أنّ عليه واجبات وجب أن يدركها ويلتزم بها.

والحقّ في تلقّي تعليم جيّد يضمن اندماجه في الحياة الاجتماعية ومشاركته في العمليّة التعلميّة، والتعبير عن أفكاره ومشاعره من ذلك مشاركته في الأنشطة المختلفة التي تنظّمها المدرسة فيقدّم فيها رأيه واقتراحاته.

ـ ينبغي لطالب العلم أن يطهر قلبه من الأدناس ليصلح لقبول العلم وحفظه واستثماره، ففي الصحيحين عن رسول الله ﷺ «إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»[٢].

وقالوا: تطبيب القلب للعلم كتطبيب الأرض للزراعة.

وينبغي أن يقطع العلائق الشاغلة عن كمال الاجتهاد في التحصيل ويرضي بما يتيسر من القوت، ويصبر إن ضاق به العيش.

ـ وينبغي للمعلم أن يتواضع لمعلمه وينظر إليه بعين الاحترام، ويرى كمال أهليته ورجحانه على أكثر طبقته، فذلك أقرب إلى انتفاعه به ورسوخ ما سمعه منه في ذهنه.

ـ وليحذر المتعلم البسط على من يعلمه وإن أنسه، والإدلال عليه وإن تقدمت صحبته، ولا يظهر له الاستكفاء منه والاستغناء عنه، فان في ذلك كفرا لنعمته واستخفافا بحقه.

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالي، ج١، ص٥٦.

(٢) رواه البخاري، ج١، ص١٢٦.

ـ ولا ينبغي إن تبعه معرفة الحق للمعلم على قبول الشبهة منه، وألا ينبغي له أن يُعنِت معلمه بالسؤال، ولا يدعوه ترك الإعنات للمعلم إلى التقليد فيما أخذ عنه. وليست كثرة السؤال فيما التبس إعناتًا، وإلا قبول ما صح في النفس تقليد. لا أنه لا يلح في السؤال إلحاحًا مضجرًا، ويغتنم سؤاله عند طيب نفسه وفراغه، ويتلطف في سؤاله بحسن خطابه.

ـ وليأخذ المتعلم حظه ممن وجد طلبته عنده من نبيه وخامل، ولا يطلب الصيت وحسن الذكر باتباع أهل المنازل من العلماء، إذا كان النفع بغيرهم أعم، إلا أن يستوي النفعان، فيكون الأخذ عمن اشتهر ذكره وارتفع قدره أولى، لأن الانتساب إليه أجمل والأخذ عنه أشهر.

ـ وينبغي أن يكون حريصًا على التعلم ومواظبًا عليه في جميع أوقاته، ليلًا ونهارًا، حضرًا وسفرًا، ولا يذهب من أوقاته شيء في غير العلم إلا بقدر الضرورة وأن للأكل ونوم قدرًا، لا بد منه، ونحوهما من الضروريات.

الفصل الرابع
حكم الإنفاق على التعليم والطلبة والمؤسسات

المبحث الأول : حكم الإنفاق على طلبة العلم

انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩] فإنّ الإنفاق على طلبة العلم من أهم المبادرات التي لا بد أن يلتفت إليها المؤمن المقتدر، وهي باب من أبواب الإنفاق في سبيل الله سبحانه وتعالى، غالبًا لا يُلتفت إليه ويكون الإنفاق دفع أقساط رسوم الدراسة عن الطلبة، وربما يكون إنفاقك على طالب العلم أفضل من إنفاقك على ولدك؛ إذ إنّ كلّ فرد يهتدي على يدي طالب العلم هذا سيكون لك أجر في ذلك قسيمه في الأجر. قال رسول الله ﷺ: «من دعا إلى هدى، كان من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا»(١).

وقد يكون ما تتبرّع به لطالب فقير سببًا في التحاقه بالجامعة، ومواصلة مشواره الأكاديمي، فثمة عدد من الطلبة المتفوّقين الذين يستحقّون المقاعد الأولى في كل تخصص في الجامعة، يقف الفقر حائلًا دون مواصلتهم لتعليمهم، وبإنفاق المقتدرين يصبح هؤلاء الطلبة بإذن الله من أفضل المتخصّصين الذين يخدمون أمّتهم في مختلف مجالات الحياة.

يقول معاذ بن جبل رضي الله عنه في فضل العلم: «تعلّموا العلم، فإن تعلُّمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه صدقة، وبذله لأهله قربة، وهو الأنيس في الوحدة، والصاحب في الخلوة، والدليل على الدين، والنصير في السرّاء والضراء، والوزير عند الإخلاء، والقريب عند القرباء، هو منار سبيل الجنة، يرفع الله به أقوامًا يجعلهم في الخير قادة وسادة، يُقتدى بهم، يدل على الخير... بالعلم يطاع الله عز وجل، وبه يُعبد الله عزّ وجل، وبه يوحّد الله عزّ وجل، وبه يُمجّد الله عزّ وجل، وبه يتورّع الإنسان، وبه توصل الأرحام، وبه يُعرف الحلال والحرام. هو إمام العمل يلهمه السعداء ويحرم منه الأشقياء». فإن إعانة طالب العلم على مواصلة الطلب من أهم ما ينبغي أن ينفق عليه، ولو أن شخصًا وفقه الله فقام بكفالة طالب علم، فنرجو أن ينال مثل أجره بسبب دلالته، وتجهيزه له وإعانته، ومن هذه الأحاديث وما جاء في معناها: أخذ العلماء رحمهم الله قاعدة عامة، وهي: أن كل من أعان شخصًا في طاعة من

(١) أبو داود برقم ٤٦٠٩.

طاعات الله، كان له مثل أجره، من غير أن ينقص ذلك من أجره شيئًا هذا؛ ونؤكد أهمية اعتناء الأمة بإعانة طلاب العلم وكفالتهم؛ لأن المشتغل بدراسة العلم الشرعي قائم عنهم بفرض من أهم الفروض الكفائية... وقد ذكر ابن عابدين في تنقيح الفتاوى الحامدية: «أنه تلزم على المسلمين كفاية طالب العلم إذا خرج للطلب؛ حتى لو امتنعوا عن كفايته يجبرون كما يجبرون في دين الزكاة إذا امتنعوا عن أدائها».

المبحث الثاني : دعم التعليم الإبداعي والنقدي والبحث العلمي والابتكارات

لقد أصبح مفهوم الابداع والابتكار محط اهتمام الأكاديميين والتربويين في كل المؤتمرات التعليمية عربيًّا وعالميًّا، ويكمن التحدي اليوم في كيفية تطبيق هذه الأفكار والتوصيات على أرض الواقع، وفي طرق تعديل المناهج الدراسية بما يتناسب ومخرجات الثورة الصناعية المعاصرة، وتطوير العملية التعليمية بناء على معايير وأهداف شاملة ومتكاملة، بهدف الوصول إلى منهج تربوي حديث، يحفز الإبداع والابتكار في المدارس ويشجع التفكير النقدي لدى الطلبة.

ويعد الابتكار مهارة أساسية تؤثر بشكل غير مباشر في الاقتصاد العالمي، لذلك تقوم بعض المدارس الكبرى بتخصيص ساعة يوميًّا تحت مسمى «ساعة العبقرية» بهدف تعليم أساسيات الابتكار وتنمية الإبداع لدى طلبتها. في الوقت الذي تفتقر المدارس الحكومية إلى إيجاد تصور علمي قابل للتطبيق، لجعل الابتكار والإبداع معيارًا مهمًّا في العملية التعلمية بهدف وضع حجر الأساس لمفهوم الريادة؛ فالعديد من مدارسنا لا تعرف الطالب بمهارات التفكير الناقد والمنطق والإبداع والتفكير العملي، بل تكتفي بتلقينه بعض المعلومات التي ينساها بعد الامتحان.

لهذا أصبحنا بحاجة ملحة إلى تطبيق استراتيجيات تعليمية جديدة، ترتكز على تعليم الإبداع ضمن مناهج مدرسية يتم تكييفها وتطبيقها من خلال طرق تعلم مبتكرة، تجعل من الغرفة الصفية مكانًا لاستلهام الأفكار وإثارة التفكير الإبداعي والنقدي. وهنا تبدأ مهمة المعلم الذي بإمكانه فعل الكثير في هذا المجال، مع أهمية الإشارة إلى حقيقة أن مثل تلك الممارسات الصفية لن تجعل من عمله أكثر صعوبة، بل أكثر متعة وتحفيزًا للطلبة، ومن الممكن استخدام النصائح التالية لتحويل الغرفة الصفية إلى ورشة كبيرة لصناعة الإبداع[١].

ويتمثل البحث العلمي في الدراسات والأبحاث والتجارب التي دأب العلماء والمتخصصون على تفحصها وتحليلها بأساليب علمية، وبطرق منهجية متأنية، بحيث تتم فيها دراسة الماديات، واستخلاص

(١) التقنيات الحديثة وأثرها في الشباب المسلم للدكتور عبد الرزاق حسين أحمد ص٢٤.

النظريات التي تصف بدورها نتائج الأبحاث والدراسات، تكمن أهمية العلم في تلبيته لاحتياجات الإنسان منذ القِدم وإلى الآن، فهو يُعلي من شأن الفرد والمجتمع، فيطوّر إدراكه وفكره وقيمه، ويحسّن من مستوى معيشته، فالعلم يزيد من نمو اقتصاديات المجتمع، ويفتح له آفاقًا استثمارية جديدة، كما أنّ الاكتشافات العلمية الصديقة للبيئة تستثمر الموارد الطبيعية وتحافظ على استدامتها، مما يعود على المجتمع بالنفع والأمان، دون هدر تلك الموارد واستنزافها[1].

المبحث الثالث : وسائل دعم الإبداع والابتكار في المؤسسات التعليمية

١ـ طرح الأسئلة المحفزة للتفكير: يوصي المختصون في تعليم الابتكار والإبداع المعلمين بضرورة فتح المجال أمام الطلبة لاكتشاف المفاهيم والمعارف بشكل مستقل من خلال طرح الأسئلة المناسبة التي من شأنها أن تحفز التفكير، وذلك بهدف خلق بيئة من التعلم الفعّال المتمركز حول الطالب بعيدا عن التلقين. مثل تلك الأسئلة لا تنحصر بجمع المعلومات بهدف الحصول على المعرفة، بل تمتد لتنمية التفكير النقدي والاستكشافي، خصوصا عند طرح الأسئلة غير المقيدة والتي تخاطب الفكر وتحفز الإبداع.

٢ـ البحث عن مصادر المعرفة: وهو ما يسمى بأسلوب بيستالوزي، وهو الأسلوب الذي اتبعه أينشتاين في أبحاثه، والذي يتيح للطلبة معرفة الجواب الصحيح عقب كل نشاط صفي من خلال التقويمات التكوينية، والذي ينمي لدى الطلبة مهارة التفكير المنطقي ويشجعهم على التعلم الذاتي، والبحث عن الجواب بكل الطرق الممكنة، بإشراف وتوجيه من المعلم، والذي تقتصر مهمته على توفير الوسائل الضرورية. ويفسح هذا الأسلوب مجالًا أكبر للطلبة لإطلاق العنان لمخيلاتهم وإبداعاتهم.

٣ـ تطبيق نظام الطاولة المستديرة: وهو ما يسمى بأسلوب هاركنس، والذي يهدف إلى تحويل الغرفة الصفية إلى مكان للتفاعل والنقاش والحوار بدلًا من النهج التعليمي التقليدي الذي يعتمد أسلوب الإلقاء والتلقين. ويعتمد على استخدام طاولات دائرية، مما يسهل عملية النقاش بين الطلبة. ويمكن للمعلمين في المدارس ذات الموارد المحدودة، كما في أغلب المدارس الحكومية، إعادة تنظيم المقاعد المتوافرة، بناء على هذه الطريقة للسماح للطلبة بالعمل ضمن مجموعات، وتطبيق استراتيجيات التعلم التعاوني.

٤ـ التعلم التعاوني المستند على المشاريع: يساعد التعلم وفق طريقة المشاريع على تنمية المهارات الاجتماعية، وتعزيز روح القيادة والإبداع، وتحسين مهارات الكتابة والبحث، وزرع بذور التعاون وخلق روح الفريق، وتنمية مهارات التواصل بين الطلبة. فهو يسمح للطالب بدمج المعارف التي تعلمها مع

(١) الخدمات الإلكترونية للدكتور عماد أبو شب ص١٠٦.

مهاراته الفردية، ابتداء من مرحلة التخطيط وانتهاء بمرحلة تقييم المشروع، بالمقارنة مع الأهداف المحددة مسبقًا، حيث يكون دور المعلم في هذا النمط من التعلم توجيهيًّا وإرشاديًّا فقط.

٥ـ توظيف التكنولوجيا في خدمة الإبداع: يمكن للتكنولوجيا الحديثة أن تكون الوسيلة المفيدة والممتعة التي تحقق أهدافًا تعليمية، خصوصًا إذا ما تم توظيفها على الوجه الأمثل. فهناك بالفعل الكثير من التطبيقات التعلمية الخاصة بالأجهزة اللوحية وبرامج الحاسوب التي من شأنها إثارة التفكير الإبداعي لدى الطلبة، وتحفيزهم على التعلم الذاتي الفعّال. وهنا يلعب المعلم دورًا أساسيًّا في تحديد التطبيقات المناسبة، بما يتناسب مع المادة التي يتم تدريسها.

٦ـ تحقيق التكامل بين المواد الدراسية أفقيًّا وعموديًّا: تتجه استراتيجيات التعلم الحديثة لتوظيف التكامل بين مختلف المواد الدراسية، بشكل أفقي وعمودي، مثل الدمج بين مفاهيم الرسم والرياضيات أو العلوم والتربية البدنية، فذلك يجعل التعلم قابلًا للتطبيق، وملموسًا إلى حد ما بالنسبة للطلبة، ومن شأنه أن يربط المعارف التي يكتسبها الطلبة بالمواقف الحياتية اليومية.

٧ـ عدم تقييم الطلبة ضمن معيار واحد: من المهم عدم حصر انجاز المهمات ضمن معيار واحد، ومنح الطلبة بعض الحرية في الإنجاز، فبعض الطلبة سيبدعون من خلال شريط فيديو أو رسم كاريكاتوري أو عمل موسيقي أو حتى عرض مسرحي، وهذا من شأنه أن يجعلهم أكثر تحفزًا لإتقان العمل الذي يقومون به، وأكثر استعدادًا لتوظيف كل مهاراتهم وطاقاتهم للإبداع فيه. أن القدرة على إيصال الأفكار بوضوح واحترام من شأنه أن يفيد الطلبة في جميع مجالات حياتهم المستقبلية.

أن نشر ثقافة الإبداع تهدف إلى إشراك الطلبة في عملية التعلم بدلًا من أن يكونوا مجرد متلقين للمعرفة، فالمشاركة والتفاعل مع المواضيع التي تتم مناقشتها داخل الغرفة الصفية، من شأنها تعزيز مهارة التفكير النقدي لدى الطلبة، وزيادة قدرتهم على التواصل والتعبير بحرية عن أفكارهم وآرائهم وتدربهم على فن استماع الرأي الآخر وتقبله أو نقده بإيجابية والاستفادة من تجارب الآخرين. ومن شأن هذا تجهيز الطلبة بالأدوات اللازمة لمواجهة سوق العمل وشغل المناصب الريادية في عالم يشهد تطورًا سريعًا في كافة المجالات.

في النهاية لا بد من التأكيد على حقيقة أن الأنظمة التعليمية الحالية بحاجة إلى بعض الإصلاحات على مستوى المناهج وطرق التدريس، وتأهيل المعلمين والبنية التحتية، لتواكب التطورات الاقتصادية والتكنولوجية بشكل يوفر للمتعلمين وسائل أكثر، وحرية أكبر للإبداع واختيار ما يناسب طموحاتهم المستقبلية.

٨ـ إنشاء فضاء للإبداع والابتكار: عادة ما يحب المتعلمون عرض إبداعاتهم من أبحاث ميدانية، أو تقارير صحفية، أو كتابات، أو رسومات، أو أعمال يدوية...، أو أي شيء تم إنجازه في إطار الأنشطة المدرسية أو بمبادرة فردية منهم للتعبير عن آرائهم وإبراز موهبتهم. لذلك سيكون جميلًا تخصيص مكان في الفصل يسمى مثلًا: فضاء الإبداع، سترى أن الجميع سيسارع لإنتاج وعرض شيء مميز. حينها عليك كمدرس، تشجيع كل الأفكار والمبادرات وتقديم النصائح حيالها لتطويرها أو تحسينه[١].

(١) دور الحاسب وشبكة الإنترنت في تطوير التعليم لعلاء الدين العمري ص٦.

نتائج البحث

- أنّ التعليم عبر الزمن كان وراء بناء حضارات الإنسان في كل مكان.
- دعم التنافس المعرفي، الذي ينشط الحاجة إلى الابتكار اقتصاديًّا واجتماعيًّا وإنسانيًّا.
- من مخرجات العملية التعليمية زيادة مهارات الطلبة ومعارفهم والاهتمام بالموضوع التعليمي.
- بناء العملية التعليمية وفق المقاصد والمصالح في المدى القريب والبعيد.

توصيات البحث:

- الاهتمام بإعداد الإنسان المفكر والمدرك لمتطلبات الابتكار وتحديات التنمية، أي بناء مصدر الابتكار من جهة؛ وتوفير البيئة الممكنة للتفكير واستيعاب الأفكار الواعدة وتفعيلها.

- مراجعة الأنظمة التعليمية الحالية على مستوى المناهج وطرق التدريس لتواكب ثورة العالم اقتصاديًّا وتكنولوجيًّا، بشكل يتيح للمدرسين وسائل أكثر وحرية أكبر للإبداع في مهنتهم واختيار ما يناسب تطلعاتهم لتجهيز جيل المستقبل، جيل يُنتظر منه الكثير.

- الاهتمام بالبحث العلمي ومنحه إنفاقًا أكثر.

بحث فضيلة الدكتور كوناتي أرنا

عضو المجمع

نائب رئيس جامعة إفريقيا الإسلامية

ورئيس قسم التعليم العالي والتكوين والبحث العلمي بالمجلس الأعلى للأئمة والمساجد

والشؤون الإسلامية بجمهورية كوت ديفوار

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان حكم إلزامية التعليم بشقيه الديني والدنيوي على كلا الجنسين في الإسلام

مقدمة :

يُعتبر التعليم من أهمّ المقومات التي تساهم في قيام ورفعة الأمم؛ فتقاس قوة الأمة وتقدمها بالمستوى التعليمي فيها، لهذا منذ القدم عملت الدول والحكومات على تطوير القطاع التعليمي والاهتمام بالمؤسسات والدوائر المعنية بالتعليم؛ كالمدارس، والجامعات، والمعاهد، وغيرها. وأنشأت الدول وزارات تُعنى بالتعليم وشؤونه تحت مسمى وزارة التربية الوطنية، أو وزارة التربية والتعليم، أو وزارة التعاليم العالي والبحث العلمي، وقدّمت له الدعم المالي اللازم، ومع تطوّر التكنولوجيا وعصر المعرفة أصبحت العملية التعليمية متطورة أيضًا، ولم تعد تقتصر على الغرف الصفيّة والتعلم التقليدي. فأصبح عمليّة منظّمة يتم من خلالها نقل المعلومات والمعارف والتجارب من شخص مرسل ـ وهو المعلم ـ إلى شخص مستقبل ـ وهو الطالب ـ، وتهدف إلى بناء الفرد والمجتمع ومحو الأمية، ويعتبر هو المحرّك الأساسي لتطوّر الحضارات ونمو المجتمعات.

وشيء بهذه الدرجة من الأهمية في إصلاح الفرد والمجتمع يتطلب الوقوف على حقيقته وجوهره وحكمه، ومدى إلزاميته على الجنسين، الأمر الذي يقودنا إلى الحديث في هذه الصفحات عن موضوع: «إلزامية التعليم بشقيه الديني والدنيوي على كلا الجنسين في الإسلام»، وذلك وفق الخطة الآتية:

١ـ التعريف بالتعليم وعلاقته بالتربية، والتزكية، والتثقيف، والتنوير.

٢ـ أنواع التعليم باعتبار مجالاته، وباعتبار موضوعاته، وباعتبار مؤسساته، وباعتبار آثاره ونتائجه على الفرد والمجتمع.

٣ـ مكانة التعليم وأهميته في الكتاب والسنة والآثار.

٤ـ حكم إلزامية التعليم بأنواعه ومجالاته ومستوياته على الجنسين.

٥ـ موقع التعليم في سلم المصالح الضرورية والحاجية والتحسينية.

٦ـ موقع التعليم في سلم الحقوق والواجبات في الإسلام.
٧ـ حكم الإنفاق على التعليم وطلابه، ومؤسساته، وأجهزته، ومخرجاته.
٨ـ دعم التعليم الإبداعي، والنقدي، والبحث العلمي، والابتكارات.

فالله نسأل أن يوفقنا من خلال تعاملنا مع هذه الخطة للوصول إلى الهدف المنشود.

١ـ التعريف بالتعليم وعلاقته بالتربية، والتزكية، والتثقيف، والتنوير:

يشكل التعليم الأهمية القصوى لدى المجتمعات المختلفة، فمنذ بداية البشرية كان التعلم وحب الاستطلاع واكتشاف كل ما هو جديد أحد الغرائز البشرية، ومن خلاله وصلت البشرية إلى كل ما هو حولنا في العصر الحالي من تطورات واكتشافات، فالعملية التعليمية هي أحد مقومات تقدم المجتمعات وتحضرها. وهذا وللوصول إلى الهدف المنشود من هذه الورقة نقدم هنا تعريف التعليم بشكل مفصل وكل ما يتعلق بالعملية التعليمية من حيث التربية، والتزكية، والتثقيف، والتنوير.

التعريف بالتعليم:

يمكن تعريف التعليم (enseignement) على أنه عملية اكتساب واكتشاف المهارات، والمبادئ والمعتقدات المتغيرة، فهو أحد الأنشطة التي تمكن الأفراد من الوصول إلى كل ما هو جديد، أو هو النشاط الذي يمارس من خلال المُتعلمين بطريقة ذاتية معتمدين على مجموعة من الأدوات التعليمية المساعدة على التعلم.

فنجد أن التعلُّم هو تلك العملية التي تُحدث تغييرًا في الفكر البشري وقدرته على القيام بالعديد من الأمور المختلفة، ومن خلال هذا نجد أن عملية التعليم ليست عبارة عن تناول أحد الدورات التعليمية، ولا الحصول على شهادة من الشهادات أو مؤهل ما، فالحصول على هذه الدرجات والشهادات ليس دليلًا على التعلم، ولا دليلًا على الوصول للغاية المنشودة إلا دمج هذه المهارات والشهادات والدورات في الذاكرة والتمكن من تطبيقها بطريقة عملية، والاستفادة منها في المواقف الحياتية، فوجود أي تجربة تُحدث تغيرًا أو تأثيرًا على طريقة تفكير الفرد، أو شعوره، أو طريقة تصرفه يندرج تحت تعريف التعليم[1].

تعريف ألبرت هريشمان Albert Hirischman للتعليم:

قام العالم الاقتصادي ألبرت هريشمان بتعريف التعليم على أنه: «هو عملية الانتصار وتغلب العقل

(1) Acs.edu.au; What is Education?; 25-2- 2020

على العواطف والمشاعر»[١].

ومن هنا يقصد بأن التعليم يتضمن القراءة، وجمع المعلومات، وعمليات البحث، والتحليل، وكذلك الكتابة والمناقشات، فضلًا عن كونه هو المقدرة على التفكير بطريقة منطقية بعيدة عن العواطف والمشاعر، ولكن هذا لا يعني أنه يريد تهميش العاطفة؛ لأن العاطفة أيضًا وسيلة من وسائل معالجة المعلومات.

تعريف جان بياجيه Gean Piajet للتعليم:

عرف عالم النفس والفيلسوف السويسري جان بياجيه التعليم بأنه: «هي تلك العملية التي تقوم بدورها في إنشاء مجموعة من الرجال والنساء لديهم القدرة على القيام بالعديد من الأمور المختلفة، والأمور الجديدة على النحو الصحيح، وليست مجرد القيام بمجموعة من الأفعال المكررة من تصرفات الأجيال والعصور السابقة»[٢].

تعريف الأستاذ حمزة هاشم محيميد للتعليم:

الأستاذ حمزة هاشم يُعرف عملية التعليم بأنه: «هو عبارة عن نقل للمعلومات بشكل منسق للطالب، أو أنه عبارة عن معلومات ومعارف، وخبرات، ومهارات يتم اكتسابها من قِبل المتلقي بطريقة معينة»[٣].

وإذا جمعنا هذه التعريفات بعضها مع بعض وجدنا أن خلاصة القول في تعريف التعليم هو إيصال المعلومات والمعارف والخبرات إلى الغير بطريقة معينة.

التعليم والتعلم:

عند الحديث عن الفرق بين التعليم والتعلّم نجد أن التعلّم يرتكز على عدة أمور منها:

ـ التغيرات التي تطرأ على المُتعلّم من خلال ما مر به من الخبرات التعليمية السابقة، التي ساهمت بشكل كبير في تغيير ردود أفعاله، وأفكاره.

ـ وجود تغيرات مرغوب فيها في البنية المعرفية للمتعلم، والمفاهيم المطورة من خلال زيادة المعرفة التعليمية.

ـ وجود تحسينات بالأداء المعرفي، وكذلك الوجداني عن طريق مجموعة من الإدخالات.

---

(1) Newamerica.org; What is Education fort?; 25-2- 2020

(2) Acs.edu.au; What is Education?; 25-2- 2020

(٣) الأستاذ حمزة هاشم محيميد السلطاني، (٢٠١١، ٤، ١٧)، مفهوم التدريس، iq; edu; uobabylon; www

ـ أهداف التعلُّم تحدد وفقًا لمجموعة من الشروط والمعايير.
ـ دراسة سلوكيات الشخص المُتعلّم، وأخذ خصائصه الشخصية بعين الاعتبار عند بناء مواقف التعلم.
ـ التغيرات الطارئة على التعلم في الغالب نسبية.

أما التعليم فنجده يرتكز على جميع الأمور التي يقوم بها المُعلم أو المدرس وجميع الخصائص التي يمتلكها، فضلًا عن أن الهدف الرئيس من التعليم هو مساعدة المُتعلم على تحسين أدائه، ومن أجل ذلك يتوجب توفر بعض الخصائص والسمات والمهارات المحددة في المعلم، ومن هنا نجد أن عملية التعليم تهتم بالآتي:

ـ النماذج التي يستند عليها المعلم في النظام التعليمي.
ـ ما نظرية المعلم في التعليم؟
ـ ما الإجراءات التي يقوم بها المعلم داخل الصف؟
ـ ما السمات والخصائص الشخصية التي يختص بها المعلم؟
ـ العلاقة بين العامل النفسي والتعليم.

ومن خلال النقاط السابقة نتوصل إلى أن التعليم هو مختلف الإجراءات التي يقوم بها المعلم داخل الصف، أو هو السمات والخصائص التي يختص بها المعلم، والتعلم هو التغيرات التي تطرأ على المُتعلّم من خلال ما مر به من الخبرات التعليمية السابقة، التي ساهمت بشكل كبير في تغيير ردود أفعاله، وأفكاره.

التعليم والتربية:

من البديهي القول بأن الرقي والتقدم والازدهار في أي مجتمع ينبني في أساسه على التربية الصحيحة السليمة، لإعداد أجيال تساهم في إيجاد بنيات ذاتية متطورة، وتعزز الرقي المطلوب وتضمن استمرار التقدم المنشود.

وتظهر أهمية العلاقة بين التعليم والتربية في أن التعليم هو: إيصال المعلومات كما هي عليه إلى طالبها ومن يريدها. فالعلم إدراك الشيء على حقيقته.

أما التربية فهي فن وملكة وخبرة إيصال المعلومات بوجهها الصحيح إلى المتلقي.

وبالتالي فإن العلاقة بين التربية والتعليم علاقة تلازم وعموم وخصوص، فالعلم جسد والتربية روح هذا الجسد، فالتعليم جزء من التربية، والتربية عامة وشاملة، ولا يمكن الفصل بينهما بحال، بدليل ويظهر ذلك جليًّا في قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۞ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۞ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ﴾ [العلق: ١-٣].

ويقول الإمام البيضاوي في تفسيره: «والرب في الأصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئًا فشيئًا». وبهذا يمكن القول: إن المراد من الآية هو: تعلم مع التربية، إذ ربط النص التعليم بالتربية. فالرب والتربية من اشتقاق لغوي واحد.

وإذا كانت التربية أداة التغيير والتعليم أداة البناء، فكلاهما يسعى للمستقبل الأفضل، والتعليم جزء ووسيلة من أجزاء ووسائل التربية. إذ إن مدلول التعليم موضوع معين. وأما التربية فمدلولها شامل عام فالتعليم قد يهدف إلى تحصيل المعرفة، والتدريب على مهارة، أو حفظ نص، أو الاطلاع على قانون رياضي أو طبيعي. أما التربية فتهدف فيما تهدف إلى:

- تنمية الإحساس بالذوق والجمال في الكون.
- تربية الضمير والوجدان.
- تنمية الإدارة الحرة الواعية.
- النهوض بالقيم الإنسانية.
- تعديل أنماط السلوك البشري.

فالتعليم الجيد هو الذي يكون له هدف تربوي، بل فهما متلازمان ومتآزران ومتكاملان. وليس بينهما أي انفصال أو انفصام.

التعليم والتزكية:

إذا كانت التزكية هي تطهير النفس البشرية وتنظيفها من الأدران والأمراض والرواسب الجاهلية، سواء كانت من نوع الأفكار الباطلة، أو المعتقدات الفاسدة، أو الأخلاق السيئة، وأنها تهدف إلى تقوية الإرادة، وتحكيم حس التحرر من الأهواء والشهوات وتحكيمه في سلوكه، ويعمل على توجيه الطاقة الجسمية والعقلية للخير والحق، فإن التعليم هو الوسيلة والدعامة التي تركز عليها التزكية فهو يعتمد على طاقة العقل الكامنة في الإنسان، فالتزكية في الإسلام ملازمة لمسألة التعليم، فكما يولي الإسلام أهمية قصوى لمسألة التعليم كذلك يهتم بضرورة توجيه المسألة التعليمية، لتكون عملية هادفة ومقرونة بالتهذيب والتزكية، إذ هما متكاملان ومتآزران فالعِلم إن لم يتم تحصينه بالقيم الأخلاقية قد يصبح أداة دمار، ويقود المجتمع إلى الهلاك، فالإسلام ــ على هذا ــ ينشد العلم الذي يُعمِّر لا الذي يُدمِّر، ويتطلّع إلى العلم الهادف لا العابث، ولهذا وجدنا القرآن الكريم يحرص على أن يقرن دومًا بين التعليم والتزكية، مقدِّمًا في بعض الأحيان التزكية على التعليم ليتحرّك العلم في إطار التزكية والقيم الأخلاقية، فوظيفة الأنبياء وفق آيات الكتاب هي التزكية والتعليم قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

وهذا يعني أن الإسلام يهدف في صناعته للإنسان إلى بناء إنسان متكامل يرتكز على اعتبار التعليم والتزكية حجر الزاوية الأمر الذي يفسر مرة أخرى وجه الترابط والتكامل بين التعليم والتزكية.

التعليم والثقافة:

الثقافة تعني المعرفة بشكل عام، فأن تكون مثقفًا هو أن يكون لديك معرفة عن كافة المجالات المختلفة، كالآداب والفنون والمعارف والثقافات الأخرى، وهو نشاط نابع من رغبة الفرد في المعرفة والاطلاع والتفكير ورغبة في التواصل والتعبير عن معتقداته وأفكاره مع الأخرين.

ومن هنا نجد أن التعليم والثقافة عنصران مهمان جدًّا في بناء مجتمع قوي ومتماسك، فهما يؤصلان معًا النهوض والتقدم وتحقيق الرخاء المجتمعي وتسهيل التفاعل والتواصل بين أفراد المجتمع والحفاظ على هوية البلد وثقافاته.

ويؤكد هذا الترابط والتلازم بين التعليم والثقافة ما أصدرته منظمة اليونسكو في تحديد مفهوم الثقافة عام **٢٠٠٢**م جاء فيه: «إنه ينبغي أن يُنظر إلى الثقافة على أنها مجموعة مميزة من النواحي الدينية والعقلية والمادية والعاطفية للمجتمع أو لجماعة من الناس، وهي بذلك تشمل أسلوب الحياة وطرق المعيشة والقيم والعقائد والعادات، إلى جانب الآداب والفنون».

يقول نجيب محفوظ عن الثقافة «أنها ليست ترفًا روحيًّا يمكن تأجيله، ولا فترة استرخاء تعقب العمل الشاق لتجدد وتنشط الحواس، لكنها المادة المكونة من المعاني والمعارف التي تخلق روح الإنسان وعقله وسلوكه، كما إنها تأتي في مقدمة القوى التي تبني الشخصية الإنسانية».

٢ـ أنواع التعليم باعتبار عناصره ومجالاته وموضوعاته ومؤسساته وآثاره ونتائجه على الفرد والمجتمع :

التعليم يتنوع بحسب عناصره ومجالاته وموضوعاته ومؤسساته وآثاره على الفرد والمجتمع إلى أنواع كثيرة، نوردها فيما يأتي:

التعليم باعتبار عناصره

التعليم له عدة عناصر محددة تتمثل في:

أولا: مدخلات التعليم:

تتضمن مدخلات التعليم عدة أمور وهي:[١]

(١) المناهج الحديثة وطرائق التدريس، **٢٥-٢-٢٠٢٠**.

المعلم: وكل ما يتعلق به من حيث المستوى التعليمي، والمؤهلات التي يمتلكها، وخلفياته الثقافية والاجتماعية ومهاراته وكفائته في طريقة توصيل المعلومات والأداء.

الطالب أو متلقي العلم: وكل ما يتعلق به من ميول ودوافع واتجاهات.

البيئة التعليمية: وجميع ما تحويه من عناصر بداخلها، وطريقتها التنظيمية.

ثانيا: عمليات التعليم

تتضمن عمليات التعليم عدة أمور، وهي:

ـ طرق التدريس وأساليبه، وأدوار المعلمين وما يقومون به، والطلبة الدين تتم عملية التأثير عليهم.
ـ جميع أنواع الأنشطة التي تتم خلال سير العملية التعليمة.
ـ التقويم، وكل ما هو متعلق به من أساليب والمواضيع التي يتضمنها.

ثالثا: مخرجات التعليم:

تتضمن مخرجات التعليم عدة أمور وهي:

ـ زيادة المهارات والمعارف لدى الطلاب، واكتسابهم العديد من الكفاءات المختلفة والجديدة.
ـ تحفيز ذكاء الطلاب، وتحفيز قدراتهم الاستيعابية.
ـ الاهتمام بكل متعلقات العملية التعليمة.
ـ تعزيز الثقة بالنفس لدى الطلاب.
ـ اكتساب الطلاب القدرات التي تعينهم على مواجهة المواقف الحياتية المختلفة.
ـ تعديل السلوكيات الفردية لدى الطلاب.

التعليم باعتبار مجالاته:

الأنظمة الدراسية تشتمل على التعليم طبقًا للمناهج التعليمية، والتعليم طِبقًا للمؤسسات، وهذا النظام يكون معتمدًا حسب الغرض المحدد من أنظمة المدارس، ويوجد عدة أنواع للتعليم وهي:

التعليم النظامي:

هو ذلك التعليم الذي يتلقاه المتعلمون في المدرسة، وغالبًا ما يعرف بالتعليم المدرسي. وفي معظم الأقطار يلتحق الناس بشكل من أشكال التعليم النظامي خلال مرحلة الطفولة. وفي هذا النوع من التعليم يتولى المسؤولون عن المدرسة ما ينبغي تدريسه، وعلى المتعلمين أن يدرسوا ما حدده المسؤولون تحت

إشراف المعلمين. وعلى المتعلم أن يأتي إلى المدرسة بانتظام وفي الوقت المحدد، ويبذل جهدًا يوازي الجهد الذي يبذله زملاؤه في الصف، وفي التعليم النظامي تعقد امتحانات لقياس مدى تحصيل الطلاب وتقدمهم في الدراسة. وفي نهاية العام ينتقل الناجحون إلى مستويات متقدمة، كالانتقال من صف إلى صف أو مستوى أو مرحلة. وفي نهاية الأمر يحصلون على دبلوم أو شهادة إكمال، أو درجة محددة للدلالة على نجاحهم خلال فترة الدراسة.

التعليم التلقائي:

يشير إلى ما يتعلمه الناس من خلال ممارستهم لحياتهم اليومية؛ فالأطفال الصغار يتعلمون اللغة بالاستماع إلى الآخرين، وهم يتحدثون، ثم يحاولون التحدث كما يفعل الآخرون. ويتعلمون كيفية ارتداء ملابسهم، أو آداب الطعام، أو ركوب الدراجات، أو إجراء الاتصالات الهاتفية، أو تشغيل جهاز التلفاز.

التعليم غير الرسمي:

التعليم غير الرسمي يحتل مكانة وسطًا بين النوعين السابقين، النظامي والتلقائي. وعلى الرغم من أن له برامج مخططة ومنظمة، كما هو الحال في التعليم النظامي، فإن الإجراءات المتعلقة بالتعليم غير الرسمي أقل انضباطًا من إجراءات التعليم النظامي. فمثلًا في الأقطار التي يوجد بين سكانها من لا يعرفون القراءة والكتابة، اشتهرت طريقة كل متعلم يعلم أميًّا بوصفها أسلوبًا لمحاربة الأمية. في هذه الطريقة يقوم قادة التربية والتعليم بإعداد مادة مبسطة لتعليم القراءة، ويقوم كل متعلم بتعليمها لواحد ممن لا يعرفون القراءة والكتابة.

التعليم العام:

يهدف التعليم العام إلى إعداد مواطنين يتسمون بقدر من المعرفة والاستنارة وتحمل المسؤولية، ويصمم هذا النوع من التعليم للقيام بنقل الثقافة المشتركة من جيل إلى جيل، أكثر من كونه إعدادًا للمهنيين والمتخصصين.

التعليم الخاص:

يهتمُّ التعليم الخاص بتعليم المعوقين والموهوبين، وتقوم معظم الأقطار بتقديم برامج تربوية خاصة بفئة المعوقين، كالصم والبكم والمكفوفين والمعوقين جسديًّا أو عقليًّا، وكذلك الذين يعانون من الاضطرابات العاطفية. كما تقوم بعض أنظمة التعليم المحلية بإعانة الطلاب الموهوبين.

التعليم المهني:

يهدف التعليم المهني إلى إعداد الأفراد للمهن، وتوجد مدارس ثانوية من هذا النوع، يطلق عليها

أحيانًا اسم المدارس الثانوية الفنية، وهي مدارس مهنية ثانوية متخصصة، تدرس فيها مواد كالنجارة، والمعادن، والإلكترونيات، والزراعة، والصناعة، ويشترط في طلاب المدارس الفنية المتخصصة أن ينالوا قدرًا من التعليم العام، وتقوم الكليات والمدارس الفنية المتخصصة في التعليم العالي بتقديم التعليم الفني في مستوياته المتقدمة، أما الجامعات والمدارس المتخصصة الأخرى، فتقوم بإعداد الطلاب في مجالات متعددة كالزراعة والمعمار والأعمال الحرة والهندسة والقانون والطب والموسيقى والتمريض والصيدلة والتدريس وغير ذلك، وجدير بالذكر أن كثيرًا من المصانع والمؤسسات تقدم للعاملين فيها تدريبًا قبل الخدمة وفي أثنائها.

تعليم الكبار أو محو الأمية:

تتولى معظم الأقطار التعليم العام والفني للكبار من خلال الفصول المسائية. فبرنامج التعليم المستمر يتيح الفرصة للكبار لمواصلة تعليمهم العام، أو تأهيلهم لمهنة أو هواية معينة، ويتفاوت المنهج من تعليم القراءة والكتابة بمستوى يعادل مستوى المدرسة الابتدائية إلى التدريب المتقدم في المجالات التجارية والتقنية.

التعليم ما قبل الابتدائي أو التعليم المبكر:

التعليم المبكِّر يساعد في ترقية النمو العقلي للطفل وكذلك النمو الجسماني والاجتماعي. والتلوين تدريب مهم لتنمية تناسق الأيدي والأعين، وترقية التعبير الذاتي، وكذلك قوة الملاحظة.

التعليم المبكر تعليم يشمل نوعية واسعة من تجارب تعليمية، مُخططة لصغار الأطفال، إذ يبدأ الأطفال التعلم عند الميلاد، ويعتمد ما يدرسونه اعتمادًا كبيرًا على خبراتهم، ويوفر التعليم المُبكِّر خبرات عن تطور الطفل. ويبدأ تعليم صغار السن في سن الخامسة أو أصغر.

التعليم الإلكتروني:

وهو ما يعرف بالتعليم العصري. ويشمل التعليم «عن بعد».

٣ـ مكانة التعليم وأهميته في الكتاب والسنة والآثار:

قضى الله أن يحمل الدينُ الخاتم الإسلامُ للبشرية كلّ ما ييسِّر لها مهمة الحياة على الأرض، طريقًا إلى حياة أخرى يرتبط نعيمها بعمل الإنسان في حياته الأولى، ولمّا كان للعلم أثره في حياة الناس من حيث إنه وسيلة لكشف أسرار الكون، وطريق إلى تنوير الحياة وترقيتها، ومن حيث إنه غذاء للعقل الذي ميز الله به

الإنسان وطريق من أهم طرق الوصول إلى الله سبحانه[١]، قلت: لمّا كان للعلم هذا الأثر حفل الإسلام في نصوصه بالحثِّ على العلم وبيان قدره، تشجيعًا على تعلمه وتعليمه وتطبيقه، كما اهتمّ الإسلام بمناهج التفكير، وبيان الروافد التي ترفد الإنسان بالمعرفة.

وحسبنا في مجال دعوة الإسلام إلى العلم أن نراجع جذور المواد اللُّغوية الآتية: (قرأ، علم، فكر، ذكر، عقل) وما في معناها من فقه ونظر، وغيرها في معجم ألفاظ القرآن الكريم لنفهم حقيقة هذه الدعوة، وعلينا كذلك للغرض ذاته أن نراجع أبواب العلم في كتب الصحاح.

ونذكِّر هنا بقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، وقوله: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، ونذكِّر بقول الرسول ﷺ: «العلماء ورثة الأنبياء» [٢]، وقوله ﷺ: «الكلمةُ الحِكمةُ ضالّة المؤمن، فحيث وجدها فهو أحقُّ بها»[٣].

ولعلّ في هذه المكانة الرفيعة للعلم ما يُغري الناس ويسهل عليهم تجشُّم الصعاب في سبيله، وبخاصة إذا أدركوا عون الله لطالب العلم تشجيعًا وتقديرًا، فالرسول ﷺ يقول: «من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة، ومن أبطأ به عمله لم يُسرِع به نسبه»[٤].

وقد وردت رواية، بل روايات أخرى للحديث، تفيد أن الملائكة تضع أجنحتها رضًا لطالب العلم، وأن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب[٥].

ويشجع الإسلام على الرحلة ثم العودة لتقديم النفع لقومه الذين رحل عنهم، كما وردت بذلك آيات وأحاديث يمكن الرجوع إليها في مظانِّها؛ حيث توصي المتعلم أن يصبر وألا يضجر، كما توصي المعلم أن ييسر ولا يغضب، وأن يتحلى بما يليق بالواقف موقف النبوة في تقديم الخير للناس.

ولكي تثمر الرحلة وتظهر نتائج الصبر، شجع الإسلام على التعليم، فجعل كتمان الهدى بكل صنوفه جالبًا للّعن والنقمة، ولا يُذهب أثر هذا إلا التوبة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ * إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ

(١) مقداد يالجن (د)، توجيه المتعلم في ضوء التفكير التربوي الإسلامي، ١٥٣، ط/ ١، دار المريخ الرياض.
(٢) كشف الخفاء: ٢، ٨٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/ ١٩٨٣ م.
(٣) ابن الأثير، جامع الأصول، ٨/ ١ طبعة ١٩٧٢م، مكتبة الحلواني.
(٤) ابن الأثير، جامع الأصول ٨/ ٥/ ٦/ ٧، طبعة ١٩٧٢م، مكتبة الحلواني.
(٥) ابن الأثير، جامع الأصول ٨/ ٥/ ٦/ ٧، طبعة ١٩٧٢م، مكتبة الحلواني.

وَبَيَّنُواْ﴾ [البقرة: ١٥٩، ١٦٠]، ويقول ﷺ: «من سُئِل عن علم ثم كتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار»(١).

ولأن مهمة التعلم شاقّة كان أجرها كبيرًا، وقد بيّن الرسول الكريم ﷺ ذلك حين قال: «أفضل الصدقة أن يتعلّم المرء المسلم علمًا ثم يعلمه لأخيه المسلم»(٢)، وقال: «إن مما يلحق المؤمن من عمله علمًا علمه ونشره»(٣).

وجاء في كنز العمال رواية عن الرسول الكريم ﷺ: «ما بال أقوام لا يفقّهون جيرانهم، ولا يعلّمونهم، ولا يفطنونهم، ولا يأمرونهم ولا ينهونهم، وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم، ولا يتفقّهون، ولا يتفطنون»(٤).

وغير هذا كثير مما يؤكّد التشجيع على التعلم وتقديم الخير إلى الناس من خلال هذا العمل، ولمّا كانت مسألة التعليم والتعلم وسيلة لغاية هي العمل، حثّ الإسلام على أن يطبق المتعلم ما علمه، وألا يستهدف بعمله هدفًا رخيصًا، من الشهرة أو الرياء أو نحوه؛ ولذلك عاتب الله المؤمنين بقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۞ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف: ٢- ٣].

وكثرت الأحاديث الشريفة التي تدعو إلى الالتزام بما يقتضيه ما تعلّمناه؛ نذكر منها ما رواه ابن ماجه من قوله ﷺ: «لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء، ولتماروا به السفهاء، ولتصرفوا به وجوه الناس إليكم، فمن فعل ذلك فهو في النار»(٥).

على أن هذه التوجيهات التي وجّه الإسلام البشرية إليها ترتبطُ فيه بمناهج للمعرفة، تُعنى بطريقة التفكير كما تُعنى بروافد المعرفة التي تمدنا بالمعلومات اللازمة لحياتنا ورسالتنا فيها.

أهمية العلم والتعلم في الإسلام:

يقوم العلم على تربية المسلم تربية إسلامية، فما نص من القرآن والسنة إلا وله دلالة تربوية صريحة أو ضمنية، قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة : ٢] فالآية القرآنية تسلط على خاصية طبيعة الرسول ﷺ المربي والمعلم والمزكي لأفراد الأمة بأسرها، «فعملية التربية من حيث الوجود والحدوث تقع في

(١) مسند أحمد ١/ ١٦١.
(٢) سنن ابن ماجه ١/ ٨٩.
(٣) سنن ابن ماجه: المقدمة حديث، ٢٤٢.
(٤) كنز العمال على هامش مسند أحمد، ١/ ١٥١.
(٥) ٢٤٥.

«حاضر» يستحيل عليها أن تخاصمه «وحسن التربية ورشد التعليم والتعلم هو حسن ورشد التعامل مع هذه الأبعاد الزمنية الثلاثة، وفقًا للمرحلة التعليمية، ووفقًا لمادة التعلم، ووفقًا لعمر طالب المعرفة، بحيث يكون هناك توازن لا يقوم على التقسيم بالتساوي بالضرورة»(١).

وبهذا يمر الإنسان بمرحلتين هامتين تتكون منها شخصية المسلم الصالح المصلح الذي أثمرت فيه التربية الإسلامية(٢).

أولا: المرحلة الأولى/ التربية.

معنى التربية لغة: مشتقة من رب وهو الله عز وجل وهو رب كل شيء. أي مالكه ومستحقه، وقيل صاحبه، ويقال: رب البيت ورب الدابة، وهن ربات الحجال؛ أي: صاحباتها(٣) قال الله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].

معني التربية اصطلاحًا: هي إعداد المسلم كاملًا في جميع النواحي في مراحل نمو للحياة الدنيا والآخرة في ضوء المبادئ والقيم وطرق التربية التي جاء بها الإسلام (٤).

لذا فالتربية تعتبر عملية حياتية في المجتمع البشري «وهي ليست عملية سهلة وبسيطة، ولكنها معقدة ومركبة، وهي ليست مسؤولية جهة معينة في المجتمع، ولكنها مسؤولية المجتمع كله... كما يجب أن تتم في مرحلة الطفولة حيث عدم النضج والطواعية، ومن ثم سهولة إتمامها كما حدث ويحدث»(٥).

وبذلك تنظر التربية الإسلامية إلى الإنسان ككل متكامل تشمل جميع جوانبه الشخصية، فهي تربي فيه الروح والعقل والجسم، ولا شك في أن كل جانب من هذه الجوانب يؤثر في الآخر وتتأثر بعضها البعض، فهي تعنى بها جميعًا وتوليها اهتمامها فترعى الجسم وتحافظ عليه، قال الله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال: آخى النبي عليه الصلاة والسلام بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء مبتذلة، فقال: لها ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في

(١) البهي الخولي، الثروة في ظل الإسلام، دار الاعتصام، القاهرة ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م، ص٦٩.
(٢) سعيد إسماعيل علي، التربية الإسلامية والنهوض بالأمة، دار الفكر العربي، القاهرة ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م، ص،١٣.
(٣) محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ج٥، ص٩٧،٩٥.
(٤) مقداد بالجن، أهداف التربية الإسلامية، دار الهدى للنشر والتوزيع، الرياض ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م، ص،٢٠.
(٥) سالم حسن هيكل، تربية وتنشئة الفرد في إطار متوازن، مقارنة مجتمعه والاحتكاك بالثقافات المجتمعة الأخرى، ندوة مدرسة المستقبل، كلية التربية، جامعة الملك سعود، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م، ص،٢.

الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعامًا فقال: كل، قال: إني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، فأكل فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم فقال: نم، فنام ثم ذهب يقوم، فقال: نم، فلما كان آخر الليل قال سلمان: قم الآن، قال: فصليا فقال له سلمان: إن لربك عليك حقًّا ولنفسك عليك حقًّا ولأهلك عليك حقًّا، فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبي عليه الصلاة والسلام فذكر ذلك له، فقال النبي عليه الصلاة والسلام: «صدق سلمان أبو جحيفة»(١).

فالتربية الإسلامية تراعي جميع الجوانب، الروحي والفكري والاجتماعي والنفسي، فتخاطب وجدانه وقلبه وتحتكم عليها، فتربيه على الفضيلة، والخير وحب الناس والتجرد من الأنانية وحب الذات؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه خادم رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»(٢).

وإذا تأملنا الحديث لوجدنا أن تحقيق الكمال الإيماني في النفس يتطلب منها سموًّا في التعامل، ورفعة في الأخلاق مع الغير، انطلاقًا من رغبتها في أن تعامل بالمثل، وهذا يحتم على صاحبها أن يصبر على أذى الناس، ويتغاضى عن هفواتهم، ويعفو عمن أساء إليه وليس ذلك فحسب، بل يشارك إخوانه أفراحهم وأتراحهم، ويعود المريض منهم ويواسي المحتاج، ويكفل اليتيم، ويعيل الأرملة، ولا يألو جهدًا في تقديم صنائع المعروف للآخرين، ببشاشةِ وجه، وسعة قلب، وسلامة صدر. وكما يحب للناس السعادة في دنياهم، فإنه يحب لهم أن يكونوا من السعداء يوم القيامة، لهذا فهو يسعى دائمًا إلى هداية البشرية، وإرشادهم إلى طريق الهدى، واضعًا نصب عينيه، قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

وهي تربية للعقل تخاطبه وتحتكم إليه، قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

كما أن التربية الإسلامية توجه العقل للتفكير، والنظر للتأمل في مخلوقات الله، قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].

ثانيا: المرحلة الثانية / التزكية:

توجه التربية الإسلامية الإنسان إلى الاستمرار في فعل كل ما ينفع الإنسان، لما فيه من فعل الخير، وهو فعل التزكية.

---

(١) محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه، الفطرة في التطوع، دار إحياء التراث، بيروت، د.ت، ج٤، ص١١٢.

(٢) محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب من يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ج١، ص٢.

معنى التزكية لغة: «زكا الرجل إذا كان ذا فضل فهو زاك، وزكى يزكي أو زكى الغلام كان زكيًّا؛ أي: حسن النمو، صالح الحال، ذا فضل رفيع الشأن. والزكي هو الحسن النمو الصالح الرفيع الشأن النامي على الخير، والأزكى هو الأنفع والأوعى إلى الخير والبركة»(١).

وجاءت من زكا: أصل الزكاة النمو الحاصل عن بركة الله تعالى، ويعتبر ذلك من الأمور الدنيوية والأخروية. تزكية النفس؛ أي: تنميتها بالخيرات والبركات، أو لهما جميعًا؛ فإن الخيرين موجودان فيها. وبذكاء النفس وطهارتها يصير الإنسان بحيث يستحق في الدنيا الأوصاف المحمودة، وفي الآخرة الأجر والمثوبة، وهو أن يتحرى الإنسان ما فيه تطهيره وذلك ينسب تارة إلى العبد مكتسبًا لذلك نحو قوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الشمس: ٩].

وتارة ينسب إلى الله تعالى لكونه فاعلًا لذلك في الحقيقة، نحو قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٤٩].

وتارة تنسب إلى النبي ﷺ، نحو قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١].

وتارة للعبادة، نحو قوله تعالى: ﴿وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا﴾ [مريم: ١٣]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا﴾ [مريم: ١٩]؛ (أي: مزكًّى بالخلقة، وذلك على طريق ما ذكرنا من الاحتباء، وهو أن يجعل بعض عباده عالمًا، طاهر الخلق لا بالتعليم والممارسة، بل بتوفيق الله كما يكون لحال الأنبياء)(٢).

ومن خلال الآيات القرآنية يلحظ المتدبر أن التزكية تتلخص فيما يلي:

١ـ فعل التزكية يأتي مستندًا إلى الله تارة وإلى العبد تارة، وهذا يعني أن تحصيل التزكية يحتاج إلى جد ومثابرة من جهة، ومن جهة أخرى يحتاج إلى لطف وعون من الله تعالى، فلا يعتمد على نفسه دون طلب العون من ربه.

٢ـ إن معظم الأفعال الواردة هي من باب الفعل المضارع دلالة على أن التزكية عملية قائمة بذاتها على صاحبها قلبًا وقالبًا وعملًا وسلوكًا، وأنها عزيمة متجددة ومتكررة لا تتوقف، بل تشمل الدنيا والآخرة.

٣ـ تشير الآيات إلى عمق المصطلح إذ له أهمية في صياغة الشخصية المسلمة(٣).

---

(١) حسن سعيد الكرمي، الهادي إلى لغة العرب، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت ١٤١١هـ، ١٩٩١، ج٧، ص٣٧٠.

(٢) الحسين محمد الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، مرجع سابق، ص٢٣٨، ٢٣٩.

(٣) إبراهيم محمد العلي، رياض الأنس في بيان أصول تزكية النفس، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، عمان ١٤٢٦هـ، =

معنى التزكية اصطلاحًا: «مداومة الإنسان الراغب في الخير على تعهد نفسه بالترقية، وتنقيتها من المعاصي والرذائل والعيوب، ومجاهدتها على طاعة الله عز وجل، واكتساب العلم النافع والعمل به، والتحلي بجميل الأخلاق والأفعال والأقوال، وإرادة الخير للنفس ولمن معها في وجودها»[١].

ويرغب الإسلام في التزكية ويدعو إليها، ويوضح أن الفلاح فيها والخسران في عدمها، قال الله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۞ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩-١٠]؛ أي: «لقد ربح وفاز من زكى نفسه ونماها حتى بلغت ما هي مستعدة له من الكمال العقلي والعملي، حتى تثمر بذلك الثمر الطيب لها ولمن حولها، وخسر من أوقعها في التهلكة، من نقصها حقها بفعل المعاصي، ومجانية البر القربات، فإن من سلك سبيل الشر وطاوع داعي الشهوة فقد فعل ما تفعل البهائم، وبذلك قد أخفى عمل القوة العاقلة التي اختص بها الإنسان، واندرج في عداد الحيوان. ولا شك أنه لا خيبة أعظم، ولا خسران أكبر من هذا المسخ الذي يجلبه الشخص لنفسه»[٢].

فالتزكية هي: فعل مستمر مع الإنسان في جميع مراحله العمرية، يقوم أولًا على مسؤولية الإنسان عن نفسه ومصيره الشخصي، وعمن حوله، وكما يشير مصطلح التزكية على أنه مصطلح إحلاله بدلًا لمصطلحي التربية الذاتية والتربية المستمرة للإنسان المسلم الذي يرغب في النعيم بعد مماته؛ لذا فالتصور الإسلامي للإنسان على أنه مخلوق مكرم خلقه الله، ونفخ فيه من روحه، وجعله خليفة في الأرض كي يحقق الغاية من وجوده وهي العبودية لله التي تزكية في مجالات عدة[٣].

٤- حكم إلزامية التعليم بأنواعه ومجالاته ومستوياته على الجنسين :

نشير من خلال العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية إلى أهمية إلزامية طلب العلم ومكانته في الإسلام للجنسين في الدنيا والآخرة وكيف حث الإسلام على طلب العلم والاجتهاد بشتّى الوسائل والطرق، ويُمكن الإشارة إلى بعض الأمور التي تُظهر أهمية طلب العلم في الإسلام من خلال النقاط التالية [٤]:

= ٢٠٠٥م، ص٨، ٩.

(١) سمر محمد العريفي، صلاحية مصطلح التزكية الإنسانية كبديل لمصطلحي التربية المستمرة والتربية الذاتية، كلية البنات، جامعة الملك سعود ١٤٢٣هـ، ١٤٢٤هـ، ص٢٧.

(٢) أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د.ت، ج، ١، ص١٦٨-١٦٩.

(٣) سمر محمد العريفي، صلاحية مصطلح التزكية الإنسانية كبديل لمصطلحي التربية المستمرة والتربية الذاتية، ص٣٤.

(٤) سنن ابن ماجه: ١ / ٩٣ / ٢٥٤، المستدرك على الصحيحين: ١ / ١٦١ / ٢٩٠ عن جابر بن عبد الله وفيه «ولا لتحيزوا به المجلس» بدل «ولا تخيروا به المجالس» وح ٢٩٢ عن ابن جريج وفيه «ولا لتحدثوا به في» بدل «ولا تخبروا به».

طلب العلم يوصل إلى معرفة الله وإفراده بالألوهيّة والعبادة، كما أنّ المسلم من خلال طلبه للعلم والإمعان في مظاهر قدرة الله في مخلوقاته، سيصل إلى توحيد الله وتنزيهه عن جميع صفات النقص والخلل،[١] قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾ [محمد: ١٩]، فالناظر في الكون وجزئياته وتفاصيله وإبداع صنعه سيظهر له قدرة الله في خلقه وإحسانه في تدبير أموره؛ ممّا ينفي عنه الشريك والمثيل، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

ـ طلب العلم أساسُ الوصول إلى صحةِ الاعتقادِ وتمام العباداتِ؛ من خلال معرفة ما يجب وينبغي للمسلم القيام به، وما ينبغي له الانتهاء عنه.

ـ طلبُ العلمِ عبادةٌ موصِلةٌ إلى رضا الله ورسوله.

ـ طلب العلم طريقٌ يهيّئه الله لعبده حتى يصل به إلى الجنة، فقد روى أبو هُريرة رضي الله عنه عن رسُول الله ﷺ أنّه قال: «من سلك طرِيقًا يلتمِسُ فِيهِ عِلمًا سهل الله لهُ بهِ طرِيقًا إلى الجنة»[٢].

ـ بطلب العلم ينال المسلم ويكسبُ خشية الله ومخافته، ويوصله علمه إلى التواضع للخلق ولين الجانب لهم وبسط يد الرحمة والمحبة بينهم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

ـ أجر طلب العلم يبقى حتى بعد انقطاعِ عمل الإنسان بانتهاء أجله، فعن أبِي هُريرة رضي الله عنه أن رسُول الله ﷺ قال: «إذا مات الرجلُ انقطع عملُهُ إلا من ثلاثٍ ولدٍ صالحٍ يدعو له، أو صدقةٍ جاريةٍ أو علمٍ يُنتفعُ بهِ»[٣].

ـ طالب العلم ينال رفعة في الدُّنيا ومنزلةً خاصةً في الآخرة؛ قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١]. كما قال تعالى في سورة الزمر: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩].

ـ طلب العلم الشرعي دليلٌ على خيريّةِ العبد، وأنّ الله قد اصطفاه بأن يسّر له طلب العلم؛ خصوصًا علم الفقه وسائر العلوم الشرعية الأخرى على وجه الخصوص، فقد ثبت عن النبي ﷺ أنّه قال: «من

(١) فريق عمل الموقع (٢١-١٠-٢٠١٥)، «دلائل قدرة الله في الكون»، معرفة الله، اطّلع عليه بتاريخ ٣٠-٦-٢٠٢١.

(٢) رواه مسلم، في صحيح مسلم، عن أبي هريرة، الصفحة أو الرقم: ٢٦٩٩.

(٣) رواه ابن عساكر، في معجم الشيوخ، عن أبي هريرة، الصفحة أو الرقم: ١/ ٤٣٢، صحيح.

يُرِدِ الله به خيرًا يُفقِّهه في الدِّينِ»[١].

حكم طلب العلم للجنسين الذكر والأنثى:

لم يترك الإسلام أمرًا إلا بين حكمه الشرعي وفصل فيه؛ لذلك فقد تكلّم العلماء في حكم طلب العلم، سواء كان المقصود بذلك العلم الشرعي أو غيره من العلوم، وتجدر الإشارة إلى أنّ الحكم الشرعي للعلم يصدق على جميع أنواع الأحكام التكليفية الخمسة؛ التي هي الوجوب والاستحباب أو الندب والإباحة والكراهة والتحريم، وفيما يلي بيان شيءٍ من تلك الأحكام مع توضيحها ببعض الأمثلة[٢]:

طلب العلم فرض عين: يكون طلب العلم فرض عينٍ على جميع المكلّفين، فيجب على كل مسلمٍ بالغٍ عاقلٍ ذكراً كان أو أنثى أن يسعى إلى تحصيل تلك العلوم والإلمام بها، فإن قصر في ذلك أَثِم شرعًا، ويصدُق ذلك بحق العلوم التي يجب على كل مسلم معرفتها؛ كعلوم الشريعة التي تتعلّق بأحكام العبادات؛ كالصلوات والزكاة والحج والطهارة وأحكام الصيام وما يتعلق بالبيع والشراء، فهذا النوع من العلوم لا تستقيم عبادة المسلم لربه دون معرفته به.

طلب العلم فرض على الكفاية: ويصدق ذلك على العلوم التي تكون الأمة الإسلامية بحاجةٍ لها ولا تستقيم أمور الحياة إلا بها، فإذا تعلمها فئة من الناس (حتى اكتفت الأمة بهم) سقط الحكم عن الباقين، وإن لم تكتفِ الأمة بمن تعلم تلك العلوم واحتاجت لغيرهم أَثِم الجميع حتى يصل الحد بالأمة في تلك العلوم إلى درجة الكفاية، وتلك العلوم مثل: علم الطب والصيدلة ومعرفة أحكام الإرث والوصايا، قال ابن عبد البر: (قد أجمع العلماء على أنّ من العلم ما هو فرض عين متعين على كل امرئ في خاصته بنفسه، ومنه ما هو فرض على الكفاية إذا قام به قائم سقط فرضه على أهل ذلك الموضع)[٣].

طلب العلم مندوب شرعًا، ويكون ذلك في باقي العلوم التي تعتبر مكملةً للعلوم المفروضة؛ كعلم الفقه الذي من خلاله يتعلّم المسلم ما يتعلق بالشرائع وكيفية استخراج الأحكام من الأدلة النقليّة، أو علم الأصول والتفسير وغير ذلك من العلوم الشرعية.

طلب العلم محرم شرعًا: ويصدق ذلك في حق بعض العلوم والمعارف التي تؤدي إلى إلحاق الضرر بالناس؛ كتعلُّم السحر والعرافة والدجل والكهانة وغير ذلك.

---

(١) رواه ابن حبان، في صحيح ابن حبان، عن معاوية بن أبي سفيان، الصفحة أو الرقم: ٣٤٠١، صحيح.

(٢) عفاف بنت يحيى آل حريد (٢٤-٦-١٤٣١)، «حكم طلب العلم»، موقع الإسلام، اطّلع عليه بتاريخ ٣٠-٦-٢٠٢١.

(٣) يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي، جامع بيان العلم وفضله، المجلد الأول، ص١٠، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري.

وبناء على كل ما سبق من نصوص الكتاب والسنة في بيان حكم طلب العلم للجنسين نقرر ما يلي:

ـ النصوص الشرعية أمرت بإلزامية التعليم

ـ ترتب الثواب الجزيل على التعليم.

ـ جميع أنواع التعليم واجب الالتزام بها على حسب درجاتها؛ فمنها ما هي عينية كتعليم الدين وضروريات الحياة والأخلاق الواجب الالتزام بها أو المنهي عنها. ومنها ما هي كفائية إذا قام بها البعض سقط عن الآخرين.

ـ إن الجنسين داخلان في الخطاب الشرعي الآمر بالتعلم، ويختلفان في أهمية أنواع العلوم؛ فمنها ما هي مشهورة عند الرجال ولا يزاولها النساء إلا قليلًا، ومنها ما هي مشهورة عند النساء وقلما يتطرق إليها الرجال إلا نادرًا.

ـ يجوز لكلا الجنسين تعليم ما هو مشهور للجنس الآخر، وقد يترتب عليه فوائد؛ حيث إن الآخر يدرك الأسرار المكنونة لما يزاوله الأول، وقد يطوره ويأتي بأشياء جديدة.

٥ـ موقع التعليم في سلم المصالح الضرورية والحاجية والتحسينية :

إن من ضروريات الدين والحياة، أن يكون للفرد ذكرًا كان أم انثى؛ قدر كاف من التعليم، حيث إن التعليم له أهمية قصوى، وإن كانت بعض السياسات التي تمارس من أجل الحصول على التعليم خاطئة في محتواها، ولكن يظل التعليم هو الركيزة الأولى والأكثر أهمية في حياة أي شخص، حيث إنه لا يمكن أن يعيش الفرد داخل المجتمع دون أن يعرف كيفية القراءة والكتابة، والاطلاع على الكثير من مجريات الأمور التي تحدث من حوله، كما أن التعليم له أهداف أخرى سامية غير ذلك، ولكن هناك الكثير من العقبات التي يمكن أن يواجهها التعليم والمتعلمون. لذا، يعتبر التعليم ضرورة من ضرورات الدين والحياة، وأداة تقدم الأمم وصناعة الحضارة.

فهناك الكثير من المواقف التي يحتاج المسلم والمسلمة فيها إلى التعليم، والتي يستطيع من خلالها القيام بالبحوث العلمية والتواصل مع الكثير من الأشخاص خاصة في العصر الحديث عصرِ العولمة والإنترنت، ولكن هناك بعض الأهداف الأخرى المهمة والأساسية، ويمكن عرضها في السطور القليلة التالية:

ـ أن من الأشياء التي يستفيد منها الفرد من تعليمه الحصول على قدر كاف يساعده على قراءة القرءان والأحاديث والتعلم منهما لدينه ولدنياه، والتي يستطيع من خلالها بناء سلوكياته المجتمعية القويمة.

ـ أن التعلم من الدين، فلقد أمر الله سبحانه وتعالى النبي ﷺ بأن يقرأ، حيث كان أول آية نزلت عليه ﷺ هي «اقرأ باسم ربك الذي خلق»، وذلك ليحثه على التعليم والتعلم التفقه في أمور الدين.

ـ أن الفرد يستطيع من خلال التعليم أن يتواصل مع العديد من العقول المختلفة، ويستطيع أن يتفهم كيف يقوم ببناء شخصيته المستقلة عن غيره، كما أن التعليم يساعد على بناء مستقبل الفرد بشكل كبير.

ـ أن التعليم يقود إلى التعرف على الكثير من الثقافات الأخرى والاندماج فيها، كما أنه يمكن الفرد من تعليم الكثير من اللغات، والكثير من الأمور التي قد يصعب تعلمها في المجتمع الذي يعيش فيه.

ـ أن التعليم يشجع وينمي في كل فرد من أفراد المجتمع التمسك بالقيم الإيجابية والبناءة في المجتمع الذي يعيش فيه، حيث إن المتعلم هو الذي يستطيع أن يتعامل بشكل سليم وبأسلوب راقٍ مع الأشخاص من مختلف المجتمعات الأخرى.

ـ حصول الفرد على كفايته من المعرفة التي تخوّل له بناء مستقبل مشرق يتسم بالعلم والمعرفة ومساعدة الآخرين، كما أنه يساعده في تحقيق العدالة الاجتماعية إذا ما كان مقدمًا لها في مهنته.

ـ أن التعليم يساعد الفرد على تقلد بعض الوظائف التي تمكنه من العيش الكريم وتكون له درعًا واقيًا ضد الفقر، وما يترتب عليه من مشكلات كبيرة، كما يساعده على تحسين مستواه وتعليم أفراد أسرته.

ـ عن طريق التعليم، تتقدم الأمم، وتزدهر الشعوب، ويستطيع الفرد الارتقاء بكل ما يساعده في الحياة لبناء مستقبل باهر، يمكنه من مجابهة تحديات العصر من تكنولوجيا المعلومات، غيرها من الأهداف الأخرى.

٦ـ موقع التعليم في سلم الحقوق والواجبات في الإسلام:

إن الحق في التعليم حق من حقوق الإنسان في حد ذاته، وهو في نفس الوقت وسيلة لا غنى عنها لإعمال حقوق الإنسان الأخرى. والتعليم، بوصفه حقًّا تمكينيًّا، هو الأداة الرئيسة التي يمكن بها للكبار والأطفال المهمّشين اقتصاديًّا واجتماعيًّا أن ينهضوا بأنفسهم من الفقر وأن يحصلوا على وسيلة المشاركة كليًّا في مجتمعاتهم. وللتعليم دور حيوي في تمكين المرأة، وحماية الأطفال من العمل الاستغلالي والذي ينطوي على مخاطر، ومن الاستغلال الجنسي، وفي تشجيع حقوق الإنسان والديمقراطية، وحماية البيئة، ومراقبة نمو السكان. ويُعترف بالتعليم بشكل متزايد بوصفه واحدًا من أفضل الاستثمارات المالية التي يمكن للدول أن تستثمرها. ولكن أهمية التعليم ليست أهمية عملية فحسب، فالعقل المثقف والمستنير والنشط القادر على أن يسرح بحرية وإلى أبعد الحدود هو عقل ينعم بمسرّات الوجود ومكافآته. لذا، يجب

أن تكون هذه الحقوق مصونة من الدول والمؤسسات الخاصة للتعليم، والمنظمات الدولية والوطنية، ليفوز كل نفس بما لا يسعه جهله في دينه ودنياه؛ إذ التعليم حق لكل فرد؛ لأنه:

- به تتحقق إنسانية الإنسان فيعرف كيف يعيش بالطريقة المثلى على وجه الأرض.
- به يتعرف الإنسان كيفية الاستفادة من موارد هذه الحياة.
- به يتعرف على ما يصلح للبيئة التي يعيش فيها ويطوره، وما هو ضار بها فيجتنبه.
- به يتعرف على دينه وتوجيهاته السليمة.

دعم التعليم الإبداعي والنقدي والبحث العلمي والابتكارات:

ساهمت الأفكار الإبداعية في نمو وتطور المجتمعات البشرية بشكل كبير، وخلقت هذه الأفكار حلولًا ذكية للعديد من التحديات التي تواجه الإنسان سواء في مجال التعليم، أو الاقتصاد، أو الأمن، أو التكنلوجيا، أو غير ذلك من المجالات الأخرى. وعملت العديد من الدول على منح اهتمام خاص بالإبداع والمبدعين، وأطلقت من أجل ذلك برامج تعليمية واستراتيجيات دعم مادية ومعنوية تستهدف أصحاب الأفكار الإبداعية، بل وأسست مراكز تعليمية خاصة بنخبة المبدعين، تمنحهم جميع الوسائل المادية والوسائل اللازمة لعملهم.

تسعى الدول إلى تطوير التعليم من خلال استراتيجيات إبداعية جديدة، تسهل عملية التعليم وتزيد من كفاءته وقدرته على التطوير والابتكار... وقد وضع المنتدى الاقتصادي العالمي منهجية من ثلاث أسس، يمكن اعتمادها لتطوير الإبداع، وتشمل: **التكنلوجيا، المهارة، التسامح**.

دعم الإبداع التعليمي يجعل التعليم أكثر توافقًا مع النظام الجديد، الذي يركز بشكل أكثر على إيجاد مبدعين يساهمون في نشر الابتكار وتطوير أساليب الحياة بمختلف مناحيها، وهذا يثير بعض الأسئلة البالغة الأهمية حول عملية التعليم من هذه الأسئلة: هل دور التعليم أن يلبي وظائف في قطاعات الصناعة والقطاعات الاقتصادية الأخرى؟ أم أنه ينبغي للمنظومة التعليمية أن تخلق قادة من المفكرين يتمتعون بعقول إبداعية؟

الإجابة على هذه الأسئلة تمكننا من تحديد نوعية التعليم التي نطمح إليها. وفقًا لتقرير صادر عن المنتدى الاقتصادي العالمي WEF، فإن أفضل ثلاث مهارات مطلوبة في عام **٢٠٢٠**م هي: التفكير النقدي والإبداع وحل المشكلات. بالنسبة لعام **٢٠٣٠**م، يتوقع أن يكون الإبداع والابتكار النقدي واتخاذ القرارات المناسبة أهم المهارات التي يرتكز عليها التعليم، ستكون هذه المهارات هي مفتاح النجاح في

أي مجال في المستقبل. يجب أن تكون هناك مواءمة بناءة بين الأهداف والمهارات، كما يجب أيضًا صياغة المناهج لتشجيع الابتكار في مجال التعليم لمسايرة التطور الذي يشهده العالم وحتى لا تكون المناهج التعليمية عالة على حكومات الدول.

ظهور الاقتصاد الإبداعي:

ساهمت الأفكار الإبداعية في تطوير النشاط الاقتصادي وقدمت هذه الأفكار العديد من الخطط والحلول في مجالات التجارة وتطوير الأعمال، وقد أدت هذه الظاهرة الجديدة إلى ظهور ما يعرف بـ«**الاقتصاد الابداعي**» وهو عبارة عن استخدام الأفكار الإبداعية في تطوير الاقتصاد. وفقًا لتقرير توقعات الاقتصاد الإبداعي الصادر عن مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية UNCTAD2018. بين عامي **٢٠٠٢** و**٢٠١٥**، تضاعف حجم السوق العالمية للسلع الإبداعية ـ التي يهيمن عليها **التصميم ـ الأزياء ـ السينما** ـ من **٢٠٨** مليار دولار إلى **٥٠٩** مليار دولار.

ويشير خبراء الاقتصاد إلى أن الاقتصاد الإبداعي يمكن أن يحفز التغيير، ويبني مجتمعات أكثر شمولية وترابطًا وتعاونًا. ويشير الخبراء إلى أن هناك سلة واسعة من أنشطة الاقتصاد الإبداعي يمكن توسيعها وتطويرها، كما يعد الاقتصاد الإبداعي وسيلة فعالة لاستراتيجيات التنويع الاقتصادي، ليس هذا فحسب، بل إن التجارة في السلع والخدمات الإبداعية هي قوة اقتصادية قوية ومتنامية، وتشير التقارير أنه من المرجح أن تزداد مساهمتها في الناتج المحلي الإجمالي وحصة التجارة العالمية، حيث تتقاطع هذه التجارة مع الاقتصاد الرقمي والمشاركة، والتجارة الإلكترونية، والعديد من الفرص الناشئة في هذه المجالات. بالإضافة إلى ذلك، تظل التجارة التقليدية في السلع والخدمات الإبداعية جزءًا مهمًا من الاقتصاديات المحلية في العديد من البلدان.

وتجدر الإشارة إلى أن الاقتصاد الإبداعي يمتلك القدرة على التأثير على الأجيال الحالية والمستقبلية وإلهامها، لحماية كوكبنا وشعوبنا وثقافاتنا ومواردنا الطبيعية وبالتالي المساهمة في مسار تنمية أكثر استدامة.

مكتبات بأفكار إبداعية:

لا يقتصر الابداع على الجانب التعليمي والاقتصادي فحسب، بل يشمل كل ما من شأنه المساهمة في توعية المجتمع وتنمية العقليات، ومن ضمن هذه الوسائل المكتبات، حيث تلعب هذه المكتبات دورًا مهمًّا في خدمة المجتمع وتنويره. ساهمت الأفكار الإبداعية التي تتبعها بعض المكتبات العامة في خدمة

المجتمع، مكتبة دالاس العامة في تكساس أطلقت استراتيجية لمساعدة المشردين الذين يستخدمون خدمات المكتبة (الإنترنت، القراءة، صالات الاستراحة) أطلق عليها: (Homeless Engagement Initiative).

من خلال هذا البرنامج تم تسجيل آلاف المشردين في برامج تعليمية شملت تطوير المهارات وتكوين مهني، ساعد هؤلاء المشردين على الحصول على مؤهلات تمكنهم من ولوج السوق والحصول على مهن تساعدهم على بدء حياتهم من جديد. وفي لونس أنجلس أطلقت المكتبة العامة برنامج خاص بالطلبة يساعدهم على دفع الغرامات التي تسجل عليهم بسبب تأخير استرجاع الكتب، تمنح الاستراتيجية الجديدة التي أطلق عليها (Great Read Away) الطالب ٥ دولارات مقابل ساعة قراءة وتستخدم هذه الرسوم لتسديد الغرامات الموجودة على الطلاب، وقد تم تسديد ديون ١٣٠٠ طالب من خلال هذه السياسية والتي تساهم في الحث على قراءة الكتب بين الشباب والأطفال. وفي مكتبة نيويورك العامة أطلق برنامج يهدف إلى تقديم المساعدة لرواد المكتبة الذين يحصلون على مقابلات عمل، حيث توفر لهم المكتبة الحقائب والملابس التي يحتاجونها وذلك من خلال برنامج إعارة يدوم ثلاث أسابيع، بالإضافة إلى معلومات حول الاستعداد للمقابلة.

هكذا تسهم الأفكار الإبداعية في تطوير وتنمية المجتمعات، وتنشئ هذه الأفكار بيئة ملائمة للابتكار في المجالات المختلفة، استطاعت المجتمعات التي تعطي أهمية للإبداع من الاستفادة من هذه الأفكار الإبداعية وتوظيفها في خدمة المجتمع، بل أسست مراكز ومعاهد خاصة بالمبدعين، تؤطرهم وتنمي عقولهم ليصبحوا فيما بعد عقولًا ناضجة تسهم بالفكر النير والابتكار في صناعة مستقبل المجتمع [١].

ولتحقيق هذا كله في عصرنا الحالي يستحسن الإشارة إلى بعض مقومات التعليم وهي كالآتية:

ـ الوصول إلى المنافسة الشريفة في حياته، مثل الوصول إلى درجات أعلى في التعليم، أو الوصول إلى مستوى أفضل من الأخلاق، كما يمكن التنافس أيضًا في الوصول إلى عمل مناسب، والوصول إلى درجات أعلى.

ـ يمكن دعم الكثير من المبدعين الجدد لا سيما الأطفال المبدعين، وتنمية المهارات التي توجد لديهم في الأعمال الكثيرة مثل القراءة وتعلم كتابة الموضوعات الهامة والتعبير عن آرائهم بشكل صحيح ومناسب.

---

(١) عبد الرحيم محمد، التفكير الإبداعي ودوره في تحليل المشكلات وصناعة القرارات، والإبداع يصنع مستقبل المجتمعات، موقع إسلام أون لاين.

ـ دعم الأشخاص المتعلمين في كيفية إدارة الأبحاث وكتابتها وتعليمهم كيفية الوصول لدرجة الباحثين، وكيفية الوصول لكتابة بحث كامل من حيث المحتوى، وكيفية الوصول إلى درجات علمية أعلى.

ـ تثقيف الشعوب بحيث يمكن عن طريق التعليم وضع نظام سليم لممارسة القراءة، وتعلم الكثير من الأمور المفيدة في حياة الفرد، والتي يمكن من خلالها أن يستفيد ويفيد المجتمع الذي يعيش فيه، ويساعد الآخرين.

ـ تشجيع الكثير من الأشخاص الآخرين على التعرف على الكثير من الأماكن العامة والسياحية والتي لها تاريخ، كما أنه لابد من التعرف على تاريخ البلاد ليتعلم كيف كانوا من قبله يعيشون، وما كانوا يتعلمون.

ـ الوصول بالفرد لتحقيق الكثير من أهدافه التي يستطيع أن يصل إليها بالتعليم، مثل المعلم الذي يربي أجيالًا، ليظهر المهندس والطبيب، والمعلم، والمزارع أيضًا، فإنه لابد من تكاتف الجميع للوصول لعيش كريم.

خاتمة

يعد التعليم في كل بلد الركيزة الأساسية للتقدم في شتى المجالات، إذ تنوط به الدول الكثير من الآمال والتطلعات والطموحات من أجل تحقيق التقدم من خلال بناء جيل واعد يستطيع خوض غمار الحياة والوصول بمخرجاته إلى مواكبة العصر الحديث، مما يجعله مبتكرًا وقادرًا على التخيل والإبداع في كثير من مجالات العلم والتكنولوجيا وغيرها من المجالات، مما يساعد البلاد والمجتمع في النهوض والتقدم، وتكمن أهمية التعليم بالنسبة للفرد والمجتمع أن العلم هو النور الذي يضيء حياة الفرد، فهو أساس سعادة الفرد ورفاهية المجتمع وتقدمه، فبالعلم نشأت الحضارات وتقدمت الحياة في جميع المجالات، وبذلك بات التعليم ضرورة من ضروريات الحياة التي لا غنى عنها، فهو الدواء لداء الجهل والأمية، فلا سبيل لتقدم المجتمع ورقيه إلّا بالعلم، كما أن التعليم هو الوسيلة الوحيدة التي تقود الفرد لتحقيق أهدافه، بل ويجعله قادرًا على الإبداع والابتكار، فلا تعود ثماره على الفرد فقط بل يمتد أثره ليشمل المجتمع بأكمله.

وبناء على هذه الأهمية والمكانة للتعليم، وبعد هذه الجولة العلمية من خلال العناصر التي بيناها في مقدمة البحث، نتوصل في الختام إلى النتائج الآتية:

ـ أن التعليم والتربية والتزكية والثقافة والتنوير مصطلحات مترابطة ومتكاملة فيما بينها، فبعضها نتيجة للبعض الآخر، وقد يصل درجة الترابط والتلازم بينها إلى أن فقدان بعضها يؤدي إلى فقدان الآخر أو ضعفها.

ـ أن التعليم متنوع من حيث المجالات والموضوعات والمؤسسات، إلا أن هذه المجالات والموضوعات والمؤسسات يعتبر كلها دينية ما دام يحقق نفعًا ومصلحة للإنسان، ولا يتعارض مع مبادئ الدين، وهذا لا يمنع من إيجاد مؤسسات وموضوعات ومجالات ذات صبغة دينية خاصة، وبعضها ذات صبغة دنيوية.

ـ جميع أنواع التعليم واجب الالتزام بها على حسب درجاتها؛ فمنها ما هي عينية كتعليم الدين وضروريات الحياة والأخلاق الواجب الالتزام بها أو المنهي عنها. ومنها ما هي كفائية إذا قام بها البعض سقط عن الآخرين.

ـ أن الجنسين داخلان في الخطاب الشرعي الآمر بالتعلم، ويختلفان في أهمية أنواع العلوم؛ فمنها ما هو مشهور عند الرجال ولا يزاولها النساء إلا قليلًا، ومنها ما هي مشهورة عند النساء وقلما يتطرق إليها الرجال إلا نادرًا.

ـ يجوز لكلا الجنسين تعليم ما هو مشهور للجنس الآخر، وقد يترتب عليه فوائد؛ حيث إن الآخر يدرك الأسرار المكنونة لما يزاوله الأول، وقد يطوره ويأتي بأشياء جديدة.

ـ يجب على الدول والمؤسسات التعليمية التربوية والمنظمات الدولية والوطنية الإنفاق على التعليم صونًا للحقوق والواجبات نحو الأفراد والجماعات، وضمانًا للتنمية والاستقرار السياسي والاقتصادي، وترقية بالحياة إلى أعلى المستويات.

ـ تشجيع الإبداء والابتكار والبحث العلمي وخلق نوع من التنافس المحمود في المجال، وخاصة في الدول النامية حيث لا يتجاوز قيمة الإنفاق على البحث العلمي والابتكار أكثر من ٠،٠٥٪ من ميزانية الدولة.

وإلى هنا نصل إلى الختام متضرعين إلى المولى القدير أن يتقبل منا حسناتنا، ويعفو عن زلاتنا ويكتب لنا التوفيق والسداد في القول والعمل والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

دكتور كوناتي أرنا
نائب رئيس جامعة إفريقيا الإسلامية
ورئيس قسم التعليم العالي والتكوين والبحث العلمي بالمجلس الأعلى للأئمة والمساجد والشؤون الإسلامية بكوت ديفوار

قائمة المصادر والمراجع

ـ إبراهيم محمد العلي ـ رياض الأنس في بيان أصول تزكية النفس ـ جمعية المحافظة على القرآن الكريم ـ عمان ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

ـ ابن الأثير، جامع الأصول، طبعة **١٩٧٢**م، نشر مكتبة الحلواني.

ـ أحمد مصطفى المراغي ـ تفسير المراغي ـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت، د.ت.

ـ البهي الخولي ـ الثروة في ظل الإسلام ـ دار الاعتصام ـ القاهرة ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

ـ حسن سعيد الكرمي ـ الهادي إلى لغة العرب ـ دار لبنان للطباعة والنشر ـ بيروت ١٤١١هـ ـ ١٩٩١

ـ حمزة هاشم محيميد السلطاني، (٢٠١١ـ ٤ـ ١٧)، ـ مفهوم التدريس ـ iq; edu ;uobabylon ;www.

ـ سالم حسن هيكل ـ تربية وتنشئة الفرد في إطار متوازن ـ مقارنة مجتمعه والاحتكاك بالثقافات. المجتمعة الأخرى ـ ندوة مدرسة المستقبل ـ كلية التربية ـ جامعة الملك سعود، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

ـ سعيد إسماعيل علي ـ التربية الإسلامية والنهوض بالأمة ـ دار الفكر العربي ـ القاهرة ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

ـ سمر محمد العريفي ـ صلاحية مصطلح التزكية الإنسانية كبديل لمصطلحي التربية المستمرة والتربية الذاتية ـ كلية البنات ـ جامعة الملك سعود ١٤٢٣هـ ـ ١٤٢٤هـ.

ـ عبد الرحيم محمد، التفكير الإبداعي ودوره في تحليل المشكلات وصناعة القرارات، موقع إسلام أون لاين.

ـ المستدرك على الصحيحين، الحاكم محمد بن عبد الله، المعروف بابن البيع، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط ١، **١٤١١**هـ ـ **١٩٩٠**م

ـ كشف الخفاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/ **١٩٨٣**م.

ـ محمد بن إسماعيل البخاري ـ صحيح البخاري ـ دار إحياء التراث ـ بيروت، د.ت.

ـ محمد مكرم بن منظور ـ لسان العرب ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، د.ت.

ـ مقداد بالجن ـ أهداف التربية الإسلامية ـ دار الهدى للنشر والتوزيع ـ الرياض ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

ـ يالجن (د)، توجيه المتعلم في ضوء التفكير التربوي الإسلامي، **١٥٣**، ط/ ١، دار المريخ الرياض.

ـ يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي، جامع بيان العلم وفضله، ص: **١٠**، دار ابن الجوزي ـ الدمام، **١٤١٤**هـ ـ **١٩٩٤**م، تح: أبي الأشبال الزهيري.

- Acs.edu.au; What is Education? 25-2- 2020

- Newamerica.org; What is Education fort? 25-2- 2020

بحث فضيلة الدكتور محمد الحمليلي بو جمعة البشاري

عضو المجمع

الأمين العام للمجلس العالمي للمجتمعات المسلمة

أبو ظبي ، الإمارات العربية المتحدة

المقدمة

يعتبر العلم من أهم ركائز الإيمان بالله تعالى، وله فضائل عديدة، إذ يضيء ظلام الجهل وينور العقول فكلما ازداد علم المسلم ازداد إيمانه بربه ورسوله. العلم مفتاح المعرفة التي تحرر الإنسان من قيود الجهل والمخاوف والأوهام. يعد العلم من أهم حقوق الإنسان حيث إنه هو المحرك الرئيسي لتيسير الحياة ورفع مستوى معيشة الإنسان.

والعلم يخلص من الجهل الذي هو أساس كل شر ويخلص الفرد والمجتمع من الفساد والتخلف. فبالعلم ينهض الإنسان بمجتمعه، ويغذي عقله وروحه، إذ يساعد المؤمن في تقوية إيمانه ويمكنه من التعبد وتأدية شرائع دينه على أكمل وجه.

كما تتفاوت الناس بمعايير عديدة وأجلها العلم الذي هو ميراث الأنبياء، قال رسول الله ﷺ: «فعن معادِنِ العربِ تسألوني؟ فإنّ خيارهم في الجاهليّةِ خيارُهم في الإسلامِ إذا فقهوا»[1]، ويدل هذا الحديث على فضل التّقوى والعملِ الصّالحِ والفِقهِ في الدِّين. فإن خير الناس وأكرمهم وأعلاهم منزلة وأرفعهم درجة إنما هم الذين كانوا منتسبين للعلم، وأعلاهم أنبياء الله، ثم بعدهم الناس الأمثل فالأمثل. فالمرء كلما زاد علما وابتغاه وسعى إليه فهذا خير له. البحث عن العلم جهاد والحاجة إليه أعظم من الطعام والشرب. وفي هذا السياق قال العلامة الحكمي[2]:

العِلْمُ أغلى وأحلى ما لهُ استَمَعَت ... أُذنٌ وأعْرَبَ عنهُ ناطِقٌ بفَمِ

العِلْمُ غايتُهُ القُصوى ورُتبتُهُ ... عَلياءُ فاسعَوا إليهِ يا أُولِي الهِمَمِ

العِلْمُ أشرَفُ مَطلُوبٍ وطالِبُهُ ... للهِ أكرَمُ مَن يَمشِي على قَدَمِ

فالعلم يوصل إلى التوحيد وأصول الدين وفهم الكتاب والسنة ركائز الثقافة الإسلامية والرسالة الإلهية، ويرفع المسلم درجات قال عز وجل: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١] وهو طريق إلى الجنة في الآخرة وكرامة في الدنيا. فمنزلة العالم عالية، والعلم المُشادُ به لا يقتصر على العلوم الشرعية، بل يشمل كل العلوم الدنيوية والعلمية التي يحتاجها المسلم ويحتاجها

(١) أخرجه البخاري (٣٣٨٣)، ومسلم (٢٣٧٨)

(٢) «حاشية الحكمي» على «روضة العقلاء» لابن حبّان (٤٧)

المجتمع وتعود على الأمة الإسلامية بالخير والمصلحة النافعة. يقول الشاعر محمد إقبال[١]:

إذا الـوُرُودُ خَلَـت مـن طِيـبِ نَفحَتِهـا ... فـلا تُزاحِـم بهـا فـي الأرضِ بُسـتانا
إذا الوُجُـوهُ خَلَـت مـن نُـورِ سَـجدَتِها ... لم تَستَحِـقَّ غَـداةَ المَـوتِ أكـفانا
إذا القُلُـوبُ خَلَـت مـن ذِكـرِ خالِقِهـا ... فهْـيَ الصُّخُـورُ التـي تَحتَـلُّ أبدانـا
إذا خَـلا المَـرءُ مـن فَهـمٍ ومَعرِفـةٍ ... ظَلَمـتَ نَفسَـكَ لـو تَدعُـوهُ إنسـانا

فالعلم من أفضل الأعمال الصالحة، وهو من أفضل وأجل العبادات التطوعية؛ لأنه نوع من الجهاد في سبيل الله، بل إنه مفضّل على الجهاد ومقدم عليه؛ لأنه يعود على صاحبه ومجتمعه بخير عظيم. يقول عليه الصلاة والسلام يومًا لأصحابه: «أيحب أحدكم أن يذهب إلى بطحان -وادٍ في المدينة- فيرجع بناقتين عظيمتين سمينتين، بغير إثم ولا قطع رحم؟ قالوا: نحب ذلك يا رسول الله، قال: لأن يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله خير له من ناقتين عظيمتين، وثلاث خير من ثلاث، وأربع خير من أربع، ومن أعدادهن من الإبل»[٢].

فللعلم فضل عظيم، ولذلك السبب علينا الاهتمام بالتعليم الذي يكون من الركائز الأساسية التي تساهم على نهضة وتطور المجتمعات الإنسانية، وبدونه ترسف المجتمعات في كل أنواع الجهل والتخلف وأحيانًا عديدة التطرف. فإن الله بعث نبينا محمد ﷺ بالهدى ودين الحق ليرشد الإنسانية إلى الصراط المستقيم ويخرج الناس من الظلمات إلى النور، فبعثه مصلحًا داعيًا منيرًا، وأمره أن يقول:﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨] وقال النبي عليه الصلاة والسلام: «إنّهُ لم يكن نبيٌّ قبلي إلّا كان حقًّا عليهِ أن يدُلّ أُمّتهُ على ما يعلمُهُ خيرًا لهُم ويُنذِرهُم ما يعلمُهُ شرًّا لهُم»[٣] فكان له عليه الصلاة والسلام جوامع الكلام بيّن لنا ديننا وعلمنا شرائعه، ووصى أصحابه أن يبلغوا عنه وعن آيات الله فقال لهم: «بلِّغُوا عنِّي ولو آيةً»[٤] وهذا الدرب الذي سار عليه أصحابه حتى جمعوا القرآن ونشروه في بقاع الأرض.

إن طلب العلم من أفضل القربات والعبادات، حتى قال الإمام أحمد رحمه الله: «العلم لا يعدله شيء لمن صحت نيته» قالوا: «كيف تصلح النية يا أبا عبد الله؟ قال: ينوي رفع الجهل عن نفسه وعن غيره»[٥].

(١) انظر: (محمد إقبال، ديوان محمد إقبال الأعمال الكاملة، إعداد: سيد عبد الماجد الغوري، دار ابن كثير، دمشق، ٢٠٠٧م).
(٢) صحيح مسلم، أخرجه مسلم برقم: (١٣٣٦)، (كتاب صلاة المسافرين وقصرها)، باب فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه.
(٣) انظر: (ابن ماجه، صحيح ابن ماجه، رقم: (٣٢١٠)، راويه: عبد الله بن عمرو، خلاصة حكمه: صحيح).
(٤) انظر: (البخاري، صحيح البخاري، رقم: (٣٤٦١)، راويه: عبد الله بن عمرو).
(٥) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق: الرحمن بن محمد بن قاسم، رقم: (٢٩ - ١٢)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف =

وقال الإمام ابن عثيمين رحمه الله: «إذا نوى الإنسان أنه يطلب العِلم وهو يُريد أن ينتفع الناس بعِلمه ويذُب عن سُنّة الرسول ﷺ وينشر دين الله في الأرض، ثُم لم يُقدّر له ذلك، بأن مات مثلًا وهو في طلبِه، فإنه يُكتب له أجر ما نواه وسعى إليه»[١].

وفضل العلم كبير يجزى عليه العبد في الدنيا والآخرة، وما بين خيرات العلم التي يذوقها المتعلم حلاوة التعلم والتثقف والكرامة التي ترافقه، حتى إن من ذاق لذة العلم لا يقدر على الاستغناء عنها، ومن سبح في بحور العلم واستنار بنور الكتاب والسنة يأنس بعلمه ولا يطيق التخلي عنه. ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «العلم جنة لا يعرف حلاوتها، ولا لذتها، ولا بركتها، ولا خيرها إلا من وفقه الله عز وجل، فأتم عليه النعمة وكملها، أسأل الله العظيم بمنه وكرمه أن يجعلنا وإياكم ذلك الرجل»[٢]. وقال ابن الجوزي: «إني أخبر عن حالي، ما أشبع من مطالعة الكتب، وإذا رأيت كتابًا لم أره من قبل فكأني وقعت على كنز، ولو قلت: إني طالعت ٢٠ ألف مجلد كان أكثر، وأنا بعد في الطلب»[٣].

ففي عصرنا هذا عصر الثورة المعرفية والتواصل الدائم والمعلومات الفائضة لا نجد أن مناهج التعليم تواكب مستجدات العصر، ولقد لاحظنا مع الظروف الاضطرارية التي جاءت بها جائحة كورونا في السنتين الأخيرتين أن النظام التعليمي من أهم الميادين التي علينا أن نشتغل بإصلاحها فالمناهج التعليمية تحتاج دائمًا إلى مناهج جديدة تواكب مستلزمات العصر وتتنبأ احتياجات الوقت من مفاهيم ووسائل وأدوات حتى نهيئ أجيالًا جديدة قادرة على الإبداع والإنتاج والابتكار، تتحلى بالفكر النقدي والاختصاصات العلمية الجديدة لتنمية الأمة الإسلامية. فأحسن هدية نقدمها للأجيال القادمة هو العلم؛ لأنه المنارة التي ستقودهم في طريقهم للمستقبل، وهو بوابة عبورهم لعالم المعرفة والازدهار بأبعاده الاقتصادية، والثقافية، والتربوية. فكم من دول ارتقت بمجتمعاتها بواسطة العلم واهتمامها بالعلوم وإعطائها الأولوية والأهمية لمعلميها، وطلبتها، سيما أن رأس المال البشري هو أغنى كنز لدى أي دولة، وهو القادر بمنتوجه المعرفي، والقيمي، أن يقود البلاد كلها إلى مستقبل أحسن، من بين الأمثلة العديدة على تلك الدول التي عرفت قفزة كبيرة في التطور والتنمية نجد دول جنوب شرق آسيا؛ التي استثمرت في شبابها وساعدت على تكوينهم التقني باستخدام التكنولوجيا، وحثت على تعلم اللغة الإنجليزية لسرعة انتشارها، مع الحفاظ على الهوية

= الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٥م.

(١) ابن عثيمين، شرح العقيدة الواسطية، رقم: (١٤٨/ ١٢)، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ١٤٢١هـ.

(٢) ابن القيم، الوابل الصيب من الكلم الطيب، تحقيق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد، مجمع الفقه الإسلامي، المملكة العربية السعودية، دار عالم الفوائد.

(٣) ابن الجوزي، صيد الخاطر، رقم: (١٤٩/ ١).

الوطنية. واهتمامهم باللغات والعلوم لم يكن فقط عن طريق تطوير المناهج الأكاديمية داخل المؤسسات التعليمية، بل سهروا على تطوير مناهج موازية يتعلم منها الأفراد عن طريق أنشطة عملية وفنية وثقافية، فاتجهت عقولهم على ميادين تنمي الابتكار وتدعمه مثل: (الأبحاث بكل أنواعها، الموسيقى، الرسم، الرياضة،...)، وقد ساعدت على تنمية القدرات الفكرية والإبداعية من قوة الخيال والتفكير والتأمل وقوة الذاكرة، وسهولة التواصل مع الآخر وإيصال المعلومات وروح القيادة والمنافسة الشريفة، وغيرها من المفاهيم التي على الأجيال اليوم أن تكون واعية بها وقادرة على ممارستها.

وهنا يكمن حكم إلزامية التعليم بشقيه الديني والدنيوي على الجنسين في الإسلام، فالتعليم الديني هو أساس وقاعدة تبنى عليها باقي القيم والأسس، والهدف يبقى عبادة الله عز وجل ونصر دينه والأمة الإسلامية، والافتخار بما يقوم عليه ديننا من قيم جميلة وحسنة؛ من تسامح ووسطية وإحسان، على أن يكون التعليم الوسيلة لتجسيد هذه القيم وتوجيه الإنسان في طريق التنمية البناءة، والارتقاء، والتهذيب النفسي، والفكري. فالهدف الجوهري من التعلم هو إنتاج وسائل وأشياء جديدة تعود على الإنسان بالخير والمنفعة الصالحة وتؤهله إلى التمكن من الحفاظ على أمانات ونعم الله التي وهبها لنا والعناية بها، وبجميع مخلوقاته، ودفع عنها أي ضرر قد يلحق بها.

الفصل الأول

أولًا : التعريفات

أ ـ التعريف في اللغة :

ويقصد بالتعليم في عموم اللغة هو نقيض الجهل، مصدر علّم/ علّم علمًا. وهو فرع من التّربية يتعلّق بطرق تدريس الطلاب أنواع المعارف والعلوم والفنون.(١) وعلّمه الشيء تعليمًا فتعلّم، يقال: علَّمه الشيءَ تعليمًا فتعلَّم، وليس التشديد هنا للتكثير، بل للتعدية، ويقال أيضًا: علَّم بمعنى أعلَم (٢)ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّه عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

علَّم، يعلِّم، تعليمًا، وهذا ما نجده في لسان العرب «علَّمه العلمَ وأعلَمَه إياه فتعلَّمه»(٣) أما في القاموس المحيط فنجد: «رجل عالم وعليم علمه، وعلام كجهال، وعلَّمه العلمَ تعليمًا، وعَلّام ككَذّاب، وأعلَمَه إياه فتعلَّمه» (٤) ومنه تعليم والتعليمية هي مصدر صناعي لكلمة تعليم المشتقة من علَّم؛ أي: وضع علامة أو سِمة من السمات للدلالة على الشيء دون إحضاره، وعلَّمه تعليمًا، ومنه قوله عز وجل: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١]، وقوله ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢﴾ [الرحمن: ١، ٢].

ب ـ التعريف في الاصطلاح :

مفهوم التعليم في التعريف الاصطلاحي يشير إلى كل ما يدخل ضمن عملية نقل المفاهيم والأفكار الجديدة من المعلم لتلميذه، أساليبها متعددة وتعريفاتها تتغير طبقًا للمناهج المتبعة والمدارس التي يلقن فيها المعلمين تعليمهم.

---

(١) انظر: (أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصر، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٨م).

(٢) انظر: (محمد عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، صفحة رقم: (٤٥٤)، ١٩٨٦م).

(٣) ابن منظور، لسان العرب، مادة ع، ل، م، بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٩٤.

(٤) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، الجزء الرابع، فصل العين، باب الميم.

فكل أنواع التدريس، حتى لو كانت تختلف اسمًا وشكلًا، قد تكون مختلفة في اللفظ، ولكنها تتفق في المعنى، الذي هو تلك العملية الممهدة التي يقوم بها الراشد المعلم ليجعل المتعلم يكتسب المعارف والمهارات؛ أي: الكيفية التي نوصل بواسطتها للفرد أنماط سلوك جديدة وتفكير نوعي ومبتكر ومعطيات جديدة، وهنا نحصر مساهمة الذات الملقنة والمساعدة التي هي المعلم في هذه العملية، رغم أن دوره قد يزيد أو ينقص حسب أنواع التدريس التي يمارسها، والتي سنراها بتفصيل بعد ذلك.

ثانيًا: مستويات التعليم

ويرى العلماء أن الإنسان بحاجة الموافقة بين كل مجالات العلم لينمو ويزدهر، فكما أن العقل مقسم إلى أقطاب كلها تفيد عضوًا أو مهارة، فالإنسان عليه بموازنة كل هذه المفاهيم والمهارات في حياته العملية لينجح. ووفقًا لذلك تم تقسيم التعليم إلى أربعة أصناف من العلوم:

فأما الصنف الأول، فيضم العلوم اللغوية التي لها علاقة بالمعرفة، وهي من أهم العناصر التي تساعد الفرد أن يعيش وسط مجتمع يتواصل فيه مع الأفراد الأخرين ويتفاهم معهم. وأما الصنف الثاني، فيضم علوم الدين والشريعة والمبادئ الأخلاقية تعتبر المشجع على الاستقرار الاجتماعي والعدالة الاجتماعية بين جميع الأفراد، وأما الثالث، فيضم العلوم النظرية أو الأساسية، وهي النظريات والفرضيات التي تصف العلاقات والقوانين التي تحكم الإنسان والأشياء، والقواعد النظرية هي التي تساعد الإنسان في نجاح بناءاته في العلوم التجريبية.

ورابعًا وأخيرًا: العلوم التطبيقية، وهي ثمرة العلوم الطبيعية التي تدفع إلى تطبيق المعرفة العلمية ونقلها إلى البيئة المادية لحل مشاكل عملية تطرح على الإنسان، ومن خلال حلها يقوم الفرد بتسهيل أو توفير طرق جديدة ومبتكرة تسهل العيش على الإنسان، وتساعده على استغلال بيئته بشكل صالح ونافع.

الشريعة الإسلامية أجازت وشجعت على تعلم وتعليم العلوم النافعة التي تجلب المصالح للناس مثل الطب الذي يشفي ويعافي الناس من الأمراض، فقال الإمام الشافعي رحمه الله «لا أعلم بعد الحلال والحرام أنبل من الطب، إلا أنّ أهل الكتاب قد غلبونا عليه»[1] أو الهندسة التي يتعلم بها الإنسان إعمار الأرض، بل وذهب عدد من العلماء إلى وجوب تعلمها وضموها إلى الواجبات الكفائية، فالعلوم التي تساعد المسلمين على تلبية شؤون حياتهم الدنيوية وتصد عنهم المفاسد فقد ورد عن علي بن أبي طالب

(١) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م.

رضي الله عنه قوله : «إن من علامة العاقل أن يكون فيه ثلاث خصال : يجيب إذا سئل، وينطق إذا عجز القوم عن الكلام، ويشير بالرأي الذي يكون فيه صلاح أهله»[١].

والأربع أصناف التي تم ذكرها أعلاه تعلَّم للطلبة عن طريق المدارس الإسلامية في حال تعلم الشريعة الإسلامية أو المدارس العامة (حكومية وخاصة) تقوم على منهج المدارس الذي يبتدأ من المرحلة الابتدائية مرورًا بالتعليم الإعدادي ومن ثم المستوى الثانوي الذي ينقسم إلى عام وتخصصي، ومهني، أو علمي. ويقوم الطلبة بعد نيل الشهادة الثانوية بحجز مقاعدهم الدراسية في الجامعات العلمية، والأدبية، والكليات العامة، والتقنية والمعاهد الفنية، أو المهنية.

ثالثا : مكانة التعليم وأهميته في الكتاب والسنة والآثار

فضل العالم وطالب العلم في الإسلام لا يحصى ولا يعد. فديننا الحنيف أوصى بالعلم والتعليم والتعلم فأول أمر رباني من الله عز وجل للنبي محمد عليه الصلاة والسلام هو «اقرأ»، فالأمة الإسلامية أمة قراءة وأمة علم، وأول ما خلق الله تعالى في الكون القلم وكتب مقادير كل الكون وما فيه فسميت سورة القلم بهذا الشيء الثمين، وقال عز وجل: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ [القلم: ١]، وأقسم الخالق هنا بالقلم وبحسب ذلك تعظيمًا له، كالقسم بالسماء والنجوم والأرض والشمس، ويبين لنا الله سبحانه وتعالى أن في خلقه دلالة لحكمة كبيرة؛ حيث إن فيه من المنافع والفوائد العظيمة، ما لا يحيط بها الوصف ﴿وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾.

الشق الأول: أدلة على مكانة التعليم في القرآن الكريم:

الدليل الأول: جاءت كلمة العلم بأحرفها (ع ل م) أكثر من سبع مئة مرة في القرآن الكريم، أما ذكرها في صياغات أخرى ومشتقات تالية فأكثر من ذلك. ولقد وضع الله سبحانه وتعالى العلماء في مرتبة عالية، ويكفيهم شرفًا قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨].

وجه الدلالة: الخشية، هي خوف مقرون بتعظيم، ولا يكون هذا إلا عن علم بالمَخُوف وعظمته، فالإنسان لا يخاف شيئًا لا يعلمه، ولذلك فالعلماء يعلمون قدر ربهم، ولذلك هم أكثر الناس خشية من الله، والمقصود هنا من العلماء كل من كان بالله عالمًا، على اختلاف الناس بتفاوتهم، والعلم الذي يؤدي إلى تقوى وإيمان هو العلم النافع وليس غيره، فكلما زاد علم الإنسان بالكون والدين زادت خشيته من الله.

الدليل الثاني: كلما ازداد التأمل في العالم، زادت خشية خالق هذا العالم ولهذا يقول عز وجل: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِ﴾ [آل عمران: ١٨]، فأكرم شهادة من الله سبحانه

(١) الكليني، الكافي في الأصول والفروع، الجزء الأول، صفحة رقم: (١٩).

وتعالى حين يكرمهم بقوله: «شهد الله أنه لا إله إلا هو، وشهدت الملائكة، وأولو العلم بالله وحده لا شريك الله» و﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الرعد: ٤٣].

وجه الدلالة: أن شهادة الله تعالى، تكفي وتغني عن كل الشهادات الأخرى فالخالق سبحانه وتعالى هو أصدق الشاهدين وأعدلهم، وهو الخالق الوحيد لا إله إلا هو خالق جميع الكائنات كلهم فقراء إليه، وذكر الله شهادته في آيات أخرى كما قال تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٦].

الدليل الثالث: وفي سورة آل عمران نرى أن الله سبحانه وتعالى قرن شهادة ملائكته وأولي العلم بشهادته، فقال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨].

وجه الدلالة: خص الخالق أولي العلم، بخصوصية عظيمة في هذا المقام، وقال القرطبي في تفسير الآية: «في هذه الآية دليل على فضل العلم وشرف العلماء وفضلهم، فإنه لو كان أحد أشرف من العلماء لقرنهم الله باسمه واسم ملائكته كما قرن اسم العلماء»(١).

الشق الثاني: أدلة على مكانة التعليم في السنة النبوية

الدليل الأول: من أراد السير على هدي النبي فعليه بالعلم، عن أبي الدّرداء، قال: سمِعتُ رسُول الله ﷺ، يقولُ: «من سلك طريقًا يبتغِي فِيهِ علمًا سهّل الله له طريقًا إلى الجنة، وإنّ الملائِكة لتضعُ أجنِحتها لِطالب العِلمِ رِضًا بما يصنع، وإنّ العالِم ليستغفِرُ لهُ من في السّمواتِ ومن فِي الأرضِ حتّى الحِيتانُ في الماء، وفضلُ العالِم على العابِدِ كفضلِ القمر على سائِرِ الكواكِب، وإنّ العُلماء ورثةُ الأنبياء، وإنّ الأنبياء لم يُورِّثُوا دِينارًا ولا دِرهمًا، وإنّما ورّثُوا العِلم، فمن أخذهُ أخذ بحظٍّ وافِر»(٢).

وجه الدلالة: فالعلم هو إرث الأنبياء، فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام لم يورّثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذ بالعلم فقد أخذ بحظ وافر وجميل من إرث الأنبياء. فالعلم طريق للجنة يستضيء من نوره المسلم ويتقرب به من خالقه ويتعلم كيف يقيم شرائع دينه وينمي نفسه في دينه ودنياه. قال عليه الصلاة والسلام: «**وإنّ الملائِكة لتضعُ أجنِحتها لِطالب العِلمِ رِضًا بما يصنع**». ويقال هنا: معنى تضع أجنحتها؛ أي: تكون وِطاءً له إذا مشى، أو أنها تتوقف عن الطيران وتنزل للأرض لتسمع العلم من صاحبها. وتقوم المخلوقات بطلب المغفرة نيابة عنه إذا قام بذنب أو تستغفر له مُجازاةً على أعماله وعلى سهره على تعليم الناس، أو نفع علمه الذي يعود به على الأمة الإسلامية.

---

(١) انظر: (الجامع لأحكام القرآن، رقم: ٤/ ٤٤)، و(السمهودي، جواهر العقدين، رقم: (١/ ٧٩)).

(٢) رواه أبو داود والترمذي.

الدليل الثاني: عن أنس رضي الله عنه مرفوعا: «**من خرج في طلب العلم فهو في سبِيلِ الله حتى يرجع**»[١].

وجه الدلالة: ومعنى هذا الحديث الحسن أن من خرج من بيته أو بلده؛ بحثًا وبغية في تعلم العلم الشرعي، فعليه نفس حكم من خرج للجهاد في سبيل الله تعالى، حتى يعود إلى بيته وأهله؛ لأنه كالمجاهد من أجل إحياء الدِّين والدفاع عن ربه ورسوله لا يقتصد جهوده، فكلٌّ منهما يقوم بعمل يعود بالنفع على دين الله وأمته وكما يدفع المقاتل المجاهد بهجمات على الأمة، فيقوم العالم بدفع المفاسد والذنوب عن الأمة، وكلاهما نفع عظيم.

الدليل الثالث: عن أبي هريرة، قال: قال رسُولُ الله ﷺ: «**من سُئِل عن عِلمٍ فكتمه، أُلجِم يوم القِيامةِ بلِجامٍ مِن نار**»[٢].

وجه الدلالة: جاء في هذا الحديث تحذير الشديد من كتمان العلم الامتناع عن نشره، وأن من ألجم نفسه بالسكوت حيث يسأله سائل عقابه النار، فعلى المسلم أن يرشد أخاه وأن يساعده ويشارك الأمة بمعرفته؛ فزكاة العلم نشره.

الشق الثالث: أدلة على مكانة التعليم في الآثار

الدليل الأول: عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «تعلّموا العلم، فإنّ تعلُّمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يحسنه صدقة، وبذله لأهله قُربة، به يُعرف الله ويُعبد، وبه يوحّد، وبه يُعرف الحلال من الحرام، وتُوصل الأرحام، وهو الأنيس في الوحدة، والصاحب في الخلوة، والدليل على السراء، والمعين على الضراء...»[٣].

وجه الدلالة: يقرن معاذ بن جبل العلم بالعمل في هذا القول ويبين بذلك مدى أهميته. فله فضائل عديدة تعود على المؤمن بالخير والحسنات فهو «خشية وعبادة وتسبيح وجهاد وصدقة وقربة» في نفسه.

الدليل الثاني: قال ابن عباس رضى الله عنه: «العلم يزيد الشريف ويُجلس المملوك على الأسرة»[٤].

وجه الدلالة: حيث إنه ثبت في الصحيح من حديث الزهري[٥] عن أبي الطفيل أن نافع بن عبد الحارث

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه أبوداود والترمذي وابن ماجه وأحمد.

(٣) أخرجه ابن عبد البر، (جامع بيان العلم وفضله)، رقم: (٢٦٨)، باختلاف يسير.

(٤) الخطيب البغدادي، الفقيه والمتفقه، دار ابن الجوزي، ١٩٩٦م.

(٥) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، رقم:(١/ ١٦٤).

أتى عمر بن الخطاب بعسفان، وكان عمر استعمله على أهل مكة، فقال له عمر: «من استخلفت على أهل الوادي؟ قال: استخلفت عليهم ابن أبزى فقال: من ابن أبزى؟ فقال: رجل من موالينا. فقال عمر: استخلفت عليهم مولى؟ فقال: إنه قارئ لكتاب الله عالم بالفرائض فقال عمر: أما أن نبيكم ﷺ قد قال: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين». قال أبو العالية: كنت آتي ابن عباس وهو على سريره وحوله قريش، فيأخذ بيدي فيجلسني معه على السرير فتغامز بي قريش ففطن لهم ابن عباس فقال كذا هذا العلم يزيد الشريف شرفًا ويجلس المملوك على الأسرة».

الدليل الثالث: جاء في قصيدة أبي إسحاق الألبيري [١] قوله موصيًا ابنه:

وتُفقَــدُ إن جَهِلــت وأنتَ باقٍ وتُوجَدُ إن عَلِمــتَ وقد فُقِدتا

وجه الدلالة: المقصود بـ«وتُفقدُ إن جهلتَ وأنت باقٍ» أي أنك موجود ولكن وجودك مثل عدمه؛ لا تفيد من حولك بشيء ورغم انتسابك لطلبة العلم، إلا أنك لا تفيد محيطك بعلمك، أما إن أخذت بالعلم «تُوجدُ إن علِمت وقد فُقِدتا» حتى لو لم تكن بشخصك فإن كلماتك وعلمك يظل بعدك، وخير مثال على ذلك العلماء الصالحون الذين نتعلم للآن منهم والذين عناهم الشاعر المعري [٢] بقوله:

جَمالُ ذِي الأرضِ كانُوا فِي الحَياةِ وهُم بعد المَمــاتِ جَمــالُ الكُتْبِ والسِّــيَرِ

(١) أبو إسحاق الألبيري: «تفُتُّ فُؤادك الأيّامُ فتّا»، البيت رقم: (٢٦).

(٢) أبو العلاء المعري: «يا ساهِرِ البرقِ أيقِظ راقِدِ السّمُرِ».

الفصل الثاني

أولًا : حكم إلزامية التعليم بأنواعه ومجالاته ومستوياته على الجنسين

يقول الشاعر حافظ إبراهيم[١]:

الأُمُّ مَدرَســـةٌ إذا أعدَدتَهـــا أعدَدتَ شَــعبًا طَيِّــبَ الأعراقِ

فكلما حرصنا على تربية البنات على مبادئ الإسلام وشرائعه؛ من أخلاق وعفاف وطهر وأخلاق، إنما نحن ننشئ جيلًا وشعبًا جديدًا «طيب الأعراق»، وتربية البنات تعود على الأسرة والمجتمع بالنفع وفيها خير وأجر كبير، وفي حديث أنس، عن النبي ﷺ قال: «**من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين، وضم أصابعه** ﷺ»[٢]. فتربية البنات الحسنة تكون حجابًا من النار.

ولا شك أن الكثير من الناس يفضلون تربية الأبناء لكونهم يحملون اسمهم ويعينونهم في حياتهم، ولذلك جعل الله تعالى أجر تربية البنات أفضل وأكثر من تربية الأبناء؛ فتربية البنات والإحسان إليهن من العبادات التي يتقرب بها الإنسان لربه، واليوم رغم اختلاف العصور وتيسير مصادر الرزق المتوفر للبنات، فأصبحت النساء تعالي أهاليها ووالديها، ومع ذلك تبقى تربية النساء أجرها أفضل فعن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من كان له ثلاث بنات فصبر عليهن وأطعمهن وسقاهن وكساهن من جدته كن له حجابًا من النار يوم القيامة**»[٣].

وديننا الحنيف ينهي عن الجهل وعن الظلام الدامس الذي يتسبب فيه الجهل في عقول الأطفال من أولادنا وبناتنا. فكما أن للأبناء الحق في الدراسة والتعليم فللبنات حق التمتع بنفس الحق. فالتعليم حق من حقوق البشر ذكرًا وأنثى وجب على الوالدين أن يعدلوا فيه بين أولادهم مع احترام ضوابط الشرع المعروفة؛ لقوله ﷺ: «**اتّقُوا الله، واعدِلُوا في أولادِكُم**» [٤] فيأمرنا النبي عليه الصلاة والسلام بالعدلِ بين

(١) محمد حافظ إبراهيم في محافظة أسيوط ٢٤ فبراير ١٨٧٢ - ٢١ يونيو ١٩٣٢م. وكان شاعرًا ذائع الصيت، حاملًا للقب شاعر النيل الذي لقبه به صديقه الشاعر الكبير أحمد شوقي، وأيضًا للقب شاعر الشعب.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٣١) باختلاف يسير، والترمذي (١٩١٤) واللفظ له، وأحمد (١٢٤٩٨) بنحوه مطولًا.

(٣) صححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه»

(٤) أخرجه البخاري (٢٥٨٧)، ومسلم (١٦٢٣) باختلاف يسير.

الأبناءِ في العطايا، وما أهم العطايا إلى إعطاء الحق في التعلم والتفقه، حيث تكافئ الفرص في هذه المسألة ضرورية لما تعود الدراسة به على الأطفال والطلبة بخير في الدنيا والآخرة. وحق التعليم لا يتنافى مع الدين الإسلامي ولا مع العادات والثقافات العربية والإسلامية، بل إن شريعة الإسلام أقرت حقوقًا مثالية للمرأة لا يمكن أن نجد مثلها في أي شريعة أخرى ولا في أنظمة الدول الحضارية والغربية فالإسلام سباق في حرية المرأة وتعليمها، تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: «**نعم النساء نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين**»[١]

وما بين الأهداف الخمسة التي وضعتها الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة «تحقيق المساواة بين الجنسين وتمكين النساء والفتيات» ويقتضي ذلك اعتماد نهج «يكفل انتفاع الفتيات والفتيان، والنساء والرجال، بمراحل التعليم وإتمامها، إضافة إلى تعزيز قدراتهم على نحو متساوٍ في التعليم ومن خلاله»[٢].

وذلك يشير إلى مدى أهمية التعليم للجنسين وخصوصًا للمرأة، فكما يقول العالم عبد الحميد بن باديس في مقولته الدارجة في هذا السياق: «إذا علمت ولدًا فقد علمت فردًا... وإذا علمت بنتًا فقد علمت أمة». وذلك لأن النساء المتعلمات يرعرعون أولادهن وأسرهن على القيم والمبادئ الإسلامية وعلى نور العلم والعمل الصالح وذلك يساهم في تمكين أجيال كاملة من المجتمع بدلًا من مجرد تعزيز الفرد نفسه.

فالمرأة كالمنبر الذي يضيء ما حوله تشارك معرفتها مع جميع أفراد أسرتها وعائلتها، وتسعى على الحفاظ على أسرة صحية تضمن التربية الإيمانية والعاطفية والعقلية لأطفالها وعائلتها الممتدة. والطفل الذي ينشأ في أسرة فيها زوجين متلقيين لتربية إيمانية سابقة يتوفر له إطار يجعله يتعلم ويتقرب من الله منذ الصغر فيسمع القرآن الكريم وهو جنين في بطن أمه ثم يشاهد والداه وهم يحافظان على صلواتهم وصومهم ويقلدهم في سلوكهم الحسن، ويسمع قصص الأنبياء والأناشيد والأدعية التي تحببه في الله سبحانه وتعالى ورسوله، ومن ثم يكبر ويفهم مكانة العمل الصالح بجانب الإيمان القوي للمسلم فالعلم والعلم مهمان، ولا ينفع واحد منهم دون الآخر.

وإذا تعمقنا في حكم إلزامية التعليم بأنواعه الشرعي وغير الشرعي على الجنسين، فسنرى أن الإسلام يأمر ويقر المساواة بين المرأة والرجل في جميع المستويات، ولم يفرق بينهما، وأكد على حقوق المرأة خصوصًا في عهد الجاهلية، حيث كان كما قال عز وجل: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ

(١) صحيح ابن ماجه، رقم: (٥٣١).

(٢) الموقع الرسمي لمنظمة الأمم المتحدة للتربية وللعلم وللثقافة.

﴿٥٩﴾ [النحل: ٨٥، ٥٩] فكان وأد البنات ظاهرة موجودة في الجاهلية وجاء الإسلام ونهي عن ذلك وحرمه وعد وأد البنات من الموبقات، بل كرم الإسلام المرأة في عدة أمور من صغرها وهي طفلة؛ فعن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من كان له ثلاث بنات فصبر عليهن وأطعمهن وسقاهن وكساهن من جدته كن له حجابًا من النار يوم القيامة**»(١)، وأكد الإسلام على حقوق المرأة فجعل لها حقوقًا كالرجل، وأجاز لها التملك والشغل وقال تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ﴾ [النساء: ٣٢].

أ. حكم إلزامية التعليم على الجنسين في العلم الشرعي:

ما نلاحظه الآن من حقوق أعطيت للمرأة مؤخرًا في المجتمعات من حق تصويت وتعليم له بوادر في الدين الإسلامي، والمساواة بين الرجل والمرأة، إذ إن القرآن كرم النساء، وسميت سورة النساء باسمهن وقال عز وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النساء: ٣٢].

وأوجب الله على المؤمنين والمؤمنات نفس التكاليف الدينية، قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧].

فعلى المرأة أن تكون على علم بدينها لتقوم بفرائضه على أكمل وجه، فالتعليم الشرعي يساعد المرأة على أن تعمر الأرض ماديًا ومعنويًا، فتلد أطفالًا يكونوا بدورهم مؤمنين يخشون ربهم ويعملون صالحًا.

وأول من دافع على حق حياة الإناث الإسلام وكان أول من حثها على العلم فقال الرسول ﷺ: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**»(٢) وفي رواية أخرى: «**وكل مسلمة**»(٣)، ففي مسألة العلم الإسلام يحث على الجنسين التعلم سواء، فالمرأة مكلفة كالرجال تمامًا. وكان الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام سمح بخروج النساء إلى المساجد والمصليات لما ورد في الصحيحين: «**لا تمنعوا إماء الله مساجد الله، ولكِن لِيخرُجن وهنّ تفِلات**»(٤).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسند الشاميين من حديث عقبة بن عامر الجهني، برقم **٦١٧٦٢**، وابن ماجه في كتاب الآداب، باب بر الوالد والإحسان إلى البنات: **(٣٦٥٩)**.

(٢) السيوطي، الجامع الصغير، راويه: أبو سعيد الخدري، الرقم: **٥٢٤٦**، خلاصة حكمه: صحيح.

(٣) رواه ابن ماجه وغيره.

(٤) الألباني، صحيح الجامع، راويه: أبو هريرة، الرقم: **٧٤٥٧**، خلاصة حكمه: صحيح.

وجاء في حديث آخر: «**إذا استأذنت امرأة أحدكم إلى المسجد فلا يمنعها**»[١]. وكانت النساء تذهب وقتها للمساجد للصلاة ولتعلم أيضًا، فتحضرن مجالس الدين وتتفقهن في دينهن. ومن أمثلة ذلك: أن الشيخة الصالحة الفقيهة العابدة فاطمة بنت عباس بن أبي الفتح البغدادية كانت تحضر مجالس شيخ الإسلام ابن تيمية وتستفيد منه، وكان ابن تيمية يثني عليها ويصفها بالفضيلة والعلم، وكان يستعد لها من كثرة مسائلها وحسن سؤالاتها وسرعة فهمها[٢]؛ حتى إن هناك من أجاز تعليم الرجل للنساء وإن لم يكن الرجل مَحرمًا للمرأة كأن يكون أباها أو أخاها أو زوجها فإنه يجوز له تعليمها أو تعليمهن[٣].

حتى إنه ذهب النووي من الشافعية إلى إباحة نظر المعلم إلى من يعلِّمها فقال: «يباح النظر لمعامَلة وشهادة وتعليم ونحوها بقدر الحاجة»[٤]، وبعض العلماء خالفوا ذلك مثال فقهاء الشافعية، ومن بينهم نذكر جلال الدين المحلي الذي قال: «ما ذكره النووي من إباحة النظر للتعليم تفرد به»[٥]. وأضاف السبكي: «كشفت عن هذه المسألة ـ يعني إباحة نظر الرجل للمرأة للتعليم ـ في كتب المذهب، وعدّ منها اثني عشر مصنفًا فلم أجدها»[٦]، ولكن عددًا من الفقهاء أجازوا قول النووي واشترطوا[٧] بعض الضوابط وهي:

١ـ فقد الجنس بأن لا يوجد من يقوم بالتعليم من النساء.

٢ـ أن لا تقع خلوة بأن يوجد محرم.

٣ـ أن يتعذر التعليم من وراء حجاب كتعليم كتابة أو خياطة.

وعلى ذلك نشهد على وجود كبير لنساء متعلمات في عصر الرسول عليه الصلاة والسلام، فكانت خديجة المصدقة الأولى، وعائشة الصديقة كانت مفتية ومتفقهة وعالمة بالعلوم الشرعية في الدين، حتى إنه قيل: إن ربع علوم الشريعة الإسلامية وصلت للمسلمين من السيدة عائشة رضي الله عنها، وكان يلجأ إليها كبار الصحابة يسألونها عن أدق أمور دينهم، أو لتقوى حججُ بعضهم، أما بعضهم الآخر، «كما كانت لها مكانتها في حفظ الشعر، إذ ربما روت القصيدة ستين بيتًا والمئة وكانت قارئة للقرآن عالمة به، تؤم النساء في الصلاة فتقوم في وسطهن»[٨] وقيل عنها أيضًا: «لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أمهات المؤمنين، وعلم

(١) أخرجه البخاري (٨٧٣) باختلاف يسير، مسلم (٤٤٢).

(٢) انظر: (البداية والنهاية ١٤/ ٧٢، الدرر الكامنة ٣/ ٣٠٧)،

(٣) الأشباه والنظائر لابن نجيم ص٢٨٨، تبيين الحقائق ٦/ ١٩.

(٤) انظر: (منهاج الطالبين، صفحة رقم: ٢/ ٤١٨)، و(أبو شجاع، الإقناع في حل ألفاظ، صفحة رقم: ٢/ ١٢١)، و(السيوطي، الأشباه والنظائر، صفحة رقم: (١٨٠).

(٥) السيوطي، الأشباه والنظائر، صفحة رقم: (١٨١).

(٦) انظر: (الأشباه والنظائر للسيوطي صفحة رقم: (١٨١). الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع ٢/ ١٢١، مغني المحتاج ٣/ ١٣٨).

(٧) انظر: (تحفة المحتاج، رقم: ٧/ ٢٠٤)

(٨) انظر: (ابن الجوزي، الجزء الثاني، رقم: (١٥:١٩٧٩).

جميع النساء، لكان علم عائشة أفضل»[١] فكانت رضي الله عنها تعلم الصحابة في شؤون الدين عند الحاجة؛ فعن أبي موسى الأشعري[٢] قال: «ما أشكل علينا - أصحاب رسولِ الله ﷺ - حديثٌ قطُّ فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه عِلمًا.»[٣] وقال ابن العربي[٤]: «وهذا يدل على أن الله أذن في مساءلتهن من وراء حجاب في حاجة تعرض أو مسألة يستفتى فيها»[٥]. وقال القرطبي[٦]: «ويدخل في ذلك جميع النساء بالمعنى»[٧].

وهي خير مثال من الأمثلة العديدة لنساء الرسول عليه الصلاة السلام من زوجاته وبناته اللواتي تميزن بتعلمهن في ذاك العصر وكانت متفقهات في العلم الشرعي والفقه الإسلامي، فكنّ حريصات على تلقي هذا العلم من لدن رسول الله، كما حرصن كذلك على تعليمه لنساء الصحابة.

وساعدهن العلم على الحفاظ على العقيدة الصحيحة السليمة الخالية من الشرك ظاهره وخفيه، فكانت السيدة خديجة رضي الله عنها أول من آمن برسالة الرسول ﷺ وهي أم المسلمين جميعًا. كما كان النبي ﷺ يحرص على تعليم المرأة أمور دينها ودنياها. من ذلك ما روي عن أبي سعيد الخدري أن النساء قلن للنبي ﷺ: غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يومًا من نفسك فوعدهن يومًا لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن، فكان مما قال لهن: «**ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها إلا كن لها حجابًا من النار**». فقالت امرأة: واثنين. **فقال: «واثنين»**[٨]. وفي حديث آخر قال النبي عليه الصلاة والسلام «**ألا تُعلِّمين هذِهِ رُقية النّملةِ كما علّمتيها الكِتابة**» [٩]مؤكدًا أهمِّيّة تعليمِ النِّساءِ ما يحتاجون إليه، ومشروعية تعليمهن الكتابة.

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني ٤/ ٣٤٩-٣٥٠، سير أعلام الأنبياء ٢/ ١٤١

(٢) أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري صحابي، ولاهُ النبي محمد على زبيد وعدن، وولاه عمر بن الخطاب على البصرة، وولاه عثمان بن عفان على الكوفة، وكان المُحكّم الذي اختاره علي بن أبي طالب من بين حزبه يوم صفين.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٨٨٣)، وابن عدي في ((الكامل في الضعفاء)) (٣/ ١٩٥)

(٤) محمد بن علي بن محمد بن عربي الحاتمي الطائي الأندلسي الشهير ب، محيي الدين بن عربي، أحد أشهر المتصوفين لقبه أتباعه وغيرهم من الصوفيين «بالشيخ الأكبر»، ولذا تُنسب إليه الطريقة الأكبرية الصوفية. ولد في مرسية في الأندلس في شهر رمضان عام ٥٥٨ هـ، الموافق ١١٦٤م قبل عامين من وفاة الشيخ عبد القادر الجيلاني. هو عالم روحاني من علماء المسلمين الأندلسيين، وشاعر وفيلسوف، أصبحت أعماله ذات شأن كبيرٍ حتى خارج العالم العربي. تزيد مؤلفاته عن ٨٠٠، لكن لم يبق منها سوى ١٠٠. كما غدت تعاليمه في مجال علم الكون ذات أهمية كبيرة في عدة أجزاء من العالم الإسلامي.

(٥) أحكام القرآن ٣/ ١٥٧٩، وانظر: تفسير القرطبي ١٤/ ٢٢٧.

(٦) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح كنيته أبو عبد الله ولد بقرطبة بـ(الأندلس) حيث تعلم القرآن الكريم وقواعد اللغة العربية وتوسع بدراسة الفقه والقراءات والبلاغة وعلوم القرآن وغيرها كما تعلم الشعر أيضا. انتقل إلى مصر واستقر بمنية بني خصيب (المنيا) حتى وافته المنية في ٩ شوال ٦٧١هـ، وهو يعتبر من كبار المفسرين وكان فقيهًا ومحدثًا ورعًا وزاهدًا متعبدًا.

(٧) تفسير القرطبي، رقم: ١٤/ ٢٢٧.

(٨) صحيح البخاري كتاب العلم، باب هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم حديث رقم (١٠١).

(٩) الراوي: الشفاء بنت عبد الله المحدث: الألباني، المصدر: صحيح أبي داود الصفحة أو الرقم: ٣٨٨٧، خلاصة حكم

كذلك ورد في أحاديث رسول الله ﷺ ما يحث على تعليم المرأة فقال أبو موسى الأشعري عن الرسول ﷺ قال: «**ثلاثةٌ لهم أجرانِ: رجُلٌ مِن أهلِ الكِتاب، آمن بنبيِّهِ وآمن بمُحمّدٍ ﷺ، والعبدُ المملُوكُ إذا أدّى حقّ الله وحقّ موالِيه، ورجُلٌ كانت عِندهُ أمةٌ فأدّبها فأحسن تأدِيبها، وعلّمها فأحسن تعلِيمها، ثُمّ أعتقها فتزوّجها فلهُ أجران، ثُمّ قال عامِرٌ: أعطيناكها بغيرِ شيء، قد كان يُركبُ فِيما دُونها إلى المدِينةِ**»[(١)]. وكانت المرأة تحضر دروس العلم ويسمح لها بمجالسة الرسول الله ﷺ وتسأله وتناقشه وتتفهم كل ما يعلم لها؛ فعن أبي سعيد الخدري «**جاءتِ امرأةٌ إلى رسُولِ الله ﷺ فقالت: يا رسُول الله، ذهب الرِّجالُ بحديثِك، فاجعل لنا مِن نفسِك يومًا نأتِيك فِيه، تُعلِّمُنا ممّا علّمك الله، قال: اجتمِعن يوم كذا وكذا فاجتمعن، فأتاهُنّ رسُولُ الله ﷺ فعلّمهُنّ ممّا علّمهُ الله**» [(٢)]وهذا أحسن برهان على الإنسان لم يكن يومًا مانعًا لتعلم المرأة وتقدمها في حضارة الحياة العلمية والعملية.

ولقد بوب البخاري رحمه الله في صحيحه بثلاثة أبواب كلها مختصة بتعليم المرأة فقال: «باب تعليم الرجل أمته وأهله» وقال: «باب عظة الإمام النساء وتعليمهم»، وقال: «باب هل يجعل للنساء يوم على حدة؟ في العلم وذكر حديث أبي سعيد قالت النساء للرسول عليه الصلاة والسلام: غلبنا الرجال فاجعل لنا يومًا من نفسك».

وجاء في طبقات الشافعية[(٣)] أن الحافظ بن عساكر المتوفى سنة إحدى وسبعين وخمس مئة، وهو من أوثق رواة الحديث حتى لقبوه بحافظ الأمة، كان له من شيوخه وأساتذته بضع وثمانون من النساء.

فمن يدقق في التاريخ الإسلامي يجد أنه حافل بأخبار نساء المسلمين اللاتي بلغن من العلم درجة عالية ورفيعة، ولهن مكانة بارزة في نشر العلم الإسلامي والتشجيع على تعلمه، ونجد منهن الأديبات والشاعرات والفقيهات. ونذكر منهن: زبيدة زوجة هارون الرشيد، وكريمة بنت محمد المروزية، وزينب بنت أبي القاسم، وعائشة بنت محمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن قدامة المقدسي، وذكر عبد الواحد المراكشي أنه كان بالربض الشرقي في قرطبة ما يقرب عن خمس مئة امرأة كلهن يكتب المصاحف بالخط الكوفي. ونذكر أيضًا عالمة هجيمة بنت حيي الوصابية[(٤)] قيل عنها: «اسمها هجيمة ويقال: جهيمة،

المحدث: صحيح.

(١) أخرجه البخاري (٩٧)، ومسلم (١٥٤).

(٢) الراوي: أبو سعيد الخدري، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: ١٠١، خلاصة حكم المحدث: [صحيح].

(٣) انظر: (طبقات الشافعية ج ٤ صفحة ٢٧٣).

(٤) هجيمة بنت حيي الوصابية؛ أم الدرداء الصغرى، تابِعية جليلة وفقِيهة ومُحدثة من رواة الحديث وهي زوجة الصحابي الجليل

تابعية عابدة عالمة فقيهة، كان الرجال يقرؤون عليها ويتفقهون في الحائط الشمالي بجامع دمشق، وكان عبد الملك بن مروان يجلس في حلقتها مع المتفقهة يشتغل عليها وهو خليفة»[١]. وأخرى أم محمد فخر النساء شهدة بنت أحمد الإبري الدينوري البغدادية [٢] «شهدة بنت أبي نصر الكاتبة، كانت من العلماء، وكتبت الخط الجيد، وسمع عليها خلق كثير»[٣].

وقال ابن الجوزي رحمه الله: «المرأة شخص مكلّف كالرجل، فيجب عليها طلب علم الواجبات عليها؛ لتكون من أدائها على يقين.

فإن لم كان لها أب، أو أخ، أو زوج، أو محرم، يعلِّمها الفرائض، ويعرِّفها كيف تؤدي الواجبات، كفاها ذلك، وإن لم يكن سألت وتعلمت، فإن قدرت على امرأة تعلم ذلك، تعرفت منها، وإلا تعلّمت من الأشياخ، وذوي الأسنان من غير خلوة بها، وتقتصر على قدر اللازم، ومتى حدثت حادثة في دينها سألت عنها، ولم تستح، فإنّ الله لا يستحي من الحق»[٤].

فالتعليم له مزايا عديدة وهو حق شرعي واضح وفريضة على كل مسلم فإنه يساعد المرأة في تدبر شؤون دينها، ويشكل لها حصانة من الآفات الاجتماعية والنفسية التي قد تكن عرضة لها بسبب طبيعتها، فتعليم المرأة حق من حقوقها وواجباتها، يفيدها ويفيد أسرتها ومجتمعها، خصوصًا وأن لها دورًا عظيمًا في تنمية المجتمع وسيره الصحيح، فالنساء تشكل نصف الأمة الإسلامية وهم أمهات النصف الآخر، فهم فعلًا الأمة بأكملها.

ب ـ حكم إلزامية التعليم على الجنسين في العلم الغير شرعي:

ولدى العلم غير الشرعي أهميته أيضًا، حيث تعليم المرأة له تأثيرات عديدة إيجابية على المجتمع من بينها: التراجع من الفقر أو الحد منه فالمرأة المتعلمة تتمكن من الحصول على وظائف تعيل بها أسرتها

أبو الدرداء الأنصاري الثانية ولم ترى الرسول ﷺ. روت علمًا جمًّا عن زوجها أبي الدرداء، وعن سلمان الفارسي، وكعب ابن عاصم الأشعري، وعائشة بنت أبي بكر، وأبي هريرة، وطائفة، وحفظت القرآن وهي صغيرة على يد أبي الدرداء. وطال عُمرها، واشتهرت بالعلم والعمل والزهد وكانت ذات حسن وجمال خطبها معاوية بن أبي سفيان بعد موت أبي الدرداء وأبت ورفضته، وكانت تُجالِس الصحابة وخلفاء بني أمية.

(١) انظر: (البداية والنهاية ٩/ ٤٧).

(٢) أم محمد فخر النساء شهدة بنت أحمد الإبري الدينوري البغدادية (٤٨٤ هـ - ٥٧٤ هـ)، عالمة مسلمة من أهل السنة والجماعة ومحدثة وكاتبة وخطاطة ولدت في بغداد وأصلها من الدينور الكردستانية، وتوفيت ببغداد بالعراق، يأخذ أهل الحديث عنها بسند عال.

(٣) وفيات الأعيان ٢/ ٤٧٧.

(٤) أحكام النساء لأبي الفرج بن الجوزي ١٩٨٩م (ص٢٥).

ماديًّا، وتشارك في الإنتاج الداخلي للبلاد وتساعد في تنمية الاقتصاد، فوفقًا لدراسة أجراها البنك الدوليّ؛ فإنّ زيادة النساء الحاصلات على تعليم ثانوي بنسبة ١٪ تزيد نموّ الدخل السنويّ للفرد بنسبة ٣,٠٪[١].

سيما أن تعليم المرأة يساعد على تراجع الأمراض عند الأطفال الصغيرة، بل يساعد على نموهم بشكل صحيح فالمرأة تستثمر في صحة أولادها الاقتصادية والمعنوية والدراسية، خصوصًا وأن المرأة المتعلمة تصرف (٩٠٪) تقريبًا من دخلها على عائلتها ومجتمعها[٢]. وتؤثر معرفتها في كيفية تربية أطفالها وتؤثر على دورها في الأسرة والمجتمع. فتزداد احتمالية إرسال الأم المتعلمة أطفالها إلى المدرسة بمرتين[٣]، وبالتالي تستمر فرص التعليم للأجيال التالية. يقول عز وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[٤].

وتبقى لليوم مسألة تعليم المرأة مطلبًا ملحًّا، بل أصبحت أكثر أهمية في وقتنا هذا بعد جائحة كورونا، الذي شهدنا فيها تزايدًا غير مسبوق لنسب التعلم عن بعد. فأصبح التدريس ليس فقط محصورًا وراء جدران المدرسة، بل أصبح متواصلًا داخل البيوت أيضًا، علمًا أن البيت هو مكان التربية الأول للأطفال خاصة في فترة حياتهم الأولى، وكون أمهم متعلمة أو غير متعلمة له تأثيرات عديدة في حياة الطفل وحياة الأسرة بالكامل، باعتبارها هي المسؤولة الأولى عن تربية الأطفال، ولذلك تعليم المرأة شيء رئيسي؛ لأننا وكما نعلم فاقد شيء لا يعطيه، فكيف يمكن للمرأة غير المتعلمة أن تعلم أبناءها أو أن تراقبهم وهم يستعملون هواتفهم وحواسيبهم؟ خصوصًا في ظل ثورة الأجهزة الإلكترونية والتواصل الاجتماعي التي نعيش فيها، والتي تتزايد مع الوقت، ولذلك تبدو مسألة تعليم المرأة كضرورة إنسانية وأولوية قصوى، يساعدها التعليم على تحقيق ذاتها وتثقيفها؛ لتكون قادرة ومؤهلة على القيام بواجباتها الدينية والاجتماعية، وتساهم بدورها في رقي المجتمع وتنميته، وكما يقول المفكر الباكستاني المودودي[٥]، فالتعليم يساعد المرأة على أن تكون زوجة مثالية وأمًّا رؤومًا وربة بيت مدبرة، ومواطنة ذات عقل وفكر مستنير، وأخلاق فاضلة.

---

(1) Karin Ronnow (8-4-2017)، "Top 10 Reasons To Support Girls' Education"، centralasiainstitute.org، Retrieved 13-4-2020. Edited.

(٢) فيل بورخيس، تمكين النساء: إلهام التغيير في العالم الناشئ، ٢٠٠٧.

(٣) (الدراسة لليونيسف، ٢٠١٠).

(٤) ص١٥٢ - كتاب نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي - الضروريات الخمس.

(٥) أبو الأعلى المودودي أو أبو العلاء المودودي (١٢ رجب ١٣٢١ هـ - ١ ذو القعدة ١٣٩٩ هـ).

أما في مسألة التمييز التعليمي بين الرجل والمرأة فكما تقول المديرة العامة لليونسكو، إيرينا بوكوفا: «لا يمكن وجود مجتمع عادل ومحق من غير تحقيق المساواة في التعليم بين الرجل والمرأة، ويمثل اليوم الدولي للمرأة فرصة لنا جميعًا لنقف في وجه التمييز والتهميش اللذين يضعفان مجتمعاتنا». فكل امرأة متعلمة تساهم في رقي المجتمع فتعلّم الجاهلة ما تحتاجه لدينها ودنياها، سيعاد على المجتمع والأجيال الناهضة بالنفع والخير، بعيدًا عن الاهتمامات السطحية التي نشهدها اليوم، خصوصًا مع ظهور خدمات التواصل الاجتماعي وكثرة المسلسلات والأفلام الساذجة التي تلهي المرأة عن دينها وآفاقها السامية التي خلقت من أجلها. فتعليم البنات مهم لأنهن أمهات الأجيال القادمة، وأبرز دور للمرأة هو دورها كأم الأم التي تسهر على تعليم الأولاد في المدارس والجامعات، وهي تعطي مما نهلت للمجتمع التي تعيش فيه، كما أن من أهم مهام المرأة المتعلمة مساهمتها في تربية الأجيال الناشئة وتحصينهم بالعقيدة السليمة وبالعلم النافع والمعرفة والثقافة فالمرأة نصف المجتمع وعليها أن تساهم فيه، ليس فقط عبر تربية أولادها بل كذلك عبر نشاطاتها في الجمعيات النسائية الخيرية التي تعلم النساء الفقه الإسلامي، وورشات عملية أخرى، ومشاركتها أيضًا بالمحاضرات والندوات والنشاطات الاجتماعية المختلفة، التي أصبحت تتواجد بكثرة، فتكون تلك المحاضرات فرصة جميلة تثقف فيها نفسها حتى إذ لم تحظ بتعليم كاف، فالإنسان لا يكف عن التعلم مدى حياته، فتستفيد وتفيد أسرتها ومجتمعها، وهناك العديد من المحاضرات أصبحت الآن على موضوع التربية الصحيحة والتغذية الصحية، ومنها التي توعي الأمهات والمربيات عن الأخطار التربوية خصوصًا، وأصبحنا في هذا العصر نعي أن التربية ليس فقط عملية بيولوجية فقط تقوم على خلفة، بل هي السعي على نشر المعرفة وتلقينها للأولاد لينشؤوا أعضاء صالحين في المجتمع، ونصل من خلالهم إلى التقدم والفلاح الاجتماعي والأخلاقي. ولا يقصد بتعلمها التربية الاستغناء عن التخصصات الأخرى، فعلى النساء أن يسعوا إلى تحقيق نجاحاتهم في ميادين مختلفة مثل الطب والتمريض والهندسة وغير ذلك من التخصصات العلمية الأخرى؛ ليكون مجتمعنا مجتمعًا متكاملًا مزدهرًا. وفي هذا المقام نذكر أبيات الشاعر معروف الرصافي في ديوانه الشهير:

فكَيفَ نَظُنُّ بالأبناءِ خَيرًا ... إذا نَشَؤوا بحُضنِ الجاهِلاتِ
وهَل يُرجى لِأطفالٍ كَمالٌ ... إذا ارتَضَعُوا ثُدِيَّ النّاقِصاتِ
لِأخلاقِ الصَّبِيِّ بِكِ انعِكاسٌ ... كما انعَكَس الخَيالُ على المِراةِ
أأُمَّ المُؤمِنِينَ إليكِ نَشكُو ... مُصِيبَتَنا بجَهلِ المُؤمِناتِ
فتِلكَ مُصِيبةٌ يا أمُّ منها ... نَكادُ نُغَصُّ بالماءِ الفُراتِ
تَخِذنا بَعدَكِ العاداتِ دِينًا ... فأشقى المُسلِمُونَ المُسلِماتِ

ثانيًا: موقع التعليم في سلم المصالح الضرورية والحاجية والتحسينية

إن المقاصد الشرعية تقسم تقسيمًا باعتبار مدى الحاجة إليها وقوتها وتأثيرها، وهي بهذا الاعتبار لها ثلاثة أقسام: المصالح الضرورية والحاجية والتحسينية، نأتي لتبيانها تاليًا.

أ. موقع التعليم في سلم المصالح الضرورية:

قال الإمام الشاطبي رحمه الله: «اتفقت الأمة بل سائر الملل على أن الشريعة وضعت للمحافظة على هذه الضروريات الخمس، وهي: الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل»[١]. وقال: «وحفظ الشريعة للمصالح الضرورية وغيرها يتم على وجهين، يكمل أحدهما الآخر، وهما: حفظها من جانب الوجود، أي: بشرع ما يحقق وجودها، ويثبتها ويرعاها، وحفظها من جانب العدم بإبعاد كل ما يزيلها أو ينقصها، أو يجعلها تختل أو تتعطل، سواءً كان شيئًا واقعًا أو متوقعًا الشرع يمنعه، أي شيء يخل بالضروريات، أو ينقصها، أو يعطلها، أو يخل بها يمنعه الشرع، سواءً كان واقعًا أو متوقعًا، فإذا كان واقعًا فالشرع يريد رفعه وإزالته، وإذا كان متوقعًا فالشرع يريد منع وقوعه وتجنبه»[٢].

وإذا أردنا أن نصنف العلم ضمن المصالح فنجد أنه من السهل تقييمه ضمن المصالح كلها، فهو أولًا من الضروريات حيث العلم يعين الإنسان على حفظ دينه، ونفسه، ونسله وماله وعقله. بل من أخذ بالعلم أخذ بحظ وافر يقال: «العلم خير من ميراث الذهب، والنفس الصالحة خير من اللؤلؤ، ولا يستطاع العلم براحة الجسم»[٣] وفي حديث عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه دلالة طلب العلم والتفقه يشمل المسلمين عمومًا، ولا يخص فئة دون أخرى يقول: «أيها الناس اعلموا أن كمال الدين طلب العلم والعمل به، وإن طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال، إن المال مقسوم بينكم مضمون لكم، قد قسّمه عادل بينكم وضمنه، سيفي لكم به، والعلم مخزون عليكم عند أهله قد أمرتم بطلبه منهم فاطلبوه، واعلموا أن كثرة المال مَفسدة للدين مَقساة للقلوب، وأن كثرة العلم والعمل به مصلحة للدين سبب إلى الجنة، والنفقات تنقص المال، والعلم يزكو على انفاقه»[٤].

ب. موقع التعليم في سلم المصالح الحاجية:

والعلم أيضًا ضمن المصالح الحاجية التي حسب تعريفها «الأمور التي يحتاجها الناس لتأمين

(١) الشاطبي، الموافقات: ١/ ٣١.
(٢) الشاطبي، الموافقات: ٢/ ٥٥٢.
(٣) الكامل لابن عدي ٤/ ٢١٥، وحلية الأولياء ٣ / ٦٦.
(٤) الكافي، الجزء الأول، صفحة رقم: (٣٥).

شؤون الحياة بيسر وسهولة، وتدفع عنهم المشقة وتخفف عنهم التكاليف، وتساعدهم على تحمل أعباء الحياة»[١]، فكم من اختراع جاء به العلم ليأمن حياتنا اليومية ويساعدنا على قساوة البيئة والمحيط الذي قد نعيش فيه، ولا شك أن العلماء المسلمين قدموا للعالم الإسلامي والإنسانية كلها العديد من الاختراعات والاكتشافات التي غيرت وجه العالم. فأعرق جامعة عرفها العالم تتواجد في المغرب بمدينة فاس وهي جامعة القرويين، التي بنيت كمؤسسة تعليمية تابعة لمسجد القرويين، وقامت بتشييدها السيدة فاطمة بنت محمد الفهري القيرواني، نسبة لمدينة القيروان عام ٢٤٥ هـ/ ٨٥٩م. وكم من اختراعات أصبحت ممكنة بعلم الجبر الذي طوّره العالم الكبير محمد بن موسى الخوارزمي.[٢] والعلم من الحاجيات التي جاءنا بها نفع كبير ومصلحة عظيمة، ما أحوجنا إلى العلم أم الحاجات، الذي يرفع عن الناس الحرج والضيق، وييسر أوضاعهم، فليس هناك تفاوت أمام هذه الحاجة الإنسانية كلها تحتاجها من غني وفقير وصغير وكبير، فالعلم لا غنى عنه ينور العقول ويغذي الأرواح فالعلم ميزة الإنسان عن باقي مخلوقات الله، وعرّف الإمام الشاطبي المصالح الحاجية بأنها: «ما يفتقر إليه من حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة اللاحقة بفوت المطلوب، فإذا لم تراع دخل على المكلفين – على الجملة – الحرج والمشقة ولكنه لا يبلغ مبلغ الفساد العادي المتوقع في المصالح العامة» ويعني بقوله هذا أن الشارع إذ لم يشرع من الأحكام ما يحفظ المقاصد الحاجية، فإنه لن يفوت دين ولا نفس ولا عقل ولا نسل ولا مال، بل تبقى أصول هذه المقاصد محفوظة، ولكن هذا الحفظ لا يكون أكمل وأتم إلا إذا روعيت هذه المقاصد.

فالعلم يساعدنا في أن نتوفق في هذه المصالح، ونتعرف عليها فكم من عادات شرعها لنا الشارع لنتمتع بالحياة بها مثل الصيد والطيبات مما هو حلال! وفي المعاملات أباح لنا العديد من الميزات مثل السلم، وهو بيع شيء مؤجل بثمن عاجل، وشرع الإجارة مع أنها في الأصل غير جائزة، وعدد من الاستثناءات العديدة لقواعد عامة.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ * قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣١-٣٣]، وكما قال سبحانه: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ [الرحمن: ٣٣] أي: لن ينال الإنسان العلم إلا برضا الله أولًا،

(١) انظر: (كتاب الوجيز في أصول الفقه الإسلامي – المصالح الحاجية، الجزء الثاني، صفحة رقم: (١١٣)).

(٢) الذي عاش بين ٧٨٠ و٨٥٠م / ١٦٤هـ، في بلاد فارس والعراق.

والعلم هو المفتاح الذي تفتح به الأسرار، وتخترق به الطباق، وكل ذلك ميسر بعلوم الفضاء والكون والأرض، أما علوم الشريعة فهي تنظم حياة الإنسان في الأرض وفي البيئة التي يعيش فيها وتقربه من ربه وخالقه، فمعرفته سبحانه من غير هدى منه ليست معرفة، بل وإذا عبد الإنسان ربه من غير شرعِه يسمى بالبدعة والبدعة محرمة، ولذلك فإن العلم يهدي إلى الإيمان والتقوى ويعزز دعائم الشريعة. يقول الإمام أحمد: «الناس مُحتاجُون إلى العِلم أكثر مِن حاجتهم إلى الطعام والشراب؛ لأن الطعام والشراب يُحتاج إليه في اليوم مرة أو مرتين، والعِلم يُحتاج إليه بعدد الأنفاس»[١].

وعليه، فالعلم له مصلحة حاجية مهمة ساعدت الإنسان في دينه وفي دنياه، فساهم العلم في اكتشاف خاماتٍ وتقنياتٍ جديدة على مدى تاريخ الإنسانية فهو يُعدُّ أساس التكنولوجيا التي غزت حياة الإنسان من كل جوانبها، من هواتف ذكية ووسائل نقل وأجهزة طهي وأجهزة تبريد وتقنيات وأدوية وعلاجات، واكتشاف مصادر طاقات جديدة، ووسائل أخرى لا تعد ولا تحصى ساهمت في توفير حاجات البشر الأساسية، وفي تحسين مستوى معيشتهم، وفي تيسير أمورهم.

ج. موقع التعليم في سلم المصالح التحسينية:

أما المصالح التحسينية التي تكمل المصالح الضرورية والمصالح الحاجية، فهي «الأمور التي تطلبها المروءة والآداب، ويحتاج إليها الناس لتسيير شؤون الحياة على أحسن وجه وأكمل أسلوب، وأقوم منهج»[٢]، والتحسينات لغة هي من التزيين والتجميل؛ تقول: حسَّنتُ الشيءَ تحسينًا؛ أي: زينته، واصطلاحًا هي حسب تعريف الشاطبي في الموافقات: «الأخذ بما يليق من محاسن العادات، وتجنب الأحوال المدنسات التي تأنفها العقول الراجحات، ويجمع ذلك قسم مكارم الأخلاق»[٣]. ومن بين أهم الصفات التحسينية المروءة التي جاء في تعريف المروءة في لسان العرب: «المروءة كمال الرُّجُوليّة، والمروءة: الإنسانية، وقيل للأحنفِ: ما المُرُوءةُ؟ فقال: العفةُ والحرفة. وسئل آخرُ عن المروءة، فقال: المُرُوءة أن لا تفعل في السِّرِّ أمرًا وأنت تستحيي أن تفعلهُ جهرًا»[٤] فالمحافظة على التحسينيات يحقق مقصدًا من مقاصد مبعث الرسول ﷺ في إتمام مكارم الأخلاق، فالأمة الحسنة والسليمة تقوم على الأخلاق هي السند والعماد الحقيقي، وقد قال الشاعر شوقي في بيته المشهور:

---

(١) أحمد فريد، تفريغ شرح كتاب البحر الرائق في الزهد والرقائق.

(٢) الجزء الثاني، ص١١٤ – كتاب الوجيز في أصول الفقه الإسلامي – المصالح الحاجية.

(٣) الشاطبي، الموافقات، رقم: ٢/ ١١.

(٤) انظر: لسان العرب، باب الميم.

فإنما الأُمَــمُ الأخلاقُ ما بَقِيَت فإن هُمُ ذَهَبَت أخلاقُهُم ذَهَبُوا

وقال آخر:

صَلاحُ أمرِكَ لِلأخلاقِ مَرجِعُهُ فقَوِّمِ النَّفسَ بالأخلاقِ تَســتَقِمِ

وقال آخر:

وإذا أُصِيــبَ القَــومُ فــي أخلاقِهِــم فأقِــم عليهــم مَأتَمًــا وعَوِيــلا

ولقد قمنا بذكر صفة المروءة؛ لأنها خير مثال على المصالح التحسينية التي يأتي بها المسلم نتيجة تعلمه ومعرفته، وهي صفة مهمّة من الصفات المكمّلة لشخصيّة المسلم الحقّ الذي يحافظ على دينه ومناهج شرعه، ويخاف ربه ويحترم الناس من حوله ويساعد المجتمع الذي هو فيه، فالإنسان المتعلم يهتم بوظيفته ويكتسب سمعة جيدة سمعة طيبة يتحلى بآداب الأكل والشرب واللباس والدخول والخروج، وغير ذلك من الآداب والفضائل، فيجتنب الشبهات ويبعد عن الخوارم السيئة، مثل الحسد، والتكبر، والافتخار، ويخدم الذي يكبره سنًّا ويزيد عنه علمًا بدون أن يشعر أن ذلك نقص منه.

قال النوويّ رحمه الله تعالى: «ويجوز للفاضل أن يخدمه المفضول ويقضي له حاجة، ولا يكون هذا من أخذ العوض على تعليم العلم والآداب، بل من مروءات الأصحاب وحسن العشرة، ودليله من قصّة موسى حمل فتاه غداءهما، وحمل أصحاب السفينة موسى والخضر بغير أجرة؛ لمعرفتهم الخضر بالصلاح، والله أعلم»(١).

فالعلم هو السلاح الذي به نصلح أخطاءنا، ونبعد عنا الآفات والجهل، وهو الوسيلة لجلب مصالح عديدة ضرورية حاجية وتحسينية أيضًا. فالعلم هو نور الطريق ومنارة الجميع فإن غاب عن مجتمع توقف المجتمع من التطور والازدهار؛ لأنه البوصلة التي تنير سبيله. كما يقول سفيان الثوري الملقب بأمير المؤمنين في الحديث:

أيــا رِجــالَ العِلــمِ يــا مِلــحَ البَلَــدْ مَــن يُصلِحُ المِلــحَ إذا المِلحُ فَسَــدْ

قصة قصيدة: يا رجال العلم يا ملح البلد.

ثالثًا: موقع التعليم في سلم الحقوق والواجبات في الإسلام

جعل الإسلام العلم حق وواجب على كل مسلم. حث الله على العلم والقراءة منذ أول آية أنزلت

(١) انظر: (النووي كتاب الفضائل باب فضائل الخضر).

﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، فالإسلام يكفل حق الإنسان في التعلم ويوجب التعليم، فيأجر المؤمنين على البحث عن العلم؛ لأن العلم في التصور الإسلامي جزء من التدين. ومن ثقف نفسه ونور عقله اقترب من الله ومن غفرانه.

أحث الرسول ﷺ على العلم وتعليم الناس قال ﷺ: «**لأن يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع**»(١)، فهذا الحديث العظيم يبين مسؤولية الرجل تجاه أولاده، بل تجاه أسرته؛ حيث وجب عليه أن يربي المؤمن ولده حسن التربية ويعلمه الشريعة والأخلاق ولم يميز الرسول عليه الصلاة والسلام بين الابن والبنت، بل كلاهما معًا، وفي حديث آخر قال أيضًا: «**إنما بعثت معلمًا**»(٢)، وهذا شرف كبير للمعلمين والمرشدين فهدف الشريعة من قرآن كريم وأحاديث هو تعليم الإنسان وهدايته عن طريق العلم والوعي والمعرفة... فتعلم العلم وتعليمه واجب على كل مسلم ومسلمة قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩]، **وعن عُثمان رضِي الله عنه عنِ النّبيِّ ﷺ قال: «خيرُكُم من تعلّم القُرآن وعلّمهُ»**(٣).

الإسلام لم يعط المرء الحق في طلب العلم فقط، بل جعله فريضة واجبة عليه، وعلى مجتمع المسلمين من دون تمييز بين امرأة ورجل، حيث يقول الرسول ﷺ: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة**»(٤)، والإسلام يدفع المرأة كما يدفع الرجل إلى الوصول إلى أعلى المستويات العلمية، فالأمر الإلهي في قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٤]، وفي قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء: ٨٥].

الله سبحانه وتعالى اختار الإنسان عن باقي المخلوقات وأعطاه حق التعليم بدون تمييز وأوجب توفيره لجميع الفئات بغض النظر عن الاختلافات التي قد تكون بينهم فتأمين حق التعليم يضمن بدوره تأمين حقوق الإنسان الأخرى كاملة، وتكمن أهميّة التعليم بدوره الفعّال في تنمية الإنسان من كل الجوانب ففي الجانب الديني لا سبيل لمعرفة عبادات الله، ولا طريق إليها إلا بالعلم وفي الجانب الدنيوي لا يمكننا أن ننكر كيف العلم يساهم في تنمية وتحسين حياة الأفراد والدول اجتماعيًّا واقتصاديًّا. فالتعليم حق وواجب أساسي.

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ

(١) أخرجه الترمذي.

(٢) أخرجه مسلم.

(٣) أخرجه البخاري.

(٤) أخرجه ابن ماجه (٢٢٤) أوله في أثناء حديث، والبزار (٦٧٤٦) مختصرًا، وابن عبد البر في ((جامع بيان العلم وفضله)) (١٧) واللفظ له.

وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [الجمعة: ٢]، من أكبر النعم التي وهبنا الله بها أنه بعث لنا رسوله محمد ﷺ يعلمنا ديننا وأوجب الله على المؤمنين التعلم. فأولى وأهم واجبات أولياء الأمور والمسؤولين والوالدين هو القيام بتعليم الناس الكتاب الكريم والحكمة. ونجد اليوم في الدول الحضارية أنها تحترم هذا الحق الأساسي الذي عن طريقه نقوم بإرشاد التنشئة على التربية الصالحة. وبذلك فالعلم واجب قطعي على كل مسلم وواجب على الدولة القيام به بالسهر على تعليم كل طفل ذكرًا وأنثى، وإنشاء المدارس، وإعداد المعلمين، والمرشدين.

وحث الله على التعليم لأنه البنية الأساسية للمجتمعات كلها وهو حق أساسي ليس امتيازًا يقتصر على مجموعة من النخبة. فالتعليم هو المصعد الاجتماعي المتاح للجميع وهو البوابة التي تسمح باكتساب النفع والمصالح وتعلم المهارات والقيم ليقدر الشخص على تحقيق ذاته. وليس من الغريب أن نجد أن معظم الدول المتقدمة تعطي الأولوية الكبرى لميزانيات وزارات التربية والتعليم لديها، وذلك لأن العلم أفضل استثمار للدول من أجل تحقيق النجاح والازدهار. العلم يحسن سبل معيشة الأفراد والأجيال القادمة.

ويعرف الحق بالتعليم حسب منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة أنه يقوم على مجموعة من المبادئ الأساسيّة هي: عدم التمييز، والتضامن، وتكافؤ الفرص والمساواة في المعاملة، وحصول الجميع على التعليم، وهي مبادئ ينصّ عليها دستور اليونسكو، وتدعم الحقّ في التعليم وتؤمّن الأسس لتدابير المنظّمة القانونيّة.

فالحق في التعليم لا يعني أنه على جميع أفراد المجتمع تتبع نفس المنهج والمقرر، بل يعني ذلك أن إمكانية تعلم الناس مفتوحة ومتاحة ليتلقوا العلوم والمعلومات التي تتناسب مع قدراتهم العقلية، وتتماشى مع رغباتهم وشغفهم من دون أي تمييز. ووفقًا لتعريف المعجم لهذا الحق فإنه يعني في الوقت نفسه حرية إعطاء التعليم حرية التعليم وحرية تلقي التعليم حرية التعلّم.

فالتمييز في وجه التعليم يقوم على أنواع عديدة التمييز الجنسي بين ذكور وإناث، وتمييز حسب العمر ولذلك تسهر جميع المنظمات الدولية والحكومية على منع التمييز وجعل حق تعليم حقًّا مفتوحًا أمام جميع الفئات الاجتماعية. وذلك لأن التعليم له أهمية حقيقية فهو يتصف بالحق (المُضاعف)؛ لأن له تأثيرًا قويًّا ومباشرًا على الحقوق. ويمكن توصيف الحق في التعليم بأنه حق في التمكين لأنه يمكن الشخص من أن يعيش حياته كيفما يريد، ويتمنى ويسمح له بتدير أموره بكل استقلالية دون اللجوء لعون الآخرين، ولذلك يكون التعلم من أهم سبل الحياة الكريمة.

ولذلك فإننا نشهد في عصرنا الحديث العديد من الدول تقوم بحملات عديدة من أجل محو الأمية، خصوصًا عند الفئات الكبيرة من العمر التي لم تستدرك أهمية التعلم في وقتها، وهي الآن تتشكل من الملايين من البالغين الذين يعيشون حياة مهمشة مليئة بالعوز والفقر، وكل ذلك يكون نتيجة لحرمانهم من الحصول على فرص التعليم في الصغر.

وحق التعليم مبني على ثلاث مفاهيم أساسية: أولًا: تأمين التربية لجميع مراحل العمر منذ الطفولة الصغيرة ولغاية الكبر والعمل على توفير مدارس مؤهلة للاستيعاب جميع الأطفال في مرحلة التعليم الإلزامي دون أي تمييز، وتأمين تكافؤ الفرص للجميع والمساواة في المعاملة، وانتفاع الجميع بالتعليم، وهذا نجده ما بين الأهداف التي توجد في جدول التعليم **٢٠٣٠** للأمم المتحدة، مما يقودنا إلى المفهوم الثاني وهو الحق بالاحترام في البيئة التعليمية والذي يتضمن احترام كل فرد مهما كانت هويته الثقافية أو قدرته الاقتصادية، واحترام المعلم كمرشد وموجه، وثالثًا: تحسين جميع العناصر المختصة بالتربية وتوفير التعليم بمختلف مناهجه ومؤسساته الذي يتوافق مع المعايير الدولية للجودة والذي يستعمل أجدد التقنيات وأحدثها.

رابعًا: حكم الإنفاق على التعليم وطلابه، ومؤسساته، وأجهزته، ومخرجاته

«**كان أخوانِ على عهدِ النّبيِّ ﷺ فكان أحدُهُما يأتي النّبيّ ﷺ والآخرُ يحترِف، فشكى المحترفُ أخاهُ إلى النّبيِّ ﷺ فقال: لعلّك ترزقُ بهِ**»[١] في هذا الحديث إشارة واضحة إلى أن السعي في طلبة العلم من أسباب الرزق، فمن أموره المالية جيدة وكفل طلبة العلم بدون منة يؤجر عليه.

فلما يكفل الإنسان مسكينًا أو يتيمًا فخيرهم في أنفسهم، أما طالب العلم فخيره يمتد للمجتمع الكامل، سيما أن إعانة طالب العلم على مواصلة الطلب من أهم ما ينفق عليه قال رسول الله ﷺ «**من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه؛ لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا**»[٢] فكل من أعان شخصًا في طاعة من طاعات الله كان له مثل أجره من غير أن ينقص ذلك من أجره شيئًا. فعلى الأمة أن تعتني بطلبة العلم وتكفلهم وتعينهم لأن ذلك من أهم الفروض الكفائية. لقد ذكر ابن عابدين: «أنه تلزم على المسلمين كفاية طالب العلم إذا خرج للطلب، حتى لو امتنعوا عن كفايته يجبرون كما يجبرون في دين الزكاة إذا امتنعوا عن أدائها»[٣].

(١) صحيح الترمذي.

(٢) رواه مسلم.

(٣) ابن عابدين، تنقيح الفتاوى الحامدية.

فمن أفضل ما ينفق عليه المال مشاريع ومؤسسات تقدم منح دراسية تسمح للطلبة الراغبين، بمتابعة دراستهم رغم ظروفهم الشخصية التي قد لا تكون تسمح لهم بذلك، وتُشجعهم على مواصلة طلب العلم، وكانت العاصمات الإسلامية مهد الحضارة، من مكة المكرمة والمدينة والمنورة وبغداد ودمشق، وغيرها من المدن تستقطب أفواجًا كبيرة من طلاب العلم من جميع أنحاء العالم، يأتون للدراسة في مراكز الحضارة الإسلامية، وهو ما شد انتباه العلامة ابن خلدون عندما كان في القاهرة ووصف المدينة وقت صلاح الدين الأيوبي بقوله: (فاستكثروا من بناء المدارس والزوايا والرُّبط ووقفوا عليها الأوقاف المغلّة، وكثر طلاب العلم وارتحل إليها الناس من العراق والمغرب)[١].

وطلبة العلم هم الذين يبصرون الناس بأمرهم وطلبة العلم يستحقون الزكاة؛ لأنهم يمضون وقتهم في طلب العلم ولا يمتهنون مهنًا تعود عليهم بالرواتب والأموال. علمًا أيضًا أن جهاد الدعوة الإسلامية وإرشاد الأمة جهد كبير يكلف العالم أو طالب العلم الكثير من وقته، وهو يدرس دينه ويحلل أدلته ومراجعه، ويدرس مواد أخرى تعود على المجتمع بالنفع والمصلحة، وجهدًا ماديًّا أيضًا فالجامعات والمدارس وما يلزمها من كتب وأدوات ومراجع يتطلب الكثير من الأموال. ونذكر مثال العالم بدر الدين الزركشي[٢] فقيه وإمام شافعي الذي كفلته أسرة من المذهب الشافعي، وكفلت مصارفه كاملة على شرط أن ينصر المذهب الشافعي، فقام الزركشي بتأليف مؤلفات في المذهب الشرعي أصولًا وفروعًا، يكفي أنه ألف كتاب أشهر من نار على علم باسم «**البرهان في علوم القرآن**»، وقام بذلك لأنه وجد من يسانده ويساعده على تكاليف الحياة الشيء الذي سمح له بتكريس وقته للدين وعلومه. في وقت أصبح معظم الناس يركضون وراء المال وكسب قوت اليوم فكل إنسان يسعى طيلة حياته للحصول على المزيد من المال فكما قال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦] وتنسى الناس أن رزقنا على الله لقوله عز وجل: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢]، فرزق كل شخص مقدر ومكتوب من أمره عز وجل. ولكن من أهم أسباب زيادة الرزق الإنفاق على طالب العلم النافع، ولهذا اتفق العلماء على أهميته لما له من مصالح ومنافع عديدة على المسلمين، فكل طالب علم فقير وجد من يلبي نفقاته ويُغنيه عن عدم ترك العلم، يجب أن يتابع علمه ومعرفته. والله سيجازي من سانده وأعطاه وسيحسب إنفاقه عليه بابًا من أبواب الرزق لصاحبه، وسيزيده الله من عنده أموالًا ورزقًا جميلًا خصوصًا إن كان العلم الذي يتعلمه الطالب علمًا شرعيًّا الذي به تتغذّى الأرواح بأنوار العلم بالله وتسير على الصراط المستقيم وتأخذ شريعة

(١) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، (٢/ ٧٧٨-٧٧٩).

(٢) وُلد في القاهرة سنة ٧٤٥ هـ، وتُوفي سنة ٧٩٤هـ، رحل إلى حلب وأخذ عن الشيخ شهاب الدين الاذرعي وأخذ عن علماء حلب وسافر إلى دمشق وسمع الحديث من شيوخها.

الله منهجا، فالعِلم أفضل الأعمال والقربات وقد قال وكيع: سمعتُ سفيان الثّوري يقول: «لا أعلم من العبادة شيئًا أفضل من أن يعلّم النّاس العِلم كفالة طلبة العِلم»(١).

وقال العلماء: إن المقصود هنا هو الكفالة المادّيّة التي تأمن لطالب العلم كل حاجياته؛ من ملبس ومسكن وأكل وغيره من الحاجات التي قد يحتاجها الطالب والتي قد تساعده في طلب العلم ليتفرّغ ذهنيًّا ونفسيًّا وفكريًّا وبدنيًّا للدراسة والتعلم والتفقه في الدين ونشره ونصره وإرشاد الناس إليه. فطلب العلم أمر محمود وإن ساهم الشخص في كفالة طالب فسيرزقه الله من عنده ويجزيه على ذلك ألف خير؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩] حتى إن عددً من العلماء أدخلوا نفقة الطالب في الزكاة، وأجمعوا على أنه يستحق من أموال الزكاة. قال ابن عثيمين: «قال أهل العلم: ومن سبيل الله الرجل الذي يتفرغ لطلب العلم الشرعي، فيعطى من الزكاة ما يحتاج إليه من نفقة وكسوة وطعام وشراب ومسكن وكتب علم يحتاجها، لأن العلم الشرعي نوع من الجهاد في سبيل الله، بل قال الإمام أحمد: العلم لا يعدله شيء لمن صحت نيته. فالعلم أصل الشرع كله، فلا شرع إلا بعلم»(٢).

فطالب العلم، حاله من أحوال الناس كلها، له متطلّبات وحاجات عليه تلبيتها، وإن قام هو بنفسه بذلك سيقتطع ذلك من وقته ومجهوده للكسب وتحصيل الرزق لتأمين أحواله، وسينتقص ذلك من وقته ومجهوده للدراسة؛ فكم من طالب تخلى عن دراسته لإعانة أهله! حيث كل إنسان له قدر محدد من التعلم والتركيز في اليوم لا يمكن أن يشتغل جاهدًا طيلة اليوم في وظيفة ويرجع لبيته ويبدأ الدراسة طيلة الليل، فلا جسمه ولا عقله سيتحمل ذلك. ولذلك فليس علينا أن نأمر طالب العلم بالعمل ونغنيه عن حاجته له ونلبي له طلباته من مسكن ومأكل وملبس، فالله سبحانه وتعالى يرزقنا عندما نحفظ حقوق الفقراء والضعفاء فالنبي عليه الصلاة والسلام قال: «**ابغوني الضُّعفاء، فإنّما تُرزقون وتُنصرون بضعفائِكُم**»(٣) ففضلِ ضُعفاءِ المسلِمين كبير وهو سبب من أسباب نصر الله للمسلمين، ولذلك حثنا الرسول عليه الصلاة والسلام بجبر خواطرهم وحبهم. فطالب العلم من الفقراء الذين يستفقدون كل شيء، ويجب عليه الاشتغال ليلبي مستلزمات دراسته وتعليمه الذي أصبح في عصرنا يستلزم مبالغ باهظة ليست بالبسيطة، فإن الطالب يقبل بوظائف بسيطة فقط لتلبية أموره، مما يشكل معيقًا لمسيرته التعليمية، خصوصًا إن كان طبيعته لا تتناسب

(١) ابن عبد البر، جامع بيان العِلم وفضله، (ح١٢٠ ج١، ص١٢٤).

(٢) مجموع رسائل وفتاوى ابن عثيمين ١٨/ ٣٣٨

(٣) الراوي: أبو الدرداء، المحدث: الألباني، المصدر: السلسلة الصحيحة الصفحة أو الرقم: ٧٧٩، خلاصة حكم المحدث: إسناده صحيح.

مع ذلك حيث قد يكون تركيزه وقدراته الفكرية أعلى من باقي البشر، ولا يجب أن يضيعها في وظيفة يدوية أو روتينية فيكون ذلك تبديدًا لقدراته التي لا يناسبها هذا المجال.

فكيف لنا أن لا ننفق ونساعد طلابنا، وهم ورثة الأنبياء وحراس الشريعة يحملون ديننا بكل عز وافتخار، يوجهونها إلى طريق الخير، ويدلون على البر والمعروف. قال الإمام أحمد رحمه الله: «الحمد لله الذي جعل في كلِّ زمانِ فترةٍ من الرسل بقايا من أهل العلم، يدعون من ضلّ إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يُحيون بكتاب الله الموتى، ويبصِّرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيلٍ لإبليس قد أحيوه، وكم من ضالٍّ تائهٍ هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس وأقبح أثر الناس عليهم! ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عِقال الفتنة، فهُم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، متّفقون على مخالفة الكتاب، يقولون على الله، وفي الله، وفي كتاب الله بغير علم، يتكلّمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جُهّال الناس بما يشبِّهون عليهم، فنعوذ بالله من فتن المضلِّين..»[(١)].

ففضل العلماء في المجتمع كبير ومعظم الأوقات لا يعرفون الخير والامتنان إلا بعد وفاتهم وهم كانوا صابرين في حياتهم على المشقة والتعب وضيق العيش، ومنهم ابن الجوزي الذي قال وهو يخاطب ابنه: يقول: «واعلم يا بني أن أبي كان موسرًا، وخلّف ألوفًا من المال، فلما بلغت دفعوا لي عشرين دينارًا ودارين، وقالوا لي: هذه التركة كلها، فأخذت الدنانير واشتريت بها كتبًا من كتب العلم، وبعت الدارين وأنفقت ثمنهما في طلب العلم، ولم يبق لي شيء من المال، وما ذل أبوك في طلب العلم قط، ولا خرج يطوف في البلدان كغيره من الوعاظ، ولا رأى أكابر البلدان كغيره من الوعاظ، ولا رأى أكابر البلدان رقاعه عندهم يستطيعهم ولا بعث رقعة إلى أحد يطلب منه شيئًا قط، وأموره تجري على السداد» [(٢)] لقوله عز وجل: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا * وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

ومن أهم الشخصيات المسلمة التي اهتمت بالطلبة بعد الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم، نجد الخليفة هارون الرشيد الذي كان يغدق العطايا والصلات لطلبة العلم والعلماء؛ حتى قال ابن المبارك: «ما رأيت عالمًا، ولا قارئًا للقرآن، ولا سابقًا للخيرات، ولا حافظًا للحرمات في أيام بعد أيام الرسول ﷺ وأيام الخلفاء الراشدين والصحابة، أكثر منهم في زمن الرشيد وأيامه، لقد كان الغلام يجمع القرآن وهو ابن ثماني سنين، ولقد كان الغلام يستبحر في الفقه والعلم، ويروي الحديث، ويجمع الدواوين، ويناظر

(١) الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد، صفحة رقم: (٥٥).
(٢) لفتة الكبد في نصيحة الولد، صفحة رقم: (٢٧).

المعلمين وهو ابن إحدى عشر سنة، ولم يكن ذلك إلا بكثرة إنفاقه، واهتمامه بالعلم والعلماء وطلابه منذ الصغر»[١].

والحقيقة هي أن شرائع ديننا ألزمتنا بإكرام العلماء والاهتمام بهم وبالعلم ورعايتهم وكفالتهم، ليتفرغوا لطلب العلم ونشره ودعوة الناس إلى عبادة الله تعالى. فبأصحاب العقول المتميزة ينتشر الخير والمعروف حتى أننا نذكر قصة الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام الذي عندما قدم كتابه «غريب الحديث» للأمير عبد الله بن طاهر استحسنه، وقال: (إن عقلًا بعث صاحبه على عملٍ مثل هذا الكتاب لحقيقٌ ألا يحوّج إلى طلب المعاش)، فأجرى له عشرة آلاف درهم كل شهر[٢].

فواجب علينا كفالة هذه العقول المتميزة خصوصًا في عصرنا هذا عصر العولمة (Globalization)، والسباق المعرفي والعلمي الذي يعمل على استقطاب العقول المتميزة أينما كانت، فالحروب اليوم ليست بالسلاح بل بالفكر والتقدم والتطور، فإن لم نقم بتوفير أحسن الإمكانيات والنفقات لطلبة العلم والعلماء، فسنجد أنفسنا أمام موجات هجرة كبيرة، خاصة أننا بدأنا نشاهد ذلك باستقطاب الجامعات الغربية في الولايات المتحدة وبريطانيا للطلاب في الدول العربية، الذين يجدون هناك بيئة جيدة ورواتب عالية تغريهم وتدفعهم إلى البقاء هناك، فيصبح عطاؤهم ينتمي لمجتمعات أخرى تفوز بهم وبقدراتهم.

خامسًا: غياب التعليم الشرعي الصحيح وأثره في تفشي ظاهرة التطرف والتكفير

من أهم نتائج قلة العلم والجهل وهو أساس كل شر تفاقم مذاهب الغلو[٣]التطرف[٤]والتكفير. في عصرنا هذا الشباب والشابات في مختلف بلاد الإسلام وغيرها من البلدان الغير إسلامية يجدون أنفسهم عرضة لسياسات تجهيل مقصودة منتشرة عبر منصات التواصل الاجتماعي والتي تستفحل هجمات تنشر فكر الغلو والتطرف والطائفية لاستقطابهم في صفوفهم.

وهنا يأتي دور التعليم الذي يكون منارة لبث الوعي، وأداة فاعلة ومؤثرة لتحصين الشباب من الأفكار الهدامة، التعليم ينور العقول ويوجه الشباب المسلم في التوجيه الإسلامي الصحيح الذي يحث على قيم التسامح، التعايش والتعددية كما أنه يعزز مبدأ الوسطية وقيم الاعتدال. فديننا الحنيف معروف بالاعتدال والوسطية وحرم التشدد والتطرف عقيدةً وعملًا قال سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾

(١) الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة الدينوري ٢/ ١٥٧.

(٢) إنباه الرواة (٣/ ١٦)

(٣) مجاوزة ما شرعه الله ورسوله تفريطًا وإفراطًا.

(٤) تعريف التطرف لغة: ترك الوسط ولزوم الطرف، وأخذ معنى الخروج عن الوسطية والاعتدال في أمر من الأمور.

[البقرة: ١٤٣] فوصف الله في هذه الآية حال الأمة المحمدية على كونها تحمل شعار التوسط، والاعتدال والإنصاف وقال سبحانه وتعالى في آية أخرى: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاﵾ [القصص: ٧٧]، فمرضاة الله أساسية ووجب على الإنسان أن يحسب حساب الآخرة، ولكن من دون أن ينسى حياته في الدنيا.

فالتعليم هو الذي يساعد النشء والأطفال والشباب المسلم أن يتعلموا دينهم ويفهموا قيمه وهو الأداة الأساسية في بناء أجيال تحظى بفكر منفتح وعقول منورة، لها الوعي الكافي لتصد محاولات وإغراءات الجماعات التطرفية التي تحاول استقطابها بأفكار هدامة، تشجع على التضليل والخروج على الولاء والتطرف العنيف والإرهاب.

أهمية التعليم الشرعي تكمن في أنه يقرب الشباب من الإسلام ويزودهم بجرعة الإيمان السلمي والروحاني الذي يقوم على التقوى والعبادات والعمل الصالح. ويعلم شبابنا كيف يتعاملون مع المشاكل التي تطرحها المستجدات العصرية من عولمة وهجرة وتجنس إلخ... فالحل هنا هو التعلّم الشرعي الصحيح على يد علماء مرشدين لديهم حكمة واعتدال يوجهون الشباب في الطريق الصحيح الذي ينتفعوا منه أنفسهم وأهاليهم، ومجتمعاتهم، وبلدهم، وأمتهم.

فالتربية تبدأ في الأسرة نعم، ولكنها تكتمل في المدرسة التي تعد المؤسسة الرسمية التي تقوم بعملية التربية لأطفالنا وتنقل لهم الثقافة والعلم وتوفر لهم الظروف المناسبة للنمو جسميًّا وعقليًّا واجتماعيًّا، ولذلك وجب علينا تطوير مناهج تعليمية تساعد على نشر الوعي في المجتمع وتساهم في سدِّ أي ثغرات تحاول أن تنفذ منها جماعات التطرف والإرهاب إلى عقول الشباب. فهناك بعض المناهج لا تلجأ لمناقشة ظاهرات معاصرة ولا تواكب الزمن الذي نعيش فيه وبذلك لا ترافق الشاب في تكوين فكرة صحيحة على ما يدور حوله وبلا شك فهي تساهم في تعزيز التطرف لأن الطفل أو الشاب إذا لم يجدا الجواب في المدرسة فسيضطرا إلى البحث عنه على صفحات التواصل الاجتماعي، التي لا تجد فيها حظرًا أو مراقبة.

الحل الوحيد هنا هو العمل على مناهج تعليمية تتوافق مع رؤية الدولة ومبادئها وتقوم على تعزيز الاعتدال والوسطية وتنمي في طفل أو الشاب أحاسيس الانتماء إلى الوطن والولاء لقيادته، وهنا نقر أهمية مادة التربية الإسلامية في تعليم القيم الإسلامية ومكافحة الجهل والتطرف الديني. الجهل هنا يعني الجهل بالنصوص الشرعية من قرآن كريم وسنة نبوية شريفة، والجهل بمقاصد الشريعة والعقيدة وتلفيق معانيها بالظن من دون أي تثبت أو دلالة والفهم الخطأ بسبب النظر الأول أو سوء نية أو نقص في الإخلاص.

ويجب توعية الشباب على آثار الانحراف الفكري من تشدد وتعصب وتطرف عنيف يمس الدين ولا يتماشى مع مبادئه التي تقوم على الاعتدال والوسطية لقوله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]، ومن أبرز هذه المخاطر الإضرار بالأمة والإضرار بعقيدتها والتسبب في تشويه قيم الإسلام المحمودة، المتمثلة في الإنصاف والرحمة والعدل والتعايش والتسامح والشورى وغيرها من القيم النبيلة. فالجهل طريق إذلال يساهم في التشكيك بثوابت الوطن والأمة ويهز قناعات أفرادها، ويؤدي إلى التشرذم ويضعف الوحدة ويشجع على الفرقة والانقسام ويبث روح الكراهية بين أفراد المجتمع ليستقطب الشباب في خطابات قد تبدو فقهية، ولكنها سياسية وأيدولوجية تشجع على الخروج عن طاعة ولاة الأمر، وتندد بالتحزب.

وهنا يأتي دور الثقافة والتنوير اللذان يشجعان على الحوار المتبادل بين مختلف فئات المجتمع، وترسيخ مفهوم الولاء والبراء في النفوس وترسيخ مفاهيم حب الوطن فحب الوطن من الإيمان والتمسك بكتاب الله عز وجل، وسنة نبيه ﷺ، اللذين نجد فيهم العصمة من كل انحراف والحصانة لكل المجتمع وأفراده.

فالعلم الشرعي يؤكد لنا أن ديننا الإسلام هو دين سماحة ووسطية وعن النبي ﷺ قال: «**أحبُّ الدِّينِ إلى الله الحنِيفِيّةُ السّمحةُ**»(١) وفي حديث آخر قال عليه السلام «**أفضلُ الإيمانِ: الصبرُ والسماحةُ**»(٢). وتعود المسؤولية الأولى بعد الوالدين، عن تعزيز هذه المفاهيم الجميلة والشيم الحسنة للمؤسسات التعليم بالدرجة الأولى حيث فيها تتكون عقول الصغار منذ التعليم الابتدائي إلى التعليم العالي والمدارس والجامعات تعد من أول المسؤولين عن ترسيخ الانتماء الوطني والانتماء إلى الهوية الوطنية وتأصيل مفاهيم الحضارة والوسطية والاعتدال، بعيدًا عن كل تطرف وغلو.

فالتطرف والتشدد يظهر عندما يكون هناك فراغ في عقل الطالب، يشبع بثقافة الإحباط والتيئيس المتداولة على مواقع التواصل الاجتماعي إذا حيث نشهد عدة شبكات ظهرت خلال هذه الطفرة تبرز تيارات جهادية إرهابية وإجرامية تنادي بالعنف والقتل دون مبرر، مجردة من كل إنسانية وعقلانية تعمل على التكفير والتفجير والخروج على السلطة بشتى أنواعها وعدم الاعتراف بالمبادئ والقيم التي يقوم عليها الشرع، وتدفع الشباب إلى ارتكاب أبشع الحوادث الإرهابية، خصوصًا أن الشباب يكون معظمه في مرحلة المراهقة التي أصبحت معروفة علميًّا الآن بمرحلة يريد أن يختلف فيها الشباب ويذهب ضد التيار

(١) البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، بابٌ الدِّينُ يُسرٌ، رقم: (١/ ٢٣).
(٢) أخرجه الطبراني، (مكارم الأخلاق)، قم: (٣١)

الاجتماعي ليبهر ذاته ويبين شخصيته أمام والديه والمجتمع بأكمله فالإرهاب كما ذكر الدكتور عباس الجراري [١]: «هو سلاح للذي يعجز عن إثبات ذاته وتحقيق أهدافه بهدوء واتزان وعقل، فيلجأ للتوسل بالأساليب التي تستجيب لها شهوته ويمليها عليه هواه، بعيدًا عن السلوك المنضبط الذي تقتضيه العلاقات الإنسانية القائمة على التفاهم والتسامح والتساكن وتبادل الرأي والمصالح والمنافع».

ولذلك وجب علينا حماية الشبيبة من تلك الأفكار المنحرفة الهدامة وغرس المسؤولية الشخصية والاجتماعي في دهونهم. بواسطة انتهاج مقرر علمي أكاديمي يعتمد على التوعية الفكرية والتصدي لظاهرة الإرهاب والتشدد وفي في الآن نفسه التشجيع على مفاهيم التسامح والتعايش ولغة الحوار والمناصحة، وهذا لا يتم إلا من خلال استراتيجيات واضحة الأهداف والمعالم. ولن نفلح في إفشال الغزو الفكري الذي يهدد عقول الشباب العربي المسلم إلا بتعميق القيم الجميلة وتعزيز الإيمان والفكر النقدي وذلك عن طريق بناء المناعة الذاتية الشخصية لدى الطلبة، والتحاور معهم في مواضيع تهمهم وتخصهم والتحاور معهم في جو منفتح ودبلوماسي يحسون فيه بالطمأنينة والراحة.

فمن أهم القيم التي يجب على الشباب المسلم أن يعي بها هو التناقض الواضح والكبير بين الإسلام والإرهاب حيث الإسلام يقوم على دعوة الناس إلى الإيمان والإحسان والإنصاف والعدل والتآخي في كل محبة وسلام وينهى نهيًا تامًّا عن الإرهاب والتطرف والتشدد الذي يدعو إلى الانحراف الفكري، والسلوكي، الإسلام ليس دين الحرب والعنف ويحرم القتل لقوله تعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]، الدين الإسلامي دين صالح لكل زمان ومكان. وقامت المؤسسات الشرعية الإسلامية بتوضيح الإسلام في نوره الحقيقية بعيدًا عن تهم الإرهاب التي تتلفق له وكان لها دور أساس وحاسم في هذا المجال وتسارع عدد من العلماء والمجالس والهيئات والمنظمات والمؤسسات الإسلامية بإصدار فتاوي وخطابات وبيانات على جميع المستويات في كل الدول العربية والإسلامية أدانوا فيها الإرهاب والانحراف الفكري الإسلامي إدانة واضحة وأكدوا تحريم الشرع كل الأعمال التي تقوم أو تدعي إلى العنف والإرهاب بكل أشكالها ودوافعها ومنطلقاتها.

وفي هذا السياق نفسه صدر عن هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية، التي يرأسها مفتي المملكة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ فتاوى وقرارات عديدة تصب في هذا الاتجاه فعلى سبيل المثال أصدرت الهيئة في ٢٠١٤ فتوى جاء فيها : «تحريم الخروج إلى مناطق الصراع والفتنة، وأن ذلك

(١) مستشار جلالة الملك محمد السادس ملك المغرب ومألف كتاب «لا تطرف ولا إرهاب في الإسلام» صفحة رقم: (٢٣).

خروج عن موجب البيعة لولي الأمر»، كما حذرت الهيئة «صاحبه من مغبة فعله ووقوعه فيما لا تحمد عقباه» [١]، وقامت الهيئة العامة للشؤون الإسلامية والأوقاف في الإمارات بـ«دعم جهود إصلاح الخطاب الديني، والعودة إلى الصورة السمحة للدين الإسلامي الحنيف، على أساس من شأنه التصدي لنزعات التطرف والتشدد التي يحاول البعض فرضها على الخطاب الديني»[٢].

وصدر في ٢٠١٨ فتوى عن علماء الدين في باكستان بتحريم التفجيرات الانتحارية وقالوا: «لا يملك أي فرد أو جماعة سلطة إعلان الجهاد» مضيفين «أن التفجيرات الانتحارية تتنافى مع التعاليم الإسلامية الأساسية، ولذلك فهي محرمة»[٣]. وهناك بيانات عديدة أخرى صادرة عن مجالس الفقهية والمؤتمرات العربية والإسلامية والدولية ورابطة العالم الإسلامي، ومنظمة التعاون الإسلامي، وجامعة الدول العربية، ومجلس التعاون لدول الخليج العربية، ومجلس وزراء الداخلية العرب وجامعة الأزهر الشريف تحرم كلها الإرهاب وأعماله، من تدمير وخراب وتعزز الصورة الصحيحة للإسلام، بعيدًا عن الغلو والتطرف من خلال التركيز على المرتكزات الشرعية.

التعليم يعمل على إظهار وسطية الإسلام واعتداله وتسامحه وهو يشكل أهم الوسائل للقضاء على تلك الأفكار المنحرفة عن طريق تحصين الشباب ضدها، والتصدي لكل الأفكار والهجمات التي تتربص في عقول شبابنا وتحرف ثوابت الدين الإسلامي، أو تهدِّد الانتماء الوطني وتدفع إلى انفكاك الوحدة الوطنية، يجب أن نوعي الشباب المسلم على أن يبحث جيدًا في المصادر التي يتبعها في مسائل العقائد والنوازل ويفهم أن العديد من يقومون بالإفتاء على منصات التواصل الاجتماعي هم ليسوا بعلماء متفقهين.

وهنا يتبين أهمية المؤسسات التعليمية التي تعلم الطالب على انتقاء المعلومات بالشكل الصحيح من المصدر الرسمي الصحي، بعيدًا عن كل الشائعات التي نراها اليوم عبر الإنترنت والفتاوى الدينية التي يتم نشرها لغير العلماء والمتخصصين بالفقه الإسلامي، والتي في معظمها تقوم على التخويف والتحريم بغير وجه حق. وجب علينا أن نزود الشباب المسلم بالأدوات ليتمكن من أن يقاضى هذه المصادر مثل إخطاره لسلبيات مواقع التواصل الاجتماعي والإنترنت، حيث هو مجال مفتوح غير مراقب وغير مدقق ونشجعه

(١) «هيئة كبار العلماء» السعودية تحرم الالتحاق «بالقاعدة» وتنظيم «الدولة الإسلامية»، موقع فرانس ٢٤، نشر في ١٧ سبتمبر ٢٠١٤.

(٢) «مؤتمر جينيف للوقاية من التطرف العنيف» سعادة السفير عبيد سالم الزعابي المندوب الدائم لدولة الإمارات العربية المتحدة لدى جنيف.
٨ أبريل ٢٠١٦ في جنيف.

(٣) علماء الدين في باكستان يصدرون فتوى بتحريم التفجيرات الانتحارية، موقع رويترز، ١٦ يناير ٢٠١٨.

إلى أن يهتم بأخلاقه وشيم دينه، وأن يتبنى سيرة الرسول ﷺ كقدوة في الأخلاق والحوار والتسامح، وأن يفهم السيرة النبوية وآيات الكتاب على ضوء العلم الصحيح، من الخطباء ورجال الدعوة والوعظ والإرشاد المتمكنين من الدين والمتعمقين في أموره، بعيدًا عن الآراء الخاطئة التي تفسر مصطلحات دينية بخلفيات جاهلة ومتناقضة.

خصوصًا وأن الجماعات الإرهابية تسعى إلى استقطاب أكبر عدد من الشباب وتدفعهم إلى الانجراف وراءها وتبني أفكارها المنحرفة من خلال عمليات غسيل المخ، وخاصة في الفئات المهمشة التي لم تكن حاصلة على تعليم صحيح، ويستغلون ميول الشباب الديني لتزويدهم بمعلومات خاطئة وتعطيهم إجابات سهلة وساذجة مليئة بأفكار المؤامرات والشعارات الفارغة التي تشجع على العنف والوحشية. كما أنها تقوم بإغراء الشباب من الطبقات الفقيرة بمساعدات مالية تبين لهم أنها تهتم لحالهم وتساعدهم وترعاهم تحت أجنحتها فإن كان مثلًا شاب لم يتمكن من الزواج لعدم إمكانية تحمل تكاليفه تساعده في مهره وفرحه وتساهم في دفع تكاليف زواجه الشيء الذي يحيي في هذا الشاب الإحساس بالانتماء، ويريد حينها رد الجميل بأي طريقة للجماعة والمسؤولين عليها. وتشجع التنظيمات حس العنف والتكبر الذي يكون في بعض الشباب وتقوم ليقوموا بأعمال الشغب والتدمير ولإخضاع وإذلال ضحايا الجماعة المستضعفين.

ومن ثم، فهؤلاء الشباب يحسون بالانتماء، والولاء للجماعة التي تحسن من ظروفهم وتوفر لهم الشعور بالقبول الذي لم يكونوا يحظوا به وتعزز فيهم روح الجماعة، وتزرع بداخلهم شعور الثقة بالذات والتميز والإحساس أنهم على الصح والمجتمع ضال ومخطئ، ولذلك يعتقدون أن الله معهم وأنه سينصرهم، ولكن وكما قال ابن قيم الجوزية: «من ظن أن الباطل سينتصر على الحق، فقد أساء الظن بالله»[1].

(١) ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد.

الخاتمة

إن الناظر العاقل في مجريات هذا العالم وشاسعة تحولاته واستطالة إمكاناته، يوقن بما لا يدع مجالًا للشك بأن العلم والتعلم يتخذ إحدى أولى الركائز الدافعة نحو المساحات الخصبة في هذا العالم، من تطور وتقدم، وصناعة للقوى، سيما أن أقحل الأراضي، وأكثرها جدبًا تلك التي تتضور «جوعًا علميًّا»، حتى ولو دفن تحت قدميها الذهب!

وفي تعظيم قول الحق: «اقرأ»، وأول ما أنزل على سيد الخلق، فقد حثت الشريعة الإسلامية، على النهل من ينابيع العلم، والسعي بلا انقطاع في ميدان طلب العلم، دون اقتصاره على جنس ما، أو عرق ما، وللواقع اليوم، العديد من الدلالات، والتأثيرات التي لا تعيد النظر للعلم والتعلم، كضرورة وحسب، بل تجعل منه أيقونة قياس مستوى التقدم في الدول، وعلى مستوى العالم، وهو الأمر الذي تقره كافة التشريعات الناظمة، وتؤكد فحواه يومًا بعد يوم، وقرارًا تلو قرار.

إن الجدل القائم حول إلزامية التعليم لكلا الجنسين، يمكن إجابته باختصار قائم على تشريع المولى سبحانه وتعالى للأحكام التي تجتمع في ظلال مقاصدها على حفظ الضرورات الخمس، من صون للنفس، والمال، والدين، والعقل، والنسل، والتي لا يمكن تحقيق صونها كجوهر، دون إمداد تعليمي، ورحابة ثقافة ووعي بالمكانة الإنسانية، واحترامها، وهو الأمر نفسه الذي أسس له رب البرية، ببعث الرسالة المحمدية، التي جاءت في سبيل إتمام مكارم الأخلاق، فالأمة الحسنة والسليمة تقوم على الأخلاق باعتبارها العماد الحقيقي.

وإذا تعمقنا في **حكم إلزامية التعليم بشقيه الشرعي** وغير الشرعي على كلا الجنسين، نجد أن الإسلام يحث، ويقر على المساواة بينهما في مختلف المستويات، بل إنه أولى المرأة مساحةً بارزة في ذلك، سيما أن الحكمة الربانية البالغة، تشير لضرورة تعليم المرأة، فعلى صعيد علمها الشرعي، فهو نافذة مشرقة تفتح مداركها على أمور دينها، ويحصنها من الانجرافات التي قد تميل إليها والتي قد تسبب البعد عن الدين، والقيم. وأما على صعيد العلوم غير الشرعية، فقد أثبتت المرأة تأثير وجودها النابض بالحياة، والمنعكس على الازدهار والتطور الحضاري، والاقتصادي، والرقي الاجتماعي، وغيره الكثير.

وكما أنه من الضروري تحقيق التكامل في إثراء وعناية الدائرة التعليمية والتربوية، فإن رعاية المرأة

كأساس وبذرة فيها يعزز من إمكانية نجاحها، سيما أن أعرق المؤسسات والجهات العلمية، يرتكز عليها، باعتبارها شرط توجيهي لكافة القوى العقلية، والإدراكية، والتأسيسية الأخلاقية، وكفيل يوفر الإمكانات والظروف لترعرع بذور المستقبل في أساس مدعم وقوي، يصعب اختراقه لاحقًا في المستقبل من كافة بواعث الانحراف الفكري، والحشو الإرهابي، والمنطلقات المتطرفة.

وهو ذات الأمر الذي ينبه المؤسسات التعليمية، على استكمال عملية «الإكساب الفعال» المبنية في المنازل، وتطويرها على مهارات التفكير الإبداعي، وتنشيط الحس النقدي الذي يتخطى جمود «التلقين»، الذي أشبعت به شرائح مجتمعية واسعة نتاجًا لخلل في المناهج المقدمة، والذي لابد من استدراكه بإدماج المقررات التي تحاكي الواقع، وتدرس ردود الفعل الحقيقة للنشء. بالإضافة لإعداد مناهج «دسمة» المضمون، «سهلة» الاستيعاب والتلقي، حتى لا تترك فضاءات التفكير لدى الأطفال والشباب ضحية «القنص» الالكتروني.

وبعد ما عملت على تبيانه هذه الورقة البحثية، من استجماع معظم الأطر التشريعية والقانونية الناظمة والتي تشير لإلزامية التعليم بشقيه الديني والدنيوي على كلا الجنسين، فقد وصلنا لمحطة ثابتة تعي حجم العلاقات التي يحظى بها التعليم، والتداخلات المتجذرة من خلاله، سيما أنه الجسد الأصيل الذي لا يمكن فصله عن التربية، ومجالاتها، التي تنعكس على كل المجتمع وأساساته الأخلاقية، والسلوكية، ونظمه الدافعة باتخاذ القرارات، كما يعتبر التعليم علامة فارقة تتميز من خلالها المجتمعات، وإشارة خضراء لضم العديد من التجاذبات الثقافية والمعرفية، التي تكفل انتاج مجتمعات تنويرية بمعنى التنوير السليم، لا التنوير الحق الذي أريد به باطل في العديد من المواضع.

لا ريب أن سهم البوصلة الحضارية، والنهضوية، مهما تأرجح بين الفينة والأخرى، إلا أنه يعود ليقف متواضعًا أمام شموخ التعليم، وعليه فإن هذا الجهد المتواضع يوصي بنقاط مقتضبة، كالتالي:

ـ التأكيد على أهمية التعليم الشرعي المبني على أسس معرفية أصيلة تتجلى في المجتمعات بنتاجات سوية قويمة.

ـ الاهتمام بتعليم المرأة وتكوينها، وتقليدها ما تستحق من مناصب في نقاط القوة.

ـ إعداد مناهج تحاكي الواقع، وتسد فجوة الفراغ الثقافي والعلمي لدى كافة الشرائح المجتمعية، وتعمل على تفكيك تحدياته (الفكرية، الرقمية، التنشيئية...).

الله ولي التوفيق

بحث فضيلة الدكتور محمد شيرازي دمياطي إلياس

كلية الدراسات الإسلامية والعربية

جامعة شريف هداية الله الإسلامية الحكومية

جاكرتا

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على محمد خير الأنام وعلى آله وصحبه الكرام.

وبعد،

فإن قضية التعليم من القضايا المهمة في مجتمع من المجتمعات، وبه يبلغ الشعب مجده، وبه يسعد الفرد في حياته، وبه تقاس حضارة الشعب، وبه يقاس مدى تقدمه وازدهار حضارته. فمن تمسك واهتم به، فقد حظي بحظ وافر من التقدم والازدهار.

ومن أهم هذه القضايا قضية إلزامية التعليم وتعميمه. ونجد الكثيرين عندما يتناولونها يتخذون التربية الغربية والفكر الأوربي نقطة البدء لهم، على اعتبار أن هذا الفكر هو نبع هذه القضية، ويزعمون أن مبدأ الإلزام في السياسة التعليمية إجراء حديث[1]، وحداثة حركة التنوير الأوربي بعد خروجهم من العصور المظلمة وبعد فصلهم الدين والسياسة. ولكن الحقيقة إذا تأملنا وأمعنا النظر، نجد أن الإسلام وتعاليمه السمحة قد تناول كثيرًا في هذه القضية، نظرية وتطبيقية، سواء في نصوص الوحي في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، أو في آراء المفكرين المسلمين وتطبيقاتها التربوية على طول وعرض التاريخ الإسلامي منذ فجر الإسلام حتى يومنا هذا.

ومن منطلق هذه القضية تتولد قضايا أخرى لا تقل أهمية من تلك القضية، وهي وجوب التعليم على الجنسين، ووجوب الإنفاق عليه، وموقع التعليم في سلم الضروريات والحاجيات والتحسينيات، وموقعه في الحقوق والواجبات، وموقف الإسلام في دعم التعليم الإبداعي والابتكاري والبحث العلمي. ويحاول هذا البحث أن يبين هذه القضايا في ضوء المنهج الاستقرائي والاستنباطي، حيث سيقوم الباحث باستقراء المعلومات والبيانات حول تلك القضايا في مظانها العلمي، في التراث أو في المراجع الحديثة أو في البحوث العلمية المتاحة له، ثم جمع تلك البيانات وطرحها ونقدها، ثم يستنبط منها أحكامًا وصولًا إلى نتائج ومقترحات بحثية.

---

(١) عبد البديع عبد العزيز الخولي: محاضرات في التربية الإسلامية. كلية التربية جامعة الأزهر، ١٩٨٤، ص١٤٨.

وفيما يلي تفصيل ذلك مستعينا بالله وتوفيقه:

أولا : التعريف بالتعليم وعلاقته بالتربية والتزكية والتثقيف والتنوير

١ـ التعليم:

ففي اللسان، «علّمه العلمَ وأعلَمَه إياه فتعلَّمه. وعلَّمتُه الشيءَ فتعلَّم، وليس التشديد للتكثير»[١]، فالتعليم في معناه اللغوي هو توصيل العلم والمعرفة للآخرين. و«يشتمل على الجانب التعليمي كل أنواع المعرفة، وكافة مجالات العلم التي تتصل بكل ما ينفع الناس في دينهم ودنياهم، وفي معاشهم ومعادهم وفي أجسادهم وأرواحهم»[٢]. من أجل سعادتهم في دنياهم وأخراهم.

وفي لسان التربويين التعليم هو «ذلك الجهد الذي يخططه المعلم وينفذه في شكل تفاعل مباشر بينه وبين التلاميذ. هنا تكون العلاقة بين المعلم كطرف والمتعلمين كطرف آخر من أجل تعليم مضمون معين»[٣]. فالتركيز في التعليم في عرف التربويين على الممارسة والجهد والتخطيط الجيد والتفاعل النشط بين المعلم والتلاميذ في توصيل العلم والمعرفة. ومن ثم فإن مفهوم التعليم في كلا المعنيين اللغوي والاصطلاحي تدور حول توصيل العلم والمعرفة من شخص إلى آخر.

ولكن إذا تأملنا الآيات القرآنية في تناولها لمادة التعليم وجدنا أنها تدل على معان أكبر وأوسع من ذلك. «فكلمة التعليم من أكثر الكلمات شيوعًا في الخطاب الإلهي بجميع دلالاتها، وقد وردت بصيغ فعلية متعددة في آيات كثيرة، منها ما يفيد أن «فعل التعليم» من أظهر الأفعال الإلهية، كما في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١] وقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۞ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۞ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۞ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١-٤] ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥] ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ [الأنبياء: ٨٠] ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النساء: ١١٣].

ومنها ما يدل على أن التعليم من أهم مهام الرسالة، لقوله سبحانه: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [البقرة: ١٢٩]، وقوله: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١].

---

(١) ابن منظور. لسان العرب. ج٣، القاهرة، دار المعارف، د.ت.، ص٣٠٨٣.

(٢) الغامدي، عبد الرحمن بن عبد الخالق بن حجر. مدخل إلى التربية الإسلامية. الرياض: دار الخريجي للنشر والتوزيع، ١٤١٨هـ، ص٦.

(٣) أحمد حسين اللقاني وعلي جمل. معجم المصطلحات التربوية المعرفة. القاهرة، عالم الكتب، ١٩٩٦م، ص٧١.

ومنها ما يعني أن التعليم من أبرز الوظائف الإنسانية، لقوله عز وجل: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦] وقوله: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

وهذه الوظيفة لا تقتصر على عالم الإنس، بل تمتد إلى عالم الحيوان أيضًا، كما هو المستفاد من قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٤]. ولهذا، في البدء كان التعليم ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١] وفي الختم كان التعليم، ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۞ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۞ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۞ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١-٥].

ومقصد التعليم هو ما عبر عنه الشاطبي بـ«قصد الشارع في وضع الشريعة للإفهام»[١]. والإفهام هو عين التعليم بكل ما في الكلمة من معنى؛ وهو ما يقطع بأن مقصد التعليم من أجل ما بعث به رسول الله عليه الصلاة والسلام، كما هو المستفاد من قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

فتلاوة الآيات على المخاطبين بها، وتزكيتهم وتعليمهم الكتاب والحكمة، كل ذلك من صميم العملية التعليمية بكل ما تحمله من دلالات وأبعاد تربوية عميقة، ولذلك ليس عبثًا أن يحصر رسول الله ﷺ مهمته الرسالية في القيام بمهمة التعليم أساسا؛ كما قال: «إنما بعثت معلمًا»، لعلمه ﷺ بأن التعليم هو منطلق التربية ورافعتها الأساس، وهو أداة التنوير المعرفي وعمدته في تقعيد المقاصد التربوية القرآنية بالقصد الأول. ولهذا، فلا تربية بدون تعليم، وذلك لسبب بسيط وهو أن التعليم مناط كل ما سواه.

والتعليم بهذا المعنى ليس مجرد نقل لمعلومات ومعارف من المعلم إلى المتعلم بطريقة أو بأخرى، بل هو عملية تفاعل تربوي إيجابي بين المعلم وفئات المستهدفين من أجل مساعدتهم على تحصيل ما أمكنهم من المعارف والعلوم، واكتساب ما تيسر لهم من مهارات وخبرات تمكنهم من الاستقلال بذواتهم، والاعتماد على أنفسهم في تطوير قدراتهم، وتنمية كفاءاتهم بما يخدم مصالحهم ومصالح مجتمعهم[٢]. كما أن التعليم يشمل التوفيق الإلهي، أو ما يعرف بالعلم اللدني والعلمي الشرعي مما يخدم الشريعة، والعلم الكوني مما يخدم البشرية في حياتهم الدنيوية.

٢ـ التربية:

(١) إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة (بيروت: دار الكتاب العلمية، ١٤٢٥هـ)، ج.٢، ص. ١٠١.

(٢) إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة (بيروت: دار الكتاب العلمية، ١٤٢٥هـ)، ج.٢، ص. ١٠١.

«وردت تعريفات وتصورات ومرئيات ومفاهيم كثيرة للتربية على لسان كثير من التربويين والمفكرين وعلماء النفس وعلماء الاقتصاد، والاجتماع، والسياسة، وغيرهم. واختلفوا في تعريفها اختلافهم من الغرض منها»[١]. وما يهمنا في هذا الصدد مفهوم التربية من منظور إسلامي، لأنه سوف يساعد على فهم حقيقة التربية الدينية الإسلامية عند التعريف لها. «وإذا مضينا إلى تفسير كلمة (تربية) عند علماء المسلمين، سنجدهم يفسرونها لغويا ولها عندهم عدة معان»[٢]. كالآتي:

أ ـ ربا يَربُو بمعنى زاد ونما، وفيه قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٩].

ب ـ رَبِي على وزن خَفِي بمعني نشأ وترعرع.

ج ـ ربّ (ربب)، يقال: ربَّ فلانٌ الأديم أصلَحَه بالشبِّ ونحوه حتى يصلح شيئًا فشيئًا. وربَّ الضيقةَ يَربِيها إذا أمَّها وأصلحها.

د ـ ويقال ربّى فلان فلانًا؛ إذا تعاهده بالرعاية والحماية وحسن التوجيه إلى طريق الخير والفلاح. ومنه قيل للحاضنة رابّة وربيبة، لأنها تقوم بتدبير أمر من تربيه ومن ترعى شئونه.

وعلى هذا تدور كلمة التربية في معانيها اللغوية حول «الرعاية والزيادة والإصلاح والنشأة والنماء والكمال»[٣]. ومن ثم تكون التربية عند علماء الإسلام «العمل على رعاية نمو الناشئة وتوجيه استعداده ومواهبه ووظائفه النفسية حتى تصل إلى الكمال»[٤]. فالتربية تشمل جميع نواحي نمو الإنسان جسميا وعقليًّا وانفعاليًّا، وليست قاصرة على الجانب العلمي والمعرفي فحسب في مرحلة الطفولة.

ومن جانب آخر، لم ترد كلمة التربية بلفظها في القرآن الكريم، كما لم ترد في أحاديث رسول الله ﷺ، إنما ورد في القرآن الكريم وفي أحاديث الرسول ﷺ ألفاظ (ربّى)، و(نُربِّي)، و(يزكي) الذي يدل على معنى (يربي)، كما ورد في حديث رسول الله ﷺ (ربُّوا) بصيغة الأمر كما ورد لفظ (يُربِّي). قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤]. وقال تعالى: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٨]. تبين من هاتين الآيتين أن المقصود بالتربية هو عملية الإعداد والرعاية في مرحلة النشأة الأولى للإنسان. ويشير استخدام الكلمة في سياق الآية الأولى إلى أن التربية في هذه المرحلة مسئولية الأسرة، حيث كل من الأب والأم يقومان برعاية الطفل والعطف عليه، هو صغير محتاج، ويتبعان

(١) إبراهيم عصمت مطاوع: أصول التربية، ط٣، (القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٣)، في ٣٤.

(٢) محمد عبد القادر احمد: الجديد في التربية الإسلامية، (القاهرة، النهضة المصرية، ١٩٨٩)، ص٨.

(٣) عباس محجوب: ص١٥.

(٤) محمد عبد القادر أحمد: الجديد في التربية الإسلامية، (القاهرة، النهضة المصرية، ١٩٨٩).

في سبيل غذائه وكسوته وراحته، ويعلمانه أساسيات السلوك، ويقومان بإرساء الأساس في بناء شخصيته، فاستحقا منه أن يحسن معاملتهما عندما يكبران، وأن يدعو لهما بالرحمة جزاء ما قدما.

وأما الآية الثانية فيمتن فرعون على سيدنا موسى عليه السلام بأنه رباه وهو صغير، ولم يقتله ضمن ما قتل من الأطفال آنذاك، ويذكره بأنه لبث عنده في داره عدد سنين، وذلك عندما أمر الله سبحانه وتعالى موسى عليه السلام بالذهاب إلى فرعون ليبلغه رسالة ربه، وهكذا يرتبط مصطلح التربية في الآيتين بالإعداد والرعاية في مرحلة الطفولة.

وأما في حديث رسول الله ﷺ الذي يقول: «غدوهم سبعًا وربُّوهم سبعًا وآخوهم سبعًا»، ما يدل على المعنى الذي سبقت الإشارة إليه، فلفظ (ربُّوا) هنا يتعلق أيضًا بمرحلة الطفولة المتأخرة التي تبدأ من السابعة. كما جاء في الحديث أيضًا: (كما يُربِّي أحدكم فلوه). فالتربية هنا للجسم فقط كما هو ظاهر[١].

وخلاصة ما سبق أن مدلول كلمة (تربية) وردت في القرآن الكريم وفي الحديث النبوي الشريف يتضمن العناية والرعاية بالطفل في مراحل عمره الأولى، سواء كانت هذه العناية موجهة إلى الجانب الجسمي أو الجانب الخلقي أو الروحي. و«أن التعليم في التراث الإسلامي أعم من التربية، وأن التربية جزء من التعليم، وهو يرتبط بمرحلة الطفولة كما يرتبط بالمراحل الأخرى بالجانب الخلقي من الإنسان؛ أي: بإصلاح النفس وتهذيب الطباع، والتعليم يعمل أيضًا على تنمية الجانب الفكري والوجداني والجسمي»[٢].

٣ـ التزكية:

جاء في لسان العرب «التزكية من الزكاة وهي الصلاح، ورجل تقي زكي، أي: زاكٍ من قوم أتقياء أزكياء. وفي قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾ وقرئ ما زكّى منكم (بالتشديد). فمن قرأها ما زكى فمعناه ما صلح منكم، ومن قرأها ما زكّى فمعناه ما أصلح، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾ أي: يصلح.[٣]

وتشمل التزكية فعل المعروف، واجتناب المنكر، وتطهير النفس، وتنميتها[٤]. ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى

(١) فتحي علي يونس: التربية الدينية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة. القاهرة، مكتبة وهبة، ٢٠١٥، ص٥٣-٥٤.

(٢) فتحي علي يونس وآخرون. التربية الدينية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، المرجع نفسه، ص٦٦.

(٣) ابن منظور. لسان العرب، ج٣، ص١٨٤٩.

(٤) الغامدي، عبد الرحمن بن عبد الخالق بن حجر. مدخل إلى التربية الإسلامية. الرياض: دار الخريجي للنشر والتوزيع، ١٤١٨هـ، ص٥.

ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [الجمعة: ٢]. وفي التزكية معنى التطهير، قال تعالى ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١]. وقال ابن كثير: يطهرهم من رذائل الأخلاق، ودنس النفس، وأعمال الجاهلية، ويخرجهم من الظلمات إلى النور.(١) وقال تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤]. أي طهر نفسه من الأخلاق الرذيلة، وتابع ما أنزل الله على الرسول ﷺ. فالتزكية خاصة بتطهير النفس من رذائلها؛ أي: تنمية الإنسان من الناحية النفسية فحسب، وأما التعليم فتنمية الإنسان من جميع جوانبها المعرفية، والوجدانية، والجسمية، والاجتماعية.

٤ـ التثقيف:

في اللسان، ثَقُف الرجلُ ثقافة؛ أي: صار حاذقًا خفيفًا، وثَقُف أيضًا بمعنى صار حاذقًا فطنًا. ففي حديث الهجرة: وهو غلام لَقِن ثَقِف؛ أي: ذو فطنة وذكاء، والمراد أنه ثابت المعرفة بما يحتاج إليه»(٢). و«التثقيف من ثقف، وثقّفته بالتثقيل أقمت المعوج منه»(٣).

والثقافة مرادفة للعلم والمعرفة، والمثقف رجل واسع المعرفة. وقيل: من أحاط من المعارف بأمور هي من خارج تخصصه الذي تخصص فيه. ويقولون: إنه الشخص الذي يعرف الكثير من الأمور والشؤون ولا يقتصر في معرفته على ما درس في تخصصه. وفي اللغة العربية وُصف الرمح بأنه ثقف أو مثقف. وبالتأكيد لا يعني ذلك سعة اطلاع الرمح أو تعدد معارفه، وإنما يعني ذلك بري الإنسان لطرف الغصن أو الرمح حتى صار مدببًا قابلًا أن يلج في الفريسة بسهولة، ويعمل أثره المطلوب فيها بإصابتها، ثم يخرج منها أيضًا بسهولة ويسر، دون أن يضعف أو يفقد جزء من أجزائه. وعملية تثقيف الرمح هذه ليست عملية تعليمه، لكنها عملية إكسابه خصائص معينة. وكذلك عملية تثقيف الإنسان هي عملية إكسابه خصائص تجعله يكرر الولوج في المجتمعات المحيطة به، فيؤثر فيها التأثير المحمود ولا يتأثر بها التأثير المذموم. ويمكن أن تتكرر هذه العملية بكفاءة وفاعلية وإتقان.(٤) فالتثقيف هو عملية إكساب الفرد المعارف والعلوم العامة الكثيرة خارج تخصصه حتى يستطيع التعامل في مجتمعه بشكل واسع. والمثقف هو الذي يعرف شيئًا عن أشياء، ويعرف أشياء عن شيء، أو رجل واسع الأفق.

---

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، (٤/ ٥٣٥).

(٢) ابن منظور. لسان العرب، ج١، ص٤٩٢.

(٣) الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري: المصباح المنير. بيروت: المكتبة العلمية، د.ت، ص٨٣.

(٤) مادة مأخوذة من http://mntadatarbawy.com/show/123794 بتاريخ ٦ أكتوبر ٢٠٢١.

٥ـ التنوير:

التنوير في اللسان، النور الضياء، والنور ضد الظلمة. والتنوير الإنارة، وأنار المكان: وضع فيه النور. وقوله عز وجل: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠]، قال الزجاج: معناه من لم يهده الله للإسلام لم يهتد.(١) فالنور في هذه الآية بمعنى الهداية.

والتنوير في المفهوم الغربي كان تنويرًا للقرون الوسطى المظلمة التي عاشتها أوروبا. ولقد كانت حركة التنوير في أوربا رد فعل طبيعي على الجبروت التي كانت السلطات الكنسية تحاربه ضد العقل والإرادة الإنسانية، وهو وضع لم تعرفه الحضارة الإسلامية، وحالة لم يعشها المسلمون قط. ولم يرد لفظ (التنوير) في القرآن الكريم وإنما ورد مصدر التنوير وهو النور، وتكرر هذا اللفظ ثلاثًا وأربعين مرة. منها قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]. وقوله تعالى: ﴿وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ﴾ [المائدة: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ﴾ [المائدة: ١٥]. وبالتأمل في هذه الآيات القرآنية نجد أن المشيئة الإلهية هي التي تتولى إخراج الإنسان من الظلمات (وليست الظلمة الواحدة) إلى النور (وليست الأنوار) وتلك هي الهداية الربانية للإنسان.

ويقوم المفهوم الإسلامي للتنوير على قاعدة راسخة من الإيمان والعلم، التي تجمع بين (تنوير العقل) وبين (تنوير القلب) بالإيمان بالله أولًا، ثم بالعلم الذي لا ينفصل بالإيمان. والتنوير بهذا المفهوم العميق والشامل والجامع هو تجديد لمفاهيم الدين، ولوظيفة الدين، للخروج من الجمود والقعود إلى ساحات العمل الجدي الهادف النافع للأمة على هدي تعاليم الإسلام وفي إطار الأخوة الإسلامية التي تجمع بين الأسرة الإسلامية الواحدة من منطلق التضامن الإسلامي(٢). فالتنوير عملية الربط بين العلم والإيمان في نفوس الإنسان المسلم من أجل العمل النافع للأمة.

ثانيا: أنواع التعليم باعتبار مجالاته وموضوعاته ومستوياته ومراتبه وآثاره ونتائجه على الفرد والمجتمع

تتعدد أنواع التعليم حسب مجالاته وموضوعاته، منها إلى ما يلي(٣):

١ـ التعليم العام:

(١) ابن منظور. لسان العرب، ج٦، ص٤٥٧١.

(٢) مادة مأخوذة من البيان، https://www.albayan.ae/culure/2001-11-16-1.1129413. بتاريخ ٦ أكتوبر ٢٠٢١.

(٣) محمد شيرازي دمياطي: تطوير منهج التربية الإسلامية للمرحلة الإعدادية بالتعليم العام في إندونيسيا. رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية التربية، جامعة الأزهر، ١٩٩٥، ص٦٥.

هو التعليم الذي يهتم بالدرجة الأولى بتوسيع معارف الطلاب وتنمية مهاراتهم الأساسية، مع توجيههم نحو التخصصات المختلفة في الصفوف الأخيرة من مراحل التعليم. ويتكون هذا التعليم من المرحلة الأساسية (الابتدائية) والمرحلة المتوسطة (الإعدادية والثانوية). كما يعرف التعليم العام بأنه ما يقابل التعليم الديني أو الأزهري في مصر.

٢ـ التعليم الفني:

ويهتم هذا النوع من التعليم بإعداد الطلاب للعمل في مجال أو حرفة معينة، مثل النجارة والحدادة وغيرها. ويتم هذا التعليم في المرحلة المتوسطة فقط بعد التعليم الأساسي.

٣ـ التعليم الخاص لذوي الاحتياجات الخاصة (التربية الخاصة):

وهذا التعليم خاص لذوي الاحتياجات الخاصة (المعوقين) جسميًّا أو عقليًّا، وذلك من منطلق أن هؤلاء التلاميذ يحتاجون إلى رعاية أكثر في تعليمهم والتعامل معهم. ويتكون هذا التعليم من المرحلة الأساسية والمرحلة المتوسطة.

٤ـ التعليم الخاص لشغل وظائف معينة:

وهو التعليم الذي يهتم بإعداد الطلاب لشغل وظائف حكومية في الوزارات المختلفة أو مؤسسات حكومية أخرى، مثل التعليم الخاص بإعداد الدبلوماسيين بوزارة الخارجية وما أشبهها، ويتم هذا التعليم في المرحلة المتوسطة والجامعية.

٥ـ التعليم الأكاديمي:

وهو ما يعرف بتعليم العلوم المتخصصة، وهو الذي يهتم بالدرجة الأولى بالإلمام بفن معين من فنون المعرفة، ويتم هذا التعليم في المرحلة الجامعية فقط، مثل أكاديمية الشرطة وأكاديمية العلوم البحرية.

٦ـ التعليم المهني:

هو التعليم فوق المتوسط لإعداد الطلاب لتطبيق مهارات معينة في إحدى المهن، ويتم هذا التعليم في المرحلة الجامعية فقط.

٧ـ التعليم الديني:

وهو التعليم الذي يهتم بإعداد الطلاب للقيام بدور يتطلب منهم الإلمام بالمعارف الخاصة بالديانات التي يعتنقونها، وهو يتكون من المراحل الأساسية والمتوسطة والجامعية، وهناك نوع آخر من نظام التعليم

وهو المدارس الإسلامية التي تتولى الحكومة إعداد مناهجها الدراسية، حيث تهتم هذه المناهج بتثقيف الفرد ثقافة إسلامية، مع تزويده بالثقافة العامة والتركيز في التخصصات الدينية المختلفة.

وأما التعليم في عهده الإسلامي الأول فلا يتنوع كما هو مشاهد الآن، فالتعليم في صورته البسيطة يقتصر على تعليم الرسول ﷺ أصحابه الرسالة الإلهية، دون تنظيم وتوقيت معين، بل يتم التعليم في أي مكان وزمان. «فقد تضمن المنهج في عهد الرسول ﷺ الاهتمام بالقرآن الكريم، فهو حامل الرسالة التي بعث للدعوة إليها، وهو معجزة النبوة وآية رسالته. كما تضمن المنهج الأحاديث النبوية، فهي صنو القرآن، فقد اهتم الصحابة بأحاديث الرسول ﷺ بالحفظ والدراية والرواية. فمن هذا الأصل، وهو القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ، تكونت الخطوط العريضة لمنهج التربية الإسلامية. وكان طبيعيًّا بعد ذلك أن تظهر أفكار تربوية، وتنشأ علوم وتتولد الدراسات حول القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة.

وفي عهد الخلفاء الراشدين لم يقتصر التعليم على العلوم الشرعية وحدها، بل شمل العلوم المتعارف عليها في ذلك العصر، مثل علم الأنساب، وعلم النجوم. ومن الشواهد على ذلك قول عمر بن الخطاب: «تعلموا أنسابكم لتصلوا أرحامكم» [(١)] وقال: «تعلموا من النجوم ما تهتدون بها». كما اهتمت التربية في عهد الخلفاء الراشدين بكافة الجوانب الأخلاقية والاجتماعية، والعقلية، والنفسية، والبدنية. ومن الشواهد على سبيل المثال لا الحصر قول عمر بن الخطاب: «علموا أولادكم السباحة والفروسية وروّوهم ما سار من المثل وحسن الشعر»[(٢)]، ثم تطور التعليم في عصوره المتعاقبة، ويتنوع بتنوع الأهداف التي أقيم من أجلها.

آثاره للفرد:

إن التعليم والتربية الإسلامية تؤثر في نفوس الطلاب تأثيرًا إيجابيًّا، سواء من الناحية المعرفية، أو الوجدانية، أو الخلقية، أو السلوكية. ومن أهم هذه الآثار[(٣)]:

١ـ طاعة لله:

إن الله خلق الإنسان ليؤدي وظيفته التي كلف بها، وهي إقامة دين الله والعبادة، ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. ففي تربية الإنسان نفسه على عبادة الله تعالى وطاعته، وتعلم العلم

(١) ابن الجوزي. مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، تحقيق زينب إبراهيم القاروط، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت. ص١٩٩.

(٢) الدارمي. السنن. تحقيق عبد الله هاشم. القاهرة، دار المحاسن، ١٣٨٦، ج١، ص١١٤.

(٣) سيد أحمد عثمان: بهجة التعلم، القاهرة، الأنجلو المصرية، ١٩٧٧م، ص١٠.

الذي يقرب نفسه من الله تعالى فهي عبادة وطاعة لله تعالى. ومن هنا تكون التربية مهمة للفرد في حد ذاتها؛ لأن بها تحصل الطاعة لله تعالى.

٢ـ أمن نفسي للفرد:

إن التربية القائمة على المنهج الإسلامي لها عوائد وفوائد عديدة على الاستقرار النفسي؛ لأن الفرد الذي يتربى على العقيدة الإسلامية الصحيحة يتحقق له من السكون النفسي ما لا يتحقق بغيرها.

٣ـ تقدير وحب المجتمع:

إن الفرد الذي يتربى في حضن التربية الإسلامية بما فيها من عقيدة راسخة وأخلاق إسلامية حميدة سيتأثر بهذه التربية تأثرًا إيجابيًّا، تنعكس في سلوكه وأخلاقه الحميدة، وبخاصة فيما يتعلق بالآداب الاجتماعية التي يتعلمها من صاحب الخلق العظيم ﷺ. فإذا انعكست هذه الآداب الرفيعة والأخلاق الحميدة في سلوكيات الفرد فسيحبه المجتمع ويحترمه ويقدره حق تقدير.

٤ـ آثاره على المجتمع:

العلاقة بين التعليم والمجتمع علاقة متبادلة، أي أن التعليم مؤثر بدوره في المجتمع وليس عبدا يؤمر فيطاع. والتعلم نشاط اجتماعي ينعكس فيه كافة ما في المجتمع من قيم ومعايير، نشاط يدور مع سائر ما في المجتمع من قوى وتراكيب، بل هو جزء منها، يتأثر بها ويؤثر فيها، في تبادل دائم، مثله مثل أي نشاط اجتماعي آخر.

ومن أهمية التعليم للمجتمع[١]:

١ـ الأمن الاجتماعي:

وذلك «عن طريق إزالة الجرائم والشرور، والعلاقات العدوانية بين الأفراد والجماعات»[٢] فيأمن الجار بوائق جاره والمواطن مجتمعه، والمجتمع أفراده. كما في حديث الرسول ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»[٣]، «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن»، قيل: من يا رسول الله؟ قال: «الذي لا يأمن جاره بوائقه»[٤][٥].

---

(١) خالد بن حامد الحازمي: أصول التربية الإسلامية، الرياض، دار عالم الكتب، ١٤٢٠هـ، ص٣٩-٤٢.

(٢) مقداد يلجن. جوانب التربية الإسلامية،

(٣) البخاري (١/ ٢٠-٢١) برقم ١٠ واللفظ له، ومسلم (١/ ٦٥) برقم ٦٥-٤١.

(٤) بوائقه أي قوائله وشروره، وأحدها بائقة، وهي الداهية. (النهاية: (١/ ٥٧).

(٥) البخاري (٤/ ٩٤) برقم ٦٠١٦ واللفظ له، ومسلم (١/ ٦٨) برقم ٧٣-٤٦.

٢ـ الترابط الاجتماعي:

وذلك من خلال فرضية الزكاة والصدقات وأداء الصلوات جماعة، والحج في زمان ومكان مخصوص بهيئة مخصوصة وإيثار بعضهم البعض. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]. فالإيثار من الصفات الحميدة التي يتشرّبها الفرد من التربية الإسلامية الصحيحة، التي تنعكس في سلوكياته في المجتمع، حتى تسود العلاقات الوطيدة بين أفراد المجتمع يشد بعضه بعضًا.

ثالثا : مكانة التعليم وأهميته في الكتاب والسنة والآثار

١ـ مكانة التعليم في الكتاب والسنة والآثار:

تبين النصوص القرآنية المكانة السامية للتعليم وأولي العلم أو أهل العلم، منها قول الحق تبارك وتعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨]. ويقول الحق عز وجل: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]. ويقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]. فبدأ الحق سبحانه في الشهادة على ألوهيته تعالى بنفسه، ثم ثنى بالملائكة، ثم ثلث بأولي العلم؛ أي: أهله، كما رفع درجات العلماء فوق غيرهم.

ويتجلى مكانة التعليم والعلماء في الأحاديث النبوية الشريفة فيما رواه معاوية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين». وبالمفهوم المخالفة لهذا الحديث أن من لم يرد الله به خيرًا لم يفقهه في الدين. وهذا واضح في بيان مكانة التفقه في الدين ومكانة المتفقه في الدين من العلماء. وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سلك طريقًا يبتغي فيه علما سهل الله له طريقًا إلى الجنة» رواه أبو داود والترمذي.

وفي الأثر: «قال ابن عباس رضي الله عنه: للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبع مئة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمس مئة عام»، وعدم مساواة العلماء بالجهلاء، وقصر الخشية والخوف منه تعالى للعلماء. ففي هذا شرف وفضل لأهل العلم دون غيرهم.

«فالعلم أشرف ما رغب فيه الراغب وأفضل ما طلب وجد فيه الطالب، وأنفع ما كسبه واقتناه الكاسب، لأن شرفه يثمر على صاحبه، وفضله ينمي عند طالبه، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، فمنع الله سبحانه المساواة بين العالم والجاهل، لما قد خص به العالم من فضيلة العلم، وقال تعالى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]. فنفى أن يكون غير العالم يعقل عنه أمرا، أو

يفهم منه زجرًا»[١].

٢ـ أهمية التعليم في القرآن الكريم والسنة والآثار:

ومن ناحية أخرى فقد حث الإسلام على التعلم والتعليم، والشواهد على ذلك كثيرة في القرآن الكريم، وفي سنة رسول الله ﷺ، وفي الآثار المروية عن أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم، كما يلي:

أ ـ في القرآن الكريم:

ففي القرآن الكريم نجد الحق تبارك وتعالى يقول: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]. فالأمر بالتفقه في الدين وسؤال أهل الذكر هو الأمر بالتعلم بعينه.

وقد اهتم الإسلام منذ بداية دعوته بالقراءة والكتابة، حيث كانتا وسيلتين لتعلم الإسلام، وتعليمه، وتدوين شريعته ونشره. وهذا الاهتمام كان بتوجيه من الحق سبحانه وتعالى، حيث قال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۞ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۞ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۞ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١-٥]. ثم أعقب الحق تعالى بسورة القلم بعد سورة العلق، قال تعالى: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١]، إذ في السورة الأولى أمر بالقراءة وفي الثانية أقسم الله بالقلم والكتابة، وفي ذلك رفع لشأنها.

وكان الرسول عليه الصلاة والسلام قام بوظيفته الأساسية خير قيام، فكان يُقرِئهم؛ أي: الصحابة، القرآن الكريم ويزكي نفوسهم ويعلمهم ما علمه الله إياه، فكان كما وصفه الحق تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١][٢]. وقال تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ [الرعد: ٤٣]. وقال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ﴾ [النمل: ٤٠]، تنبيهًا على أنه اقتدر بقوة العلم. وقال عز وجل: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا﴾ [القصص: ٨٠]، بين أن علم قدر الآخرة يعلم بالعلم[٣].

---

(١) أبو الحسن الماوردي. أدب الدنيا والدين. تحقيق مصطفى السقا. ط٤، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، ص٤١.

(٢) الغامدي، عبد الرحمن بن عبد الخالق بن حجر. مدخل إلى التربية الإسلامية. الرياض: دار الخريجي للنشر والتوزيع، ١٤١٨هـ، ص٧٩-٨٠.

(٣) الغزالي: إحياء علوم الدين. ص٥.

وهناك آيات كثيرة تحدثنا عن فضيلة العلم والعلماء والتعليم والتعلم، مما يشير إلى أهمية التعليم ومكانته الرفيعة في الشريعة الإسلامية، منها قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]. قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢]. قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]. قوله تعالى: ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [المائدة: ١١٠]. قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّى﴾ [يوسف: ٣٧]. قوله تعالى: ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ١٦]. قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]. قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ١٩٧].

ب ـ في السنة النبوية الشريفة:

وفي السنة النبوية الشريفة نرى الرسول ﷺ يقول لعلي بن أبي طالب: «فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا خير لك من أن يكون لك حمر النعم» فالرسول ﷺ حث على تعليم الغير المسبب لهداية الله. وقوله ﷺ: خيركم من تعلم القرآن وعلمه.(١) وقوله ﷺ: تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله حتى تعملوا.(٢) وقوله ﷺ: اغد عالمًا، أو متعلمًا، أو مستمعًا، أو محبًا، ولا تكن الخامسة فتهلك.(٣)

ج ـ في الآثار:

بعث عمر بن الخطاب أبا موسى الأشعري إلى البصرة، ومعاذًا وأبا عبادة وأبا الدرداء إلى الشام، وعمارًا وابن مسعود إلى الكوفة. وقد كان لهذه البعثات آثارها الكبيرة في نشر العلم وتحفيظ القرآن والتفقه في الدين وفهمه، وكانت البعثات تمارس التعليم في المساجد التي انتشرت في كل قطر دخله الإسلام، وكانت مراكز للعلم والأدب، وخرج عدد من العلماء عرفوا باسم فقهاء التابعين.

ونظرة عمر بن الخطاب إلى التعليم كدعامة من دعائم استقرار المجتمع ورقيه ونجاح الفرد في حياته والحاكم في إدارته، حيث قال: تفقهوا قبل أن تسودوا. كما أشار إلى آداب العالم والمتعلم في قوله: تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وتواضعوا لمن تعلمون وتواضعوا لمن تتعلمون منه، ولا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٩/ ٧٤، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، عن عثمان بن عفان. وأخرجه الترمذي في سننه ٥/ ١٧٤، ١٧٥، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في تعليم القرآن عن عثمان ابن عفان، وصححه الترمذي.

(٢) أخرجه أبو نعيم في كتابه حلية الأولياء ١/ ٢٣٦، وأخرجه عدي في كتابه الكامل في ضعفاء الرجال، ٢/ ٢٦.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير، ٢/ ٩، عن أبي بكرة. وأورده الهيثمي في المجمع ١/ ١٢٢، كتاب العلم، باب في فضائل العالم والمتعلم عن أبي بكرة.

تكونوا جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم[١].

ومنها أقوال علي رضي الله عنه: العلم خير من المال، لأن المال تحرسه والعلم يحرسك، والمال تفنيه النفقة، والعلم يزكو على الإنفاق. والعلم حاكم والمال محكوم عليه[٢]. وقال: لا خير في عبادة لا علم فيها، ولا علم لا فهم معه، ولا قراءة لا تدبر فيها[٣]. وقال: حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله[٤]. وأشار إلى الترويح على المتعلم، ولفت أنظار المعلمين إلى أن القلوب تمل كما تمل الأبدان[٥]. وأشار إلى بعض أساليب التربية ومنها السؤال، فيقول: العلم خزائن، ومفتاحه السؤال، فاسألوا يرحمكم الله فإنه يؤجر فيه أربعة: السائل، والمعلم، والمستمع، والمحب لهم[٦]. وأشار إلى الانتفاع بالعلم أيًّا كان مصدره، فقال: العلم ضالة المؤمن، فخذوه ولو من أيدي المشركين، ولا يأنف أحدكم أن يأخذ الحكمة ممن سمعها[٧].

«وهكذا نرى الإسلام يحرض على التعليم والتعلم ويبين مكانة العلم العظمى مما يبين أن التعليم والثقافة حق لكل إنسان. ومما يزيد العلماء فضلًا أن الإسلام يعتبر العلم النافع امتدادًا صالحًا لعمل العالم، يشهد لهذا قول النبي ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[٨].

وروي عن السيدة عائشة رضي الله قالت: «نعم النساء نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين». وهذا الأثر أيضًا يصور لنا ما في نساء الأنصار من إرادة التعلم دون استحياء في ذلك.

رابعا: حكم إلزامية التعليم بأنواعه ومجالاته ومستوياته على الجنسين

توجد أدلة من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة وأقوال الفقهاء على إلزامية التعليم في الإسلام بأنواعه ومجالاته ومستوياته على الجنسين، منها:

---

(١) ابن الجوزي: مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ص٢٠٥.

(٢) ابن عبد البر. جمع بيان العلم وفضله، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان. ط٢، المدينة المنورة، المكتبة السلفية، ١٣٨٨هـ، ج١، ص٦٨.

(٣) جلال الدين السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص١٦٤.

(٤) البخاري. صحيح البخاري. كتاب العلم، ج١، ص٤١.

(٥) ابن عبد البر. جمع بيان العلم وفضله، ص١٢٦.

(٦) الخطيب البغدادي. الفقيه والمتفقه. تحقيق إسماعيل الأنصاري، ط٢، الرياض مطابع القصيم، ١٣٨٩هـ، ج٧، ص٣٢.

(٧) ابن عبد البر. جمع بيان العلم وفضله، ج١، ص١٢١.

(٨) محمد رأفت عثمان، الحقوق والواجبات والعلاقات الدولية في الإسلام (القاهرة: دار الضياء، د.ت)، ص. ٦٠-٦٣.

أ ـ أدلة من القرآن الكريم:

١ـ قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]، فالنهي عن نفير البعض إلى القتال في سبيل الله والأمر بالبقاء في المدينة للتفقه في الدين على يد رسول الله ﷺ في الحقيقة أمر بوجوب التعليم.

قال القرطبي: «هذه الآية أصل في وجوب طلب العلم؛ لأن المعنى: وما كان المؤمنون لينفروا كافة والنبي ﷺ مقيم لا ينفر وحده ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ﴾ بعد ما علموا أن النفير للجهاد لا يسع جميعهم ﴿مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾ وتبقى بقيتها مع النبي ﷺ ليتحملوا عنه الدين ويتفقهوا، فإذا رجع النافرون إليهم أخبروهم بما سمعوا وعلموه. وفي هذا إيجاب التفقه في الكتاب والسنة، وأنه على الكفاية دون الأعيان»[(١)].

وقال الزمخشري في تفسير هذه الآية أيضًا: «اللام لتأكيد النفي. ومعناه أن نفير الكافة عن أوطانهم لطلب العلم غير صحيح، ولا ممكن، وفيه أنه لو صح وأمكن، ولم يؤد إلى مفسدة لوجب لوجوب التفقه على الكافة، ولأن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ﴾ فحين لم يمكن نفير الكافة، ولم يكن فيه مصلحة فهلا نفر ﴿مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾ أي: من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم يكفونهم النفير ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ﴾ ليتكلفوا الفقاهة فيه، ويتجشموا المشاق في أخذه إليها»[(٢)].

٢ـ قوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، فالأمر بسؤال أهل الذكر؛ أي: العالم أمر بالتعلم، فإذا كان الأمر للوجوب فإن التعليم واجب.

٣ـ قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۞ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۞ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۞ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١-٥]. فالأمر بالقراءة أمر بالتعلم، بل القراءة من أهم أدوات التعلم، وبدونها لا يتم التعلم، وهذه الآيات أول ما نزل على الرسول ﷺ من الوحي قبل نزول الأوامر الأخرى من أركان الدين، ومن ثم تبين مدى وجوبها ووجوب التعلم على كل مسلم ومسلمة.

٤ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨]. هذه الآية الكريمة تحض علماء أهل الكتاب على بيان ونشر ما علموه من نبوة نبينا محمد ﷺ وصدق رسالته على أهل الكتاب كما ورد في التوراة والإنجيل، وتمنعهم من كتمان هذا الأمر لهم. والأمر ببيان ما علموه من صفات نبينا محمد ﷺ ونبوته أمر بالتعليم. كما أن النهي بكتمانه أمر بالتعليم. لأن النهي عن

---

(١) القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري: الجامع لأحكام القرآن،.٢٩٤-٢٩٣/٨.

(٢) الزمخشري، جار الله محمود بن عمر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل.٣٢٣-٣.

الشيء أمر بضده، كما قرره علماء الأصول[١]. فالتعليم واجب بنص الآية.

٥ـ قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧]. هذه الآية الكريمة تأمر النبي ﷺ بتبليغ جميع ما أنزل إليه من الوحي. والأمر بتبليغ الوحي أمر بالتعليم. وتبليغ الوحي واجب، فالتعليم واجب. قال القرطبي في تفسير هذه الآية: «قال ابن عباس: المعنى بلِّغ جميع ما أنزل إليك من ربك، فإن كتمت شيئًا منه فما بلغت الرسالة، وهذا تأديب للنبي ﷺ وتأديب لحملة العلم من أمتـه ألا يكتموا شيئًا من أمر شريعته، وقد علم الله من أمر نبيه أنه لا يكتم شيئًا من وحيه»[٢].

٦ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَـٰبِ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩][٣]. هذه الآية تحذر المسلمين من كتمان العلم النافع، وخاصة العلوم الشرعية التي بينها الله للناس، وكتم العلم من الأعمال التي يستحق صاحبها الطرد من رحمة الله، فحرمة كتمان العلم تدل على وجوب نشره وتعليمه للآخرين، والنهي عن الشيء أمر بضده كما سبق القول.

٧ـ قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]. ففي هذه الآية الكريمة أمر على كل مسلم أن يتزود بالعلم مدى الحياة من خلال الدعاء إلى الله أن يوفقه فيه، والتزود بالعلم هو التعلم بعينه، والأمر هنا للوجوب، فالتعلم واجب بنص الآية.

ب ـ أدلة من الأحاديث النبوية الشريفة:

١ـ قول الرسول ﷺ: طلب العلم فريضة على كل مسلم[٤] وفي رواية ومسلمة[٥]. فهذا الحديث

(١) الزنجاني، شهاب الدين محمود بن أحمد: تخريج الفروع على الأصول، ص٢٥.

(٢) القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري: الجامع لأحكام القرآن: ٦/ ٢٤٢.

(٣) عبد الرحمن بن عبد الخالق بن حجر الغامدي. مدخل إلى التربية الإسلامية. الرياض، دار الخريجي للنشر والتوزيع، ١٤١٨هـ، ص١٦٧-١٦٨.

(٤) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي وآخرون. القاهرة، عيسى البابي الحلبي، د.ت. ج١، ص٨١.

(٥) أخرجه ابن ماجه في سننه باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (١/ ٨١) ٢٢٤ - وقال في الزوائد: إسناده ضعيف لضعف حفص بن سليمان. وقال السيوطي: سئل الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله تعالى عن هذا الحديث فقال: إنه ضعيف أي سندًا. وإن كان صحيحا أي معنى. وقال تلميذه جمال الدين المزي هذا الحديث روى من طرق تبلغ رتبة الحسن، ورواه أيضًا البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٢٥٤، رقم ١٦٦٥)، وابن عساكر في تاريخه (٥٢/ ٣٤١). وأخرجه أيضًا: أبو يعلى في مسنده (٥/ ٢٢٣، رقم ٢٨٣٧)، والطبراني في الأوسط (١/ ٧، رقم ٩)، والطبراني في الصغير (١/ ٣٦، رقم ٢٢)، وأبو نعيم في الحلية (٨/ ٣٢٣) وقال السخاوي في المقاصد الحسنة: ألحق بعض المصنفين بآخر هذا الحديث «ومسلمة» (١/ ٩٩) كما ذكره الملا على القاري في شرح مسند أبي حنيفة (١/ ٥٣٧). =

صريح في إلزامية التعليم للمسلم والمسلمة أو الذكر والأنثى.

٢ـ قول رسول الله ﷺ: من سلك طريقًا يطلب فيه علما سهل الله له طريقًا إلى الجنة[١]. ودخول الجنة هدف أسمى لكل مسلم ومسلمة. والجنة أيضًا أسمى مرامي العبادات، ولا سبيل إليها سهل إلا بطلب العلم، فطلب العلم واجب على كل مسلم ومسلمة.

٣ـ بين رسول الله ﷺ فضل من عِلم وعلّم بقوله: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا، فكان منها نقية قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به، فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»[٢]. فالتمثيل هنا يصور أن المسلم لا بد أن يكون مثل أرض نقية قبلت الماء فأنبت الكلأ والعشب الكثير، بمعنى أنه يستطيع أن يتعلم مما جاء به الرسول ﷺ ويستطيع أن يعلمه الناس، وهو يدل على وجوب وإلزامية التعلم والتعليم لكل مسلم ومسلمة.

٤ـ عن أبي موسى الأشعري أن الرسول ﷺ بعث معاذًا وأبا موسى رضي الله عنهما إلى اليمن وأمرهما أن يعلما الناس القرآن[٣]، كما بعث الرسول ﷺ رسلا من أصحابه وكتب معهم كتبًا إلى ملوك العرب والعجم، يدعوهم فيها إلى الإسلام، فبعث دحية الكلبي إلى قيصر الروم، وبعث عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ملك الفرس، وبعث عمر بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك الحبشة، وبعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس ملك الإسكندرية وغيرهم من الملوك[٤]. فهذه البعثات تدل على وجوب تعليم الغير التعاليم الإسلامية السمحة.

٥ـ قوله ﷺ: «تعلّموا العلم، فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار، والدرجات العلى في الدنيا والآخرة، والتفكر فيه يعدل الصيام، ومدارسته تعدل القيام، وهو إمام العمل، والعمل تابعه، يلهمه السعداء، ويحرمه الأشقياء»[٥]، فالحديث أمر بالتعلم (تعلموا) والأمر للوجوب، فالتعلم واجب.

= قال: وفي رواية لابن ماجه، عن أنس: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة»، وواضع العلم عند غير أهله، كمقلد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والذهب».

(١) البخاري، صحيح البخاري. كتاب العلم، ج١، ص٢٨.

(٢) البخاري. صحيح البخاري. مرجع سابق، كتاب العلم، ج١، ص٢٨.

(٣) أبو نعيم الأصفهاني. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. المكتبة السلفية، د.ت. ج١، ص٢٥٦.

(٤) ابن هشام. السيرة النبوية، مرجع سابق، ج٤، ص٢٥٤.

(٥) المنذري: الترغيب والترهيب، ١/٥٧ وقال عنه: رواه ابن عبد البر النمري في كتاب العلم من رواية موسى بن محمد بن =

٦ـ وقولـه ﷺ: «من كتم علمًا مما ينفع الله به في أمر الناس وأمر الدين ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار»[١]، ويدل الحديث على النهي عن كتمان العلم الذي ينفع الناس سـواء أكـان دينيًّـا أم دنيويًّا، والنهي عن كتمان العلم أمر بنشره؛ لأن النهي عن شيء أمر بضده، ونشر العلم تعليمـه، فيكون التعلم مأمورًا به.

ج ـ أدلة من أقوال الفقهاء:

تكلم فقهاء التربية عن إلزامية التعليم وأنواعه، فجعلوا تعلم بعض العلوم فرض عين على كل مكلف، وبعضها الآخر فرض كفايـة، وبعـضها محرما كتعلم ما يضر بالناس مثل السحر والطلسمات، وفيما يلي بيانها:

١ـ قال أبو حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ/ ١١١١م): «بيان العلم الذي هو فرض عين. قال رسول الله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم». وقال أيضًا: «اطلبوا العلم ولو بالصين». واختلف الناس في العلم الذي هو فرض على كل مسلم، فتفرقوا فيه أكثر من عشرين فرقة كل فريق نزل الوجوب على العلم الذي هو بصدده. فقال المتكلمون: هو علم الكلام؛ إذ به يدرك التوحيد ويعلم ذات الله سبحانه وصفاته. وقال الفقهاء: هو علم الفقه؛ إذ به تعرف العبادات والحلال والحرام... إلخ، ويقسم الإمام الغزالي العلم إلى علم معاملة وعلم مكاشفة. وليس المراد بهذا العلم علم المكاشفة وإنما علم المعاملة. والمعاملة التي كلف العبد العاقل البالغ العمل بها ثلاثة: اعتقاد وفعل وترك، (ففي الاعتقاد) فإذا بلغ الرجل العاقل بالاحتلام أو السن ضحوة نهار مثلًا فأول واجب عليه تعلم كلمتي الشهادة... أما الفعل فبأن يعيش من ضحوة نهاره إلى وقت الظهر فيتحدد عليه بدخول وقت الظهر تعلم الطهارة والصلاة... وأما التروك فيجب تعلم علم ذلك بحسب ما يتجدد من الحال... كما لو كان عند الإسلام لابسًا الحرير... فيجب تعريفه بذلك»[٢].

وقسّم أبو حامد الغزالي العلوم أيضًا إلى شرعية وغير شرعية، ويقصد بالشرعية ما استفيد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، ولا يرشد العقل إليه مثل الحساب وغيره، فالعلوم التي ليست بشرعية تنقسم إلى ما هو محمود، وإلى ما هو مذموم، وإلى ما هو مباح. فالمحمود ما يرتبط به مصالح أمور الدنيا، كالطب والحساب، وذلك ينقسم إلى ما هو فرض كفاية، وإلى ما هو ضروري في المعاملات. وأما المذموم منه فعلم السحر والطلسمات. وأما المبـاح منه فالعلم بالأشعار التي لا سخف بها، وتواريخ الأخبار، وما يجري مجراه»[٣].

= عطاء القرشي. وقال: حديث حسن، ولكن ليس له إسناد قوي.

(١) ابن ماجه: باب من سئل عن علم فكتمه ١/ ٩٧. وقال عنه في مصباح الزجاجة ١/ ٤٠. هذا إسناد ضعيف.

(٢) الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، ١/ ١٥.

(٣) الغزالي، أبو حامد: إحياء علوم الدين، ١/ ٢٨.

فمن الواضح هنا قرر الغزالي إلزامية التعليم على كل مسلم وإن كان لابد منه أن يرتحل لطلبه إلى بلد بعيد، بناء على حديث طلبه بالصين. كما قرر أن العلوم ينقسم إلى ما هو فرض عين في طلبه وهو ما يتصل بالعلوم الشرعية في العقيدة والعبادات وأعمال القلوب، وما هو فرض كفاية وهو ما يرتبط به مصالح أمور الدنيا، كالطب والحساب وما هو ضروري في المعاملات. وقسم العلوم أيضًا إلى ما هو محمود، وما هو مذموم وما هو مباح. فالعلوم الشرعية سواء ما هو فرض عين أو كفاية كلها محمود. وأما المذموم فهو كل ما يؤدي تعلمه إلى ما يضر بالناس مثل السحر والطلسمات. وأما المباح فهو ما سوى ذلك.

٢ـ وأما برهان الدين الزرنوجي (ت٨٤٠هـ/ ١٢٤٣م) فقد تكلم عن إلزامية التعليم أيضًا، وقسم العلوم إلى ما هو فرض عين، وسماه علم الحال[١]، «وبين حكمه، وفرق بين حالاته تبعًا لفائدة العلم، وحاجة المتعلمين إليه. حيث جعل طلب العلم فرض عين على المتعلم إذا كان العلم متعلقًا بما لابد منه للمتعلم لإقامة دينه، وإخلاص عمله لله تعالى. فقد فرض على كل مكلف تعلم ما تصح به عقيدته، وعبادته، من صلاة، وصيام، وما يتحرز به عن الحرام، من معاملاته، وسائر الحرف»[٢]. قال الزرنوجي: «اعلم أنه لا يفترض على كل مسلم طلب كل علم، وإنما يفترض عليه طلب علم الحال. ويفترض على المسلم طلب علم ما يقع له في حاله في أي حال كان، فإنه لا بد له من الصلاة، فيفترض عليه علم ما يقع له في صلاته، بقدر ما يؤدي به فرض الصلاة. والزاهد هو من يتحرز عن الشبهات والمكروهات في التجارات، وكذلك في سائر المعاملات والحرف. وكل من اشتغل بشيء منها يفترض عليه علم التحرز عن الحرام فيه»[٣].

ومن الفروض العينية في التعليم تعلم أحوال القلب والأخلاق، لأنها واقع في كل الأحوال. قال الزرنوجي: «وكذلك يفترض عليه (المتعلم) علم أحوال القلب، من التوكل والإنابة والخشية والرضا، فإنه واقع في جميع الأحوال. وكذلك في سائر الأخلاق، نحو الجود والبخل والجبن، والجرأة، والتكبر، والتواضع. فإن الكبر والبخل والجبن والإسراف حرام، ولا يمكن التحرز عنها إلا بعلمها وعلم

(١) علم الحال، أو ما يسميه العلماء (فرض العين) اصطلاح أدخله الفكر التربوي الفقهي على العملية التعليمية في مجال التنشئة، وقد سبق الزرنوجي في هذا الاصطلاح الغزالي، وذكره أيضًا بعض المربين كالعلموي، وابن جماعة، والطوسي. وعلم الحال هو العلم الذي يهدف إلى تحقيق حسن المآل أولًا وآخرًا، كون حسن المآل له الأولوية العظمى، والتي لم تناقش عند جميع الفقهاء المربين، حيث كان حسن المآل هدفًا أسمى وعناية قصوى تجلى في توحد العمل بالعلم، حيث تقتصر أعمال المرء واهتماماته على ما يحقق هذه الغاية القصوى. [شمس الدين، عبد الأمير: الفكر التربوي عند الغزالي، ص٤١، ٤٣].

(٢) العلي، صالح، التعلم الإلزامي في القرآن والسنة وفقه الأئمة، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية- المجلد ٢٢-العدد الثاني- ٢٠٠٦، ص٤٦٩.

(٣) الزرنوجي، برهان الإسلام: تعليم المتعلم طريق التعلم، ١٩-٢١.

ما يضادها، فيفترض على كل إنسان علمها، ثم لا بد له من النية في زمان تعلم العلم؛ إذ النيـة هي الأصل في جميع الأحوال»[١].

وذكر الزرنوجي أيضًا إلى ما هو فرض كفاية من تعلمه، وهو كل ما يقع ويحتاج إليه الناس في بعض الأحيان وليس في كل الأحيان، سواء ما يتصل بالدين أو بقوامة دنياهم. قال الزرنوجي: «وأما حفظ ما يقع في بعض الأحـايين ففـرض على سبيل الكفاية، وقد قيل: إن علم ما يقع على نفسه في جميع الأحوال كعلم أحوال القلب هـو بمنزلة الطعام، لا بد لكل واحد منه، وعلم ما يقع في بعض الأحايين كحفظ القرآن عن ظهر غيب بمنزلة الدواء، يحتاج إليه حين المرض فقط. وأما تعلم علم الطب، فيجوز، لأنه سبب من الأسباب، فيجوز تعلمه كسائر الأسباب»[٢]. ففرض كفاية.

وأشار الزرنوجي إلى حرمة تعلم بعض العلوم كالتنجيم[٣]، إلا ما يمكن الاستفادة منه في بعض الأغراض. قـال الزرنوجي: «وعلم النجوم بمنزلة المرض، فتعلمه حرام؛ لأنه يضر ولا ينفع، اللهم إلا إذا تعلم مـن النجوم قدر ما يعرف به القبلة، وأوقات الصلاة، فيجوز ذلك»[٤]. أي: مباح.

٣ـ وقال الهيثمي (ت**٩٠٩**هـ/ **١٥٠٣**م): «صلب العلم العيني هو ما يجب على كل مكلف بعينه، ذكرًا كان أو أنثى، وذلك بحكم أن الشريعة بحسب المكلفين كلية عامة، لا يحاشي من الدخول تحت أحكامها مكلف البتة. وهذا القسم يشمل كل ما يندرج في مسمى المعلوم من الدين بالضرورة، بدءا بما نص عليه الإمام ابن عاشر[٥]، إذ قال:

مُمَكَّنًـا مِـن نَظَـرٍ أن يَعرِفـا أوَّلَ واجِـبٍ علـى مَـن كُلِّفا
مِمّـا عليـه نَصَـبَ الآيـاتِ اللهَ والـرُّسُـلَ بـالـصِّفاتِ

وقس عليه كل ما لا نـيابة فيه من الفرائض اللازمة مما لا يعذر أحد بجهله، وهو قادر على تعلمه من

(١) الزرنوجي، برهان الإسلام: تعليم المتعلم طريق التعلم، ٢٣-٢٧.

(٢) الزرنوجي، برهان الإسلام: تعليم المتعلم طريق التعلم، ٢٣-٢٥.

(٣) المحرم من علم التنجيم (النجوم) هو ما يدعيه أهلها من معرفة الحوادث الآتية في مستقبل الزمان، كمجيء المطر، ووقوع الثلج، وتغير الأسعار، ونحو ذلك فإنهم يزعمون أنهم يدركون ذلك بسير الكواكب، لاقترانها وافتراقهـا، وظهورهـا في بعض الأزمان. وهذا علم استأثر الله به، لا يعلمه أحد غيره. أما من يقول: إن الاقتران والافتراق الذي هو كذا جعله الله علامة بمقتضاه ثم ما اطردت به عادته الإلهية على وقوع كذا، وقد يتخلف، فإنه يجوز ذلك، ولا يأثم. وكذلك الإخبار عما يدرك بطريق المشاهدة من علم النجوم الذي يعرف به الزوال، وجهة القبلة، وكم مضى من الوقت، وكم بقي منه، فإنه لا إثم فيه، وهـو من فروض الكفاية. الهيتمي، ابن حجر: الزواجر عن اقتراف الكبائر، ٢/ ١٧٨.

(٤) الزرنوجي، برهان الإسلام: تعليم المتعلم طريق التعلم، ص٢٤.

(٥) عبد الواحد بن عاشر، المرشد المعين على الضروري من علوم الدين، القاهرة: مكتبة القاهرة، د.ت، ص٢-٣.

مختلف العلوم العينـية، عبادية كانت أو عادية.

وأما صلب العلم الكفائي فهو مجموع العلوم والمعارف الكفائية التي لا يمكن الاستغناء عنها في حفظ مقاصد الشارع ومصالح العباد، مما يجب أن يكون للأمة فيه ما يكفي حاجاتها الحضارية في مختلف المجالات وعلى جميع المستويات وفي كافة التخصصات كالتربية، والتعليم، والفلاحة، والصناعة، والتجارة، والحكم، والقضاء، والإدارة، والطب، والهندسة، والرياضيات، والفيزياء والكيمياء، والمعلوميات، وغير ذلك من التخصصات والوظائف والولايات الكفائية الكفيلة بتوفير الاكتفاء الذاتي اللازم لضمان مختلف المصالح الخاصة والعامة، وهو ما لخصه الإمام ابن حجر الهيثمي فيما نصه: «والحاصل، إن التعليم وسيلة إلى العلم، فيجب في الواجب عينا في العين، وكفاية فيما هو على الكفاية»[١].

٤ـ قال ابن عابدين (ت١٢٥٢هـ/ ١٨٣٦م): «من فرائض الإسلام تعلم ما يحتـاج إليـه العبد في إقامة دينه، وإخلاص عمله الله تعالى، ومعاشرة عباده، وفرض على كل مكلف ومكلفة بعد تعلمه علم الدين والهداية تعلم علم الوضوء والبيوع علـى التجـار ليحتـرزوا عـن الـشبهات والمكروهات في سائر المعاملات، وكذا أهل الحرف، وكل من اشتغل بشيء يفتـرض عليـه وحكمه ليمتنع من الحرام فيه. وأما فرض الكفاية من العلم فهو كل علم لا يستغنى عنه فـي قـوام أمور الدنيا، كالطب، والحساب، والنحو، واللغة، وأصول الصناعات، والفلاحة، والسياسة. من أن علم القلب (الإخلاص، والعجب، والحسد، والرياء) فرض عين، ومثلها غيرها من آفات النفـوس، كالكِبر والشُّح، والحقد ونحوها، فيلزمه أن يتعلم منها ما يرى نفسه محتاجًا إليـه، ولا يمكـن إلا بمعرفة حدودها، وأسبابها، وعلاماتها، وعلاجها، فإن من لا يعرف الشر يقع فيه»[٢].

٥ـ ومن المتأخرين يقول علي أحمد مدكور: إن العلم فطرة الله في الإنسان، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢]. هذه الآية ترشدنا إلى مجموعة من الأمور أهمها ما يلي:[٣]

أ ـ أن العلم بالألوهية والوحدانية فطرة الله التي فطر الناس عليها، وأن الانحراف عن هذا العلم انحراف عن فطرة الله، ولذا يجب مقاومته بجميع الوسائل لرد الإنسان إلى الفطرة.

(١) أحمد بن حجر الهيثمي، الزواجر عن اقتراف الكبائر، د.م: د.ن، د.ت، ص١٠٧.
(٢) ابن عابدين، محمد أمين، رد المحتار على الدر المختار، ١/ ٢٩. النووي، محيي الدين: المجموع،١/ ٢٤-٢٧.
(٣) علي أحمد مدكور، نظريات المناهج التربوية، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٧م، ص١٤٨.

ب ـ أن الأخذ بأسباب العلم فريضة لازمة لتأكيد الفطرة والحفاظ عليها وعدم الانحراف عنها؛ لأن الانحراف عنها يتبعها الانحراف عن الإيمان بوحدانية الله.

ج ـ بما أن العلم فطرة الله في الإنسان، وهو سبيل الإنسان إلى معرفة الله وخشيته، وهو وسيلته إلى عمارة الأرض وترقيتها، فإنه لا سبيل إلى ذلك إلا بالاستمرار في عملية التعليم والتعلم من الصغر إلى الكبر.

د ـ إن عمارة الأرض وترقية الحياة على ظهرها، عملية مستمرة دائمة، وهي بالتالي تتطلب معلومات ومهارات متجددة، وهذا كله يتطلب التربية والتعليم والتدريب بصفة دائمة ومستمرة.

وخلاصة ما تقدم، أن نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال فقهاء التربية تؤكد إلزامية التعليم لكل مسلم ومسلمة دون التفريق بين الذكور والإناث. وأن الفقهاء قسموا أحكام التعلم على ما هو فرض عين وفرض كفاية وما هو مباح ومحرم. واتفقوا على أن ما هو فرض عين فتعلم كل ما يحتاجه الفرد المسلم في أحواله اليومية مما يتصل بعقيدته وعبادته ووجدانه وأخلاقه في ضوء التعاليم الإسلامية السمحة. وأما ما هو فرض كفاية فتعلم كل ما يحتاجه المسلم في قوامة دينه ودنياه في بعض الأحايين، مثل حفظ القرآن عن ظهر الغيب والطب والحساب. وأما المحرم فكل ما يضر بالفرد من السحر وعلم التنجيم المضر. وأما المباح فتعلم ما سوى ذلك. ورائد هذه الآراء هو أبو حامد الغزالي وتبعه في ذلك من جاء بعده من العلماء، مثل الزرنوجي والهيثمي وابن عابدين وغيرهم من المتأخرين.

خامسًا: موقع التعليم في سلم المصالح الضرورية والحاجية والتحسينية

المصالح الضرورية هي التي يتوقف عليها حياة الناس الدينية والدنيوية، بحيث إذا فُقدت اختلت الحياة في الدنيا، وشاع الفساد وضاع النعيم الأبدي وحل العقاب في الآخرة. وأما الحاجيات فهي المصالح التي يحتاج إليها الناس للتيسير عليهم، ورفع الحرج عنهم، وإذا فقدت لا يختل نظام حياتهم كما في الضروريات، ولكن يلحقهم الحرج والمشقة، ورُتبَتُها بعد الضروريات. وأما التحسينيات فهي المصالح التي تقتضيها المروءة، ويقصد بها الأخذ بمحاسن العادات ومكارم الأخلاق، وإذا فقدت لا يختل نظام الحياة كما في الضروريات، ولا ينالهم الحرج كما في الحاجيات[1].

وموقع التعليم في سلم المصالح الشرعية هو من الضروريات. ذلك بالنظر إلى الأدلة التي سقناها سابقًا، سواء في القرآن الكريم أو السنة النبوية الشريفة أو من أقوال الفقهاء. فهذه النصوص كلها تؤكد

(١) وهبة الزحيلي. أصول الفقه الإسلامي. دمشق، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٨٦، ص١٠٢٠.

إلزامية التعليم لكل مسلم ومسلمة، وهو بذلك يعد من الضروريات، لتعلقه بأساسيات العقيدة والعبادات والأخلاق، مما لا تستقيم الحياة إلا بها. ولكن مع ضروريات التعليم هناك أشياء من الضروريات أو من الحاجيات أو من التحسينيات في تعلمه.

فإذا نظرنا إلى أحكام التعلم والتعليم كما سبق بيانه، نجد أنه ينقسم إلى ما هو فرض عين وما هو فرض كفاية وما هو مباح. فتعلم ما هو فرض عين من الضروريات، إذ بدونها تختل الحياة في الدنيا والآخرة. فتعلم العقيدة والعبادات وأحوال القلب والأخلاق الحميدة من الضروريات التي لابد أن يتعلمها المسلم والمسلمة من أجل سلامته في دنياه وأخراه. وفي ذلك يقول الغزالي: «والمعاملة التي كلف العبد العاقل البالغ العمل بها ثلاثة: اعتقاد وفعل وترك»[١]. والاعتقاد يقصد بها العقيدة الصحيحة المتمثلة في أركان الإيمان الستة، والفعل ما يتعلق بالعبادات المتمثلة في أركان الإسلام الخمس، والترك هو ما يتصل بالمنهيات والمنكرات سواء من المعتقدات أو الأفعال أو أحوال القلب. وهي في اصطلاح الغزالي من العلوم الشرعية.

وأما ما هو فرض كفاية فهو من الحاجيات. وهي كل ما يرتبط بمصالح أمور الدنيا كالطب والحساب. وفي ذلك يقول الغزالي: «أما فرض الكفاية فهو كل علم لا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا كالطب، إذ هو ضروري في حاجة بقاء الأبدان، وكالحساب فإنه ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرهما، وهذه هي العلوم لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج أهل البلد، وإذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين... كما أن أصول الصناعات أيضًا من فروض الكفايات كالفلاحة والحياكة والسياسة والحجامة والخياطة. فإنه لو خلا البلد من الحجام تسارع الهلاك إليهم وحرجوا بتعريضهم أنفسهم للهلاك»[٢].

وأما ما هو مباح ممدوح فإنه من التحسينيات، وهو تعلم كل ما يتعلق بمصالح الناس التي إذا فقدت لا يختل نظام الحياة كما في الضروريات، ولا ينالهم الحرج كما في الحاجيات، مثل تعلم التخصصات الدقيقة في مختلف مجالات العلوم. وفي ذلك يقول الغزالي: «وأما ما يعد فضيلة لا فريضة فالتعمق في دقائق الحساب، وحقائق الطب وغير ذلك مما يستغنى عنه، ولكنه يفيد زيادة قوة في القدر المحتاج إليه»[٣].

---

(١) الغزالي، إحياء علوم الدين، ص١٥.

(٢) الغزالي، إحياء علوم الدين، ص١٧.

(٣) الغزالي، إحياء علوم الدين، ص١٧.

فخلاصة القول، إن التعليم يعد من الضروريات، لعدم استقامة الحياة الدنيا والأخرة إلا به. وإن كل ما يعد فرض عين في تعلمه فهو من الضروريات، مثل تعلم العقيدة والعبادات والأخلاق وسائر المنهيات. وما يعد فرض كفاية فهو من الحاجيات، مثل تعلم الطب والحساب مما يحتاجه الناس والبلد في الأحيان. وما سوى ذلك فيعد من التحسينيات، مثل التعمق في تخصصات مختلفة.

سادسا : موقع التعليم في سلم الحقوق والواجبات في الإسلام

الحقوق والواجبات وجهان لعملة واحدة. فما هو حق لفرد هو واجب على آخر، مثل حق الولد هو من واجبات الوالد، وكذا حق الوالد هو من واجبات الولد. والإسلام يراعي هذه الحقوق والواجبات، منها حق التعليم والتربية. والنصوص القرآنية والأحاديث النبوية والآثار كفيلة بذلك، منها ما يلي:

أ ـ من الآيات القرآنية:

١ـ قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]. هذه الآية تشير في ظاهرها إلى مسئولية الأبوين لوقاية أنفسهما وأهليهما، وهم أولادهما من النار. وهي تشير في مضمونها إلى مسئوليتهما لتعليم أولادهما ما ينجيهم من عذاب النار. فهي بذلك تشير إلى حق التعليم والتربية للأولاد.

٢ـ وقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۞ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٣].

٣ـ وقوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤]. فهذه المساءلة من قِبل الله في الآخرة إنما تدل على جسامة مسؤولية الأبوين لتربية وتعليم أولادهم تربية صالحة.

ب ـ من الأحاديث النبوية الشريفة:

١ـ قول الرسول ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته. والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها...» رواه البخاري ومسلم. هذا الحديث واضح في تحميل مسؤولية الأبوين لأولادهم من حقوقهم في الحصول على الرعاية الكاملة من طعام، وشراب، وكسوة، وتعليم.

٢ـ وقول رسول الله ﷺ: «أدبوا أولادكم وأحسنوا أدبهم» رواه ابن ماجه.

٣ـ وقول رسول الله ﷺ: «علموا أولادكم وأهليكم الخير وأدبوهم» رواه عبد الرزاق وسعيد بن منصور.

٤ـ وقول رسول الله ﷺ: «مروا أولادكم بامتثال الأوامر واجتناب النواهي، فذلك وقاية لهم من النار» رواه ابن جرير.

٥ـ وقول رسول الله ﷺ: «أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم وحب آل بيته وتلاوة القرآن، فإن حملة القرآن في ظل عرش الله، يوم لا ظل إلا ظله» رواه الطبراني. فهذه الأوامر كلها تدل على وجوب الآباء مسؤولياتهم لتأديب أي تعليم أولادهم، وهي في الوقت نفسه حق الأولاد للحصول على التأديب والتعليم منهم.

ج ـ من الآثار:

١ـ جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشكو إليه عقوق ابنه، فأحضر عمر الولد وأنبه على عقوقه لأبيه، ونسيانه لحقوقه، فقال الولد: يا أمير المؤمنين، أليس للولد حقوق على أبيه؟ قال: بلى، قال: فما هي يا أمير المؤمنين؟ قال عمر: أن ينتقي أمه، ويحسن اسمه، ويعلمه الكتاب (أي القرآن)، قال الولد: يا أمير المؤمنين إن أبي لم يفعل شيئًا من ذلك، أما أمي فإنها زنجية كانت لمجوسي، وقد سماني جعلًا (أي خنفساء) ولم يعلمني من الكتاب حرفًا واحدًا. فالتفت عمر إلى الرجل وقال له: جئت إلي تشكو عقوق ابنك، وقد عققته قبل أن يعقك، وأسأت إليه قبل أن يسيئ إليك. وهكذا حمل عمر الرجل على إهماله لحقوق ابنه.

سابعا : حكم الإنفاق على التعليم وطلابه ومؤسساته وأجهزته ومخرجاته

وعن حكم الإنفاق على التعليم وخاصة للأولاد، فهناك آيات قرآنية وأحاديث نبوية في ذلك، منها:

١ـ قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]. هذه الآية تشير إلى أن على الأب الذي يولد له إطعام وكسوة أزواجه وولده بالمعروف، وتعليمه أولى.

٢ـ قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٦]. فأوجب الله أجرة رضاع الولد على الأب، فدل على أن نفقته تجب عليه، ومنها نفقة التعليم.

٣ـ وعن عائشة رضي الله عنها أن هندَ قالت: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل شحيح، وليس لي إلا ما يدخل بيتي، فقال رسول الله ﷺ: «خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف» وجه الدلالة في هذا الحديث أن الحديث نصٌّ في وجوب النفقة على الأزواج والأولاد، ومنها نفقة التعليم.

٤ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «أفضل الصدقة ما ترك غنى واليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول». وهذا الحديث أيضًا يحث على الإنفاق، وأفضل الإنفاق على من يعول ومنه الأولاد، وبخاصة الإنفاق على تعليمهم.

٥ـ وقوله ﷺ: «كفى بالمرء إثمًا أن يضيع ما يقوت» رواه أبو داود وغيره. أي لو لم يكن له من

الإثم إلا هذا لكان ذلك كافيًا لعظمه. فيجب عليه الإنفاق على من يقوت وهو أولاده وخاصة في تعليمهم.

٦ـ وعن رأي الفقهاء:

نفقة الأب على أولاده واجبة لا يشاركه أحد فيها، قال الإمام النووي رحمه الله: «لا يشترط يسار الوالد في نفقة ولده الصغير، فيستقرض عليه ويؤمر بوفائه إذا أيسر»[١]. وهذا واضح في وجوب النفقة على الأولاد، وخاصة في تعليمهم حتى وإن كان ذلك بالاستقراض.

ثامنا: دعم التعليم الإبداعي والنقدي والبحث العلمي والابتكارات

اهتم الإسلام بالتعليم الإبداعي، والنقدي، والبحث العلمي، والابتكارات. فالقرآن الكريم مليء بالآيات التي تطالب بإعمال العقل والتفكير في جميع الأمور، ويذم من لا يستعمل عقله وتفكيره، فمن ذلك:

١ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]. أي: لا تقل ما ليس لك به علم. لأن السمع والبصر والفؤاد ستسأل يوم القيامة عما يعمل بها. ومن المعروف أن السمع والبصر والفؤاد من أهم أدوات التفكير. فالنهي في هذه الآية عن قول الزور وعدم الدقة والخيانة العلمية في البحث العلمي.

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم: ٢٨]. وهذه الآية أيضًا تشير إلى التفكير والبحث العلمي الذي يستند إلى حقيقة علمية وليس إلى الظن، لأن الظن لا ينفع من الحق شيئًا فيقوم مقامه.

٣ـ قوله تعالى: ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ﴾ [الكهف: ١٥]. هذه الآية تشير إلى ما اتخذه الكفار من الآلهة التي يعبدونها بدون أدلة وبراهين صحيحة، بل استمروا في ضلالهم، فلماذا لا يأتون ببرهان واضح؟ أي لماذا لا يستخدمون التفكير الناقد الذي يرشدهم إلى طريق مستقيم وإلى توحيد الله؟ وبمعنى آخر فإن الآية تدعو إلى إعمال العقل والتفكير الناقد الذي يستند إلى الأدلة والبراهين الصحيحة.

فتلك بعض النصوص القرآنية التي تحث الناس إلى إعمال تفكيرهم العلمي والناقد ولا يعتمد في

(١) محمد بن محمد الخطيب الشربيني، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، بيروت: دار الكتاب العلمية، ١٤٢١هـ، ج٥، ص١٨٥.

أمورهم على الظن والشك، ولكن يعتمد على ما توصل إليه البحث العلمي والتفكير الناقد. وهناك مناهج في البحث العلمي التي تقوم على أساس التجربة العلمية التي لها مصداقية عالية، كما توجد مناهج أخرى وصفية واستقرائية واستنباطية وغيرها.

و«التصور الإسلامي لمناهج البحث العلمي لا يقف بمصادر المعرفة عند المنهج التجريبي وحده، إنه لا يهمله، لكنه لا يقول بأنه السبيل الوحيد للمعرفة، فهناك المعرفة الربانية اليقينية المتمثلة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وهناك المنهج الاستقرائي الاستنباطي، وهناك المنهج العلمي للنظر العقلي وهو منهج التفكير القائم على العلم والخبرة، وتمحيص الحقائق وعدم التأثر بمقررات سابقة لا برهان عليها، وعدم الاعتماد على الظن وطلب الدليل في كل اعتقاد»[١].

ولذلك فالإسلام يحث على البحث العلمي وبخاصة في التعليم العالي: إذ «أصبح البحث العلمي وإنتاج معرفة جديدة من أهم وظائف التعليم العالي (الذي كان يقتصر على حفظ المعرفة القديمة)، حيث إن الجمع بين التعليم والبحث هو ما أدى إلى ظهور الجامعة الحديثة في القرن ١٨ و١٩ في كل من أسكتلندا وألمانيا على الترتيب، والتي اهتمت بالبحث العلمي، فهو عملية فكرية منظمة يقوم بها الباحث من أجل تقصي الحقائق بشأن مسألة أو مشكلة معينة (موضوع البحث) باتباع طريقة علمية منظمة (منهج البحث) بغية الوصول إلى حلول ملائمة للعلاج وإلى نتائج صالحة للتعميم على المشاكل المماثلة (نتائج البحث)»[٢].

وعن الإبداع والابتكار، فيعد البحث العلمي من الركائز الأساسية للنهوض الحضاري في أي بلد. فالاكتشافات تأتي من خلال البحث والتمحيص ومتابعة الأحداث والأفكار، ومحاولة تطويرها، ودعمها، ورعايتها. فكثير من الابتكارات والاكتشافات والاختراعات ما هي إلا نتيجة للأفكار الابتكارية لأساتذة الجامعات والطلاب المتميزين، وتسخر نتائج البحث العلمي لخدمة المجتمع بما يحقق التنمية والتطور في مجالات الحياة كافة[٣]. بما يحقق أهداف الخلافة في الأرض.

وأهمية الإبداع فإنه سيحقق على الأقل بعضًا من الفوائد الآتية:

١ـ تحسين نوعية التعليم ذلك من خلال المرونة والتكيف لحاجات الطلبة[٤].

---

(١) علي أحمد مدكور، نظريات المناهج التربوية، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٧م، ص٢٣٤.

(٢) العبادي هاشم فوزي، إدارة التعليم الجامعي، مفهوم حديث في الفكر الإداري المعاصر (الأردن: مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨)، ص. ٥٥٤).

(٣) نوال نمور، «كفاءة أعضاء هيئة التدريس وأثرها على جودة التعليم العالي، دراسة حالة، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير» (رسالة الماجستير، جامعة منتوري قستنطينة، الجزائر، ٢٠١١)، ص. ٣٠.

(4) J.R Schermerhom, J.G. Hunt, & R.N. Osbom, Organizational Behavior (USA: John Wiley & Sons, 1997), p.76

٢ـ تحسين المخرجات وذلك بتحقيق الكفاءة والفاعلية في الأداء وإنجاز الأهداف واستخدام الموارد والطاقة بشكل تربوي[١].

٣ـ زيادة قدرة الجامعات على المنافسة وذلك من خلال:

ـ تقديم الجديد بالمعرفة[٢].

ـ تقليل الهدر من خلال الإبداع في العملية التربوية[٣].

٤ـ تحسين صورة الجامعة ومكانتها التربوية[٤].

٥ـ نجاح الجامعة بشكل كبير، ويمكن أن تكون رائدة في الإبداع.

٦ـ تنشيط وتعزيز أداء الجامعة بشكل عام.

٧ـ مساعدة الطلبة ليصبحوا أعمق فهمًا وإدراكًا وتحقيقًا لذاتهم وقدراتهم الإبداعية.

٨ـ تدعيم هؤلاء الطلبة ليكونوا أقدر على الإنتاج والعطاء لمجتمعهم بالوسائل الإبداعية التي تسهم في تشكيل واقع جديد

٩ـ تخليص الطالب من تأثير الأفكار السلبية التي تكرس الجمود الفكري، وعدم التجديد[٥].

١٠ـ يزيد الإبداع من تقدم الجامعات، وقابليتها للتكيف مع المتغيرات وزيادة المرونة في عملياتها الإدارية والفنية المستمرة، كما يساعد على اكتشاف ودعم قدرات الأفراد الذاتية وتوجيهها نحو تطوير الجامعة.

١١ـ يساعد الإبداع في تحقيق الذات والشعور بالإنجاز لجميع العاملين في الجامعة، وتطوير وتنمية معارف ومهارات الأفراد والتأثير على اتجاهاتهم وسلوكهم.

١٢ـ يسهم الإبداع في بناء الثقة لدى الأفراد في الجامعة (الطلبة والعاملين)، ويساعدهم على التغلب على المعوقات الشخصية التي تحول دون قدرتهم على التعبير عن إمكاناتهم الإبداعية.

١٣ـ يوضح للأفراد مسارات التطوير والتجديد في جامعتهم، كما يدفعهم إلى الدخول في منافسات

---

(1) Joel D.Goldhare, "In the factory of the future, Innovation is Productivity", Research Management, Vol XXIX, No 2, (1986).

(2) G.R. Jones, Organizational Theory: Text and Cases, (USA: Addison- Wesley Com, 1995), p. 121.

(3) C.P.Pisano &. S.C. Wheelwright, "The New Logic Of HighTechs R&D", HBR, Sep, Oct. 1995.

(٤) السيد متولي حسن؛ رمضان عبد العظيم جاد، «بعض جوانب ممارسة نشاط البحوث والتطوير»، المجلة العربية للإدارة، المجلد السادس عشر، العداد الأول، (١٩٩٤).

(٥) فتحي جروان، الإبداع (الأردن: دار الفكر، ٢٠٠٢)، ص٧٦.

التحدي والتميز مع الآخرين.

١٤ـ يساعد الإبداع الطلبة في إعادة تحديد أهدافهم وتصوراتهم عن الجامعة، وبالتالي قدرتهم على الظهور بصور إبداعية متجددة ومستمرة[١].

(١) بتلة صفوق العنزي، «دور الجامعات في تنمية القدرات الإبداعية لدى الطلبة» المجلة العلمية لكلية التربية النوعية العدد السادس (أبريل ٢٠١٦)، ص٦٢٢-٦٢٣

خاتمة
نتائج البحث

قد توصل البحث إلى النتائج التالية:

١ـ التعليم عملية تفاعل تربوي إيجابي بين المعلم وفئات المستهدفين من أجل مساعدتهم على تحصيل ما أمكنهم من المعارف والعلوم، واكتساب ما تيسر لهم من مهارات وخبرات تمكنهم من الاستقلال بذواتهم، والاعتماد على أنفسهم في تطوير قدراتهم، وتنمية كفاءاتهم بما يخدم مصالحهم ومصالح مجتمعهم. كما أن التعليم يشمل التوفيق الإلهي أو ما يعرف بالعلم اللدني، والعلمي الشرعي مما يخدم الشريعة، والعلم الكوني مما يخدم البشرية في حياتهم الدنيوية والأخروية. كما أن التعليم أعم من التربية والتزكية والتثقيف والتنوير، لأن التربية هي الرعاية الكاملة لجوانب الإنسان في مرحلة الطفولة؛ والتزكية خاصة لتطهير النفس من رذائل المعاصي والأخلاق السيئة؛ والتثقيف مختص بتوسيع معارف الفرد خارج تخصصه ليعلم كل شيء عن شيء ويعلم شيئًا عن كل شيء؛ وأما التنوير فهو عملية الربط بين العلم والإيمان في نفوس الإنسان المسلم من أجل العمل النافع للأمة قاطبة.

٢ـ يتنوع التعليم ما بين التعليم العام والتعليم الديني، والتعليم الحكومي والتعليم الخاص (الأهلي)، والتعليم لذوي الاحتياجات الخاصة، والتعليم الأكاديمي، والتعليم المهني والفني وغيرها يختلف بين بلد وآخر. وعن أهمية التعليم بالنسبة للفرد فإنه يؤدي إلى طاعة الله وأمن نفسي له وحب المجتمع وتقديره له. وأما أهميته للمجتمع فالتعليم يؤدي إلى الأمن الاجتماعي والترابط الاجتماعي بين أفراد المجتمع.

٣ـ إن التعليم له مكانة سامية في القرآن الكريم وفي الأحاديث النبوية الشريفة وفي الآثار. منها قول الحق تبارك وتعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨]. وقوله عز وجل: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]. فبدأ الحق سبحانه في الشهادة على ألوهيته تعالى بنفسه، ثم ثنى بالملائكة، ثم ثلث بأولي العلم أي أهله، كما رفع درجات العلماء فوق غيرهم. ويتجلى مكانة التعليم والعلماء في الأحاديث النبوية الشريفة فيما رواه معاوية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين». وأما الأثر، فقال ابن عباس رضي الله عنه: «للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبع مئة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمس مئة عام».

٤ـ للتعليم أهمية كبيرة في الإسلام. فأوائل الآيات القرآنية التي نزلت برسول الله ﷺ الأمر بالقراءة، والقسم بالقلم وبالكتاب، في قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ وقوله تعالى: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَٱلطُّورِ * وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ * فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ﴾. فالقراءة والكتابة وأدواتهما من أهم عناصر التعليم. وكذلك الرسول عليه الصلاة والسلام فقد أشار إلى أهمية التعليم في قوله: «فوالله لأن يهدي الله بك رجلا خير لك من أن يكون لك حمر النعم»، فالرسول ﷺ حث على تعليم الغير المسبب لهداية الله.

٥ـ إن نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال فقهاء التربية تؤكد إلزامية التعليم لكل مسلم ومسلمة دون التفريق بين الذكور والإناث. وأن الفقهاء قسموا أحكام التعلم على ما هو فرض عين وفرض كفاية وما هو مباح ومحرم. واتفقوا على أن تعلم كل ما يحتاجه الفرد المسلم في أحواله اليومية مما يتصل بعقيدته وعبادته ووجدانه وأخلاقه في ضوء التعاليم الإسلامية السمحة فهو فرض عين. وأما تعلم كل ما يحتاجه المسلم في قوامة دينه ودنياه في بعض الأحايين مثل حفظ القرآن عن ظهر الغيب والطب والحساب ففرض كفاية. وأما المحرم فكل ما يضر بالفرد والغير من السحر وعلم التنجيم المضر. وأما المباح فتعلم ما سوى ذلك.

٦ـ إن التعليم يعد من الضروريات، لعدم استقامة الحياة الدنيا والأخرة إلا به. وإن كل ما يعد فرض عين في تعلمه فهو من الضروريات، مثل تعلم العقيدة والعبادات والأخلاق وسائر المنهيات. وما يعد فرض كفاية فهو من الحاجيات، مثل تعلم الطب والحساب مما يحتاجه الناس والبلد في الأحيان. وما سوى ذلك فيعد من التحسينيات، مثل التعمق في تخصصات مختلفة.

٧ـ حق التعليم من الحقوق الأساسية للأبناء على الآباء وأولياء الأمور. فقد دلت الآيات القرآنية الكثيرة والأحاديث النبوية الشريفة والآثار على هذه الحقوق في طعامهم وكسوتهم وتعليمهم، كما أن الآباء عليهم واجبات الإنفاق على أهليهم وأولادهم في احتياجاتهم الضرورية، وحرمة إضاعتهم دون النفقة. فنفقة الأب على أولاده واجبة لا يشاركه أحد فيها.

٨ـ اهتم الإسلام بالتعليم الإبداعي، والنقدي، والبحث العلمي، والابتكارات. فالقرآن الكريم مليء بالآيات التي تطالب بإعمال العقل والتفكير في جميع الأمور، ويذم من لا يستعمل عقله وتفكيره، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسراء: ٣٦]. كما حث الإسلام المسلمين على إعمال تفكيرهم العلمي والناقد ولا يعتمد في أمورهم على الظن والشك، ولكن يعتمد على ما توصل إليه البحث العلمي والتفكير الناقد من نتائج. وهناك مناهج في

البحث العلمي التي تقوم على أساس التجربة العلمية التي لها مصداقية عالية، كما توجد مناهج أخرى وصفية واستقرائية واستنباطية وغيرها على الدرجة نفسها من المصداقية.

هذا، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

مراجع البحث

ـ **إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي**، الموافقات في أصول الشريعة، بيروت: دار الكتاب العلمية، **١٤٢٥**هـ.

ـ **إبراهيم عصمت مطاوع: أصول التربية**، ط**٣**، القاهرة، دار المعارف، **١٩٨٣**.

ـ **ابن كثير: تفسير القرآن العظيم**.

ـ **ابن الجوزي. مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب**، تحقيق زينب إبراهيم القاروط، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت.

ـ **ابن عبد البر. جمع بيان العلم وفضله**، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان. ط**٢**، المدينة المنورة، المكتبة السلفية، **١٣٨٨**هـ، ج١.

ـ **ابن ماجه**، سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي وآخرون. القاهرة، عيسى البابي الحلبي، د.ت. ج١.

ـ **ابن منظور. لسان العرب. ج٣**، القاهرة، دار المعارف، د.ت.

ـ **ابن هشام. السيرة النبوية**.

ـ **ابن عابدين**، محمد أمين، رد المحتار على الدر المختار

ـ **أبو نعيم الأصفهاني. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. المكتبة السلفية**، د.ت. ج١.

ـ **أبو الحسن البصري الماوردي. أدب الدنيا والدين. تحقيق مصطفى السقا. ط٤**، بيروت، دار الكتب العلمية، **١٣٩٨**هـ-**١٩٧٨**م.

ـ **أبو نعيم في كتابه حلية الأولياء**

ـ **أحمد بن حجر الهيثمي**، الزواجر عن اقتراف الكبائر، د.م: د.ن، د.ت.

ـ **أحمد حسين اللقاني وعلي جمل. معجم المصطلحات التربوية المعرفة. القاهرة**، عالم الكتب، **١٩٩٦**م.

ـ **بتلة صفوق العنزي**، «دور الجامعات في تنمية القدرات الإبداعية لدى الطلبة» المجلة العلمية لكلية التربية النوعية العدد السادس، أبريل **٢٠١٦**.

ـ **جلال الدين السيوطي: تاريخ الخلفاء**.

ـ **خالد بن حامد الحازمي: أصول التربية الإسلامية**، الرياض، دار عالم الكتب، **١٤٢٠**هـ،

ـ **الخطيب البغدادي. الفقيه والمتفقه. تحقيق إسماعيل الأنصاري**، ط**٢**، الرياض مطابع القصيم، **١٣٨٩**هـ، ج٧.

ـ **الدارمي. السنن. تحقيق عبد الله هاشم. القاهرة**، دار المحاسن، **١٣٨٦**هـ، ج١.

ـ **الزرنوجي**، برهان الإسلام: تعليم المتعلم طريق التعلم.

ـ **الزمخشري**، جار الله محمود بن عمر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل

ـ **الزنجاني**، شهاب الدين محمود بن أحمد: تخريج الفروع على الأصول.

ـ **سيد أحمد عثمان: بهجة التعلم**، القاهرة، الأنجلو المصرية، **١٩٧٧**م.

ـ **السيد متولي حسن؛ رمضان عبد العظيم جاد**، «بعض جوانب ممارسة نشاط البحوث والتطوير»، المجلة شمس الدين، عبد الأمير: الفكر التربوي عند الغزالي.

ـ **الطبراني: المعجم الصغير**.

ـ **العبادي هاشم فوزي**، إدارة التعليم الجامعي، مفهوم حديث في الفكر الإداري المعاصر، الأردن: مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، **٢٠٠٨**م.

ـ **عباس محجوب: مرجع سابق.**

ـ **عبد البديع عبد العزيز الخولي: محاضرات في التربية الإسلامية. كلية التربية جامعة الأزهر، ١٩٨٤م.**

ـ **عبد الرحمن بن عبد الخالق بن حجر الغامدي. مدخل إلى التربية الإسلامية. الرياض،** دار الخريجي للنشر والتوزيع، **١٤١٨هـ.**

ـ **عبد الواحد بن عاشر،** المرشد المعين على الضروري من علوم الدين، القاهرة: مكتبة القاهرة، د.ت.

ـ **العربية للإدارة،** المجلد السادس عشر، العداد الأول، **١٩٩٤م.**

ـ **علي أحمد مدكور،** نظريات المناهج التربوية، القاهرة، دار الفكر العربي، **١٩٩٧م.**

ـ **العلي،** صالح، التعلم الإلزامي في القرآن والسنة وفقه الأئمة، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية– المجلد **٢٢**–العدد الثاني– **٢٠٠٦م.**

ـ **ابن عدي: الكامل في ضعفاء الرجال.**

ـ **الغامدي،** عبد الرحمن بن عبد الخالق بن حجر. مدخل إلى التربية الإسلامية. الرياض: دار الخريجي للنشر والتوزيع، **١٤١٨هـ.**

ـ **الغزالي،** أبو حامد: إحياء علوم الدين.

ـ **فتحي جروان،** الإبداع، الأردن، دار الفكر، **٢٠٠٢م.**

ـ **فتحي علي يونس وآخرون،** التربية الدينية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة. القاهرة، مكتبة وهبة، **٢٠١٥م.**

ـ **الفيومي،** أحمد بن محمد بن علي المقري: المصباح المنير. بيروت: المكتبة العلمية، د.ت.

ـ **القرطبي،** محمد بن أحمد الأنصاري: الجامع لأحكام القرآن.

ـ **محمد بن محمد الخطيب الشربيني،** مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، بيروت: دار الكتاب العلمية، **١٤٢١هـ.**

ـ **محمد عبد القادر احمد: الجديد في التربية الإسلامية،** القاهرة، النهضة المصرية، **١٩٨٩م.**

ـ **محمد عبد القادر أحمد.**

ـ **محمد شيرازي دمياطي: تطوير منهج التربية الإسلامية للمرحلة الإعدادية بالتعليم العام في إندونيسيا. رسالة ماجستير،** غير منشورة، كلية التربية، جامعة الأزهر، **١٩٩٥م.**

ـ **محمد رأفت عثمان،** الحقوق والواجبات والعلاقات الدولية في الإسلام (القاهرة: دار الضياء، د.ت).

ـ **مقداد يلجن. جوانب التربية الإسلامية،** دم. دن. دت.

ـ **المنذري: الترغيب والترهيب.**

ـ **نوال نمور،** «كفاءة أعضاء هيئة التدريس وأثرها على جودة التعليم العالي، دراسة حالة، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير» (رسالة الماجستير، جامعة منتوري قستنطينة، الجزائر، **٢٠١١م**).

ـ **النووي،** محيي الدين: المجموع.

ـ **الهيتمي،** ابن حجر: الزواجر عن اقتراف الكبائر.

ـ **وهبة الزحيلي. أصول الفقه الإسلامي. دمشق،** دار الفكر للطباعة والنشر، **١٩٨٦م.**

- J.R Schermerhom, J.G. Hunt, & R.N. Osbom, Organizational Behavior (USA: John Wiley & Sons, 1997).

- Joel D.Goldhare, "In the factory of the future, Innovation is Productivity", Research Management, Vol XXIX, No 2, (1986).

- G.R. Jones, Organizational Theory: Text and Cases, (USA: Addison- Wesley Com, 1995).

- C.P.Pisano&. S.C. Wheelwright, "The New Logic Of HighTechs R&D", HBR, Sep, Oct. 1995.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

قرار رقم:
بشأن

إن مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة التعاون الإسلامي، المنعقد في دورته الخامسة والعشرين بـ...

وبعد اطلاعه على التوصيات الصادرة عن الندوة العلمية الدولية «إلزامية التعليم بشقيه الديني والدنيوي لكلا الجنسين في الإسلام»، التي عقدها المجمع بـ...، بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)، واستماعه إلى المناقشات التي دارت حوله. **قرر ما يلي:**

أ ـ على مستوى الأفراد:

١ـ الاهتمام بارتقاء المستوى الثقافي الديني بالعلوم الدينية وفي مقدمتها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والعقيدة والفقه والسيرة النبوية، وذلك بالتزود والتفقه في الدين بمختلف الوسائل التعليمية المتاحة في إطار التعلم المستمر مدى الحياة. عملًا بقوله ﷺ: «اطلب العلم من المهد إلى اللحد».

٢ـ الاهتمام برفع المستوى الثقافي الشخصي العام بالعلوم الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، من أجل مواكبة الركب الحضاري والتطورات المستمرة في شتى مجالات الحياة، وبخاصة فيما يتعلق بتكنولوجيا المعلومات والرقمنة.

٣ـ الاهتمام بالتخصص العلمي الشخصي وتطويره دائما لمواكبة التطور المستمر في العلوم والمعارف الدينية والدنيوية من أجل إثبات التفوق العلمي لدى الشخص المسلم في ساحة التنافس الدولي في مجال المعرفة والعلوم والتكنولوجيا.

٤ـ الاهتمام بتزكية النفس دائما وذلك بتوطيد العلاقات مع الله سبحانه وتعالى بالالتزام بأداء العبادات والنوافل والذكر، وفعل المعروف واجتناب المنكر والابتعاد عن رذائل الأخلاق ودنس النفس، وأعمال الجاهلية.

٥ـ الاهتمام بالتفكير العلمي والتفكير الناقد الموصلة إلى الإيمان بالله تعالى، والربط بين تنوير العقل وتنوير القلب بالعلم والإيمان، وترك الجمود الفكري والجهل والشعوذة، والركون إلى ما كان عليه آباؤنا دون التأكد والتثبت من صحة ما جاء به.

ب ـ على مستوى الأسرة:

١ـ الاهتمام بتربية الأولاد بجوانبهم المختلفة، الجسمية والعقلية والوجدانية والروحية، من التغذية الطيبة والتعليم الراقي، بما يحقق النمو الشامل المتكامل ويؤدي إلى خلق جيل قوي سوي قادر على تحمل المسؤوليات الجسام من أجل سعادتهم في الدنيا والآخرة.

٢ـ الاهتمام بالتعليم الديني للأولاد منذ نعومة أظفارهم، وذلك بخلق الجو الأسري الديني الدافئ المملوء بالحب والحنان وغرس العقيدة الإسلامية الصحيحة، وتعليمهم القرآن الكريم وحب نبينا محمد ﷺ وأصحابه وتمرينهم على إقامة شعائر الدين من العبادات والأخلاق الكريمة في إطار القدوة الحسنة التي قام بها الوالدان والكبار من حولهم.

٣ـ العدل بين الأولاد في تربيتهم وتعليمهم حسب احتياجات ومتطلبات تعليمهم، والاهتمام باستعداداتهم وميولهم وتوجيهها وتطويرها إلى أقصى حد ممكن، من أجل تحقيق آمالهم وطموحاتهم في الرقي بمستوى التعليم دون التفرقة بين الذكور والإناث.

٤ـ السعي جاهدا في الكسب والعمل لسد احتياجات التعليم للأولاد وتوفير أدنى متطلبات المدارس واتخاذه أولوية في تحديد ميزانية الأسرة بعد احتياجات الحياة الضرورية مباشرة، تحقيقًا لمسؤوليات الرعاية الكاملة الواجبة على الأسرة.

٥ـ الاهتمام باختيار المدارس المتكاملة التي تهتم بالمواد الدينية الإسلامية الصحيحة والمواد العامة التي تعود بالنفع للأولاد في معاشهم ومعادهم، تحقيقًا لمبدأ الضروريات والحاجيات والتحسينيات في تحديد أنواع التعليم للأولاد.

٦ـ احترام اختيار الأولاد للتخصصات التي حددوها في تعليمهم الجامعي حسب استعداداتهم وميولهم وكفاءاتهم التعليمية مما يساعدهم على نجاحهم في تحقيق آمالهم وسعادتهم في مستقبلهم العلمية وحياتهم الزوجية.

ج ـ على مستوى المؤسسات التعليمية:

١ـ العناية بالتربية بجميع نواحيها، جسمية وعقلية ووجدانية وروحية، ولا يطغى جانب على حساب

الجوانب الأخرى، وذلك من أجل تحقيق النمو الشامل للتلاميذ إلى مستوى النضج المطلوب وتمتعهم بالشخصية المتكاملة القادرة على تحمل المسؤولية والحياة السوية وأعضاء صالحين في مجتمعهم.

٢ـ الاهتمام بمادة التربية الدينية الإسلامية في جميع مراحل الدراسة وبخاصة في التعليم الأساسي الابتدائي والإعدادي والتعليم الثانوي مما يسد احتياجات التلاميذ من المعارف الدينية الضرورية من عقيدة وعبادات وأخلاق ومعاملات، وبخاصة القرآن الكريم حفظا وتلاوة والسنة المطهرة متنًا وسلوكًا.

٣ـ الاهتمام بالتكامل المعرفي في إعداد المناهج الدراسية، بين العلوم الدينية والعلوم الطبيعية والاجتماعية بما يحقق الكفايات العلمية الضرورية لمواصلة الدراسة في مراحلها العليا والجامعية.

٤ـ العدل والاعتدال في معاملة التلاميذ والطلاب حسب قدراتهم واستعداداتهم دون التفرقة بين الذكور والإناث، تحقيقًا لمبدأ المساواة بين الجنسين في التعليم الذي أيده الإسلام، وحث عليه الرسول الأكرم صلوات الله وسلامه عليه.

٥ـ توفير الإمكانيات والوسائل التعليمية الجيدة التي تساعد على نجاح العملية التعليمية وبخاصة ما يتعلق بالملاعب والمعامل ودور العبادات والمكتبات والوسائط الحديثة المتطورة، وذلك من أجل تحقيق أهداف العملية التعليمية المتكاملة التي رسمتها المدرسة في إطار رؤيتها ورسالتها المحددة.

٦ـ الأخذ في الاعتبار عند بناء المناهج الدراسية بأساليب التعليم الحديثة القائمة على التعلم النشط والتعلم المحوري والتعلم التعاوني والتعلم للإتقان، وتنمية التفكير العلمي والتفكير الناقد، وتنمية ملكة الإبداع والابتكار لدى الطلاب مما يجعلهم قادرين على التعلم الذاتي وتطوير معلوماتهم ومعارفهم لمواجهة التطورات الهائلة في المجتمع في شتى المجالات.

٧ـ الاهتمام بالتعليم الفني والصناعات الحديثة، مما يدخل في إطار الحاجيات التي إذا لم تتوفر في المجتمع عمن يقوم بها حرج أهل البلد، وكذا أصول الصناعات كالفلاحة والحياكة والسياسة، فإنه لو خلا البلد ممن قاموا بها تسارع الهلاك إليهم وحرجوا بتعريضهم أنفسهم للهلاك.

د ـ على مستوى الدولة:

١ـ تطوير برامج محو الأمية في مجال القراءة والكتابة والحساب تحقيقًا لمبدأ إلزامية التعليم وبخاصة محو أمية العلوم الدينية وتلاوة القرآن التي تعتبر من أوجب الواجبات والتي تؤدي إلى سعادة الناس في الدنيا والآخرة، وكذلك محو الأمية في مجال تكنولوجيا المعلومات والتي أصبحت الآن صنفًا جديدًا من صنوف الأميين لمن لا يلم بأبجديات هذا النوع من التكنولوجيا.

٢ـ العدل في إتاحة الفرص التعليمية للذكور والإناث في جميع مراحل الدراسة، بداية من الروضة إلى المرحلة الجامعية، وعدم التفرقة بينهم في الحقوق والواجبات، بل وفي فرص التوظيف بينهم بعد تخرجهم ودخولهم في الحياة العملية.

٣ـ تحقيق مجانية التعليم في جميع مراحل التعليم المختلفة، وذلك بتوفير نسبة معينة وليكن عشرين في المئة من ميزانية الدولة لتطوير التعليم بأنواعه المختلفة، مما يحقق العدالة الاجتماعية بين أفراد الشعب للحصول على حق التعليم المناسب والملائم لاستعداداتهم وقدراتهم الشخصية.

٤ـ الاهتمام بالمؤسسات التعليمية ودعمها المادي والمعنوي، وبخاصة تلك المؤسسات التعليمية الخاصة والأهلية التي قامت بمساعدة الدولة في توفير المقاعد لأبناء الشعب الراغبين في الحصول على التعليم ولو بمصروف، وذلك من أجل النهوض بمستوى التعليم في تلك المؤسسات الأهلية الخاصة.

٥ـ الاهتمام بالتربية الخاصة تحقيقًا لمبدأ تكافؤ الفرص التعليمية لكافة أفراد الشعب بين الأسوياء وذوي الاحتياجات الخاصة، وذلك بإقامة المدارس الخاصة لرعايتهم وتعليمهم، وإعداد الكوادر اللازمة للتدريس فيها، وإعداد مراكز التدريب العملي لهم في إطار الإعداد العلمي والنفسي لهم للدخول في سوق العمالة، أو توفير أدنى احتياجاتهم للحياة الواقعية وخدمة أنفسهم دون مساعدة من الآخرين.

٦ـ العناية الخاصة بالبحوث العلمية ومراكز البحث العلمي، والاستفادة من نتائجها في برامج تنمية البلاد في المجالات المختلفة، وذلك بالدعم المادي والمعنوي وتخصيص ميزانية خاصة لها، والتعاون مع مراكز البحوث الدولية بالدول المتقدمة من أجل الاستفادة من خبراتها في تحسين وترقية المستوى المعيشي للشعب. والله ولي التوفيق وعليه التكلان.

جاكرتا، ٩ يناير ٢٠٢٢م

د/ محمد شيرازي دمياطي

بحث فضيلة الدكتور بدران مسعود بن لحسن
وفضيلة الأستاذ الدكتور إبراهيم محمد زين

مركز ابن خلدون
الدوحة ، دولة قطر

تمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه.

وبعد،

فقد أحدث الاستعمار الغربي في بلاد المسلمين تحولًا كبيرًا في مؤسسات التعليم في العالم الإسلامي، حيث قضى على التعليم التقليدي المتوارث بمضامينه ومناهجه ومؤسساته، وأقام بدلها نظامه التعليمي، وربطه بسوق العمل، ونمط الحياة العام. وهو الأمر نفسه الذي حدث للمؤسسات المجتمعية الأخرى كالقضاء والاقتصاد ونظم الحكم. بعبارة أخرى؛ إن الاحتلال الغربي للعالم الإسلامي قام بتفكيك كل البنى التقليدية وأعاد صياغتها أو استبدلها ببنى حديثة، تنسجم مع مشروعه ورؤيته الكلية للكون والحياة والإنسان.

ولذلك انتهض قادة الفكر والرأي وصناع القرار في العالم الإسلامي إلى معالجة الخلل الذي ورثته الدول الإسلامية المستقلة عن الاحتلال الغربي، وعلى رأسها الخلل في النظام التعليمي، فكان مؤتمر مكة العالمي الأول للتعليم عام **١٩٧٧**م.

ولعل انعقاده في مكة له رمزيته باعتبار مكة مهبط الوحي، ومهد الرسالة الإسلامية الخالدة، ومنطلق الأمة والحضارة الإسلامية. وقد خلص المؤتمر إلى مجموعة توصيات، قصد منها وضع المسألة التعليمية تحت مجهر التشخيص والعلاج، واتخاذ الخطوات والتدابير اللازمة، لإصلاح التعليم في العالم الإسلامي.

ومن بين ما أكدت عليه توصيات المؤتمر مسألة تقسيم التعليم إلى ديني ودنيوي، واعتبرته أمرًا غير صحيح، حيث أكد المؤتمر أن العلوم المختلفة من طبيعية ورياضية وإنسانية نظرية كانت أو تجريبية أو تطبيقية كلها علوم إسلامية، طالما أنها لا تناقض الرؤية الإسلامية الكلية للكون والحياة.

وبهذه الكيفية، فإن المؤتمر قد وضع أساسًا متينًا لعلاج تلك القسمة الضيزى بين العلوم؛ وتقسيمها إلى دنيوية ودينية، أو إسلامية وغير إسلامية، لأن العلم هو معرفة الشيء على ما هو به، وذلك ضد الجهل، وهذه تشمل كل مجالات المعرفة.

كما أن المؤتمر أكد أهمية تعميم التعليم على كل أبناء المسلمين بنات وبنين، وأن مسألة تعليم البنات كانت تطرح في مرحلة خضوع البلدان الإسلامية للاحتلال الغربي، وكانت بعض الآراء التي تمنع تعليم البنات، في سياق الحماية، لحماية بنات المسلمين من آثار التعليم الغربي، وقد انتهت مسوغات ذلك مع استرجاع الدول الإسلامية لاستقلالها.

محاور الموضوع

١ـ التعريف بالتعليم وعلاقته بالتربية، والتزكية، والتثقيف، والتنوير:

وقد دار لَغَطٌ في مؤتمر مكة المكرمة حول مفهوم التربية والتأديب والتعليم، وقول بعضهم باستبدال مفهوم التربية بمفهوم التأديب. ذلك لأن التربية تقع بحق الحيوانات، والتأديب بحق الإنسان. لكن ما استقر من الاصطلاح في أمر التربية أنها تأديب وتعليم لكافة مناحي الإنسان؛ من عقلية، وروحية، ونفسية، وبدنية.

ولما كان مدار القول على التعليم وصلته بمفاهيم التربية والتزكية والتثقيف والتنوير، نقول: إن صلة التعليم بالتربية والتزكية راسخة في مدوناتنا وكتبنا التراثية، حيث إن التربية والتزكية مرتبطة بتنشئة وترقية الإنسان على الفضائل واكتساب المهارات التي تعينه على العيش الكريم، وتجعله عنصرًا فاعلًا وصالحًا في مجتمعه. فمفهوم صلاح الاعتقاد وصلاح العمل أصيل في تجربتنا التربوية الإسلامية عبر أجيال الأمة. إذ إن صلاح الاعتقاد يتبعه صلاح العمل، ويترتب عليه صلاح الفرد والمجتمع.

أما التثقيف والتنوير، فهي من المصطلحات المدرجة حديثًا بفعل الثقافة الحديثة التي وفدت إلينا من الحضارة الغربية، ودرج على استعمالها في أبياتنا الحديثة والمعاصرة. وفي هذا السياق، فإن التثقيف عملية تنشئة على ثقافة ما، بما تتضمنه الثقافة من تربية على معارف وأفكار وسلوكيات وأذواق وعادات معينة، تشكل الوسط الذي تنمو فيه شخصية الإنسان. والعلم أحد الركائز المهمة التي تتكون منها الثقافة، مما يجعل عملية التعليم مهمة جدًّا لتكوين ثقافة موحدة في المجتمع، تعبر عن توجهات المجتمع الأساسية. وقد عمل رواد الإصلاح على توطين هذا المصطلح في إطار التعليم الإسلامي لبناء ثقافة إسلامية معاصرة.

والأمر نفسه يقال عن التنوير، باعتباره أحد مصطلحات الحداثة الغربية، الذي يقتضي إعادة الاعتبار للعقل وتنحية الوحي من تدبير شؤون الإنسان وصياغة وعيه، وهو الأمر الذي انتبه له رواد الإصلاح في العالم الإسلامي، بحيث أنهم أخذوا المصطلح، ولكن أعطوه مضامين تنسجم مع الرؤية الإسلامية الكلية للكون والحياة، فصار التنوير بالقرآن، وليس تَنحِيَته، كما نلمح ذلك في تفسير «التحرير والتنوير» لابن عاشور.

ولعل مجمع الفقه الإسلامي الدولي في قراره رقم ١٣٨ (٤/ ١٥)بشأن إسلامية مناهج التعليم، الصادر بمناسبة انعقاد دورته الخامسة عشرة بمسقط (سلطنة عُمان) من ١٤ إلى ١٩ المحرم ١٤٢٥هـ، الموافق ٦ – ١١ آذار (مارس) ٢٠٠٤م، قد أوصى في فقراته رقم (١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨) بالتركيز على التصور الإسلامي الكلي الشامل للإنسان والكون والحياة، وغرس وتعميق القيم الإسلامية في نفوس الناشئة، وتمكينهم من تمثُّلها والعمل بها في حياتهم العملية، وصياغة الموضوعات والمقررات التعليمية في إطار التصور الإسلامي، مع العمل على إبراز الرؤية الإسلامية (عقيدة وشريعة ومنهاج حياة) في مشمولات المحتوى، وتطوير التعليم ومناهجه بما يجمع بين الأصالة الإسلامية والمعاصرة، والالتزام بالقيم الإسلامية في العملية التعليمية والتربوية، وتعميم تعليم اللغة العربية في جميع مراحل التعليم المختلفة ليصبح بلُغة القرآن والسُّنة، وذلك للحفاظ على الشخصية الإسلامية وللربط بالميراث العلمي المدون بالعربية، وتنقية العلوم في مختلف المجالات من المفاهيم الدخيلة على المبادئ الإسلامية.

وفي قراره رقم: ٢٣٦ (٧/ ٢٤) الصادر بتاريخ ٢٠ نوفمبر ٢٠١٩م، قد ذكر في فقرته رقم (٧) أهمية «نشر برامج متطورة لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، من أجل تعزيز معرفتهم بالثقافة الإسلامية وقيمها».

وإذا نظرنا في بيان القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، نجد أن التعليم من الضروريات الوجودية بالنسبة للإنسان، وارتبط التعليم بالله عز وجل الذي من بعد أن خلق الإنسان علّمه البيان، وعلم آدم الأسماء كلها، وهذه منّة عظيمة من الله تعالى على هذا المخلوق، ليقوم بمهمة الاستخلاف في الأرض.

ومن خلال النظر في تفسير مقاتل، وهو أقدم التفاسير التي وصلت إلينا، نجده عند تفسيره لسورة الرحمن، أن الله سبحانه وتعالى أجاب الكفار الذين قالوا لا نعرف ما الرحمن؟ فعرفهم بذاته بأنه الذي علم القرآن، وكأن التعليم من رحمة الله تعالى بالإنسان[1]. ومن الأوصاف الجامعة لنبينا الكريم ﷺ أنه أرسل رحمة للعالمين، وهو المعلم الأول للمسلمين والإنسانية. فكأن التعليم من تلك الرحمة الإلهية التي خصّ بها النبي ﷺ.

إن احتفاء الخطاب القرآني والسنة المطهرة والسيرة الصحيحة بالعلم والتعليم، ينبهنا إلى أن طريق فلاحنا في الدنيا والآخرة هو التعليم، وأن علينا في مجتمعاتنا وفي سياسات بلداننا أن نهتم به، لأنه هو السبيل إلى توحيد الله، ومعرفته الحقة، وإلى تحقيق فضائل الإنسان وكمالاته، والطريق القويم إلى بناء العمران الرشيد.

---

(١) أبو الحسن مقاتل بن سليمان، **تفسير مقاتل بن سليمان**، تحقيق: عبد الله محمود شحاتة، ط١، بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٣هـ، ج٤، ص١٩٦.

وإذا انتقلنا لبيان المعنى الاصطلاحي، فتسعفنا القواميس والمعاجم بمعلومات وافرة في هذا الصدد. وسيكون تركيزنا على «مفردات ألفاظ القرآن» للراغب الأصفهاني، و«أساس البلاغة» للزمخشري، و«التعريفات» للشريف الجرجاني. ونضيف على ذلك ما ورد في شروح السنة النبوية ليحيى بن شرف النووي وابن حجر العسقلاني، وابن عبد البر، لبيان معنى التعليم والعلم، وما اتصل بهما من مفردات ومفاهيم.

ثم نعول على ما جاء في مقدمات الإمام الشاطبي في «الموافقات» لما لها من أهمية في ربط العلم وسند التعليم بمقاصد الشريعة وكلياتها. ونتمم كل ذلك بإمعان النظر فيما جاء في مدونات رواد الإصلاح، مثل «أليس الصبح بقريب» للعلامة ابن عاشور وتفسيره «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، و«شروط النهضة» و«مشكلة الثقافة» لمالك بن نبي.

وقد طوَّف الراغب الأصفهاني في شرح مفردات العلم والتعليم والإعلام والعالم، وما يتصل بها من معان، وبيان مراتب العلم وأقسامه، وصلة العلم بالله عز وجل، وموقع الإنسان من العلم. وذكر لنا أن التعليم هو «التّعلِيمُ اختصّ بما يكون بتكرير وتكثير حتى يحصل منه أثر في نفس المُتعلِّم»[١]. وكأن ملكة العلم يتم إثراؤها بتكرار المعاني وتكثيرها والتدريب عليها، حتى تصير ملكة راسخة في نفس المتعلم. ولم يزد الزمخشري في «أساس البلاغة»[٢] كثير شيء عما قاله الراغب الأصفهاني.

لكن الشريف الجرجاني توسع كثيرًا في اقتناص معاني التعليم والتعلم، بسبب ازدياد حركة العلم والتأليف وتنوع العلوم في زمانه، قياسًا على ما كان عليه الأمر في زمان الراغب الأصفهاني والزمخشري.

وعرف الجرجاني العلم بأنه: «الإدراك الجازم المطابق للواقع»، ثم بيّن لنا أقسام العلم على أساس من نظريته في المعرفة، ثم بين لنا تصنيفًا للعلوم التي وقعت في زمانه، بناء على طريقة حصول العلم، أو موضوعه، أو غايته[٣].

وإذا انتقلنا إلى مسألة الثقافة وصلتها بالتعليم، نقول: إن مالك بن نبي قد أشبع هذه المعاني بيانًا وتفصيلًا، ابتداء من كتابه (شروط النهضة)، الذي رأى فيه أن «مشكلة الثقافة لا تخص طبقة دون أخرى، بل تخص مجتمعنا كله، بما فيه المتعلم، والصبي الذي لما يبلغ مرحلة التعلم، إنها تشمل المجتمع كله»[٤].

---

(١) الراغب الأصفهاني، **مفردات الفاظ القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط١، دمشق بيروت: دار القلم والدار الشامية، ١٤١٢ هـ، ص٥٨٠.

(٢) أبو القاسم الزمخشري، **أساس البلاغة**، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨ م، ج١، ص٦٧١.

(٣) الشريف الجرجاني، **كتاب التعريفات**، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص١٥٥-١٥٧.

(٤) مالك بن نبي، **شروط النهضة**، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دمشق: دار الفكر،١٩٩٦، ص٨١.

ثم توسع في الأمر في كتابه (مشكلة الثقافة)، حيث يرى أن «الثقافة نظرية في السلوك، أكثر من أن تكون نظرية في المعرفة، وبهذا يمكن أن يقاس الفرق الضروري بين الثقافة والتعليم»، بمعنى أنها ليست دروسًا يتلقاها الفرد في قاعة الدرس، ولكنها «المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته»، مما يولد «التزامًا مزدوجًا بين الفرد والمجتمع، التزامًا لا يسمح معه هذا لذاك بأي نشوز في السلوك، ولا ذاك لهذا بأي انحراف في الأسلوب؛ إذ يتدخل في الحالة الأولى ما يسمى بالضغط الاجتماعي، وفي الثانية كل مواقف الفرد التي تعبر عن استنكاره، سواء بما نسميه اليوم النقد أو ما يشير إليه الحديث «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان[١]»»[٢].

أما الشيخ ابن عاشور ففي تفسيره الذي أسماه (تحرِير المعنى السّدِيدِ وتنوِير العقلِ الجدِيدِ مِن تفسِيرِ الكِتابِ المجِيد) فإنه أراد أن يحرر المعاني المستمدة من القرآن، والتي تَظاهر المفسرون على إبرازها، ولكن بما يوافق المرحلة الحضارية التي نعيشها اليوم، ويتطلبه العقل الجديد، وبخاصة في زمن انتشار أفكار التنوير والحداثة الغربية، مما يستدعي تنوير هذا العقل بالقرآن، وليس بعيدًا عنه.

وقد نبه على هذا المعنى في كتابه (أليس الصبح بقريب) حال نقاشه لإصلاح التعليم. إذ أن العلوم مرتبطة بالسياق الحضاري، بما في ذلك أنواع العلوم وموضوعاتها وأساليب تدريسها. فهي تتوجه بالخطاب إلى العقل الذي يسود مرحلة بعينها. فما كان من وسع العقل في زمان الطبري والزمخشري وابن عطية والرازي وغيرهم، ليس هو مما يلبي حاجة العقل الجديد الذي يتوجه إليه ابن عاشور بالخطاب في تفسيره[٣].

وقد أكد مجمع الفقه الإسلامي الدولي في قراره رقم **١٦٤ (٢/ ١٨)** بشأن تنمية الموارد البشرية في العالم الإسلامي، في دورته الثامنة عشرة في بوتراجايا (ماليزيا) من **٢٤** إلى **٢٩** جمادى الآخرة **١٤٢٨**هـ، الموافق **٩-١٤** تموز (يوليو) **٢٠٠٧**م، في فقرته رقم (٤): على «عدم اقتصار مفهوم العلوم النافعة على العلوم الدينية وحسب وإنما يشمل العلوم الدينية والعلوم الدنيوية النافعة للأمة وللإنسان، وأنها واجبة على سبيل فرض الكفاية بقدر ما تحقق من النفع للأمة».

يبدو أن هذا الترابط بين التعليم ومفاهيم التربية والتثقيف والتنوير، بالغ الأهمية في إنجاز عملية

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في **صحيحه**.

(٢) مالك بن نبي، **مشكلة الثقافة**، ترجمة عبد الصبور شاهين، دمشق: دار الفكر، **١٤٢٠**هـ/ **٢٠٠٠**م، ص**٧٣**، **٧٤**، **٩٠**.

(٣) محمد الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، تونس: الدار التونسية للنشر، **١٩٨٤**م، ج**١**، ص**٧-٨**؛ محمد الطاهر بن عاشور، **أليس الصبح بقريب؛ التعليم العربي الإسلامي دراسة تاريخية وآراء إصلاحية**، تونس: الشركة التونسية لفنون الرسم، **١٤٠٨**هـ/ **١٩٨٨**م، ص**٩**.

تعليمية شاملة، تأخذ بعين الاعتبار هذا التداخل، وتتولى شأن الجوانب الروحية والعقلية والسلوكية والبدنية، والسياق الثقافي العام الذي يتحرك فيه المجتمع، ويعين على عملية الضبط الاجتماعي والنقد والتصحيح والتفريع، من قبل الأفراد لمحيطهم الثقافي، حتى ينجز التعليم في إطاره الثقافي العام قادة للمجتمع والأمة قاطبة.

ومما يجعل العملية التعليمية ذات أهمية بالغة أيضًا، أننا نعيش في مرحلة العولمة وانتشار وسائل التواصل الاجتماعي، مما جعل التعليم يدخل مرحلة جديدة تتطلب وسائل لم يسبق للبشرية أن عهدتها من قبل، بحيث صار الإنسان يتلقى العلوم والخبرات وطرق التدريس والمصادر وهو لا يغادر مكتبه أو بيته.

وهذه الطفرة التقنية في مجال نشر المعارف، لا تخلو من أن تحمل معها مشكلات تتعلق بالتربية والتزكية والتنوير؛ أي: تتعلق بنمط الثقافة والقيم الثقافية. وهذا ما يتطلب تعليما يستجيب لمثل هذه الآفاق التي أتاحتها الثورة المعلوماتية، كما يواجه التحديات التي تصحبها.

ولعل مما يجب الإشارة إليه أن العالَم الذي صار قرية واحدة مشتركة في مصيرها، يواجه اليوم جائحة كورونا التي أثّرت كثيرًا على النظم التعليمية، واستدعت من الخبراء التفكير في أساليب جديدة للتعليم.

٢ـ أنواع التعليم باعتبار مجالاته، وباعتبار موضوعاته، وباعتبار مستوياته ومراتبه، وباعتبار آثاره ونتائجه على الفرد والمجتمع :

بدأ النبي ﷺ دعوته أول ما بدأ في دار الأرقم بن أبي الأرقم، التي كانت النواة الأولى للتعليم والتعلم في تاريخ الإسلام. ولما هاجر النبي ﷺ إلى يثرب وتغيير اسمها إلى المدينة المنورة، بما يحمله اسم المدينة من دلالات التمدن والتحضر والاجتماع البشري القاصد لإنشاء العلوم والمعارف والصنائع، وكان أول ما قام بتأسيسه، هو المسجد النبوي الشريف، الذي صار مركز التقاء المسلمين لتعلم أمور دينهم، وكان محور التعليم والتعلم هو القرآن الكريم والهدي النبوي.

ومع تطور المجتمع الإسلامي ونشوء الحواضر الإسلامية في البصرة والكوفة ودمشق والري وبغداد، وصولًا إلى تلمسان وفاس وقرطبة وغرناطة والقاهرة وبخارى ونيسابور والري وأصفهان وتمبكتو ودهلي، وغيرها من حواضر المسلمين الكبرى، تطورت العلوم والصنائع وطرق التعليم وانتشرت، وتحول المجتمع الإسلامي إلى مجتمع منتج للعلوم والمعارف والصنائع.

كما ربط ابن خلدون بين تطور العلوم والصنائع بتطور العمران الحضري. يقول ابن خلدون: «واعتبر ما قرّرناه بحال بغداد وقرطبة والقيروان والبصرة والكوفة لمّا كثر عمرانها صدر الإسلام واستوت فيها

الحضارة، كيف زخرت فيها بحار العلم وتفنّنوا في اصطلاحات التّعليم وأصناف العلوم واستنباط المسائل والفنون حتّى أربوا على المتقدّمين وفاتوا المتأخّرين. ولمّا تناقص عمرانها وابذعرّ سكّانها انطوى ذلك البساط بما عليه جملة، وفقد العلم بها والتّعليم، وانتقل إلى غيرها من أمصار الإسلام»[1].

وإن الناظر في تاريخ التعليم في أمتنا، يجد أن أول ما يبدأ به هو تلقي القرآن والضروري من علم الدين (علم العامة) الذي لا يعذر بجهله المسلم، والخط، والحساب، والعربية. ثم يتدرج من استمر في التعليم في مجالات المعرفة إلى بلوغ درجة الاجتهاد في العلم الشرعي، أو كمالات الصنائع.

ومع بداية التدوين في العلوم في تراثنا الإسلامي، بدأ تقسيم طلبة العلم إلى مستويات ومجالات، حسب التحصيل ونضج ملكة العلم عند الدارسين.

مجالاته:

وبعد مرحلة ما بعد الاستعمار، انتظم التعليم في مراحل، هي: ما قبل التعليم العام (التحضيري/ الروضة)، ثم التعليم العام بمراحله (الابتدائي والإعدادي/ متوسط، والثانوي)، ثم التعليم الجامعي بأطواره الثلاثة (البكالوريوس، والماجستير، والدكتوراه)، وهذا كله يقع في دائرة التعليم الأكاديمي.

ويضاف إليه التعليم المهني بشقيه؛ الصناعي والتجاري. والذي يبدأ عادة من المرحلة الثانوية، ويتجه إلى تعليم الحرف والصنائع. وفي بعض الحالات تتيح نظم التعليم نوعًا من التداخل بين الشق الأكاديمي والشق المهني.

وكذلك تداخل آخر في إطار التعليم الأكاديمي، في جانب نظري وجانب عملي. ثم ابتكرت التخصصات البينية، التي تجمع بين أكثر من علم في تخصص واحد.

كما يمكن تقسيم التعليم إلى تعليم أهلي وتعليم حكومي. مع العلم أن التعليم الأهلي أول ما نشأ في العالم الإسلامي، كان في وقت الاستعمار الغربي، وقصد به توفير تعليم لأبناء المسلمين الذين حرمهم الاستعمار من التعليم، وتحصينهم ثقافيًّا ودينيًّا، وكان يقوم على أساس تطوعي خيري، بحيث يسارع الناس إلى تقديم تبرعاتهم إلى المؤسسات التعليمية الأهلية، لما تقوم به من هذا الدور الذي أشرنا له.

ولكن بعد الاستقلال، وبخاصة في العقود الأخيرة، حدث تحول كبير في طبيعة التعليم الأهلي، بحيث لم يعد تعليمًا خدميًّا وخيريًّا وتطوعيًّا، بقدر ما صار تعليمًا تجاريًّا استثماريًّا، تقوم عليه مؤسسات

(١) عبد الرحمن بن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، تحقيق: خليل شحادة، ط٢، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م ج١، ص٦٤٨.

استثمارية. هذا من جهة. ومن جهة أخرى، فإنه صار بوابة جديدة لتوطين المناهج والثقافة الغربية في بلداننا، مع تحجيم لمقررات اللغة العربية والتربية الإسلامية. بل لم تعد اللغة العربية هي لغة التدريس في مثل هذه المؤسسات الأهلية، إلا نادرًا، كما أن التربية الإسلامية، لم تدرج ضمن مقرراتها، إلا بعد ضغوط شعبية/ اجتماعية كبيرة.

مما يجعل هذه المؤسسات التعليمية الأهلية لا تمثل رافدًا في تحرر أمتنا حضاريًّا ودينيًّا، بقدر ما يجعلها أذرعًا للمؤسسات التعليمية الغربية روحًا ومادة ومنهجًا.

لقد صار التعليم القائم على مراعاة المخرجات التعليمية من أرقى ما توصل إليه علماء التربية، وعممت هذه الطريقة على معظم النظم التعليمية، ومكنت مجالات التعليم من أن يحدث تداخل بين مستوياتها المختلفة ومجالاتها.

موضوعاته:

يحسن بنا أن ننظر في تقسيم الغزالي للعلوم لنفهم معنى التكامل فيما بين موضوعاتها. يقول الغزالي: «تنقسم إلى شرعية وغير شرعية، وأعني بالشرعية ما استفيد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، ولا يرشد العقل إليه مثل الحساب، ولا التجربة مثل الطب، ولا السماع مثل اللغة. فالعلوم التي ليست بشرعية: تنقسم إلى ما هو محمود، وإلى ما هو مذموم، وإلى ما هو مباح؛ فالمحمود ما يرتبط به مصالح أمور الدنيا كالطب والحساب. وذلك ينقسم إلى ما هو فرض كفاية، وإلى ما هو فضيلة وليس بفريضة؛ أما فرض الكفاية فهو علمٌ لا يُستغنى عنه في قوام أمور الدنيا، كالطب؛ إذ هو ضروري في حاجة بقاء الأبدان. وكالحساب؛ فإنه ضروري في المعاملات، وقسمة الوصايا، والمواريث وغيرهما. وهذه هي العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج أهل البلد وإذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين»[١].

ينبهنا الغزالي بعد هذه القسمة المهمة التي تبين معنى التكامل بين موضوعات العلوم، قائلًا: «فلا يُتعجب من قولنا: إن الطب والحساب من فروض الكفايات؛ فإن أصول الصناعات أيضًا من فروض الكفايات، كالفلاحة والحياكة والسياسة، بل الحجامة والخياطة؛ فإنه لو خلا البلد من الحجام تسارع الهلاك إليهم، وحرِجوا بتعريضهم أنفسهم للهلاك»[٢].

(١) أبو حامد الغزالي، **إحياء علوم الدين**، بيروت: دار المعرفة، د.ت، ج١، ص١٦.

(٢) الغزالي، **إحياء علوم الدين**، ج١، ص١٦.

أما موضوعات التعليم فيمكن قسمتها إلى؛ تعليم شرعي يقع في إطار التعليم الأكاديمي، وتعليم مدني تدرس فيه العلوم والمعارف الدنيوية، ويقع هو أيضًا في إطار التعليم الأكاديمي، وتعليم تقني/ مهني تدرس فيه التقنيات والصنائع المهنية والحرفية والخدمية، وكذلك المهن الطبية المختلفة.

ولعل هذه الموضوعات المختلفة في التعليم هي أدخل في باب تقسيم العمل والحرف والمهن في المجتمع، تلبية لمقتضيات العمران وتطوره، وحاجة الناس إلى التخصص في فنون وصنائع، تستجيب لدرجة التحضر التي وصلها المجتمع.

ولذلك لا بد لمن يخطط لموضوعات التعليم أن يراعي الحاجة لهذه الموضوعات، وألا يتجاوز الحد المطلوب في كل من هذه الموضوعات. حتى لا يحدث توسع في جانب منها خصما على الجوانب الأخرى. وأن يراعى كذلك التداخل بين الموضوعات، حتى نحقق الكفاية والتكامل المنشود.

وهناك موضوعات تحتاج منا إلى عناية وتنبيه، لإصلاحها، وتوطينها، حتى نحقق الغاية المرجوة من تداولها. ذلك أن العلوم والمعارف تتطور وتنشأ فيها فروع جديدة في كل مرحلة، مما يتطلب تحقيق الكفاية فيها للأمة، ويستجاب لمتطلبات العمران المحتاج إلى مثل هذه الفروع.

ونذكر على سبيل الخصوص حاجة العلوم الشرعية لأن تكون مرتبطة باحتياجات المجتمع، وتسد النوازل والمستجدات في المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

والعلوم الاجتماعية والإنسانية التي نشأت في الغرب بحاجة ماسة لأن تعبر عن الرؤية الإسلامية الكلية، وتعين على فهم الظاهرة الاجتماعية في مجتمعات المسلمين.

وكذا الحال بالنسبة للعلوم الطبيعية التي لا بد وأن تتخلى عن الأيديولوجية الغربية المنبتة عن الدين، لتعبر كذلك عن الرؤية الإسلامية الكلية.

أما التكنولوجيا والعلوم الطبية والهندسية، فلا بد لها أن تصدر عن القيم الأخلاقية الإسلامية، وتعبر عن معانيها الكلية ومقاصدها.

إن هذا التكامل بين موضوعات العلوم، الذي ذكرناه، يدل على الحاجة إلى التكامل العلمي سواء بالنسبة للمعلم أو المتعلم. وهذا يدل على أن المتخصصين في العلوم الكونية والتطبيقية والإنسانية والاجتماعية، مفتقرون إلى قدر مناسب من المعرفة في العلوم الشرعية تعينهم على تأكيد هوية الأمة وسلامة توجهها نحو مقاصدها الصحيحة. وبالقدر نفسه، فإن المتخصصين في العلوم الشرعية مفتقرون إلى قدر مناسب من المعرفة بالعلوم الاجتماعية والإنسانية والمهارات التكنولوجية الأخرى، ليحقق

التعليم والتعلم تكامله المنشود، ويتجاوز قصور المعرفة المعاصرة وازدواجية النظم التعليمية التي تعيشها الأمة[١].

ويبدو واضحًا أن موضوعات التعليم مرتبطة بدرجة الرقي الحضاري وحاجة المجتمع، وهي مطلوبة كلها بحسب درجتي الكفاية والتكامل التي ينبغي تحقيقها في كل مرحلة من مراحل تطور المجتمع.

مستوياته ومراتبه:

ولا بد لأي تخطيط علمي من أن يراعي التدرج في مستويات التعليم ومراتبه، بحسب الوسع النفسي والعقلي للمتعلم. وكذلك لا بد من مراعاة الوضع الثقافي للمجتمع.

وعلى ذلك فإن مخرجات التعليم، لا بد وأن تضع في الاعتبار الوسع النفسي والعقلي والسياق الثقافي.

وإذا رجعنا إلى تراثنا التعليمي الإسلامي، سنجد مصطلحات مثل: معلم الصبيان، والمؤدب، ومعلم القرآن وغيرها، إلى أن نصل إلى التعليم في حلقات العلم بالجوامع والجامعات التي عرفها العالم الإسلامي عبر تاريخه، وتخرج منها طلبة العلم في مختلف فروع العلم في ذلك الوقت.

وقد ذكر العلماء مراتب للتعلم تفيد التدرج فيه من الأدنى إلى الأعلى، مثل الإمام الماوردي وابن خلدون. قال الماوردي: «اعلم أن للعلوم أوائلَ تؤدي إلى أواخرها، ومداخل تفضي إلى حقائقها، فليبتدئ طالب العلم بأوائلها لينتهي إلى أواخرها، وبمداخلها ليفضي إلى حقائقها، ولا يطلب الآخر قبل الأول، ولا الحقيقة قبل المدخل، فلا يدرك الآخر ولا يعرف الحقيقة، لأن البناء من غير أُس لا يُبنى، والثمر من غير غرس لا يُجنى»[٢].

كما أن ابن خلدون قد ذكر مراحل ثلاثة للتعليم، فقال: «اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيدًا إذا كان على التدرج شيئًا فشيئًا، وقليلًا قليلًا، يلقى عليه أولًا مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب، ويقرب له في شرحها على سبيل الإجمال، ويراعى في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه، حتى ينتهي إلى آخر الفن، وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم، إلا أنها جزئية وضعيفة، وغايتها أنها هيّأته لفهم الفن وتحصيل مسائله، ثم يرجع به إلى الفن ثانية، فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة إلى

(١) فتحي ملكاوي محمد أبو سل، بحوث مؤتمر علوم الشريعة في الجامعات: الواقع والطموح، ط١، رجب ١٤١٦هت/ ١٩٩٥م، انظر: https://ia903108.us.archive.org/26/items/ktp2019-bskn12097/ktp2019-bskn12097.pdf

(٢) أبو الحسن الماوردي، **أدب الدنيا والدين**، بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٨٦م، ص٤٨.

أعلى منها، ويستوفي الشرح والبيان، ويخرج عن الإجمال، ويذكر له ما هناك من الخلاف ووجهه، إلى أن ينتهي إلى آخر الفن، فتجود ملكته. ثم يرجع به وقد شدا فلا يترك عويصًا ولا مهمًّا ولا مغلقًا إلا وضّحه، وفتح له مُقفَله، فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته. هذا وجه التعليم المفيد، وهو كما رأيت إنما يحصل في ثلاث تكرارات، وقد يحصل للبعض في أقل من ذلك بحسب ما يُخلقُ له ويتيسّرُ عليه»[1].

ومع تطور الحضارة الإنسانية اليوم، فقد استقرت النظم التعليمية، بحيث صار في عرف التعليم اليوم عبر الحضارات والشعوب والأمم، أن التعليم يقسم مستويات ومراتب؛ تبدأ بالحضانة، ثم الروضة، ثم الابتدائي، ثم الإعدادي، ثم الثانوي، ثم الجامعي بمستوياته الثلاثة.

وهذه المستويات تراعي متوسط النمو النفسي والعقلي للدارس، بحيث ينتقل من مستوى إلى آخر، بناء على تحصيله والاختبارات التي تجرى له وتحدد مستواه وتؤهله للانتقال إلى مستوى أعلى.

آثاره ونتائجه:

تتفاوت الأمم اليوم في درجة التحضر الإنساني بناء على عنايتها بالتعليم في مجالاته وموضوعاته ومستوياته، وبناء على درجة ربطها للتعليم ومخرجاته بتنمية الفرد والمجتمع، وتحقيق البناء الثقافي والاجتماعي الشامل والمستدام.

ولما كان التعليم في المرحلة الجامعية هو الذي يفضي إلى تنمية الفرد والمجتمع، وتحقيق البناء الثقافي الشامل، فلا بد من أن نوليه عناية خاصة. وفي حقه نقول إن ثمة رابط وثيق بين البحث العلمي والتدريس والإشراف على طلاب الدراسات العليا وبين خدمة المجتمع ورقي الأمة. إذ لا يستقيم التدريس في المستوى الجامعي إلا بالاشتغال بتطوير المجال العلمي الذي يتوخى إدخاله في العملية التعليمية. حيث أن مجرد ترديد ما توصل إليه الباحثون من قبل، ومحاولة تلقين هذه المعارف للدارسين، تخل بالجانب النقدي والابتكار في العملية التعليمية. ولا يستطيع من ينبري للتدريس القيام بذلك على أكمل وجه، ما لم يشتغل بالبحث العلمي في مجاله. ولو أنه توسع في مجال النظر، وذلك بربط حقله العلمي بحقول علمية أخرى، فيكون قد ساهم بنصيب وافر في إحداث تكامل معرفي بين هذه الحقول العلمية، وطور مجال تخصصه، بسبيل يرفد ذلك المجال بزوايا للنظر جديدة. ويزيد في مناهج المباحثة العلمية وقضايا وموضوعات هذه التخصصات المتكاملة والمتقاطعة فيما بينها. وفي ذلك فائدة علمية عظيمة للدارسين وللعملية التعليمية في مجملها.

---

(١) ابن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، ج١، ص٧٣٤.

أما مجال الإشراف على بحوث طلاب الدراسات العليا، وتطوير مقررات علمية تعينهم على تكوين ملكة البحث العلمي، كذلك له ارتباط وثيق بمجال البحث العلمي، وهو الذي يمثل تلاقي أجيال الباحثين وتفاعلهم مع أساتذتهم، وخلق بيئة بحثية علمية، تتطور فيها الأفكار الجديدة، وتتقدم المعارف الإنسانية. وبذلك يتجدد الأثر العلمي ويستمر عطاؤه.

أما خدمة المجتمع والتنمية، والعمل على تنميته المستدامة، لا نشك في ارتباطها بالبحث العلمي بالكيفية التي بيّناها. وتتمثل في ضرورة أن تكون الأبحاث العلمية بشقيها؛ النظري البحت، والعلمي العملي المهني التقني، مرتبطة بمشكلات المجتمع. وقد تختلف درجات تلك الصلة، وكذلك ارتباطاتها بالمجتمع الذي حول الجامعة مباشرة، إلى مجتمع الأمة ثم الإنسانية جمعاء.

ويحكم هذا التدرج في الاختلاف في شأن خدمة المجتمع وأساليب التنمية المستدامة المنشودة، والأولويات التي تتدرج صعودًا مما هو حول الجامعة إلى أن تصل إلى الإنسانية قاطبة.

إن الانتباه إلى سعة مجالات العلوم وتنوع موضوعاتها وتدرج مستوياتها وربط ذلك كله بما يحققه التعليم من خدمة للمجتمع وتنميته تنمية مستدامة شاملة قمين بأن يعطي أولوية للتعليم في سياسات دولنا وشعوب أمتنا، لتخرج من حالة التبعية إلى وضع تستطيع فيه هذه الأمة أن تحقق وسطيتها وشاهديّتها على الأمم.

٣ـ مكانة التعليم وأهميته في القرآن والسنة والآثار:

مكانة التعليم في القرآن والسنة والآثار:

إذا نظرنا في القرآن الكريم، وتأملنا المفردات الدالة على العلم والتعليم، فإنا نجد أن أول ما بدأ به الوحي إلى رسول الله ﷺ هو «اقرأ»، وتليها مفردات أخرى تدور حولها مثل العلم، والكتاب، والصحف، والقلم، واللوح، والتدبر، والنظر، والاعتبار، والسير، والحفظ، والتعقل، والتفكر، والاستنباط، والبيان، والبرهان، والمنهاج، ومفردات أخرى كثيرة لها صلة غير مباشرة بالعلم والتعلم.

ونزول «اقرأ» في القرآن الكريم، فاتحة لعهد جديد في صلة السماء بالأرض، مختتمة الرسالات السماوية، فقد هيأت مناخًا يؤمن بالقراءة والكتابة والتفكر والتدبر والنظر والسير في الأرض، ويؤمن بالعلم طريقًا لمعرفة الحق والدفاع عنه وحمايته ونشره وتبليغه.

ولهذا، كان أول ما تلقاه أبونا آدم هو التعليم؛ ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة:٣١]، وأول ما تلقاه محمد ﷺ في رسالته الخاتمة هو الأمر بالقراءة والتعليم؛ ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۞ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۞ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۞ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق: ١-٥].

وقد امتن الله سبحانه وتعالى على بني آدم أنه علمهم البيان، كما تشير الآيات من سورة الرحمن، فبرحمة الله تعالى على الإنسان بالقرآن والبيان، ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۞ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۞ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۞ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١-٤]، وامتن على الرجل الصالح الذي التقاه سيدنا موسى عليه السلام بأنه علمه، فقال تعالى: ﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا﴾ [الكهف: ٦٥]، كما امتن على سيدنا داود عليه السلام، فقال تعالى: ﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ﴾ [الأنبياء: ٨٠]، وامتن على محمد ﷺ بأنه علمه الكتاب والحكمة، فقال: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُ﴾ [النساء: ١١٣].

وامتن على المؤمنين بأنه بعث فيهم رسولًا يعلمهم، فقال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡ﴾ [البقرة: ١٢٩] وقوله: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١].

والآيات التي امتنت على المؤمنين بأن الله بعث فيهم رسولًا منهم يعلمهم، تذكرنا كيف كان النبي ﷺ يؤكد مهمته التعليمية، فقد خرج النبي ﷺ ذات يوم على أصحابه فوجدهم يقرؤون القرآن ويتعلمون، فقال لهم: «وإنما بعثت معلمًا»(١). كما يؤثر عنه ﷺ أنه قال: «إن الله لم يبعثني معنتًا ولا متعنتًا، ولكن بعثني معلمًا وميسرًا»(٢). وقد وصفه أحد صحابته بأنه أفضل معلم، فقال يصف النبي ﷺ: «فما رأيت معلمًا قط أرفق من رسول الله ﷺ»(٣).

ولذلك رأينا عناية النبي ﷺ، المبكرة بالقراءة والكتابة والتدوين، وكيف كان النبي ﷺ يقدم «أقرأ» الناس للقيادة في كل مستوياتها. كما شهد تاريخ أمتنا منذ الصدر الأول حركة التدوين وترجمة علوم الأوائل وتقييمها ونقدها وتوطينها في البيئة الإسلامية، ومن ثمة إنتاج علوم جديدة أضافت إضافات نوعية للحضارة الإنسانية في شتى المجالات.

وفي الوقت الذي كانت الكتب والعلوم أمرًا محرّمًا على العامة، يستأثر بها الكهنة والملوك والأباطرة، كان النص القرآني يتلى في مسجد النبي ﷺ، صباح مساء، ويستوي في تحصيله وطلبه الخاصة والعامة، والفقراء والأغنياء، والكبار والصغار، والرجال والنساء. فنقلت «اقرأ» جزيرة العرب «من أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب»(٤)، كما جاء في الحديث الشريف، إلى أمة تقرأ وتكتب وتدون معارفها وتؤسس علومها،

(١) أخرجه ابن ماجه في **سننه**.

(٢) أخرجه مسلم في **صحيحه**.

(٣) أخرجه أبو داود في **سننه**.

(٤) متفق عليه. والحديث يصف ويقرر واقع العرب قبل نزول الوحي، وليس إقرارًا لفضيلة الأمية، بدليل أن القرآن من أول آية أمر بالقراءة والعلم والكتابة، وبدليل تحول العرب وغيرهم من الشعوب التي دخلت الإسلام، من أمة أمية إلى أمة عالمة متعلمة ومعلمة لغيرها من الأمم.

وصار العلم فيها فريضة على كل مسلم[١].

وتضافرت الأحاديث الصحيحة على مكانة العلم والتعليم بحق الفرد والمجتمع. ونختار منها على سبيل المثال لا الحصر، قوله ﷺ: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»[٢]، وكذلك قول النبي صلى الله عله وسلم في مقام المدح: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين»[٣]. وفي معنى الحض على طلب العلم قوله ﷺ: «من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة»[٤]. وفي معنى تبليغ العلم للعامة والخاصة، قوله ﷺ: «نضر الله امرأ سمع منا شيئًا فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى من سامع»[٥]. وفي الحسنة الجارية بعد وفاة الإنسان، قوله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[٦].

إن هذه الآيات والأحاديث التي أوردنا بعضها في مكانة العلم والتعليم، لا تهدف إلى إثبات مكانة العلم والتعليم فقط، ولا التأكيد على ضرورة العلم التعليم فحسب، بل التأكيد على أن العلم والتعليم كما جاء في القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ، هو ما صنع من جيل الصحابة قادة أمة وحضارة، قدموا للبشرية نماذج رائدة في مختلف مجالات الحياة، وأن العلم والتعليم هو طريق بناء العمران وتحقيق الاستخلاف.

وامتدت الآثار من عصور السلف الأولى حتى زماننا هذا، في التأكيد على مكانة العلم والتعليم. فقد أورد الإمام النووي في «المجموع» بعض أقوال السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم في أهمية العلم والتعليم، يقول الإمام النووي: «وأما الآثار عن السلف فأكثر من أن تحصر، وأشهر من أن تذكر، لكن نذكر منها أحرفًا متبركين» ثم ذكر قول سيدنا علي رضي الله عنه: «كفى بالعلم شرفًا أن يدّعِيه من لا يحسنه، ويفرح إذا نسب إليه، وكفى بالجهل ذمًّا أن يتبرأ منه من هو فيه»، وقول معاذ رضي الله عنه: «تعلموا العلم فإن تعلمه خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه من لا يعلمه صدقة، وبذله

(١) الحديث.
(٢) البخاري.
(٣) البخاري.
(٤) مسلم.
(٥) البخاري.
(٦) مسلم.

لأهله قربة»، وقول أبي مسلم الخولاني رحمه الله: «مثل العلماء في الأرض مثل النجوم في السماء، إذا بدت للناس اهتدوا بها وإذا خفيت عليهم تحيروا». كما نقل قول الإمام الشافعي رحمه الله: «طلب العلم أفضل من صلاة النافلة»، وقال: «ليس بعض الفرائض أفضل من طلب العلم»، وقال: «من أراد الدنيا فعليه بالعلم، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم»، وقال: «من لا يحب العلم فلا خير فيه، فلا يكن بينك وبينه معرفة ولا صداقة»، وقال: «إن لم يكن الفقهاء العاملون أولياء الله فليس لله ولي»، وقال: «ما أحد أورع لخالقه من الفقهاء»، وقال: «من تعلم القرآن عظمت قيمته، ومن نظر في الفقه نبل قدره، ومن نظر في اللغة رق طبعه، ومن نظر في الحساب جزل رأيه، ومن كتب الحديث قويت حجته، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه»[١].

ويمكن ذكر نص الشيخ عبد الحميد بن باديس، من رواد الإصلاح المعاصر، الذي يقول فيه: «لن يصلح المسلمون حتى يصلح علماؤهم، فإنّما العلماء من الأمّة بمثابة القلب، إذا صلح صلح الجسد كلّه، وإذا فسد فسد الجسد كلّه، وصلاح المسلمين إنّما هو بفقههم الإسلام وعملهم به، وإنّما يصل إليهم هذا على يد علمائهم، فإذا كان علماؤهم أهل جمود في العلم وابتداع في العمل فكذلك المسلمون يكونون، فإذا أردنا إصلاح المسلمين فلنصلح علماءهم. ولن يصلح العلماء إلّا إذا صلح تعليمهم، فالتعليم هو الذي يطبع المتعلم بالطابع الذي يكون عليه في مستقبل حياته وما يستقبل من علمه لنفسه وغيره فإذا أردنا أن نصلح العلماء فلنصلح التعليم، ونعني بالتعليم التعليم الذي يكون به المسلم عالمًا من علماء الإسلام يأخذ عنه الناس دينهم ويقتدون به فيه. ولن يصلح هذا التعليم إلّا إذا رجعنا به للتعليم النبوي في شكله وموضوعه في مادته وصورته فيما كان يعلم صلى الله عليه وآله وسلم وفي صورة تعليمه»[٢].

أهمية التعليم في القرآن والسنة والآثار:

ولا شك أن أهمية العلم والتعليم في القرآن الكريم قد ارتبطت بمعنى معرفة الله عز وجل وعبادته وعمارة الكون. وكما ذكر بعضهم، في تلخيص ذلك المعنى، أن القرآن يضع منهاجًا للمؤمن ليحقق التوحيد والتزكية والعمران؛ توحيد الله، وتزكية النفس، وعمران العالم.

وتضافرت الآيات مرة أخرى على تأكيد التوحيد وبيان أسماء وصفات الله تعالى وأفعاله في القرآن الكريم. فلا تخلو آية من آيات الكتاب العزيز إلا ولها وجه من أوجه بناء المعتقد الصحيح في ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله.

---

(١) يحيى بن شرف النووي، **كتاب المجموع شرح المهذب للشيرازي**، تحقيق: محمد نجيب المطيعي، جدة: مكتبة الإرشاد، د.ت، ج١، ص٤١.

(٢) عبد الحميد بن باديس، **آثار الإمام ابن باديس**، تحقيق: عمار طالبي، ط١، الجزائر: دار ومكتبة الشركة الجزائرية، ١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٨ م، ج٤، ص٧٨.

ومن الآيات التي تجعل العلم يوصل إلى معرفة الله واجتماع كلمة المؤمنين وصحة الاعتقاد والعمل، في مواجهة الأهواء التي تفرق بين الناس، وتبذر الشك في الاعتقاد، قوله تعالى في سورة الشورى [١١-١٥]: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ * لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ * شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ * وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ * فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾.

وهي كذلك تجيل النظر الفسيح في كون الله المنظور، وتبين وحدة خط النبوة، وتدعو إلى الاعتبار بمصائر الأمم السابقة على أمة الإسلام، وتعلي من شأن العلم والاستقامة عليه، وتحذر من أتباع الأهواء.

وذكر السعدي في تفسيره لسورة النور أن هذه السورة عظيمة القدر، أنزلها الله رحمة بالعباد، وحفظ هذه النعمة من كل شيطان، وقدر في السورة ما قدّر من الحدود والشهادات وغيرها، أي: أحكامًا جليلة، وأوامر وزواجر، وحكمًا عظيمة، ليعلمهم ما لم يكونوا يعلمون، ثم فصلت السورة كثيرا من الأحكام الشرعية(١).

ولا يمتري أحد من الناس أن معرفة هذه الأحكام وغيرها، الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية كذلك، تقتضي العلم والتعليم، حتى يتم الاتباع على بينة من الأمر، وتزكية النفوس بما يؤهلها لأداء أمانتها وتحقيق رضوان الله تعالى.

أما فيما يتعلق بعمران العالم، فإن في القرآن آيات كثيرة تبين أن تحقيق هذا العمران ينبغي أن يخضع لسنن الله في الكتاب وفي الأنفس وفي الآفاق والتاريخ. وكما هو معلوم فإن هذه السنن هي قوانين بثها الله سبحانه وتعالى في الوجود، ليعرفها الإنسان ويسخرها ليحقق أمانة الاستخلاف.

ومن الآيات الدالة على سنن الله في الوجود، التي تحكم العمران، قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾ [الفتح: ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن

(١) عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، مقدمة تفسير سورة النور، ص٦٦١.

تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾ [الأحزاب: ٦٢]، وقوله تعالى: ﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٧]، وقوله تعالى: ﴿سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَاۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلٗا﴾ [الإسراء: ٧٧]. وغيرها من آيات الله تعالى التي تبين بما لا يدع مجالًا للشك، في أن هذا الوجود بتنوعه؛ اجتماعيًّا وثقافيًّا وسياسيًّا واقتصاديًّا وحتى طبيعيًّا، قائم على سنن، ولا يمكن التعامل معها وتسخيرها، إلا بمعرفتها وكيفية عملها، وهذا لا يقوم إلا بالعلم والتعليم.

ولا شك أن الناظر في سنة النبي ﷺ، يجد تطبيقًا عمليًّا لما ذكرناه، في حياته الشريفة وفي كل شؤون المسلمين، في أهمية العلم والتعلم، سواء في ذلك معرفة الله تعالى وصحة الاعتقاد فيه، أو في عبادة الله وإقامة الشعائر والشرائع، أو في تحقيق العمران.

وكما جاء في صحيح البخاري، في كتاب العلم، بابٌ: العِلمُ قبل القولِ والعملِ لِقولِ الله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] فبدأ بالعِلم. وأنّ العُلماء هُم ورثةُ الأنبياء، ورّثُوا العِلم، من أخذهُ أخذ بحظٍّ وافِر، ومن سلك طريقًا يطلُبُ بهِ عِلمًا سهّل الله لهُ طريقًا إلى الجنّة. وقال جلّ ذِكرُهُ: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨] وقال: ﴿وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣] ﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠] وقال: ﴿هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩] وقال النّبيُّ ﷺ: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين وإنما العلم بالتعلم» وقال أبو ذر: لو وضعتم الصمصامة على هذه، وأشار إلى قفاه، ثم ظننت أني أنفذ كلمةً سمعتها من النبي ﷺ قبل أن تجيزوا علي لأنفذتها، وقال ابن عباس: ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ [آل عمران: ٧٩] حلماء فقهاء، ويقال: الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره».

وكل هذه المعاني تدل على أهمية العلم والتعلم، من كتاب الله عز وجل ومن سنة نبيه ﷺ.

وهذا حديث يعضد المعاني سابقة الذكر، ويربط بين مخلوقات الله وبين طالب العلم. إذ هي في حالة استغفار دائم له، ما دام ساعيًا في طلب العلم؛ «طلبُ العلمِ فريضةٌ على كلِّ مسلم، وإنّ طالب العلمِ يستغفِرُ له كلُّ شيء، حتى الحيتان في البحر»[1].

٤- حكم إلزامية التعليم بأنواعه ومجالاته ومستوياته على الجنسين :

لعل قسمة الإمام الشافعي للعلم إلى علم عامة وعلم خاصة، هو الذي جعل علم العامة ما لا يسع جهله، وعلم الخاصة مما هو من باب التفقه والاجتهاد في شرع الله عز وجل.

---

(١) أخرجه ابن ماجه، والبزار، وابن عبد البر في «**جامع بيان العلم وفضله**» واللفظ له.

فإن كان علم العامة ضروريًّا، للرجال والنساء، وبه يصح الاعتقاد والعمل، وعلم الخاصة هو تفقه في الدين كفائي، يقوم به من كان في وسعه العلم والتعلم.

قال الشافعي: «العلم علمان: علم عامة، لا يسع بالغًا غير مغلوب على عقله جهله.. مثل الصلوات الخمس، وأن لله على الناس صوم شهر رمضان، وحج البيت إذا استطاعوا، وزكاة في أموالهم، وأنه حرم عليهم الزنا والقتل والسرقة والخمر، وما كان في معنى هذا، مما كلف العباد أن يعقلوه ويعملوه ويعطوه من أنفسهم وأموالهم، وأن يكفوا عنه ما حرم عليهم منه». ويستطرد الشافعي قائلًا: «وهذا الصنف كله من العلم موجود نصًّا في كتاب الله، وموجودًا عامًّا عند أهل الإسلام، ينقله عوامّهم عن من مضى من عوامّهم، يحكونه عن رسول الله، ولا يتنازعون في حكايته ولا وجوبه عليهم. وهذا العلم العام الذي لا يمكن فيه الغلط من الخبر، ولا التأويل، ولا يجوز فيه التنازع»[١].

ثم يبين لنا الشافعي الوجه الثاني من العلم بقوله: «ما ينوب العباد من فروع الفرائض، وما يخص به من الأحكام وغيرها، مما ليس فيه نص كتاب، ولا في أكثره نص سنة، وإن كانت في شيء منه سنة فإنما هي من أخبار الخاصة، لا أخبار العامة، وما كان منه يحتمل التأويل ويستدرك قياسًا»[٢].

ويستطرد في بيان هذا الصنف من العلم بقوله: «هذه درجة من العلم ليس تبلغها العامة، ولم يكلفها كل الخاصة، ومن احتمل بلوغها من الخاصة فلا يسعهم كلهم كافة أن يعطلوها، وإذا قام بها من خاصتهم من فيه الكفاية لم يحرج غيره ممن تركها، إن شاء الله، والفضل فيها لمن قام بها على من عطلها»[٣].

ويستشهد الشافعي بقوله تعالى: «وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون». ويؤكد أن الله أخبرنا «أن المسلمين لم يكونوا لينفروا كافة: فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة، فأخبر أن النفير على بعضهم دون بعض، وأن التفقه إنما هو على بعضهم دون بعض»[٤].

وقد أخذ هذا المعنى ابن حزم الظاهري في «الإحكام في أصول الأحكام»[٥] وتوسع فيه، وبين أن الآية التي احتج بها الإمام الشافعي أدخل في بيان معنى إلزامية التعليم لكل مسلم من ذكر وأنثى.

---

(١) محمد بن إدريس الشافعي، **الرسالة**، ط١، تحقيق: أحمد شاكر، القاهرة: مكتبه الحلبي، مصر، ١٣٥٨هـ/ ١٩٤٠م، ج١، ٣٥٧.

(٢) محمد بن إدريس الشافعي، **الرسالة**، ج١، ص٣٥٧.

(٣) محمد بن إدريس الشافعي، **الرسالة**، ج١، ص٣٥٧.

(٤) محمد بن إدريس الشافعي، **الرسالة**، ج١، ص٣٦٤.

(٥) أبو محمد علي بن أحمد بن حزم، **الإحكام في أصول الأحكام**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: دار الآفاق الجديدة، د.ت، ج٥، ص١٢١-١٢٣.

يقول ابن حزم: «قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ فبين الله عز وجل في هذه الآية وجه التفقه كله وأنه ينقسم قسمين أحدهما يخص المرء في نفسه وذلك مبين في قوله تعالى: (وما كان المؤمنون لينفروا كآفة فلولا نفر من كل فرقة منهم طآئفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) فهذا معناه تعليم أهل العلم لمن جهل حكم ما يلزمه، والثاني تفقه من أراد وجه الله تعالى بأن يكون منذرًا لقومه وطبقته قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ففرض على كل أحد طلب ما يلزمه على حسب ما يقدر عليه من الاجتهاد لنفسه في تعرف ما ألزمه الله تعالى إياه وقد بينا أن الاجتهاد هو افتعال من الجهد فهو في الدين إجهاد المرء نفسه في طلب ما تعبده الله تعالى به في القرآن وفيما صح عن النبي ﷺ لأنه لا دين غيرهما فأقلهم في ذلك درجة من هو في غمار العامة»[(١)].

باستقراء نصوص الكتاب والسنة وآثار السلف المتعلقة بإلزامية التعليم والتعلم، استقراء معنويا، نذهب في ذلك مذهب الإمام الشاطبي، في الاستقراء المعنوي لنصوص الشريعة، حيث قال: «وإنما الأدلة المعتبرة هنا المستقرأة من جملة أدلة ظنية تضافرت على معنًى واحد حتى أفادت فيه القطع؛ فإن للاجتماع من القوة ما ليس للافتراق، ولأجله أفاد التواتر القطع، وهذا نوع منه، فإذا حصل من استقراء أدلة المسألة مجموع يفيد العلم؛ فهو الدليل المطلوب، وهو شبيه بالتواتر المعنوي»[(٢)]. فنحن لا نقف عند نص واحد من الكتاب أو السنة في شأن التعليم والتعلم، بل باستقراء مجموع النصوص استقراء معنويًّا، سواء في ذلك الآيات الكريمة التي تبين قيمة العلم، ومكانته، ومكانة العلماء، وأجرهم، وما ورد في السنة من أمر بالتعلم، ومدح لطالب العلم، والأجر الكثير لمن سلك طريق العلم، أو في تقديم رسول الله ﷺ لمن عرف عنه العلم والقراءة على غيره، كما ذكرناه مفصلًا في المباحث السابقة، فإن هذه النصوص مجموعة تفيد القطع بإلزامية التعليم.

وقد يذهب البعض إلى الاستناد على مبدأ المصالح المرسلة في إلزامية التعليم والتعلم. ولكننا نرى أنها من المصالح المعتبرة شرعًا، والتي ثبتت بهذا الاستقراء المعنوي للنصوص.

وفي الوقت المعاصر اشتملت دساتير كل الدول وقوانينها على إلزامية التعليم العام، واتبعت دول

---

(١) أبو محمد علي بن أحمد بن حزم، **الإحكام في أصول الأحكام**، ج٥، ص١٢١-١٢٣.

(٢) أبو إسحاق الشاطبي، **الموافقات**، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط١، القاهرة: دار ابن عفان، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، المقدمة الثالثة، ج١، ص٢٨.

المسلمين بعد الاستقلال النظام التعليمي الذي تركه المستعمر، وعملت على تعديل أهدافه ومخرجاته، حتى تلبي مقاصد الحفاظ على هوية الأمة وأهدافها في التنمية المستدامة.

وفي هذا تلتقي هذه الجهود التي قامت بها دول المسلمين ولا تزال، مع ما استقر من النظم التعليمية والمواثيق الدولية المتعلقة بالتعليم والتعلم. وبخاصة أن للتعليم دورًا رائدًا، فتسعى الدول إلى تحقيق التنمية المستدامة والشاملة، لأنه الأساس في التنمية البشرية التي لا تتحقق إلا بالتعليم والتعلم.

لهذا حرصت الدول كافة على التعليم والتعلم، وأعطته أولية قصوى، ووفرت له الإمكانات المادية والبشرية لتعميمه وتجويده وتحقيق أهدافه في مختلف المستويات، والمراحل، والمجالات، والموضوعات. كما اعتبرته حقًّا أساسيًّا من حقوق الإنسان، كما تنص الفقرة الأولى من المادة (٢٦) من الميثاق العالمي لحقوق الإنسان، والتي نصها: «لكلِّ شخص حقٌّ في التعليم. ويجب أن يُوفر التعليمُ مجانًا، على الأقل في مرحلتيه الابتدائية والأساسية. ويكون التعليمُ الابتدائيُّ إلزاميًّا. ويكون التعليمُ الفنِّي والمهني متاحًا للعموم. ويكون التعليمُ العالي مُتاحًا للجميع تبعًا لكفاءتهم...»[١].

وقد اتفقت دول العالم في ٢٠١٥ على (١٧) هدفًا للتنمية المستدامة لسنة ٢٠٣٠، يمثل فيها التعليم والتعلم الهدف رقم (٤)، الذي ينص على «تحقيق التعليم الجيد والشامل للجميع»[٢].

وقد أصدر مجمع الفقه الإسلامي الدولي في قراره رقم: ١٣٨ (٤/ ١٥) في فقرته رقم (١١): أكد على «إلزامية ومجانية التعليم الأساسي في جميع الدول الإسلامية لمكافحة الأمية وتزويد النشء بمبادئ الإسلام والثقافة المعاصرة».

وقبل أن نختم هذا العنصر من البحث، نؤكد أن استقراء نصوص الشرع، وآثار السلف، والنظر في المواثيق الدولية وتجارب الأمم في مسألة إلزامية التعليم والتعلم، أن إلزامية التعليم العام مما اتفقت عليه الأمم وعقلاء الإنسانية. ولعل هذا يدخل في المصالح الكلية التي لا يختلف فيها الناس باختلاف أديانهم ومللهم وواقعهم.

---

(١) هيئة الأمم المتحدة، الميثاق العالمي لحقوق الإنسان. أنظر:
https://www.un.org/ar/universal-declaration-human-rights/index.html تم الدخول يوم ٢٨/ ٧/ ٢٠٢١ على الساعة ٥. ٤٩ مساء.

(٢) هيئة الأمم المتحدة، أهداف التنمية المستدامة، الهدف الرابع: التعليم الجيد. انظر
https://www.arabstates.undp.org/content/rbas/ar/home/sustainable-development-goals/goal-4-quality-education.html تم الدخول يوم ٢٨/ ٧/ ٢٠٢١ الساعة ٥ ,٤٢ مساء.

وتفصيل ذلك في العنصر الموالي، لأن الكلام فيه يندرج ضمن الحديث عن مقاصد الشريعة وكلياتها وترتيب المصالح الضرورية والحاجية والتحسينية فيها.

٥ـ موقع التعليم في سلم المصالح الضرورية والحاجية والتحسينية :

بناء على ما سبق من الحديث عن إلزامية التعليم، وأنها ثابتة باستقراء معنوي لمجموع النصوص، وأنها مما اتفقت عليه المواثيق الدولية والنظم التعليمية في العالم. يجعلنا ندرج التعليم ضمن المصالح الكلية التي لا تختلف في ضرورتها الأمم. وقد ذكر الغزالي اتفاق الأمم على مراعاة هذه المصالح الكلية، بقوله: « وتحريم تفويت هذه الأصول الخمسة والزجر عنها يستحيل أن لا تشتمل عليه ملة من الملل وشريعة من الشرائع التي أريد بها إصلاح الخلق»[١]. وأكد ذلك فيما بعد الشاطبي بقوله: «وقد علم من الشريعة أن أعظم المصالح جريان الأمور الضرورية الخمسة المعتبرة في كل ملة، وأن أعظم المفاسد ما يكر بالإخلال عليها»[٢]، وقوله: «ومجموع الضروريات خمسة، وهي: حفظ الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل، وقد قالوا: إنها مراعاة في كل ملة»[٣].

ولئن كانت هذه الكليات مما استقر عليه القول والعمل من قيم بين الأمم، وصارت كليات مشتركة، في مجال القيم الإنسانية، فإننا نوجه نظرنا إلى كلية العقل، لما لها من صلة مباشرة بموضوع التعليم والتعلم.

وللنظر في موقع التعليم في سلم المصالح الضرورية والحاجية والتحسينية، فإنه ينبغي أن نضع في الاعتبار أبعاد النظر المقاصدي الأربعة المرتبطة بهذه المسألة؛ أولها: ترتيب المصالح إلى ضرورية وحاجية وتحسينية، وثانيها: النظر في كليات الشريعة الضرورية الخمس، والتي يقع العقل ضمنها، وثالثها: مراعاة تقسيم العلم إلى ما هو من صلب العلم، وما هو من مُلحِ العلم، وما ليس من الصلب ولا من الملح، ورابعها: ترتيب ذلك ضمن الفرض العيني والكفائي. من أجل أن تكون عملية التعليم والتعلم محققة لمقاصدها في الأمة. فلنبسط الكلام حسب هذه الأبعاد الأربعة.

تأسيسًا على كلام المقاصديين، فإن المصالح المعتبرة شرعًا متفاوتة الدرجة، فمنها ما هو ضروري، ومنها ما هو حاجي، ومنها ما هو تحسيني، وهذا الترتيب مهم جدًّا في معرفة الأولويات، وتقديم ما يجب تقديمه، وتأخير ما حقه التأخير، من حيث درجة الاعتبار والعناية.

---

(١) أبو حامد الغزالي، **المستصفى**، تحقيق: حمزة بن زهير حافظ، المدينة المنورة: شركة المدينة المنورة للطباعة، د.ت، ج١، ص٤٨٣

(٢) الشاطبي، **الموافقات**، ج٢، ص٦١١.

(٣) الشاطبي، **الموافقات**، ج٢، ص٢٢.

كما أن المصالح الضرورية، تدور على كليات خمس ضرورية؛ هي الدين والنفس، والعقل، والعرض، والمال. فالعقل واحد من الكليات الضرورية التي تقتضي الاهتمام البالغ، لأن بانخرامها يدخل ضرر كبير على الناس. ولهذا تحدث المقاصديون عن حفظ العقل من جانب الوجود؛ بمعنى حماية العقل بإيجاده تنشئة وتنمية وتربية وتهذيبا، وحمايته من جانب العدم؛ بمعنى صرف وإبعاد كل ما من شأنه أن يقضي على ملكة العقل، ماديًّا ومعنويًّا.

وحفظ العقل من جانب الوجود والعدم، ينصرف أساسًا إلى تنشئة وتنمية العقل، واستبعاد ما ينقص منه، ولهذا تحدث المقاصديون وعلى رأسهم الشاطبي عن مسألة ترتيب العلوم إلى ما هو من صلب العلم، فيعطى أولوية قصوى، وما هو من ملح العلم فيدخل في باب الحاجيات والتحسينيات، وما ليس من الصلب ولا من الملح، فيستبعد كالسحر والشعوذة والخرافة والأفكار التي تهدم البناء العقلي.

ولكن هذا الترتيب للعلوم ما هو من صلبها وما هو من ملحها وما ليس من الصنفين معا، يحتاج إلى ضبط من وجه آخر، يتعلق بالعينية والكفائية. ذلك أن من العيني ما هو من صلب العلم وما هو من ملحه وما ليس منهما، ومن الكفائي ما هو من صلب العلم وما هو من ملحه وما ليس من الصنفين.

وإن إدراك هذه التقسيمات لمما يساعد على دقة ومنهجية المناهج التعلمية، ويساهم في تحقيق مقاصد العلم، ويساعد على توجيه الجهود، بحيث أنها تصرف على الضروري، عينيًّا وكفائيًّا، وعلى ما هو من صلب العلم، أكثر من أن تصرف الجهود على الملح، أو على ما ليس من الصلب ولا الملح.

وإذا أردنا تطبيق ذلك على التعليم في عصرنا، فإنه لا شك بأن التعليم العام يدخل ضمن المصالح الضرورية، التي لو انعدمت لما استقامت حياة الفرد ولا المجتمع. ولذلك لا بد للتعليم العام أن يتضمن هذه المصالح الضرورية، من حفظ العقل وجودًا وعدمًا، وهذا الوسع في حفظ العقل وجودًا وعدمًا يتغير بحسب تغير المستوى الحضاري والعمراني للفرد والمجتمع.

بمعنى أن التعليم العام ضرورة من الضرورات الكلية التي يحفظ بها العقل، ولكن مضمون هذا التعليم، يخضع للوضع الحضاري الذي يعيشه الفرد والمجتمع؛ فمجتمع يعيش وضعًا حضاريًّا متقدمًا من الناحية التكنولوجية مثلًا، يختلف عن مضمون التعليم العام الذي في مجتمع يعيش وضعًا حضاريًّا متخلفًا من الناحية التكنولوجية.

أما تَراتُبية صلب العلم والمعارف والمهارات والمهن، وملحها، وما ليس منهما، فإنها تَراتُبية تساعدنا اليوم في اختيار المضمون المناسب للتعليم، بما يجعل صلبها مقدمًا على مُلَحِها، وهذه مقدمة على ما

ليس صلبًا ولا ملحًا. حتى لا تكون العملية التعليمية عشوائية أو بها فوضى. بل ينبغي أن نقدِّم الأولى فالأولى، وبخاصة في مجتمعات المسلمين اليوم التي تسعى إلى تحقيق نهضة حضارية تستعيد للمسلمين دورهم بين الأمم. فمعرفة تراتبية العلم والمعارف والمهارات والمهن عند واضعي النُّظُم التعليمية تجعلهم يختارون من العلوم التي لها أولوية في نهضتنا، على غيرها مما يعتبر ثانويًا (من ملح العلم)، في هذه المرحلة الحضارية التي نعيشها.

أما بالنسبة لمسألتي العيني والكفائي في صلتهما بالصلب والملح وما ليس منها، فإن التعليم العام اليوم فرض عيني في حق كل فرد من أفراد المجتمع، وينبغي التركيز فيه على صلب العلوم والمعارف والمهارات والمهن، حتى تكون العملية التعليمية مؤهلة لتنمية الجوانب المعرفية والروحية والوجدانية والسلوكية والحرفية لكل متعلم. ولا بأس بالتوسع إلى ملح العلوم والمعارف والمهارات والحرف التي تزيد شخصية المتعلم كمالًا.

أما الكفائي فيأتي بعد التعليم العام، لأنه يندرج ضمن التعليم المتخصص، وهذا يقتضي أن يكوّن خبراء، ولا يطالب به الكافة. ولهذا فإن المجتمع مطالب بأن يحقق حد الكفاية من التوسع في التعليم التخصصي سواء في صلب العلوم والمعارف والمهن والحرف أو في ملحها. وهذا ما يعرف اليوم بالدراسات العليا والبحث العلمي الذي يحتاج المجتمع أن يخصص له النابهين وأهل النبوغ من المتفوقين في التعليم العام، ويوفر لهم الدعم المادي والمعنوي. وهذا ما سنتناوله في العناصر المقبلة بشيء من التفصيل.

٦- موقع التعليم في سلم الحقوق والواجبات في الإسلام :

بناء على ما تناولناه في النقاط السابقة، ورجوعًا إلى الوثائق المؤسسة لحقوق الإنسان سواء في تلك الوثائق الصادرة عن الهيئات العالمية مثل الأمم المتحدة، ومجلس حقوق الإنسان التابع لها، ومنظمة اليونيسكو، أو الوثائق الصادرة عن الهيئات الإسلامية الرسمية مثل منظمة التعاون الإسلامي، ومجمع الفقه الإسلامي الدولي التابع لها، والمنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم (الإسيسكو)، أو المنظمات الإسلامية الأهلية مثل المجلس الإسلامي الدولي، والمجلس الإسلامي الأوروبي للإفتاء، والحركة من أجل عالم عادل في آسيا (JUST)، وغيرها من المنظمات والهيئات. فإن كل هذه الوثائق الصادرة عن الهيئات المشار إليها تجعل من التعليم حقًا من حقوق الإنسان الضرورية التي لا يمكن التخلي عنها أو التعدي عليها.

فقد ذكر الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عام ١٩٤٨م، في مادته رقم (٢٦) التعليم باعتباره حقًا من حقوق الإنسان. وتنص المادة على ما يلي: «(١) لكل شخص حق في التعليم. ويجب أن يوفر

التعليم مجانًا، على الأقل في مرحلتيه الابتدائية والأساسية. ويكون التعليم الابتدائي إلزاميًّا. ويكون التعليم الفني والمهني متاحًا للعموم. ويكون التعليم العالي متاحًا للجميع تبعًا لكفاءتهم. (٢) يجب أن يستهدف التعليم التنمية الكاملة لشخصية الإنسان وتعزيز احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية. كما يجب أن يعزِّز التفاهم والتسامح والصداقة بين جميع الأمم وجميع الفئات العنصرية أو الدينية، وأن يؤيِّد الأنشطة التي تضطلع بها الأممُ المتحدةُ لحفظ السلام. (٣) للآباء، على سبيل الأولوية، حقُّ اختيار نوع التعليم الذي يُعطى لأولادهم».

ولكون التعليم حق من حقوق الإنسان الأساسية، فإن الهيئات الأخرى للأمم المتحدة قد أولته عناية خاصة، مثل منظمة اليونيسكو التي نصت على حق التعليم حق أساسي. وقد عنيت اليونيسكو بالهدف الرابع (٤) من أهداف التنمية المستدامة السبعة عشر، التي أقرتها الأمم المتحدة. ووضعتها في جدول أعمالها ليتم تحقيقها مع حلول عام **٢٠٣٠**م.

وبالنظر في وثائق الهيئات الإسلامية، فإن إعلان القاهرة حول حقوق الإنسان في الإسلام، الذي تمت إجازته من قبل مجلس وزراء خارجية منظمة مؤتمر العالم الإسلامي، في **٥** أغسطس **١٩٩٠**م، ينص في مادته رقم (٧) على ما يلي: «أ- لكل طفل عند ولادته حق على الأبوين والمجتمع والدولة في الحضانة والتربية والرعاية المادية والصحية والأدبية كما تجب حماية الجنين والأم وإعطاؤهما عناية خاصة. ب- للآباء ومن في حكمهم، الحق في اختيار نوع التربية التي يريدون لأولادهم مع وجوب مراعاة مصلحتهم ومستقبلهم في ضوء القيم الأخلاقية والأحكام الشرعية. للأبوين على الأبناء حقوقهما وللأقارب حق على ذويهم وفقا لأحكام الشريعة».

والتي لم تخرج كثيرًا على ما أقرته المواثيق الدولية الصادرة عن الأمم المتحدة، ولكنها أكدت على خصوصية القيم الأخلاقية والأحكام الشرعية، في النظر إلى هذه الحقوق. ولذلك جاءت الصياغة معدلة لهذه المادة المتعلقة بالتربية والتعليم، لتكون مرجعيتها الأخلاقية والقيمية هي الشريعة الإسلامية.

وقد أكد مجمع الفقه الإسلامي الدولي على ذلك بقراره رقم **١٢٥** (٨/ **١٣**) بشأن حقوق الإنسان في الإسلام، فيما يلي: «**أولًا**: على المنظمات العالمية المهتمة بحقوق الإنسان على اختلاف مواثيقها ونظمها أن تمتنع عن التدخل في المجالات التي تحكمها الشريعة الإسلامية في حياة المسلمين وليس من حقها إلزام المسلمين بنظمها وقيمها التي تخالف شرائعهم وقيمهم ولا يجوز أن تحاسبهم على مخالفتهم لقوانين لا يرتضونها ولا يحكمون بها. **ثانيًا**: إنشاء مركز لحقوق الإنسان تابع له، وتتخذ الترتيبات اللازمة لإنشائه ووضع النظام الخاص به».

وتعتبر المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإسيسكو) إحدى المنظمات المنبثقة عن منظمة التعاون الإسلامي، وقد جعلت من أهدافها «تحقيق الترابط والتكامل والتنسيق الاستراتيجي بين دول العالم الإسلامي في مجالات التربية والتعليم والتدريب وتنمية المهارات والعلوم والتكنلوجيا والابتكار والذكاء الاصطناعي والثقافة والإعلام والاتصال والعلوم الإنسانية والاجتماعية والتخطيط الاستراتيجي والقطاعي».

ومن المنظمات الأهلية من توسع كثيرًا في النظر إلى الحقوق وربطها بالواجبات، وكان ذلك مدخلًا مهما من مداخل النظر الإسلامي لمسألة الحقوق، إذ أنها ترتبط ارتباطًا وثيقًا لصيقًا بالواجبات في الرؤية الكلية الإسلامية. وقد تبين ذلك في البيان العالمي عن حقوق الإنسان في الإسلام الذي اعتمدته واحدة من المنظمات الأهلية الإسلامية، وهي المجلس الإسلامي، وذلك بتاريخ **٢١** من ذي القعدة **١٤٠١**هـ، الموافق **١٩** أيلول/ سبتمبر **١٩٨١**م، في مادته رقم (**٢١**: حق التربية)، «(أ). التربية الصالحة حق الأولاد على الآباء، كما أن البر وإحسان المعاملة حق الآباء على الأولاد: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۞ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣ -٢٤]. (ب). التعليم حق للجميع، وطلب العلم واجب على الجميع ذكورًا وإناثًا على السواء: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة» رواه ابن ماجه. والتعليم حق لغير المتعلم على المتعلم: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، «ليبلغ الشاهد الغائب» من خطبة حجة الوداع.(ج). على المجتمع أن يوفر لكل فرد فرصة متكافئة، ليتعلم ويستنير: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين. وإنما أنا قاسم والله عز وجل يعطي» رواه الشيخان. ولكل فرد أن يختار ما يلائم مواهبه وقدراته: «كل ميسر لما خلق له» رواه الشيخان وأبو داود والترمذي».

بالنظر فيما أوردناه من وثائق دولية وإسلامية في شأن حق التعليم، يظهر المشترك الإنساني واضحًا، بين مختلف الوثائق، وهي أن التعليم حق أساسي من حقوق الإنسان، تتفق عليه الأمم والملل والشرائع، مما يذكرنا بما قاله الشاطبي وغيره من المقاصديين، بأن هذه الضرورات مما تتفق عليه كل ملة.

ولكن من الواضح أن المواثيق الدولية تركز على الحقوق أكثر من تأكيدها على الواجبات، بينما في الرؤية الإسلامية، فإن الحق والواجب مرتبطان ببعضهما، فبقدر ما يكون التعليم حقًّا من حقوق الإنسان وعلى الدولة وأولياء الأمور توفيره لكل فرد من أفراد المجتمع، فإنه واجب على كل فرد مسلم أن يتعلم القدر الذي يمكنه من تحقيق الفرض العيني الذي لا يستقيم بدونه دين ولا معاش.

٧ـ حكم الإنفاق على التعليم وطلابه، ومؤسساته، وأجهزته، ومخرجاته :

أشار ابن خلدون في الباب السادس من الكتاب الأول في «العلوم وأصنافها والتعليم وطرقه وسائر وجوهه وما يعرض في ذلك كله من الأحوال وفيه مقدمة ولواحق»[١] عند حديثه عن نشأة العلوم في الحضارة الإسلامية، إلى أن العلوم نشأت بداية بجهد فردي ومبادرات شخصية من طالب العلم، ولكن مع تطور العمران وتوسع المجتمع وزيادة حاجة المجتمعات إلى تقسيم العمل والتخصصات بين أفراده، فقد تحولت العلوم إلى صنائع؛ بمعنى أنها صارت تخصصات يتفرغ لها طائفة من طلبة العلم، وما يقتضيه التفرغ من إنفاق على طلبة العلم والعلماء ومراكز التعليم والتعلم.

وقد كان الإنفاق على التعليم في مبتدأ الأمر يتم عن طريق المبادرة الفردية والإنفاق الشخصي والتبرعات من أثرياء المجتمع وأمرائه وحكامه، بما يحقق الكفاية في توفير أفضل السبل للتعليم والتعلم ونشر المعارف. ومن هنا كان للوقف في تاريخنا الإسلامي دوره البارز في تمويل التعليم وبقية القطاعات الحساسة في المجتمع، حتى تميزت الحضارة الإسلامية بأنها حضارة الوقف.

وفيما يتعلق بالتعليم، فقد أوقف وحبس كثير من ذوي اليسار بعض أموالهم على المؤسسات التعليمية من مساجد وتكايا وزوايا، ثم بعد ذلك توسع الأمر إلى الوقف على المدارس والجوامع الكبرى والجامعات، كبيت الحكمة في بغداد في زمان الخليفة المأمون، والأوقاف الأموية في الأندلس، وما قام به الوزير السلجوقي نظام الملك في تأسيسه للمدارس النظامية وحبس الأوقاف عليها، وغيرهم كثير، ممن أسسوا لمدارس كبرى في تاريخنا كالقرويين في فاس والأزهر في القاهرة، والمدرسة الصولتية في مكة... إلخ.

ولله در السباعي، فقد لخص التجربة الإسلامية بشأن الأوقاف قائلًا: «ولذلك، كما في المراجع التاريخية، قامت الأوقاف بدور حيوي في الأمة الإسلامية كمصدر رئيس لتمويل المدارس والمساجد ودور الاستشفاء والدور المخصصة لإيواء الأرامل ورعاية اليتامى والذين فقدوا عائلهم أو مأواهم الطبيعي من النساء المطلقات والمسنين والأطفال. وبالإضافة إلى ذلك ساهمت أموال الأوقاف في عصر الازدهار الإسلامي (سواء في الدولة الأموية أو العباسية شرقًا أو في الدولة الأندلسية غربًا) في رعاية طلاب العلم والباحثين من العلماء وفي ترجمة علوم الإغريق والفرس وفي إنشاء المكتبات العامة»[٢].

---

(١) ابن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، ج١، ٥٤٢.

(٢) مصطفى السباعي، **من روائع حضاراتنا**، عمان: المكتب الإسلامي، د.ت، ص١٢١.

ولكن في مجتمعنا الحديث لم يعد كافيًا ترك الإنفاق على التعليم للمبادرة الفردية والوقف الشخصي، بل تحول الإنفاق على التعليم إلى أن تخصص الحكومات والدول مخصصات سنوية للإنفاق على التعليم، بما في ذلك الاعتماد على نسبة من الدخل القومي سنويًّا، بالإضافة إلى الأوقاف والتبرعات.

وبالنظر في الإحصاءات[١] التي تصدرها الهيئات الدولية، فإنه من الواضح أن الدول الإسلامية في أغلبها، تخصص أضعف النسب عالميًّا في الإنفاق على التعليم والبحث العلمي، مما جعلها في مؤخرة ترتيب دول العالم، ولا يحقق المقاصد المنشودة في بناء الفرد المسلم والمجتمع والمساهمة الفعالة في التنمية المستدامة، التي يتطلبها عصرنا القائم على العلم والبحث العلم واقتصاد المعرفة.

ولا حاجة بنا للاحتجاج على أهمية الإنفاق على التعليم والبحث العلمي، فإن ذلك أمر مفروغ منه. وقد بين مجمع الفقه الإسلامي الدولي في أكثر من قرار له ضرورة تنمية الموارد البشرية ومجانية التعليم وإلزاميته، وأهمية البحث العلمي. ومن بين هذه القرارات التي أصدرها المجمع، القرار رقم **١٦٤ (١٨/٢)** في فقراته (٦، ٧، ٨) «أن تعنى المؤسسات القائمة على التعليم بالتخطيط للعملية التعليمية وربط المناهج بحاجات المجتمعات الإسلامية وفق رؤية استشرافية للمستقبل يتم من خلالها الوصول إلى تنمية متوازنة متكاملة للعنصر البشري لتحقيق أهداف التنمية الشاملة وفق المنظور الإسلامي. ضرورة العناية بتأهيل قيادات فاعلة قادرة على النهوض بمؤسسات التعليم والتدريب في مختلف المجالات المطلوبة للأمة مؤسسين ذلك على ركني الولاية وهما: «القوة والأمانة»، ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥]، وقوله ﷺ لأبي ذر: «إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها» [أخرجه الإمام مسلم في صحيحه]. العناية بالبحث العلمي وتشجيع الإنفاق لدعم هذا المجال الضروري للنهوض بالعنصر البشري الفاعل النافع للأمة ولتلبية جميع حاجات الأمة وآفاق العمل فيها».

ويسعنا القول: إن الإنفاق على الموارد البشرية، يتطلب الإنفاق على المنظومة التعليمية كاملة بطلابها وأساتذتها وإداريها ومؤسساتها وتجهيزاتها. ويستدعي ذلك الإنفاق على المخرجات المتمثلة في خريجي هذه المؤسسات وصلتهم بسوق العمل، والبحث العلمي، والمنتجات المادية والمعنوية للعملية التعليمية والبحثية.

---

(١) عبد الرحمن يسري، «دور الأوقاف الإسلامية في التعليم العالي والبحث العلمي لأجل التنمية»، **مؤتمر الدوحة الدولي الرابع للمال الإسلامي**، الدوحة: بيت المشورة، ٩ يناير ٢٠١٨م، ص١٦٥-١٩١.

وإذا نظرنا إلى حكم الإنفاق على التعليم وما يتعلق به، في إطار المقاصد الكلية للشريعة، وضرورياتها الخمس، وفي إطار الوسائل المحققة للمقاصد الشرعية، فإنه لا يمتري أحد في أن التعليم والتعلم لا يخرج عن فرضي العين والكفاية، والإنفاق عليه وسيلة لتحقيق هذه الفريضة، و«ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب» كما توضحه القاعدة. وأن التعليم أمر ضروري، والانفاق عليه ضروري بالتبع، بحكم أن «الوسائل تأخذ حكم المقاصد» كما يقول المقاصديون.

٨ـ دعم التعليم الإبداعي، والنقدي، والبحث العلمي، والابتكارات :

إن العملية التعليمية لا تكتفي بتزويد المتعلم بالمعارف والقيم والمهارات فقط، دون أن يتبعها إطلاق قدرات المتعلم على الابتكار والبحث العلمي. وهذا يقتضي عناية خاصة بتطوير مناهج التعليم، وتأسيس مراكز البحث، وبرامج رعاية النابهين، والتدريب على بناء عقل نقدي إبداعي مبتكر.

وليس القصد من إطلاق قدرات المتعلم على الابتكار والبحث ورعاية النابهين أن تتشكل طبقة في المجتمع معزولة عنه، مستعلية عليه، تحصل على الامتيازات أكثر من غيرها، بل ينبغي أن يكون إطلاق قدرات الابداع والابتكار دافعا لاختيار هذه الصفوة لتكون أكثر خدمة للمجتمع وأكثر تحملًا لمسؤولية تطويره ونفعه، كما كان الشأن مع جيل الصحابة رضوان الله عليهم.

فالصحابة كانوا صفوة الأمة التي حظيت برعاية النبي ﷺ، وبتلقي علم النبوة على يديه، فكان ذلك حافزا لهم رضوان الله عليهم، ليكونوا المبادرين إلى خدمة الإسلام والأمة، والأكثر تضحية في سبيل ذلك، والأكثر تواضعا بين الناس، والأقدر على خدمتهم.

ولا بد في النهاية من حسن الانفاق على هؤلاء النابهين، وتخصيص الميزانيات، لتطوير مقدراتهم، ومتابعة الكشوف العلمية التي يحققونها، حتى ترى النور، وتسهم في تنمية المجتمع، وتطوير قدرات الأمة جمعاء.

وما فتئ مجمع الفقه الإسلامي الدولي من متابعة كل ما يتعلق بشأن التعليم في مستوياته المتعددة. وقد أولى أمر التعليم العام عناية فائقة، ورعاية الطفولة والعناية بالموهوبين، لتنمية طاقاتهم وإطلاق قدراتهم، في قراره رقم: ١١٣ (٧/ ١٢) ([١])الصادر عن المجمع في دورته الثانية عشرة بالرياض في المملكة العربية السعودية، من ٢٥ جمادى الآخرة إلى ١ رجب ١٤٢١هـ الموافق ٢٣-٢٨ أيلول (سبتمبر) ٢٠٠٠م. حيث نص في فقرته رقم (٨) على «التربية القويمة والتنشئة الأخلاقية الحسنة والتعلم والتدريب واكتساب الخبرات والمهارات والحرف الجائزة شرعا المؤهلة للطفل للاستقلال بنفسه واكتسابه رزقه

بعد بلوغه من أهم الحقوق التي ينبغي العناية بها، مع تخصيص الموهوبين منهم برعاية خاصة لتنمية طاقاتهم، وكل ذلك في إطار الشريعة الإسلامية».

ثم استصدر المجمع كذلك جملة من القرارات المهمة، في أمر التعليم العالي، والبحث العلمي، والعناية بالابتكار والإبداع والفكر النقدي، وإصلاح المناهج، حتى تفي بتحقيق هذه المقاصد. ففي القرار رقم: ١٣٨ (٤/ ١٥، وفي فقراته (٤، ٩، ١٠)، نص على «استشراف المنهجية الإسلامية في طرائق وأساليب التعليم والتربية، مع الاستفادة من مستجدات الوسائل التعليمية وتقنيات التعليم المعاصرة، وتنفيذ برامج تحقق الغرض الإسلامي في إطار مطلوب، كتخصيص الجوائز للمبدعين والمبتكرين. وتقوية روح الإبداع والابتكار والنقد البناء والحوار والوسطية في العملية التعليمية والتربوية. والعناية بإعداد المعلم إعدادًا سلوكيًّا ومعرفيًّا وتربويًّا، وكذا إعداد الكُتب المنسجمة مع الأصول والقيم الإسلامية».

وفي القرار رقم: ٢٣٦ (٧/ ٢٤) نص في فقرته رقم (١٣) على العناية «بتطوير طرائق التدريس ووسائله، بحيث تناسب جيل مجتمع الوسائط المعرفية؛ وترسيخ قيم الحوار والمناظرة، والتوسع في اعتماد طريقة الأنشطة التعلمية التي تربّي المتعلم على التفكير المنهجي وتكوين الموقف الشخصي على الحوار مع غيره».

واستمر هذا النهج من المجمع. ففي قرار رقم ١٦٤ (٢/ ١٨)وفي الفقرة رقم (٥) أكد المجمع على «أن تتضمن مناهج التعليم الموجهة لتأهيل الطاقات البشرية القيم والمنطلقات الحضارية النابعة من عقيدة الأمة وثوابتها التي تُنمي في الإنسان المسلم الحرص على العمل الصالح، وتبعث فيه الأمل، وعلى رأس هذه المنطلقات القيم الإسلامية التي منها علو الهمة، والإحساس بالمسؤولية، والمبادرة بالعمل، والتربية على الشورى، والعمل الجماعي، واحترام الوقت، والثقة بالنفس، والحوار البناء، واحترام الرأي الآخر، والنقد الهادف، واحترام التخصص، وتقدير المعرفة، وتشجيع الاجتهاد وإطلاق الطاقات الإبداعية، والحرية المسؤولة، والعدل، والأمانة، ومواكبة العصر، واستشراف المستقبل، واحترام قيم العمل».

كما أن مجمع الفقه الإسلامي الدولي قد أرفق مع القرار رقم ١٦٤ (٢/ ١٨) مجموعة من التوصيات، نختار منها ما يتعلق بالبحث العلمي وتكوين العقل الإبداعي لدى المتعلمين المسلمين. ففي التوصيتين (١، ٣) ما نصه: «إجراء دراسات متخصصة وعقد ندوات لبحث ظاهرة هجرة الكفاءات المسلمة وانتقالها من البلاد الإسلامية إلى غيرها من حيث أسباب هذه الظاهرة واقتراح سُبل مواجهتها وعلاجها والتدابير التي تخفف من آثارها. وتشجيع إيجاد معاهد متخصصة، ومراكز أبحاث علمية، تُعنى بالعنصر البشري وتنميته، والعناية بالموهوبين والمبدعين».

إن القرارات والتوصيات المشار إليها أعلاه، الصادرة عن مجمع الفقه الإسلامي الدولي تبين بما لا يدع مجالًا للتردد، في أهمية دعم الإبداع والابتكار والفكر النقدي والعناية بالبحث العلمي وتوفير الحوافز والإجراءات اللازمة لتحقيق هذه الغايات الكبرى، التي تجعل العملية التعليمية في خدمة مجتمعات المسلمين والإنسانية جمعاء.

وفي كل ذلك غنية عن كل إضافة، في هذا الجانب. ولكننا نؤكد على أن هذه الإجراءات والحوافز ينبغي أن تتجه إلى تكوين صفوة خادمة للأمة لا مستعلية عليها. ومن أولوياتها إقامة شبكة تواصل بين الباحثين والمبدعين في مختلف بلدان العالم الإسلامي، لحماية هذه النخبة المبدعة من الهجرة إلى بلدان العالم الأخرى، ومن ثم التخلي عن دورها في خدمة الأمة وأولوياتها في شأن البحث العلمي وتحقيق التنمية المستدامة وإيجاد الحلول لمشكلات بلدانهم.

توصيات البحث

في ختام هذا البحث الذي تناولنا فيه «**بيان حكم إلزامية التعليم بشقيه الديني والدنيوي على كلا الجنسين في الإسلام**»، **يوصي الباحثان:**

١ـ العلم فريضة؛ عينيًّا وكفائيًّا، ولا فرق بين الذكر والأنثى في فرضية العلم، فكل مسلم متعين في حقه طلب العلم عينيًّا بما يحقق قيامه بواجبه الشرعي مع الله ومع البشر، وكفائيًّا بما يفرضه موقعه في المجتمع المسلم.

٢ـ لا مسوغ لتقسيم العلم إلى ديني ودنيوي، بل تنقسم العلوم إلى ما يتعلق بالشرع، وما يتعلق بالإنسان، وما يتعلق بالكون؛ ولذلك فالعلوم يمكن تقسيمها إلى علوم الشريعة والعلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الكونية/ الطبيعية، والعلوم التقنية، والعلوم المهنية/ الحرفية. ولا بد لها جميعًا من أن تتكامل فيما بينها، وتصدر عن الرؤية الإسلامية الكلية.

٣ـ مقارنة بما تنفقه الأمم في العالم على التعليم بمراحله والبحث العلمي، فإن دول المسلمين في أغلبها، من أقل الدول إنفاقًا على العملية التعليمية والبحث العلمي، ولذلك نوصي بتفعيل نظام الوقف التعليمي وتطوير حوكمته، ليكون رافدًا مهما في تمويل التعليم والبحث العلمي.

٤ـ وأخيرًا، لا بد من قيام لجنة دائمة لمتابعة تنفيذ قرارات منظمة التعاون الإسلامي والهيئات التابعة لها، فيما يتعلق بالتعليم. وذلك بالتنسيق الوطيد بين المجمع والمنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم (إسيسكو). حيث تقوم هذه اللجنة بعمل تقرير سنوي يتابع مدى تنفيذ هذه القرارات في دول منظمة التعاون الإسلامي.

بيان حكم إلزامية التعليم بشقيه الديني والدنيوي على كلا الجنسين في الإسلام:

مشروع قرار:

بناء على بنود البحث التي تم تناولها، وبناء على التوصيات التي يوصي بها البحث، فإن الباحثان يقترحان مشروع قرارين هما:

١ـ مشروع قرار التعليم التكاملي بإدراج مقررات من العلوم الشرعية في التخصصات الاجتماعية

والإنسانية والطبيعية والتقنية، تتعلق هذه المقررات بالرؤية الإسلامية للكون والحياة. مما يجعل نظرة الشباب المسلم للعلم نظرة تكاملية مرتبطة بالإسلام عقيدة وشريعة ومنهج حياة.

٢ـ مشروع قرار تشكيل لجنة دائمة لمتابعة تنفيذ قرارات منظمة التعاون الإسلامي والهيئات التابعة لها، فيما يتعلق بالتعليم. وذلك بالتنسيق الوطيد بين المجمع والمنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم (إسيسكو). حيث تقوم هذه اللجنة بعمل تقرير سنوي يتابع مدى تنفيذ هذه القرارات في دول منظمة التعاون الإسلامي.

ملحق بالإحصائيات

أخذت هذه الإحصائيات والجداول من بحث الدكتور عبد الرحمن يسري، كما هو مشار إليه في صفحات البحث.

جدول رقم (1)

الدولة	إنفاق الحكومة على التعليم العالي % من متوسط نصيب الفرد من الناتج المحليالإجمالي	إنفاق الحكومة على التعليم % من الناتج المحلي الإجمالي	إنفاق الحكومة على التعليم % من إجمالي الإنفاق العام
ألبانيا	13.5	3.5	12.1
البحرين	***	2.7	7.7
إندونيسيا	28.5	3.6	20.5
الكويت	***	***	***
إيران	14.0	2.9	18.6
بنغلاديش	***	1.9	13.8
باكستان	59.7	2.6	13.2
تركيا	24.3	4.8	12.4
عمان	***	5.0	11.1
قطر	***	3.6	12.7
كازخستان	11.3	2.8	11.9
لبنان	18.4	2.6	8.6
ليبيا	***	***	***
ماليزيا	27.3	5.0	19.7
مصر	***	***	***
العالم (متوسط)	26.2	4.7	14.1
شرق آسيا والباسيفيكي	23.3	3.9	18,0
أوربا وآسيا الوسطي	26.2	5.1	12.0
الشرق الأوسط	***	***	***
أمريكا الشمالية	28.1	5.4	14.5
أفريقيا شبه الصحراوية	***	4.5	16.6
بلدان ذات دخل متوسط مرتفع	21.3	4.7	15.2
بلدان ذات دخل مرتفع	26.1	5.2	12.5

جدول (1) المصدر: بيانات إحصائية عن التعليم- البنك الدولي، مؤشرات التنمية

الإنفاق على البحث العلمي لأغراض التنمية :

جدول (2 – أ)

الإنفاق العام على البحث العلمي للتنمية R&D وقيمة وأهمية الصادرات من السلع عالية التقنية الدول الإسلامية والمتوسطات العالمية

الدولة	الإنفاق على البحث والتنمية، نسبة من الناتج المحلي الإجمالي 2005- 2015	صادرات سلع صناعية عالية التقنية مليون دولار 2016	صادرات سلع صناعية عالية التقنية % من صادرات السلع الصناعية 2016
ألبانيا	0.15	15	1.5
الجزائر	0.07	2	0.2
إندونيسيا	0.08	4410	6.6
الأردن	0.43	86	1.6
الكويت	0.30	138	2.7
العراق	0.04	***	***
المغرب	0.71	539	3.5
المملكة السعودية	0.82	276	0.8
الإمارات العربية	0.87	834	8,5
باكستان	0.25	259	1.6
تركيا	1.01	2184	2.0
تونس	0,63	681	6.3
سنغال	0.54	18	2.0
عمان	0.25	204	4.1

المصدر: البنك الدولي، مؤشرات إحصائية

جدول (2: ب)

الإنفاق على البحث العلمي للتنمية: العالم والأقاليم الجغرافية

الدولة	الإنفاق على البحث والتنمية، نسبة من الناتج المحلي الإجمالي 2005- 2015	صادرات سلع صناعية عالية التقنية مليون دولار 2016	صادرات سلع صناعية عالية التقنية % من صادرات السلع الصناعية 2016
العالم	2,23	2150878	18,3
الدول منخفضة الدخل	0,55	76337	10.0
دول مرتفعة الدخل	2.57	1241306	18.4
أمريكا اللاتينية والكاريبي	0.77	***	11.2
الشرق الأوسط وشمال أفريقيا	0.94	15458	4.6
أمريكا الشمالية	2.79	177501	13.0
جنوب آسيا	0.58	***	6.9
أفريقيا شبه الصحراوية	0.55	2879	3.9
شرق آسيا والباسيفيكي	1.93	714182	16.9

المصدر: البنك الدولي، مؤشرات إحصائية

بحث معالي الدكتور محمد نوح القضاة

الأستاذ المشارك بجامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية

الإمارات العربية المتحدة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله محمد النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن سار على نهجه واقتدى بهديه إلى يوم الدين.

وبعد،

فإن من نعم الله علينا وفضله أن كرمنا وشرفنا، بل وأعزنا بحمل راية الإسلام، هذا الدين الرباني العظيم الذي جعله الله جل وعلا، أوفى الشرائع وأكملها ولم يغادر كبيرة ولا صغيرة من أمور الحياة إلا وضع لها أمثل النظم وأيسرها، وأكثرها تحقيقًا لمصالح العباد والبلاد على سواء، وذلك ضمن منظومة من القواعد والأصول العامة تجعله صالحًا للبشرية على مر العصور، وبذلك يتحقق فيها الكمال والتكامل للخلق أجمعين.

إن طلب العلم والاشتغال به من أجل العبادات وأفضل القربات إلى الله سبحانه وتعالى، ومن أقسام العلم الشرعي علم الفقه في الدين؛ الذي به يعرف الحلال والحرام وتصح العبادات والمعاملات وتصلح الدنيا والآخرة، فقد قال رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين»[1].

إن طلب العلم أفضل الأعمال لمن صحت نيته، وتصحيح النية بأن ينويه بتواضع فيه، وينفي عنه الجهل[2]، واعتبره بعض العلماء أفضل من صلاة النافلة[3]، فقد روى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: دخل النبي ﷺ المسجد، فرأى مجلسين، أحد المجلسين يذكرون الله عز وجل، ويرغبون إليه، والآخرون يتعلمون الفقه، فقال رسول الله ﷺ: «كلا المجلسين على خير، أحدهما يذكرون الله عز وجل ويرغبون إليه، فإنّ شاء أعطاهم، وإن شاء منعهم، وأمّا هؤلاء يتعلمون ويعلمون الجاهل، وإنّما بعثت معلمًا، وهؤلاء أفضل، فجلس معهم»[4].

---

(١) (متفق عليه) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب بدء الوحي، حديث رقم (٣١١٦)، ج٤، ص١٠٣، ومسلم في **صحيحه**، كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، حديث رقم (٢٤٣٦)، ج٣، ص٩٤.

(٢) المرداوي، **الإنصاف**، ج٢، ص١٦٢، والمقدسي، محمد بن مفلح، **الفروع**، تحقيق: حازم القاضي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ، ج١، ص٤٦٥، والبهوتي، **كشاف القناع**، ج١، ص٤١١.

(٣) الشربيني، **الإقناع**، ص١١، والرملي، محمد بن أحمد، **غاية البيان شرح زبد بن رسلان**، دار المعرفة، بيروت، ص١٩.

(٤) أخرجه ابن ماجه **في سننه**، كتاب الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، حديث رقم

أهمية البحث ومشكلته وأهدافه

أولًا: أهمية البحث

يتحدث هذا البحث في موضوع «**الزامية التعليم الديني والدنيوي على كلا الجنسين في الإسلام**»، وتتضح أهمية البحث في تبصير المسلمين وتعريفهم ببيان حكم إلزامية التعليم، وما يترتب على ذلك من آثار، ومدى شمول الجنسين في الحكم.

ثانيًا: مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في الإجابة عن التساؤلات التالية:

السؤال الرئيسي: ما حكم الزامية التعليم الديني والدنيوي للذكور والإناث؟

وتتفرغ عنه جملة من الأسئلة وهي:

السؤال الأول: ما علاقة التعليم بالتربية والتزكية؟
السؤال الثاني: ما موقع التعليم في سلم المصالح الضرورية والحاجية والتحسينية؟
السؤال الثالث: ما موقع التعليم في سلم الحقوق والواجبات في الإسلام؟
السؤال الرابع: ما حكم الإنفاق على التعليم وطلابه، ومؤسساته وأجهزته ومخرجاته؟

ثالثًا: أهداف البحث:

أولًا: بيان حكم الزامية التعليم الديني والدنيوي للذكور والإناث.
ثانيًا: بيان موقع التعليم في سلم المصالح الضرورية والحاجية والتحسينية.
ثالثًا: بيان موقع التعليم في سلم الحقوق والواجبات في الإسلام.
رابعًا: بيان حكم الإنفاق على التعليم وطلابه، ومؤسساته وأجهزته ومخرجاته.

رابعًا: منهج البحث

يعتمد هذا البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي المقارن بين المذاهب الفقهية وبيان وجهة نظر الباحث فيما يتعلق ببعض القضايا.

ولتحقيق هذه الأهداف سيكون منهجي على النحو المبيَّن:

١ـ الرجوع إلى المظان الأصلية للموضوع من كتب العلماء السابقين يرحمهم الله، الفقهية والتفسيرية والحديثية.

---

(٢٢٩)، ج١، ص٨٣ (ضعيف)، الألباني، السلسلة الضعيفة، ج١، ص٦٦.

٢ـ الرجوع ما أمكن إلى الكتب والدراسات والدورات التي تناولت أيًّا من موضوعات هذه الدراسة، وعدم إغفال الكتابات الحديثة المعاصرة التي تتسم بالجدية والتعمق.

٣ـ الرجوع إلى المعاجم اللغوية والاصطلاحية للتعريف بالمصطلحات، والإشارة إلى معاني الغريب مما يرد في متن الرسالة.

٤ـ توثيق النصوص الشرعية حسب الصور المعتمدة عند أهل الفن.

خامسًا: مخطط البحث

المبحث الأول: التعريف بالتعليم وعلاقته بالتربية والتزكية والتثقيف والتنوير

المطلب الأول: تعريف التعليم لغة واصطلاحًا.

المطلب الثاني: علاقة التعليم بالتربية والتزكية.

المبحث الثاني: مكانة التعليم وأهميته في الكتاب والسنة والآثار

المطلب الأول: مكانة التعليم وأهميته.

المطلب الثاني: مكانة العلم في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: مكانة العلم في السنة النبوية.

المبحث الثالث: حكم إلزامية التعليم بأنواعه ومجالاته ومستوياته على الجنسين

المطلب الأول: الزامية التعليم.

المطلب الثاني: تعليم البنات.

المبحث الرابع: موقع التعليم في سلم المصالح الضرورية والحاجية والتحسينية والحقوق والواجبات

المطلب الأول: موقع التعليم في سلم المصالح الضرورية والحاجية والتحسينية.

المطلب الثاني: موقع التعليم في سلم الحقوق والواجبات في الإسلام.

المبحث الخامس: حكم الإنفاق على التعليم وطلابه ومؤسساته وأجهزته ومخرجاته

المطلب الأول: الوقف على التعليم.

المطلب الثاني: نفقة الدولة على التعليم.

النتائج والتوصيات

المبحث الأول
التعريف بالتعليم وعلاقته بالتربية والتزكية والتثقيف والتنوير

المطلب الأول : تعريف التعليم لغة واصطلاحًا

التعليم في اللغة: مصدر من عَلِم يَعلَم علمًا، وعَلِم الرجلَ خَبِرَه، وأحبَّ أن يعلَمه؛ أي: يَخبُره، وعلَّمه العلمَ وأعلَمَه إياه فتعلَّمه، ويقال: استعلِمْ لي خبر فلان وأعلِمنِيه حتى أعلَمَه، واستعلَمَني الخبرَ فأعلَمتُه إياه، وعَلِم الأمر وتعلَّمه؛ أي: أتقنه[١].

التعليم في الاصطلاح: إحداث تعديل في سلوك المتعلم نتيجة التدريس، والتعليم والتدريب والممارسة والخبرة، وهو يرتبط بالعملية التعليمية التي تعمل على تحقيقه من خلال المنهج والمعلم بما في ذلك كفاياته الأكاديمية والتدريسية[٢].

والتعليم هو عملية نقل المعلومات من الكتب أو من عقل المعلم إلى عقل المتعلم[٣].

وعرف التعليم أيضًا: بأنه نقل المعلومات من المعلم الإيجابي إلى المتعلم الملتقى الذي ليس له إلا أن يتقبل ما يلقيه المعلم[٤].

وهذه تعريفات متقاربة في اللفظ تدور حول معنى واحد، وهو أن التعليم عملية مقصودة، يسعى من خلالها الطرف الفاعل وهو المعلم، إلى نقل الطرف المنفعل وهو المتعلم، من حال إلى حال آخر مما له علاقة بمعرفته وتصوراته.

المطلب الثاني : علاقة التعليم بالتربية والتزكية

الفرع الأول: تعريف التربية لغة واصطلاحًا.

---

(١) الأزدي، محمد بن الحسن بن دريد، **جمهرة اللغة**، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، **١٩٨٧**م. (ج**٢**، ص**٩٤٨**). الأزهري، محمد بن أحمد، **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، **٢٠٠١**م. (ج**٢**، **٢٥٥**).

(٢) الفتلاوي، سهيلة محسن كاظم، **مدخل إلى التدريس**، ط١، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، **٢٠٠٣**م. (ص**٣٠**).

(٣) شحاتة، حسن، **تعليم اللغة العربية بين النظرية والتطبيق**، ط١، المكتبة المصرية اللبنانية، مصر، **٢٠٠٨**م. (ص.**١٩**).

(٤) عبد العزيز، صالح. وعبد المجيد، عبد العزيز، **التربية وطرق التدريس**، دار المعارف، مكة، (د.ت)، (ص**٥٩**).

التربية لغة: ذكرت معاجم اللغة العربية ثلاثة أصول لكلمة التربية، وهي[١]:

التنشئة والرعاية، قال تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٨].

وقال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤]

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥]

والتربية اصطلاحًا: إعداد المسلم كاملًا في جميع النواحي في مراحل نمو للحياة الدنيا والآخرة في ضوء المبادئ والقيم وطرق التربية التي جاء بها الإسلام[٢].

فالتربية عبارة عن التنشئة والرعاية التي تعنى بتنمية جميع جوانب شخصية الإنسان، في جميع مراحل حياته، وتهيئته للحياة.

الفرع الثاني: علاقة التعليم بالتربية

التربية والتعليم عمليتان متكاملتان لكل منهما دور له حدود من حيث يبدأ وينتهي وعلاقته بالآخر، ويمكن أن يجمل القول في هذه العلاقة بداية بتوضيح أن التربية هي الهدف الرئيس المطلوب للإنسان وصول غايته، وهو أن تتهذب نفسه وتترقى وتكتسب الفضائل الأخلاقية كالشجاعة والكرم والعفة، وترتبط بمصدر ومنبع كمالها وسعادتها.

أما التعليم فهي العملية الضرورية والمؤهلة بداية من حيث كونها هي الطريق أولًا لمعرفة مصدر الخير والسعادة والكمال الحقيقي، ثم معرفة الطريق المطلوب خوضه والسير على وفقه من أجل أحداث الأثر العملي المطلوب في التربية وتقويم السلوك سواء بالفعل أو الترك، أي: أن التعليم هو بداية الطريق للتربية والتكامل على مستوى النفس المتحلية بالأخلاق والكمالات.

فالتعلم والمعرفة يأتيان من خلال اكتساب العلم النافع الذي يستطيع الإنسان من خلاله إدراك واقعه بشكل سليم والإجابة على التساؤلات الكبرى في الحياة؛ أي: معرفة مصدر وجوده والغاية من وجوده وبالتالي إدراك ما الذي ينبغي عليه فعله لتحقيق تلك الغاية وملاقاة ذلك المصير.

فغاية مرحلة التعليم، التي هي وعاء العقل، هي في إدراك طريق التكامل والسعادة وكيفياته، وغاية مرحلة التربية، التي هي وعاء القلب، باستحضار معاني التصديق والإيمان.

---

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، ط ١، دار صادر بيروت، (ج١٤، ص٣)

(٢) بالجن، مقداد، **أهداف التربية الإسلامية**، ط١، دار الهدى للنشر والتوزيع، الرياض، **١٩٨٩**م، (ص٢٠).

الفرع الثالث: تعريف التزكية لغة واصطلاحًا.

التزكية لغة: زكا الرجل إذا كان ذا فضل فهو زاك، وزكى يزكي أو زكى الغلام كان زكيًّا؛ أي: حسن النمو صالح الحال ذا فضل رفيع الشأن. والزكي هو الحسن النمو الصالح الرفيع الشأن النامي على الخير، والأزكى هو الأنفع والأوعى إلى الخير والبركة(١).

التزكية اصطلاحًا: مداومة الإنسان الراغب في الخير على تعهد نفسه بالترقية، وتنقيتها من المعاصي والرذائل والعيوب، ومجاهدتها على طاعة الله عز وجل، واكتساب العلم النافع والعمل به، والتحلي بجميل الأخلاق والأفعال والأقوال، وإرادة الخير للنفس ولمن معها في وجودها(٢).

الفرع الرابع: علاقة التعليم بالتزكية

رغب الإسلام في التزكية، ودعا إليها، وبين أن الفلاح فيها والخسران في عدمها، قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩-١٠]؛ أي: «لقد ربح وفاز من زكى نفسه ونماها حتى بلغت ما هي مستعدة له من الكمال العقلي والعملي حتى تثمر بذلك الثمر الطيب لها ولمن حولها، وخسر من أوقعها في التهلكة من نقصها حقها بفعل المعاصي، ومجانية البر القربات، فإن من سلك سبيل الشر وطاوع داعي الشهوة فقد فعل ما تفعل البهائم، وبذلك قد أخفى عمل القوة العاقلة التي اختص بها الإنسان، واندرج في عداد الحيوان. ولا شك أنه لا خيبة أعظم، ولا خسران أكبر من هذا المسخ الذي يجلبه الشخص لنفسه»(٣).

يقوم العلم على تربية المسلم تربية إسلامية، فما نص من القرآن والسنة إلا وله دلاله تربوية صريحة أو ضمنية، قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢] فالآية الكريمة تسلط على خاصية طبيعة الرسول ﷺ المربي والمعلم والمزكي لأفراد الأمة بأسرها، «فعملية التربية من حيث الوجود والحدوث تقع في «حاضر» يستحيل عليها أن تخاصمه، وحسن التربية ورشد التعليم والتعلم هو حسن ورشد التعامل مع هذه الأبعاد الزمنية الثلاثة وفقًا للمرحلة التعليمية ووفقًا لمادة التعلم ووفقًا لعمر طالب المعرفة بحيث يكون هناك توازن لا يقوم على التقسيم بالتساوي بالضرورة»(٤).

---

(١) الكرمي، حسن سعيد، **الهادي إلى لغة العرب**، ط١، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، **١٩٩١**م، ج٧، ص٣٧٠.

(٢) العريفي، سمر محمد، **صلاحية مصطلح التزكية الإنسانية كبديل لمصطلحي التربية المستمرة والتربية الذاتية**، كلية البنات، جامعة الملك سعود، **١٤٢٤**هـ، ص٢٧.

(٣) المراغي، أحمد مصطفى، **تفسير المراغي**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د.ت، ج١، ص١٦٨-١٦٩.

(٤) الخولي، البهي، **الثروة في ظل الإسلام**، دار الاعتصام، القاهرة، **١٩٧٨**م. ص٦٩.

المبحث الثاني
مكانة التعليم وأهميته في الكتاب والسنة والآثار

المطلب الأول : مكانة التعليم وأهميته

جعل الإسلام للعلم والعلماء منزلة عالية، لا تكاد تبلغها منزلة، ومن أهم ما يدل على هذه المنزلة العالية:

أولًا: العلم ركن الإيمان

فالإيمان لا يصح إلا بالعلم اليقيني الجازم بكل معلوم من الدين بالضرورة، قال تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩]. قال البخاري: فبدأ بالعلم.

ثانيًا: العلم عبادة

العلم أول فريضة في الإسلام، فقد جاء الأمر بالقراءة في الآيات الخمس الأولى من سورة العلق، وهن أول ما نزل من القرآن الكريم، وتكرر هذا الأمر في هذه الآيات مرتين.

ولا شك أن القراءة كانت ولا تزال أوسع وأعمق أدوات التعلم أثرًا في حياة الإنسان، ولم تكن هذه الحقيقة إذ ذاك بهذا الوضوح الذي نلمسه الآن، ونعرفه في حياة البشرية، ولكن الله سبحانه كان يعلم ذلك، هذا مع أن الرسول ﷺ الذي نزلت عليه هذه الآيات لم يكن قارئًا ولا كاتبًا بالقلم.

ثالثًا: ذِكرُ العلم ومشتقاته

ذكر العلم ومشتقاته (٨٦٥) مرة في القرآن الكريم، ومئات المرات في الأحاديث النبوية. وبعضها يذكر منزلة عالية للعلم والعلماء.

رابعًا: أن أجر العلم يستمر حتى بعد الموت

وما ذلك إلا لمنزلته العالية، وأهميته في المجتمع، وآثاره الطيبة في الناس، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم

ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[١].

خامسًا: الأمر بالاستزادة من العلم

فإن الله أمر نبيه محمدًا ﷺ، على علمه وفضله ومنزلته العالية وكرامته على الله، أن يطلب المزيد من العلم، قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]

المطلب الثاني : مكانة العلم في القرآن الكريم

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩]

قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ٢٦٩]

قال الله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨]

قال الإمام الغزالي رحمه الله: «فانظر كيف بدأ سبحانه وتعالى بنفسه وثنَّى بالملائكة وثلَّث بأهل العلم وناهيك بهذا شرفًا وفضلًا وجلًاء ونبلًا»[٢].

المطلب الثالث: مكانة العلم في السنة النبوية

ـ عن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين»[٣].

ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «... ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا، سهَّل الله له به طريقًا إلى الجنة...»[٤].

ـ عن أبي أمامة الباهلي قال: ذكر لرسول الله ﷺ رجلان: أحدهما عابد، والآخر عالم، فقال رسول الله ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم، ثم قال: إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلُّون على معلِّم الناس الخير»[٥].

---

(١) أخرجه **مسلم** في صحيحه، كتاب الهبات، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، رقم الحديث: **(١٦٣١)**.

(٢) الغزالي، محمد بن محمد، **إحياء علوم الدين**، دار المعرفة، بيروت. (ج١، ص٥).

(٣) **متفق عليه**، أخرجه **البخاري** في صحيحه، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، رقم الحديث: **(٧١)** أخرجه **مسلم** في صحيحه، كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، رقم الحديث: **(١٠٣٧)**.

(٤) أخرجه **مسلم** في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، رقم الحديث: **(٢٦٩٩)**.

(٥) أخرجه **الترمذي** في سننه، أبواب العلم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، رقم الحديث: **(٢٦٨٥)**. وقال: حديث حسن صحيح.

فالسموات والأرض حتّى النملة في الجُحر، والحوت في البحر ليستغفرون للعالم، ويتضرعون، ويطلبون له الزلفى، لأنّ نفع علمه يتعدى إلى جميع الكائنات، ولا رتبة فوق رتبة من تشتغل الملائكة وجميع المخلوقات بالاستغفار والدعاء له إلى القيامة[١].

ـ عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «...العلماء ورثة الأنبياء...»[٢].

فالعلماء هم العارفون بالله، المتفقهون في دينه، جعلهم الله سبحانه وتعالى عماد النّاس في الفقه، والعلم، وأمور الدين والدنيا[٣]، وهم ورثة أنبياء، ورثوا عنهم العلم، فهم يحملونه في صدروهم، وينطبع في أعمالهم، ويدعون إليه النّاس، وهم هداة النّاس على اختلاف تخصصاتهم، وهم سادة الأمم، وغيرهم تبع لهم، منزلتهم ليست لأحد من النّاس، مقامهم محمود، ولوائهم مرفوع، وفضلهم معلوم، ذكرهم باقٍ ما دامت السموات والأرض[٤].

قال رسول الله ﷺ: «طالب العلم فريضة على كل مسلم»[٥].

المقصود بالعلم الواردة في الحديث السابق: العلم العام، الذي لا يسع البالغ العاقل جهله، أو أراد أنّه فريضة على كل مسلم حتّى يقوم به من فيه كفاية[٦].

(١) المناوي، فيض القدير، **شرح الجامع الصغير**، ج٤، ص٤٣٢، والمباركفوري، **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، ج٧، ص٣٨٠.

(٢) أخرجه **أبي داود** في سننه، كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم، رقم الحديث: (٣٦٤١).

(٣) ابن جرير الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ، ج٦، ص٥٤٤.

(٤) اللويحق، عبد الرحمن بن معلا، **قواعد في التعامل مع العلماء**، دار الوراق، ١٩٩٤م، ص٢١ (بتصرف).

(٥) أخرجه ابن ماجه **في سننه**، كتاب الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، حديث رقم (٢٢٤، ج١، ص٨١، والطبراني **في الأوسط**، أول الكتاب، حديث رقم (٩٨)، ج١، ص٧ (ضعيف)، مجمع الزوائد، ج١، ص١٤٣.

(٦) السيوطي، عبد الغني، فخر الحسن الدهلوي، **شرح سنن ابن ماجه**، ط قديمي كتب خانة، كراتشي، ص٢٠، والمناوي، **فيض القدير**، ج١، ص٥٤٢.

المبحث الثالث
حكم إلزامية التعليم بأنواعه ومجالاته ومستوياته على الجنسين

المطلب الأول : الزامية التعليم

«إلزامية التعليم» من المصطلحات المعاصرة التي انتشرت مؤخرًا، وقد عرفه أهل الاختصاص بأنه: «تمكين جميع الأطفال في سن الدراسة من الحصول على تعليم أساسي منسجم مع احتياجاتهم، ذي أثر فعال في حياتهم، يحقق لهم النمو السليم، والتكوين المتوازن، يقيهم شر العثرات، ويجنبهم عوامل الفشل، ويُحدُّ من تسربهم، ويضمن استمرار الطفل في الدراسة على الأقل حتى نهاية مرحلة التعليم الأساسي المحددة سلفًا»(١).

أما حق التعليم: فقد حصره التعريف بفئة معينة، وهي فئة الأطفال في سن الدراسة، وبمرحلة معينة وهي مرحلة التعليم الأساسي، وبين ماهية الحق بالحصول على تعليم أساسي منسجم مع احتياجات الأطفال، ويضمن استمرار الطفل في الدراسة على الأقل حتى نهاية مرحلة التعليم الأساسي.

وقد ورد «الحق في التعليم» في المادة السادسة والعشرين من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والتي نصت على أنه: «لكل شخص الحق في التعلم، ويجب أن يكون التعليم في مراحله الأولى والأساسية على الأقل بالمجان، وأن يكون التعليم الأوَّلي إلزاميًّا، وينبغي أن يعمم التعليم الفني والمهني، وأن ييسر القبول للتعليم العالي على قدم المساواة التامة للجميع وعلى أساس الكفاءة»(٢).

كما ورد حق التعليم في **العهد الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية**(٣)، فقد نصت المادة **١٣** على أنه: «تقر الدول الأطراف في هذا العهد بأن ضمان الممارسة التامة لهذا الحق يتطلب:

أ ـ جعل التعليم الابتدائي إلزاميًّا وإتاحته مجانًا للجميع.

---

(١) البالومي، عبد العزيز، **اتجاهات حديثة في سياسة التعليم**، مكتبة بدر الفاسي، المغرب **٢٠٠٤**م، (ص**٢٣**).

(٢) **الإعلان العالمي لحقوق الإنسان**، نشر بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة **٢١٧** ألف (د-٣) بتاريخ **١٠** كانون الأول/ ديسمبر **١٩٤٨**.

(٣) **العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية**، اعتمد في الجمعية العامة للأمم المتّحدة بتاريخ **١٦** كانون الأوّل/ ديسمبر **١٩٦٦**م، ودخل حيز التنفيذ في **٣** كانون الثانيّ/ يناير **١٩٧٦**، بعد أن صادقت عليه **٣٥** دولة.

ب ـ تعميم التعليم الثانوي بمختلف أنواعه، بما في ذلك التعليم الثانوي التقني والمهني، وجعله متاحًا للجميع بكافة الوسائل المناسبة ولا سيما بالأخذ تدريجيًّا بمجانية التعليم.

ج ـ جعل التعليم العالي متاحًا للجميع على قدم المساواة، تبعًا للكفاءة، بكافة الوسائل المناسبة ولاسيما بالأخذ تدريجيًّا بمجانية التعليم».

الدين الإسلامي دين عدل؛ فقد ساوى بين الناس، فلا يفضّل أحدًا على أحد إلا بالتقوى والصلاح والعلم والكمال، وأن ما جاء عن النبي ﷺ من علم وصلاح وهدى هو للناس أجمعين، كما نص عليه القرآن وتواترت به السنة وسار عليه الرسول ﷺ وخلفاؤه الراشدون من بعده.

ومبدأ المساواة بين الناس جميعًا وإلزامية التعليم والتساوي فيه مبدأ يقرُّه الإسلام بروحه، وهو وإن لم ينص عليه فإنه يدعو إليه بل يحض عليه، وقد قام الرسول ﷺ بعمل باهر في هذا الصدد حين افتدى بعض الأسرى الكفار بتعليم أطفال المسلمين(١)، ثم إنه حض الناس على التعليم، وأمر بالتعليم احتسابًا لوجه الله، ولنيل الأجر والمثوبة عند الله، وفي هذا أيضًا ما يُشعر بإلزامية التعليم.

وقد ظل المعلمون والمفتون زمن النبي ﷺ وأيام الخلفاء الراشدين والأمويين حتى القرن الثاني للهجرة، وهم في خلاف على جواز أخذ الأجرة على التعليم(٢)، ولقد بحث الفقهاء مطولًا ومنذ زمن مبكر في حكم التعليم بصورة عامة هل هو مباح أو واجب، وإذا كان واجبًا فمن هو المكلف به، وما هو نوع التعليم الذي يجب أن يكلف به؟ ولعل أجلّ كاتب تعرّض لهذه النقطة الخطيرة وناقشها مناقشة دقيقة وانتهى إلى أن الإسلام يُلزم تابعيه بوجوب التعليم هو الإمام القابسي (ت٤٠٣هـ) في رسالته القيمة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين.

وقد حلل الدكتور الأهواني ناشر رسالة القابسي ما جاء فيها مما يتعلق بهذا الأمر تحليلًا مفيدًا حيث يقول:... فالقابسي يريد أن يعلم أبناء الشعب جميعًا؛ لأنه يريد أن ينتشر الدين ولا يحرم أحدًا، ولم يرد في القرآن نص على وجوب التعليم ولا يوجب الحديث مثل ذلك، ولم يُعهد عن الصحابة والتابعين أنهم أوجبوا على الناس تعليم أولادهم وإرغامهم على إرسالهم إلى الكتاتيب أو استحضار المعلمين لهم؛ لذلك احتال القابسي للحكم في هذه المسألة الجديدة التي لم يسبقه إليها أحد، وبين أيدينا كتاب ابن سحنون في التعليم الذي دونه عن أبيه، فلا نجد فيه ذكرًا لهذا الموضوع. وأدلة القابسي قوية أخاذة، تنقلك من فكرة إلى أخرى حتى تنتهي بك إلى أن تعليم الصغار ضروري واجب، وأن هذا الوجوب هو

(١) انظر: مسند الإمام أحمد، ج٤، ص٩٢. سنن البيهقي ج٦، ص٣٢٢.
(٢) انظر: الموسوعة الفقهية ج ١٣، ص١٥.

الوجوب الشرعي على طريقة الفقهاء، وذلك أن معرفة العادات واجبة بنص القرآن، ومعرفة القرآن واجبة أيضًا لضرورتها في الصلاة، وأن الوالد مكلف بتعليم ابنه القرآن والصلاة؛ لأن حكم الولد في الدين حكم أبيه، فإذا لم يتيسر للوالد أن يعلم أبناءه بنفسه فعليه أن يرسلهم إلى الكتاب لتلقي العلم بالأجر، فإذا لم يكن الوالد قادرًا على نفقة تعليم ولده فأقرباؤه مكلفون بذلك، فإذا عجز أهله عن نفقة التعليم فالمحسنون مرغبون في ذلك، أو أن معلّم الكتاب يعلم الفقراء احتسابًا أو من بيت المال والنتيجة التي يريد أن يصل إليها القابسي هي تعليم أبناء المسلمين أغنياء وفقراء، وهذا هو نص التعليم الإلزامي الذي أعلنه القابسي[١] في القرن العاشر للميلاد؛ أي في صميم القرون الوسطى التي كان أهل أروبا يعيشون فيها مع الجهل[٢].

ولقد أقر كثير من الفقهاء الإمام القابسي على نظريته هذه لأنها نظرية سليمة، وفتواه وجيهة؛ ولذلك أوجبوا التعليم الإلزامي الابتدائي للأطفال المسلمين مستندين في ذلك إلى الحديث النبوي الشريف: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»[٣] وهم وإن اختلفوا في نوع هذه العلم المفروض طلبه على كل مسلم ومسلمة، فإنهم مجمعون على إلزام تعليم ضروريات من الدين، ولا يتوصل إلى تعليم تلك الضروريات الدينية إلا بتعلُّم مبادئ القراءة والكتابة ودراسة القرآن الكريم. وبتعلُّم تلك المبادئ ودراسة القرآن يخرج المرء من الأمية إلى العلم[٤].

يقول الإمام النووي رحمه الله: «قال الشافعي والأصحاب رحمهم الله تعالى: على الآباء والأمهات تعليم أولادهم الصغار ما سيتعين عليهم بعد البلوغ، فيعلمه الولي الطهارة، والصلاة، والصوم ونحوها، ويعرفه تحريم الزنا، واللواط، والسرقة، وشرب المسكر، والكذب، والغيبة وشبهها: ويعرفه أن بالبلوغ يدخل في التكليف، ويعرفه ما يبلغ به: وقيل هذا التعليم مستحب، والصحيح وجوبه وهو ظاهر نصه وكما يجب عليه النظر في ماله، وهذا أولى، وإنما المستحب ما زاد على هذا من تعليم القرآن وفقه وأدب:

---

(١) القابسي: هو أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري الفروي، الحافظ المحدث الفقيه الإمام علامة المغرب، أخذ بأفريقية عن ابن مسرور الدباغ ودارس بن إسماعيل، وبمصر عن حمزة بن محمد الحافظ وأبي زيد المروزي وهذه الطبقة، ولد سنة أربع وعشرين وثلاث مئة، وكان حافظًا للحديث والعلل بصيرًا بالرجال عارفًا بالأصلين رأسًا في الفقه وكان ضريرًا وكتبه في نهاية الصحة، كان يضبطها له ثقات أصحابه، والذي ضبط له الصحيح بمكة على أبي زيد صاحبه أبو محمد الأصيلي، توفي سنة ثلاث وأربع مئة. أنظر: الذهبي، محمد بن أحمد، **تذكرة الحفاظ**، ط١، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، **١٩٩٨**م. (ج٣، ص١٨٦).

(٢) أهواني، أحمد فؤاد، **التعليم في رأي القابسي**، ط١، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة **١٩٤٥**م، ص٨٣-٨٤.

(٣) أخرجه **ابن ماجه في سننه**، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، رقم الحديث: (**٢٢٤**).

(٤) طلس، محمد أسعد، **التربية والتعليم في الإسلام**، ط١، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، **٢٠١٢**م. (ص٧٩).

ويعرفه ما يصلح به معاشه[١].

وقال الإمام النووي: «وقد سبق في كتاب الصلاة وجوب تعليم الصغار على أوليائهم»[٢].

قال العوفي وغيره: لأن العلم بأمور الدين فرض عين على المكلف في العينيات وكفاية في غيرها، لا يسع المكلف جهله، وعليه الإثم في كل زمان يمر عليه يمكنه فيه تحصيله فيضيعه بترك التعلم،... ولم تَحكِ الأئمة في ذلك خلافًا، والحكم عام في العبادات والمعاملات[٣].

ودليل وجوب تعليم الولد الصغير قول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومجاهد وقتادة: «معناه علموهم ما ينجون به من النار وهذا ظاهر، ثم أجرة التعليم في النوع الأول في مال الصبي، فإن لم يكن له مال فعلى من تلزمه نفقته»[٤].

وعطفًا على كلام القابسي آنف الذكر؛ فإنه لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان، فقد كان توجه الناس قديمًا إلى المهن الحرفية، لأنها كانت هي السائدة في ذلك الزمان، أما اليوم فقد أصبح الجهل وسيلة لاحتلال الشعوب، والاستيلاء على خيراتها، وأن العلم أصبح وسيلة لترقي الشعوب، ونهوضها، نظرًا لتعقيدات الاقتصاد، وتعقيدات السياسة، فإن العلم اليوم أصبح ركيزة أساسية في بناء المجتمعات، لذلك لا بد لنا أن نقول اليوم بوجوب طلب العلم، ويجب فيه النفقة سواء من الولي على الصغير أو من خزينة الدولة أو حتى من أموال الزكاة عند العجز عن النفقة على التعليم.

جاء في قرار رقم: **١٦٤ (١٨/ ٢)** الصادر عن مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي: «رابعًا: عدم اقتصار مفهوم العلوم النافعة على العلوم الدينية وحسب وإنما يشمل العلوم الدينية والعلوم الدنيوية النافعة للأمة وللإنسان، وأنها واجبة على سبيل فرض الكفاية بقدر ما تحقق من النفع للأمة»[٥].

لذلك فإن الواجب على الدولة توفير التعليم، وتذليل العقبات لتمكين الطلاب من ذلك، ويجب على

---

(١) النووي، يحيى بن شرف، **المجموع شرح المهذب**، ط، دار الفكر. (ج١، ص٢٦).

(٢) النووي، يحيى بن شرف، **روضة الطالبين وعمدة المفتين المكتب الإسلامي**، بيروت، تحقيق: زهير الشاويش، **١٩٩١**م، (ج١٠، ص٢٢٤).

(٣) النفراوي، أحمد بن غانم، **الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني**، دار الفكر، **١٤١٥**هـ. (ج١، ص٢٦).

(٤) النووي، يحيى بن شرف، **المجموع**، ط١، دار الفكر، مصر، (ج١، ص٢٦).

(٥) قرارات مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر، الدورة الثامنة عشرة، بوتراجايا (ماليزيا) من **٢٤** إلى **٢٩** جمادى الآخرة **١٤٢٨**هـ، الموافق **٩-١٤** تموز (يوليو) **٢٠٠٧**م.

أولياء الأمور أن يسعوا لتعليم أبنائهم، كما يجب على الدولة من خلال المجالس التشريعية أن توجب على أولياء الأمور إرسال أبنائهم إلى المدارس خاصة في مرحلة التعليم الإلزامي.

المطلب الثاني : تعليم البنات

كرّم الإسلام المرأة، وحفظها وصانها، وأخرجها من ظلمة وظلام الجاهلية إلى نور وعدل الإسلام، وحث على تعليمها، بل جعل ذلك فضيلة يتسابق عليها النساء كما هو حال شقائقهن الرجال، فقد امتدحت **السيدة عائشة رضي الله عنها** نساء الأنصار، فقالت: «نعم النساء نساء الأنصار، لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين»[١]، وطلب النساء صراحة من رسول الله ﷺ أن يجعل لهن يومًا يعلمهن فيه، فقد روى الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النساء للنبي ﷺ: «غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يومًا من نفسك، فوعدهن يومًا لقيهن فيه، فوعظهن، وأمرهن، فكان فيما قال لهن: «ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها إلا كان لها حجابًا من النار»، فقال امرأة: واثنين؟ فقال: «واثنين»[٢]، فهذا الحديث يدل دلالة واضحة على الاهتمام الرسول ﷺ بتعليم المرأة، ويتضح هذا من إلحاح الصحابيات بطلب العلم من الرسول ﷺ.

لقد حرص الإسلام على تعليم المرأة حتّى تكون عنصر صلاح وإصلاح في مجتمع فاضل، ولتحقيق هذا الهدف حرص على إشراكها في جميع المحافل، فإذن لها بحضور صلاة الجمعة والجماعة[٣]، ورغبها في أن تشهد صلاة العيد وخطبته حتّى ولو كانت في حالة العذر المانع لها من أداء الصلاة[٤]، وأمرها بالحج والعمرة[٥]، وحثها على حضور مجالس العلم، وخاطب الله تعالى النساء بمثل ما خاطب به الرجال، وجعلهن مندرجات في عموم خطاب الرّجل في معظم الأحوال حرصًا على تعليمهن وتثقفيهن وتعريفهن أمور دينهن ومشاركتهن في القضايا العامة.

---

(١) **(متفق عليه)** أخرجه البخاري **في صحيحه**، كتاب العلم، باب الحياء في طلب العلم، ص٦٠، ومسلم **في صحيحه**، كتاب الحيض، باب استحباب استعمال المغتسلة من الحيض فرصة من مسك في موضع الدم، حديث رقم **(٣٣٢)**، ج١، ص٢٦٠.

(٢) **(متفق عليه)** أخرجه البخاري **في صحيحه**، كتاب العلم، باب صحيح البخاري، ج١، ص٥٠. باب هل يجعل للنساء يوم على حده في العلم؟ ج١، ص٥٠، **ومسلم في صحيحه**، كتاب البر والصلة والآداب، بل فضل من يموت له ولد فيحتسبه، حديث رقم **(٢٦٣٣)**، ج٤، ص٢٠٢٨.

(٣) النووي، **شرح صحيح مسلم**، ج٤، ص١٦١.

(٤) ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ج٢، ص٤٦٤، والمباركفوري، **تحفة الأحوذي**، ج٣، ص٧٤.

(٥) ابن عبد البر، **التمهيد**، ج١٣، ص٩٦.

ذكر **الفقهاء** أنّه يجب على النساء أن يتعلمن ما يحتجن إليه من أمور دينهن، فإنّ كان زوجها عالمًا لزمه تعليمها، وإلا فلها الخروج لتعلم ما يلزمها تعلمه [١]، فقد روي عن الرسول أنه قال للشّفاء العدوية: «ألا تعلمين هذه ـ يقصد حفصة ـ رقية النملة كما علمتيها الكتابة»[٢].

وقد ذكر المؤرخون جمهرة صالحة من كواتب العرب قبل الإسلام وبعده، ومنهن السيدات عائشة بنت سعد بن أبي وقاص، وأم كلثوم بنت عقبة، وحفصة أم المؤمنين زوج النبي ﷺ، وهند بنت أبي سفيان وغيرهن.

ويظهر أن المسلمين في صدر الإسلام كانوا في شغل عن هذه القضية فلم يولوها عنايتهم، ولعل أول كاتب مسلم فصل في هذه القضية القول هو الإمام القابسي؛ فقد ذكر في رسالته عن التعليم أن «من حسن النظر أن لا يخلط بين الذكران والإناث، وقد قال سحنون: أكره أن يعلم الجواري ويخلطهن الغلمان؛ لأن ذلك فساد لهن» فهذا النص صريح يدلنا على أن البنات كن يتعلمن منذ زمن مبكر جدًّا، وأنهن كن يقصدن الكتاتيب، وابن سحنون والقابسي يريان أن تُفصل البنات عن الصبيان خشية الفساد[٣].

جاء في قرار رقم: **١٦٤ (١٨/ ٢)** الصادر عن مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي: «نظرًا لتفشي الأمية في جانب المرأة في مناطق من العالم الإسلامي يؤكد المجمع بوجه خاص على وجوب العناية بتعليم المرأة وتثقيفها وتأهيلها لأداء دورها في تنمية المجتمع المسلم، وفي هذا الصدد يؤكد المجمع على قراره رقم **١١٤ (٨/ ١٢)** بشأن الإعلان الإسلامي لدور المرأة في تنمية المجتمع المسلم وسائر القرارات المتعلقة بهذا الموضوع[٤].

---

(١) الشربيني، **الإقناع**، (ج١، ص١٠٣)، والهيتمي، **المنهج القويم**، (ص ١٢٥).

(٢) **رواه أبو داود** في سننه، كتاب الطب، باب ما جاء في الرقى، رقم الحديث: (٣٨٨٧).

(٣) أهواني، **التعليم في رأي القابسي**، (ص٢٨٧).

(٤) **قرارات مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر**، الدورة الثامنة عشرة، بوتراجايا (ماليزيا) من ٢٤ إلى ٢٩ جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ، الموافق ٩-١٤ تموز (يوليو) ٢٠٠٧م.

المبحث الرابع
موقع التعليم في سلم المصالح الضرورية والحاجية والتحسينية والحقوق والواجبات

المطلب الأول : موقع التعليم في سلم المصالح الضرورية والحاجية والتحسينية

دعا الإسلام إلى دراسة العلوم كافة، واستثنى منها العلوم الضارة أو العلوم المذمومة، كعلم السحر، والطلسمات، والشعوذة، والتلبيسات[١]، وقد فاضل العلماء بين العلوم بحسب ضرورته ونفعه، وما تصلح به الآخرة والدنيا، فجعلوا العلم الذي يتوصل به إلى معرفة الحق سبحانه وتعالى، في أعلى مراتب العلوم، ثُمّ العلم الذي تصح به العبادات، والمعاملات والسلوك، وجعلوا علم الطب الذي تصلح به الأبدان، وعلم الحساب الذي تصحح به المعاملات في المرتبة الثالثة، وقد قسم الإمام الغزالي رحمه الله[٢] العلوم إلى: علوم شرعية وعلوم غير شرعية، وبين أنه يقصد بالعلوم الشرعية: ما استفيد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، ولا يرشد العقل إليه، مثل: الحساب، ولا التجربة مثل: الطب، ولا السماع مثل: اللغة.

كما قسم العلوم التي ليست بشرعية إلى: ما هو محمود وإلى ما هو مذموم، وإلى ما هو مباح، فالمحمود عند الغزالي: ما يرتبط به مصالح أمور الدنيا كالطب، والحساب، كما قسم المحمود إلى: ما هو فرض كفاية، وإلى ما هو فضيلة، وليس بفريضة، وبين أن فرض الكفاية فهو علم لا يستغني عنه في قوام أمور الدنيا كالطب إذ هو ضروري في حاجة بقاء الأبدان، وكالحساب فإنه ضروري في المعاملات، وقسمة الوصايا والمواريث وغيرهما، وهذه هي العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج أهل البلد، وإذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين، فلا يتعجب من قولنا إن الطب والحساب من فروض الكفايات؛ فإن أصول الصناعات أيضًا من فروض الكفايات؛ كالفلاحة، والحياكة، والسياسة، بل الحجامة، والخياطة فإنه لو خلا البلد من الحجام تسارع الهلاك إليهم وحرجوا بتعريضهم أنفسهم للهلاك[٣].

وأما ما يعد فضيلة لا فريضة عند الغزالي؛ فالتعمق في دقائق الحساب وحقائق الطب وغير ذلك مما

---

(١) انظر: النووي، **مقدمة المجموع شرح المهذب**، تحقيق: محمد بن علي المحيميد، ص١٥٨.

(٢) الغزالي، **إحياء علوم الدين**، ج١، ص١٦.

(٣) انظر: الغزالي، **إحياء علوم الدين**، ج١، ص١٦.

يستغنى عنه ولكنه يفيد زيادة قوة في القدر المحتاج إليه، وأما المذموم فعلم السحر والطلسمات وعلم الشعوذة والتلبيسات، وأما المباح منه فالعلم بالأشعار التي لا سخف فيها وتواريخ الأخبار وما يجري مجراه.

المطلب الثاني : موقع التعليم في سلم الحقوق والواجبات في الإسلام

اتفق الفقهاء: **الحنفية**(١)، **والمالكية**(٢)، **والشافعية**(٣)، **والحنابلة**(٤)، على وجوب تعلم العلوم الشرعية، بما يلزم المسلم في خاصة نفسه، كالتوحيد والوضوء، والصلاة والصوم، والحج، وقالوا عنه: فرض عين لا يحمله أحد عن أحد.

واتفقوا على أن تحصيل ما لا بد للناس منه في إقامة دينهم من العلوم الشرعية التي يمكن أن يقوم بها واحد أو اثنان فرض كفاية، وهو كحفظ القرآن، والأحاديث، وعلومهما، والأصول، والفقه والنحو واللغة والتصريف، ومعرفة رواة الحديث، والإجماع، والخلاف.

وأما العلوم غير الشرعية فإن حكم تعلم هذه العلوم يعتريها الأحكام التكليفية الخمسة:

فرض كفاية: وهي العلوم التي لا يستغني النّاس عنها، كعلم الطب، والحساب، ونحوه، ولغة، ونحو، وتصريف، وقراءات، فإنّ قام بتعلم هذه العلوم فئة سقط الإثم عن الباقين، وإذا تخلف الجميع عن تعلمها أثم الجميع(٥).

مستحب: وهو تعلم زائد على ما يحتاج إليه، ليعلمه من يحتاج إليه، وهو أفضل من نفل العبادة(٦).

مباح: وهو تعلم الزائد من دقائق علوم الطب والحساب وغيره للزينة والكمال، وكذلك كتعلم الهندسة

---

(١) السرخسي، المبسوط، دار المعرفة، بيروت، ج٣٠، ص٢٦١، والشيباني، محمد بن الحسن، الكسب، تحقيق: د. سهيل زكار، ط١، مطبعة عبد الهادي حرصوني، دمشق، ١٤٠٠هـ، ص٦٩.

(٢) العدوي، علي الصعيدي، حاشية العدوي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ، ج٢، ص٥٢٩، أبو الحسن المالكي، كفاية الطالب، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، ١٤١٢هـ، ج٢، ص٥٢٨، والقيرواني، عبد الله بن أبي زيد، رسالة القيرواني، دار الفكر، بيروت، ص١٤٨.

(٣) الشربيني، الإقناع، ص١١، والرملي، محمد بن أحمد، غاية البيان شرح زيد بن رسلان، دار المعرفة، بيروت، ص١٩.

(٤) البهوتي، كشاف القناع، ج٣، ص٣٤، وابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، شرح العمدة، تحقيق: سعود العطيشان، ط١، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٣هـ، ج٢، ص١٥٥.

(٥) الأزهري، صالح عبد السميع، الثمر الداني شرح رسالة القرواني، المكتبة الثقافية، بيروت، ص٦٥٥، والرملي، غاية البيان **شرح زيد بن رسلان**، ص١٩، والبهوتي، **كشاف القناع**، ج٣، ص٣٤.

(٦) الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، **تحفة الملوك**، ص٢٦٩، والبهوتي، **كشاف القناع**، ج٣، ص٣٤.

والعروض، ومثله القوافي وعلم المعاني والبيان[١].

محرم: كطلب تعلم السحر والشعوذة، والتنجيم، وكل ما كان سببًا لإثارة الشكوك[٢]. وكذلك من كان حضوره لمجالس العلم ليباهي به العلماء ويماري به السفهاء[٣].

مكروه: كالمنطق والأشعار المشتملة على لغزال والبطالة[٤].

(١) البهوتي، **كشاف القناع**، ج٣، ص٣٤.

(٢) الرازي، **تحفة الملوك**، تحقيق: د. عبد الله نذير أحمد، ط١، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤١٧هـ، ص٢٦٩.

(٣) الرازي، **تحفة الملوك**، ص٢٦٩.

(٤) البهوتي، **كشاف القناع**، ج٣، ص٣٤.

المبحث السادس
حكم الإنفاق على التعليم وطلابه، ومؤسساته وأجهزته ومخرجاته

المطلب الأول : الوقف على التعليم

يعد الوقف من أهم المؤسسات التي كان لها الدور الفاعل في تنمية التعليم سواء داخل المساجد أو في المدارس أو في المكتبات أو في غيرها(١).

الوقف باب عظيم من أبواب الخير، وهو من أعظم أنواع الصدقات، فهو صدقة جارية ثوابها دائم لا ينقطع، قال رسول الله ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»(٢).

وقد أجمع العلماء على جواز الوقف الذي يُحقِّق المنفعة والمصلحة للمسلمين، كالوقف على المستشفيات والمدارس والمساجد.

ولما كانت مصلحة المسلمين في التعليم ملحّة، لأنها مصدر خير كثير، فهي بناء للوطن بتأهيل أبنائه وشبابه، ونهضة للحاضر وعماد للمستقبل، ووقف أموال المسلمين لهذا الغرض أمر مطلوب شرعًا، والتبرع بالصدقات النافلة لتقوية الجانب التعليمي من أعمال البرّ المباركة التي يرجى لصاحبها أجر عظيم عند الله تعالى في الآخرة، وبها تتحقق مصالح الدنيا.

وقد أنشأ المسلمون في تاريخهم العريق مدارس علمية مرموقة تعد بمثابة جامعات كبرى، وأوقفوا عليها أوقافًا تتكفل بحاجة طلابها والدارسين فيها، كمدرسة الحديث الأشرفية التي أنشأها الملك الأشرف، وتولى مشيختها الإمام ابن الصلاح، والمدرسة الصلاحية المنسوبة إلى فاتح بيت المقدس الناصر صلاح الدين الأيوبي، والمدرسة النظامية المنسوبة إلى نظام الملك السلجوقي، والمدرسة الغزالية نسبة إلى الإمام الغزالي، وغيرها كثير من المدارس التي كانت أموال الأوقاف راعية لها وداعمة لمسيرتها

(١) المعيلي، عبد العزيز بن عبد الله، **دور الوقف في العملية التعليمية**، ندوة مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية. مكة المكرمة. شوال ١٤٢٠هـ. (ص١٦).

(٢) أخرجه **مسلم** في صحيحه، كتاب الهبات، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، رقم الحديث: (١٦٣١).

العلمية[١].

المطلب الثاني : نفقة الدولة على التعليم

تزايد الاهتمام بالتعليم وبالإنفاق عليه من قبل الدول خلال الفترة التي تلت مباشرة نهاية الحرب العالمية الثانية، وترجع زيادة حجم الإنفاق على التعليم أساسًا إلى استمرار التوسع فيه وزيادة أعداد المقبولين به على شتى المستويات والمراحل، غير أن ما تنفقه البلدان العربية من البلاد النامية ما زال قليلًا بالقياس إلى حاجتها التعليمية، وتبدو الهوة واسعة سحيقة بين البلدان العربية والبلدان المتقدمة من حيث حجم الإنفاق على التعليم إذا قارنا متوسط نصيب الفرد العربي من الإنفاق على التعليم[٢].

ويعرف الإنفاق على التعليم بأنه: توفير الأموال اللازمة لبناء المدارس، في تزويدها باحتياجاتها المادية، والفنية، من فصول، ومختبرات، وملاعب، ومكتبة، ومصلى، وورش، وقرطاسية وغيرها، إضافة إلى دفع مرتبات المعلمين، والعاملين في الإدارة، مما يعني أن التعليم مشروع مكلف ماديًّا، يتطلب الاستمرار في توفير مصادر التمويل، وذلك نتيجة لتزايد الطلبة على التعليم كحق من حقوق الأفراد في المجتمعات الحديثة[٣].

كما يعرف أيضًا الإنفاق على التعليم: الأموال التي تدرج في موازنات الحكومات سواء أكانت حكومات مركزية أو محلية أو غيرها من الجهات الرسمية.

فإن دور الحكومات في الإنفاق على التعليم هو دور رئيسي في البلدان النامية، أما في البلدان المتقدمة فإن دور الحكومات يقل نسبيا بالنسبة لدور القطاع الخاص إلا أن دور الحكومات في الإنفاق على التعليم يظل مؤثرًا في هذه البلدان وتختلف دور الحكومات في هذا الصدد من دولة إلى أخرى[٤].

وتقاس أهمية الإنفاق على التعليم في بلد من البلدان بنسبتها الى الموازنة العامة ليست سوى مقياس تقريبي لا يصلح في عمل الدراسات التاريخية أو المقارنات الدولية وذلك بحسب اختلا بنية ومضمون

---

(١) النعيمي، عبد القادر بن محمد، **الدارس في تاريخ المدارس**، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، (ط١)، دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م. (ص٩٦، ص١٦٣، ص٢٠٤، ص٢٩٨).

(٢) النوري، عبد الغني، **اتجاهات جديدة في اقتصاديات التعليم في البلاد العربية، استراتيجية إصلاح التربية العربية**، الدوحة، قطر، دار الثقافة، ١٩٨٨، ص١٧٢.

(٣) المسيلم، محمد يوسف، **اقتصاديات التعليم واستثمار العنصر البشري، ٢٠٠٢**، ص٨١.

(٤) إسماعيل، محمد محروس، **اقتصاديات التعليم دراسة خاصة عن التعليم المفتوح والسياسة التعليمية الجديدة**، (رسالة ماجستير)، الإسكندرية، كلية التجارة.

الميزانية من مكان لآخر، وحتى في المكان الواحد من مرحلة زمنية إلى مرحلة أخرى، ولذلك نجد أن المقياس الأفضل هو نسبة ما ينفق على التعليم إلى الدخل القومي[١].

(١) النوري، عبد الغني، **اتجاهات جديدة في اقتصاديات التعليم في البلاد العربية**، ص١٧٣.

النتائج

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد،

فقد رأيت ان أجعل خاتمة هذا البحث خلاصة لأهم النتائج والتوصيات، وفيما يلي بيانها وفق النقاط الآتية:

أولًا: يقصد بإلزامية التعليم: تمكين جميع الأطفال في سن الدراسة من الحصول على تعليم أساسي منسجم مع احتياجاتهم، ذي أثر فعال في حياتهم، يحقق لهم النمو السليم، والتكوين المتوازن، يقيهم شر العثرات، ويجنبهم عوامل الفشل، ويحد من تسربهم، ويضمن استمرار الطفل في الدراسة على الأقل حتى نهاية مرحلة التعليم الأساسي المحددة سلفًا.

ثانيًا: من أهم ما ينبغي أن يشتمل عليه التعليم الإلزامي في البلاد الإسلامية: العلوم الدينية بمفهومها الشامل، بحيث تقدم بصورة متدرجة ومناسبة للمراحل العمرية المختلفة للتلاميذ، متضمنة قيم الوسطية والاعتدال، ووحدة الأمة وأبناءها، وعالمية دينها وقيمها.

ثانيًا: تعليم الأبناء ذكورًا وإناثًا واجب شرعًا على الآباء والأمهات، وينفق على تعليمهم من أموالهم إن كان لهم مال، ثم على نفقة الولي، ثم على نفقة الدولة، وإلا فمن مال الزكاة.

ثالثًا: التربية والتعليم عمليتان متكاملتان لكل منهما دور له حدود من حيث يبدأ وينتهي وعلاقته بالآخر، والتعليم هو بداية الطريق للتربية والتكامل على مستوى النفس المتحلية بالأخلاق والكمالات.

رابعًا: إن زيادة عدد المتعلمين في المجتمع تقلل الجريمة والمشاكل الناتجة عن قلة التعليم كالتسول وعمالة الأطفال والمراهقات والمشاكل الاجتماعية الأخرى والظواهر السلبية في المجتمع.

خامسًا: لا يمكن تأسيس مجتمع مستقر ينعم بالحرية دون حد أدنى من إلمام أغلبية المواطنين بالقراءة والكتابة والمعرفة ودون قبول واسع النطاق لمجموعة من القيم المشتركة، ويمكن أن يسهم التعليم في كليهما؛ وبالتالي لا يعود النفع من تعليم الطفل على الطفل أو والديه فحسب، بل أيضًا على سائر أفراد المجتمع.

سادسًا: التعليم هو الطريق الأمثل إلى التنمية بكافة أشكالها، وهو طريق المستقبل للمجتمعات، فهو الذي يبني الشخصية السوية، ويطلق العنان لمختلف الفرص، ويعزز من وجوه المساواة، وهو حجر الزاوية الذي تقوم عليه المجتمعات المستقرة والمتسامِحة والمحرك الرئيسي للتنمية المستدامة.

التوصيات :

أولًا: مبادرة دور الفتوى والمجامع الفقهية للسعي إلى إصدار فتوى في بيان الحكم الشرعي فيما يتعلق بإلزامية التعليم خاصة في المرحلة الأساسية؛ استنادًا إلى الأدلة الشرعية كالمصلحة المرسلة.

ثانيًا: إطلاق مبادرات تعليمية جادة للوصول إلى أولئك الذين هم أكثر عرضة من غيرهم لخطر التخلّف عن الركب؛ أي من يعيشون في سياق حالات طوارئ أو أزمات؛ ومن ينتمون إلى الأقليات بمختلف أنواعها؛ والمشردون وذوو الإعاقة.

ثالثًا: العمل على الاستثمار في محو الأمية، وفي البنى التحتية وتحوّل يتوجه بنا نحو تعلّم كيفية تلقي العلم، وإلى تنشيط مبادرات التعلّم مدى الحياة وتعزيز الروابط بين التعليم الرسمي وغير الرسمي.

رابعًا: ضرورة الاستعانة بأساليب مرنة لتقديم الخدمات التعليمية وبتكنولوجيات رقمية ومناهج دراسية حديثة، مع العمل في الوقت نفسه على ضمان الدعم المستمر للمعلمين والمجتمعات المحلية.

قائمة المراجع

ـ ابن القيم، **مفتاح دار السعادة**، دار ابن عفان، السعودية، ط١، **١٩٩٦**م.

ـ المقدسي، محمد بن مفلح، **الفروع**، تحقيق: حازم القاضي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، **١٤١٨**هـ.

ـ والرملي، محمد بن أحمد، **غاية البيان شرح زبد بن رسلان**، دار المعرفة، بيروت.

ـ الأزدي محمد بن الحسن بن دريد، **جمهرة اللغة**، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، **١٩٨٧**م.

ـ الأزهري، محمد بن أحمد، **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، **٢٠٠١**م.

ـ الفتلاوي، سهيلة محسن كاظم، **مدخل إلى التدريس**، ط١، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، **٢٠٠٣**م.

ـ شحاتة، حسن، **تعليم اللغة العربية بين النظرية والتطبيق**، ط١، المكتبة المصرية اللبنانية، مصر، **٢٠٠٨**م.

ـ عبد العزيز، صالح. وعبد المجيد، عبد العزيز، **التربية وطرق التدريس**، دار المعارف، مكة، (د.ت).

ـ ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، ط ١، دار صادر بيروت.

ـ بالجن، مقداد، **أهداف التربية الإسلامية**، ط١، دار الهدى للنشر والتوزيع، الرياض، **١٩٨٩**م.

ـ الكرمي، حسن سعيد، **الهادي إلى لغة العرب**، ط١، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، **١٩٩١**م.

ـ العريفي، سمر محمد، **صلاحية مصطلح التزكية الإنسانية كبديل لمصطلحي التربية المستمرة والتربية الذاتية**، كلية البنات، جامعة الملك سعود، **١٤٢٤**هـ.

ـ المراغي، أحمد مصطفى، **تفسير المراغي**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د.ت.

ـ الخولي، البهي، **الثروة في ظل الإسلام**، دار الاعتصام، القاهرة، **١٩٧٨**م.

ـ الغزالي، محمد بن محمد، **إحياء علوم الدين**، دار المعرفة، بيروت.

ـ ابن جرير الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، **١٤٢٠**هـ.

ـ اللويحق، عبد الرحمن بن معلا، **قواعد في التعامل مع العلماء**، دار الوراق، **١٩٩٤**م.

ـ البالومي، عبد العزيز، **اتجاهات حديثة في سياسة التعليم**، مكتبة بدر الفاسي، المغرب **٢٠٠٤**م.

ـ **الإعلان العالمي لحقوق الإنسان**، نشر بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة **٢١٧** ألف (د-٣) بتاريخ ١٠ كانون الأول/ ديسمبر **١٩٤٨**.

ـ **العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية**، اعتمد في الجمعية العامة للأمم المتّحدة بتاريخ ١٦ كانون الأوّل/ ديسمبر **١٩٦٦**، ودخل حيز التنفيذ في **٣** كانون الثانيّ/ يناير **١٩٧٦**، بعد أن صادقت عليه **٣٥** دولة.

ـ أهواني، أحمد فؤاد، **التعليم في رأي القابسي**، ط١، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة **١٩٤٥**م.

ـ طلس، محمد أسعد، **التربية والتعليم في الإسلام**، ط١، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، **٢٠١٢**م.

ـ النووي، يحيى بن شرف، **المجموع شرح المهذب**، ط، دار الفكر.

ـ النووي، يحيى بن شرف، **روضة الطالبين وعمدة المفتين المكتب الإسلامي**، بيروت، تحقيق: زهير الشاويش، **١٩٩١**م.

ـ النفراوي، أحمد بن غانم، **الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني**، دار الفكر، **١٤١٥**هـ.

ـ **قرارات مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر**، الدورة الثامنة عشرة، بوتراجايا (ماليزيا) من **٢٤** إلى **٢٩** جمادى الآخرة **١٤٢٨**هـ، الموافق **٩-١٤** تموز (يوليو) **٢٠٠٧**م.

ـ الشيباني، محمد بن الحسن، **الكسب**، تحقيق: د. سهيل زكار، ط١، مطبعة عبد الهادي حرصوني، دمشق، **١٤٠٠**هـ.

ـ العدوي، علي الصعيدي، **حاشية العدوي**، دار الفكر، بيروت، **١٤١٢**هـ.

ـ أبو الحسن المالكي، **كفاية الطالب**، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، **١٤١٢**هـ.

ـ القيرواني، عبد الله بن أبي زيد، **رسالة القيرواني**، دار الفكر، بيروت.

ـ ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **شرح العمدة**، تحقيق: سعود العطيشان، ط١، مكتبة العبيكان، الرياض، **١٤١٣**هـ.

ـ الأزهري، صالح عبد السميع، **الثمر الداني شرح رسالة القرواني**، المكتبة الثقافية، بيروت.

ـ الرازي، **تحفة الملوك**، تحقيق: د. عبد الله نذير أحمد، ط١ـ دار البشائر الإسلامية، بيروت، **١٤١٧**هـ.

ـ المعيلي، عبد العزيز بن عبد الله، **دور الوقف في العملية التعليمية**، ندوة مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية. مكة المكرمة. شوال **١٤٢٠**هـ.

ـ النعيمي، عبد القادر بن محمد، **الدارس في تاريخ المدارس**، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، (ط١)، دار الكتب العلمية، **١٩٩٠**م.

ـ النوري، عبد الغني، **اتجاهات جديدة في اقتصاديات التعليم في البلاد العربية**، استراتيجية إصلاح التربية العربية، الدوحة، قطر، دار الثقافة، **١٩٨٨**م.

ـ المسيلم، محمد يوسف، **اقتصاديات التعليم واستثمار العنصر البشري**، **٢٠٠٢**م.

ـ إسماعيل، محمد محروس، **اقتصاديات التعليم دراسة خاصة عن التعليم المفتوح والسياسة التعليمية الجديدة**، (رسالة ماجستير)، الإسكندرية، كلية التجارة.

بحث فضيلة الدكتور النجاشي محمد أمانة

باحث في منتدى أبو ظبي للسلم
بإمارة أبو ظبي
الإمارات العربية المتحدة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين القائل ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه وسلم، جاء بالحق والعلم فأخرج الناس من ظلمات الجهل إلى نور العلم، فارتفع شأن العرب من أمة أمية إلى أمة تقود البشرية إلى العلم والمعرفة.

وبعد،

فقد أرسل الله تعالى رسوله ﷺ بعد أن طمست العلوم وضل الناس بين الحق والخرافة، فضاعت الحقيقة وسط بحور الضلال، فجاءت الرسالة الإسلامية لتميز بين الحق والباطل، وتضع القواعد التي يتوصل بها إلى العلم الحقيقي وتمييزه عمن سواه.

وقد أدرك المسلمون دورهم القيادي، والعلمي فاهتموا بالعلم أشد اهتمام، وعرفوا مكانة العلم والعلماء، يقول الإمام النووي رحمه الله: إن «العباد خلقوا للعبادة ولعمل الآخرة والإعراض عن الدنيا بالزهادة، فكان أولى ما اشتغل به المحققون واستغرق الأوقات في تحصيله العارفون، وبذل الوسع في إدراكه المشهورون، وهجر ما سواه لنيله المتيقظون، بعد معرفة الله وعمل الواجبات التشميرُ في تبيين ما كان مصحِّحًا للعبادات، التي هي دأب أرباب العقول وأصحاب الأنفس الزكيات، إذ ليس يكفي في العبادات صور الطاعات بل لابد من كونها على وفق القواعد الشرعيات، وهذا في هذه الأزمان وقبلها بأعصار خاليات قد انحصرت معرفته في الكتب الفقهيات المصنفة في أحكام الديانات، فهي المخصوصة ببيان ذلك وإيضاح الخفيات منها والجليات، وهي التي أُوضِح فيها جميع أحكام الدين والوقائع الغالبات والنادرات، وحرر فيها الواضحات والمشكلات، وقد أكثر العلماء رضي الله عنهم التصنيف فيها من المختصرات والمبسوطات»[1].

فالعلم أصبح هو الضابط لحياة المسلم والموصل إلى معرفة دين الله سبحانه وتعالى، والضابط لسلوك المسلم وأخلاقه، ولذلك انتشر العلم وتوسع في كافة المجالات سواء العلوم الشرعية أو العلوم

---

(١) كتاب المجموع شرح المهذب للشيرازي، لأبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي، تحقيق: محمد نجيب المطيعي، مكتبة الإرشاد، جدة، د.ت، ١ / ١٥.

الأخرى، كما اهتم ولاة الأمور بتعليم الناس، ومحوِ جهلهم فأنشؤوا المدارس والمكتبات ونسخوا الكتب الكثيرة، ودعموا التأليف والترجمة.

والعلم يجب أن يؤخذ من الصغر كما يجب إتاحته لكل طالب، ولذلك تتجه كافة المجتمعات اليوم إلى توفير حد أدنى من التعليم يجب أن يحصل عليه كل مواطن، وهو ما يعرف بالتعليم الإلزامي، حتى تضمن مستوى أدنى من التحصيل العلمي والثقافي الذي يجب أن يحصل عليه كل فرد من أفراد المجتمع.

وبناء على ما سبق تتناول الدراسة الحالية موضوع إلزامية التعليم من وجهة النظر الإسلامية بهدف توضيح أحكام إلزامية التعليم في الفقه الإسلامي.

مشكلة الدراسة :

التعليم ضرورة اجتماعية لا غنى لمجتمع عنه، فالجهل دمار للأمم بينما التعليم يبني الأمم ويرفع من شأنها، وغالبًا ما ينظر إلى موضوع التعليم على أنه حق للإنسان، إلا أن هناك جوانب أخرى للتعليم، فالتعليم يمكن النظر إليه على أنه واجب على كل قادر عليه.

ومن هنا تظهر مسألة إلزامية التعليم، فهي التزام على الدولة والوالدين وكافة أفراد المجتمع على توفير الحد الأدنى من التعليم للأولاد، وكذلك التزام على الولد أن يحصل على هذا الحد الأدنى ليكون فردًا نافعًا في المجتمع.

كذلك تبنى مسألة إلزامية التعليم على العديد من الأصول الفقهية، حيث يقتضي بيان حكمها معرفة موقعها على سلم الواجبات والحقوق، وكذلك معرفة موقعها على سلم مقاصد الشرع، وكذلك حكمها على سلم التكليف.

وبناء على ما سبق تتضح مشكلة الدراسة في السؤال التالي: ما حكم إلزامية التعليم بشقيه الديني والدنيوي على كلا الجنسين في الإسلام؟

أهداف الدراسة :

١ـ بيان علاقة التعليم بالتربية، والتزكية والتثقيف والتنوير.
٢ـ معرفة أنواع التعليم باعتبار مجالاته وباعتبار موضوعاته وباعتبار مستوياته.
٣ـ بتوضيح مكانة التعليم وأهميته في الكتاب والسنة والآثار.
٤ـ بيان حكم إلزامية التعليم بأنواعه ومجالاته ومستوياته على الجنسين.

٥ـ تحديد موقع التعليم في سلم المصالح الضرورية والحاجية والتحسينية.
٦ـ تحديد موقع التعليم في سلم الحقوق والواجبات في الإسلام.
٧ـ بيان حكم دعم التعليم الإبداعي، والنقدي والبحث العلمي والابتكارات.

أهمية الدراسة :

تتضح أهمية الدراسة في النقاط التالية:

١ـ الدور الحيوي الذي يقوم به التعليم في المجتمعات البشرية، وما يترتب عليه من أهمية هي دافع إلى بيان حكم إلزامية التعليم في الشرع الإسلامي.

٢ـ حق المسلم في الحصول على حد أدنى من التعليم يؤهله للتعامل مع الحياة التي أصبحت قائمة على أساس العلم وتدور في فلكه.

٣ـ حق المجتمع الإسلامي في محو الجهل والأمية منه والارتقاء به والوصول إلى المكانة التي يستحقها بين الأمم التي سبقته في ميدان العلم فأدى ذلك إلى سبقهم في كافة ميادين الحياة سواء في الميدان الاقتصادي أو السياسي أو العسكري

منهج الدراسة :

تتبع الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي القائم على تتبع المسائل والنظر في الأدلة من الكتاب والسنة النبوية وأقوال العلماء وتحليلها لبيان الحكم الشرعي في المسائل التي تطرحها الدراسة.

أولًا
التعريف بالتعليم وعلاقته بالتربية والتزكية والتثقيف والتنوير

العلم من أكثر المصطلحات تداولًا في الكتب الشرعية، ونادرًا ما يوجد أي كتاب في العلوم الشرعية من فقه، أو تفسير، أو حديث، أو غيره إلا وقد أشار إلى العلم وأهميته بشكل عام، ثم يخص العلم الذي يتناوله الكتاب.

وكذلك فإن مفهوم العلم يرتبط ببعض المفاهيم الأخرى مثل التربية والتزكية والتنوير والتثقيف فهي مصطلحات مرتبطة بالعلم، وتقترن به بشكل كبير وهو ما يتضح في النقاط التالية:

١ـ التعريف بالتعلم :

يقول ابن فارس رحمه الله: إن العين واللام والميم أصل صحيح واحد يدل على أثر بالشيء يتميز به عن غيره، من ذلك العلامة وهي معروفة، يقال: علمت على الشيء علامة، ويقال أعلم الفارس إذا كانت له علامة في الحرب، وخرج فلان معلمًا بكذا، والعلَم الراية والجمع أعلام، والعلم: الجبل وكل شيء يكون معلمًا: خلاف الجهل[١].

وعلِمه كسمِعه ـ علمًا بالكسر: عرفه، هكذا في الصحاح، وفي كثير من أمهات اللغة وزاد المصنِّف في البصائر: حق المعرفة، ثم قوله هذا وكذا قوله فيما بعد: وعلِم به، كسمع صريح في أن العلم والمعرفة والشعور كلها بمعنى واحد[٢].

(تعلّم) الأمر: أتقنه وعرفه وعلِم الشيء علمًا عرفه، وفي التنزيل العزيز: ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ وعلم الشيء وبه: شعر به ودرى، وفي التنزيل ﴿قَالَ يَـٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى﴾ والشيء حاصلًا: أيقن به وصدقه، تقول: علمت العلم نافعًا، وفي التنزيل العزيز ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَـٰتٍ﴾، فهو عالم[٣].

---

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، دمشق، د.ت ٤/ ١٠٩.

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت ٢٠٠٠، ٣٣/ ١٢٦.

(٣) المعجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٤ ص٦٢٤.

يتضح مما سبق أن العلم يشير إلى الأثر والعلامة، ويتمثل أثر التعليم فيما يتركه على المتعلم من معرفة تظل ملازمة له، فالعلم يضيف إلى المتعلم علامة فكرية وسلوكية يظهر أثرها في فكره وأخلاقه، وتلك العلامة هي المعرفة التي يضيفها التعليم إلى المتعلم.

وكذلك فالعلم في اللغة يعني الإتقان، وهذا الإتقان هو علامة تظهر على مهارات المتعلم في مجال تعلمه، فالإتقان زيادة في مهارة الإنسان في أداء عمل معين، أي أن التعليم يشمل إضافة فكرية وكذلك إضافة مهارية عملية.

وقد قيل في تعريف العلم عدة تعريفات منها: أنه الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، وقال الحكماء: هو حصول صورة الشيء في العقل، والأول أخص من الثاني، وقيل: العلم هو إدراك الشيء على ما هو به، وقيل: زوال الخفاء من المعلوم، والجهل نقيضه، وقيل: هو مستغن عن التعريف، وقيل: العلم صفة راسخة يدرك بها الكليات والجزئيات، وقيل العلم: وصول النفس إلى معنى الشيء، وقيل: عبارة عن إضافة مخصوصة بين العقل والمعقول، وقيل: عبارة عن صفة ذات صفة[١].

وهي تعريفات متقاربة في المعنى إلا أن الباحث يرجح تعريفه بأنه: حصول صورة الشيء في العقل، وذلك لمناسبته لموضوع البحث وهو التعليم، فالعلم يهدف إلى إيجاد تصورات يعتقد صحتها، ولا يشترط أن تكون صحيحة، ولكنها قابلة للبحث، فهناك العديد من الأمور التي كان يعتقد صحتها علميًّا سابقًا ثم ثبت عدم صحتها فيما بعد، ولو أن الإنسان عرف حقيقة جميع الأشياء لتوقف العلم وانتهى أمره، وكذلك في المسائل الشرعية حيث يوجد خلاف يكون أحد الرأيين صوابًا والآخر غير ذلك ويطلق على الرأيين علم إذا كان كل رأي مبنيًّا على أسس وأدلة علمية، ولكن استنتاج أحد الرأيين يختلف عن استنتاج الآخر وأحدهما أصوب من الآخر، أو أحدهما أقل خطأ.

أي أن اشتراط أن يتطابق المعلوم مع الحقيقة يضيق من مفهوم العلم والتعليم، وتخرج من العلوم المسائل التي لم تثبت صحتها يقينًا أو المسائل المختلف فيها، وهذه وتلك تدخل في مجال العلوم.

وبناء على ذلك يمكن تعريف التعليم بأنه زيادة الحصيلة المعرفية لدى الطلاب المبنية على أسس وقواعد علمية صحيحة.

٢- علاقة العلم بالتربية :

التربية من ربا يقول ابن فارس رحمه الله: الراء والباء والحرف المعتل وكذلك المهموز منه يدل على

---

(١) معجم التعريفات، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، ٢٠٠٤، ص١٣٠.

أصل واحد، وهو الزيادة والنماء والعلو[١].

ومن هنا يتضح الارتباط اللغوي بين التربية والتعليم، فالتعليم هو الأمارة أو العلامة، والتربية فيها معنى الزيادة والعلو، والعلو يعتبر علامة على الشيء، وفي الحقيقة فإن الارتباط بين التعليم والتربية من أقوى الروابط، فمن جهة يمكن اعتبار التعليم تربية لأن المعلم أو الأب أو الوصي عندما يعلم الطفل قيمة معينة فإنه يربيه، ومن جهة أخرى فإن التربية هي في حقيقتها تعليم الطفل كيف يسلك في حياته وكيف يفكر، فالتربية والتعليم مفهومان يكادا يكونا مترادفين، مع بعض الفروق البسيطة «وتربية أمة وإعدادها للتفوق والعلو والتقدم لا تتكامل مطلقا ما لم ترتق بتربيتها المعرفية فالمعرفة بأنواعها هي السبيل القويم لتحقيق أمن الناس وتفاعلهم وتعاونهم وتواصلهم مما يركز جهوده على تحقيق الرقي»[٢].

حيث يمكن القول: إن التربية معنى أوسع من التعليم حيث تشمل كافة أشكال التعليم وأهدافه، أما التعليم فلا يشمل كافة اشكال التربية، فتغذية الطفل هي تربية لجسده ولكنها لا تدخل في مفهوم التعليم، «فالتربية جهود تراكمية يرفد بعضها بعضًا، والزمن عامل مهم في بلوغ التربية غاياتها، وهذا واضح في قولهم: تربى وتنشّأ وتثقف، فالتنشئة والتغذية والتثقيف لا تكون أبدًا طفرة ومرة واحدة، وإنما تتم على مراحل متتالية، وعلى هذا فالإنماء والتدرج يمثلان أهم قانونين يحكمان طبيعة الأعمال التربوية، فإذا وجدنا تربية لا تثمر نموًّا علمنا أنها تربية عقيم، وإذا رأينا جهودًا تستهدف تنمية شيء ما لكنها لا تتسم بالتدرج والتعاهد المتتابع، علمنا أن تلك الجهود لا تستحق أن تسمى تربية»[٣].

وهو نفس ما يقال عن العلم، فكما أن التربية جهود تراكمية فإن العلم يتصف بتلك الصفة حيث إنه جهود تراكمية لا يؤخذ دفعة واحدة وإنما يجب أخذه بالتدريج ليستقر في نفس المتعلم، والخلاصة أن التعليم عنصر أساسي من عناصر التربية إذ لا تربية بدون تعليم، فمجرد تقديم النصيحة لطفل هو تعليمه كيفية التصرف فهو علم وهو تربية.

٣ـ علاقة العلم بالتزكية :

اقترنت التزكية بالعلم في الكثير من الآيات القرآنية، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩]، وقال جل شأنه: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، ٢/ ٤٨٣.

(٢) النبي المربي، أحمد رجب الأسمر، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ٢٠٠١، ص٣٢٣.

(٣) حول التربية والتعليم، عبد الكريم بكار، دار القلم، دمشق، ٢٠١١ص ١١.

وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وقال جل شأنه ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [الجمعة: ٢].

يقول ابن عطية في قوله تعالى: ﴿وَيُزَكِّيهِمۡ﴾: يطهرهم وينميهم، بالخير، ومعنى الزكاة لا يخرج عن التطهير والتنمية[١]، ويقول الطبري رحمه الله: «والصواب من القول عندنا في (الحكمة) أنها العلم بأحكام الله التي لا يدرك علمها إلا ببيان الرسول ﷺ والمعرفة بها، وما دل عليه ذلك من نظائره، وهو عندي مأخوذ من (الحُكم) الذي بمعنى الفصل بين الحق والباطل بمنزلة (الجلسة والقعدة) من الجلوس والقعود، يقال منه: إن فلانًا لَحكيم بيّن الحكمة، يعني بذلك أنه البيّن الإصابة في القول والفعل»[٢].

فيربط يربط القرآن الكريم بين التزكية والعلم، فإذا كانت التزكية تعني طهارة النفس الإنسانية، فإن وسيلة الإنسان إلى التزكية هي العلم بما يطهر النفس الإنسانية من كل الخبائث التي تلحق بها، فالجاهل يختلط لديه الأمر فلا يعرف الصواب من الخطأ ويرى الأمور على عكس حقيقتها، فالعلم هو الطريق الصحيح إلى تزكية النفس.

٤ـ علاقة العلم بالتنوير والتثقيف :

التنوير والتثقيف من المصطلحات الحديثة التي لم يعرفها علماء المسلمين بالمعنى الذي تشير إليه في الوقت الحالي، فالتنوير والتثقيف في المفهوم الحديث يشير لدى العديد من المثقفين إلى اتباع الحضارات الغربية في الفكر، والعلم، والتخلص من الهوية، والثقافية الإسلامية، ومناقشة تلك المسألة خارج عن إطار الدراسة، إلا مسالة التنوير والتثقيف بمعنى التطور وزيادة الحصيلة المعرفية والقدرات العقلية فهي شديدة الصلة بالتعليم، فإذا كان العلم هو تحصيل للمعرفة فإن المعرفة هي الطريق إلى الرقي والارتقاء.

وينقل الإمام النووي رحمه الله أقوالًا كثيرة رويت من العلماء في فضل العلم في الارتقاء بصاحبه من جميع النواحي، قال أبو مسلم الخولاني: مثل العلماء في الأرض مثل النجوم في السماء، إذا بدت للناس اهتدوا بها، وإذا خفيت عليهم تحيروا، وقيل: العالم كالعين العذبة نفعها دائم، وقيل: العالم كالسراج

(١) تفسير ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، دار ابن حزم، د.ت، ص١٣٥.

(٢) انظر: تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، ٢٠٠١، ص٥٧٧.

من مر به اقتبس، وقيل: العلم حياة القلوب من الجهل ومصباح البصائر في الظلم به تبلغ منازل الأبرار ودرجات الأخيار والتفكر فيه ومدارسته ترجح على الصلاة [١] وصاحبه مبجل مكرم[٢].

يتضح مما سبق أن العلماء هم قادة الفكر والناس تبع لهم فأي حركة هدفها تنوير العقول وتثقيفها لا يمكن أن تكون إلا عن طريق التعليم وبقيادة العلماء.

(١) يقصد غير المفروضة كما وضحها سابقا في قول الشافعي.

(٢) انظر: آداب العالم والمتعلم والمفتي والمستفتي وفضل طالب العلم، الإمام النووي، مكتبة الصحابة، طنطا، ١٩٨٧، ص١٤.

ثانيا
أنواع التعليم باعتبار مجالاته وباعتبار موضوعاته وباعتبار مستوياته

ينقسم التعليم وفق الفكر الإسلامي إلى عدة أنواع حيث قام العلماء بذكر عدة أقسام للعلم، كلٌّ وَفق رؤيته ومقصده من التقسيم.

١ـ التعليم باعتبار أهدافه :

فتنقسم العلوم إلى علوم مفيدة، وعلوم غير مفيدة، أو ضارة، فالعلوم المفيدة هي التي يستفيد منها الإنسان سواء في الدنيا أو الآخرة مثل: العلوم الشرعية، والطب، والحساب، والعلوم الضارة هي العلوم التي تسبب آذى سواء في الدنيا أو الآخرة، مثل السحر والشعوذة.

ومن جهة أخرى فهناك علوم يجب على المسلم تعلمها وهي التي يحتاج لها في عقيدته وعبادته فيجب على المسلم أن يتعلمها إن كان يجهلها مثل أحكام العبادات من صلاة أو صوم أو زكاة، فلا يسع أي مسلم جهلها، وإن كان يجهلها فعليه تعلمها أو السؤال عنها، بينما هناك علوم يعدها العلماء فرض كفاية أي يجب أن يكون بين المسلمين من يتعلمها لاحتياج الأمة لها، مثل علوم الطب والهندسة والحساب وبشكل عام العلوم التي يحتاج إليها الناس والمجتمع وتؤدي إلى تقدمه وريادته.

يقول الإمام الغزالي: «اعلم أن الغرض لا يتميز عن غيره إلا بذكر أقسام العلوم، والعلوم بالإضافة إلى الغرض الذي نحن بصدده تنقسم إلى شرعية وغير شرعية، وأعني بالشرعية ما استفيد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، ولا يرشد العقل إليه مثل الحساب، ولا التجربة، مثل الطب، ولا السماع مثل اللغة»[١].

أهم ما يلاحظ على التصنيف الذي ذكره الإمام الغزالي أنه يقصد بالعلم المعرفة بشكل عام، فهناك بعض العلوم التي ذكرها يمكن الاعتراض على تصنيفها كعلم مثل السحر والشعوذة؛ لأنه لا يقوم على أسس علمية واضحة، إلا أن الإمام نظر إلى المفهوم الواسع للعلم، وأنه كل ما يتعلمه الإنسان، فأي شيء يتعلمه يصبح علمًا.

الأمر الآخر الذي يلاحظ في تصنيف العلوم هو عدم وجود معيار محدد لكل تصنيف وهو الأمر

(١) الغزالي (٢٠٠٥) إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٥، ص٢٤.

الذي يظهر في تداخل التصنيفات، فعلم مثل علم الطب هو من العلوم الدنيوية النافعة، ولكنه من العلوم التي تحث الشريعة على تعلمها لما فيه حفظ لحياة الناس، وعلم الحساب يستخدم في تنظيم أمور التجارة وهي من أمور الدنيا، كما يستخدم لحساب الزكاة وعلم الفلك يفيد في التعرف على الاتجاهات للقيام بالرحلات التجارية كما يفيد في المعرفة بالمواقيت واتجاه القبلة وهو أمر ضروري لأداء الصلاة، فلا يعني تصنيف علم في قسم معين أنه لا ينتمي لقسم آخر، وإنما قد ينتمي العلم الواحد لأكثر من قسم من أقسام العلوم.

وهذا أمر طبيعي نظرًا لطبيعة العلم حيث تتصل العلوم بعضها ببعض حتى وقتنا الحاضر يصعب تصنيف العلوم تصنيفات جامدة، وإنما تتداخل التصنيفات، فمثلًا يقال: العلوم الاجتماعية عن مجموعة من العلوم التي تهتم بالمجتمع ويدخل فيها علوم القانون وعلم الاجتماع وعلوم التربية وعلم الاقتصاد والفلسفة والمنطق كما توجد العلوم الطبيعية مثل الفيزياء والكيمياء والجبر والهندسة، فعلم مثل الفلسفة يمكن أن يعد من العلوم الاجتماعية إلا أنه أيضًا يتناول مسائل من العلوم الطبيعية، وكذلك المنطق الذي يمكن أن يستخدم في العلوم القانونية وأيضًا يستخدم في الرياضيات والفيزياء، لذلك فإن تصنيف العلوم بشكل غير متداخل أمر يصعب تحقيقه إن لم يكن مستحيلًا، وذلك لأن من صفة العلم أن يكمل بعضه البعض ويخدم بعضه البعض.

٢ـ التعليم باعتبار مجالاته :

يقول الفيروزآبادي رحمه الله: العلم ضربان: إدراك ذات الشيء والثاني: الحكم على الشيء بوجود شيء هو موجود له، أو نفي شيء هو منفي عنه، فالأول هو المتعدي إلى مفعول واحد، قال تعالى: ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، والثاني: المتعدي إلى مفعولين نحو قوله: ﴿عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ﴾ ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ﴾ [الممتحنة: ١٠]، وقوله ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩] إشارة إلى أن عقولهم قد طاشت، والعلم من وجه ضربان: نظري وعملي، فالنظري ما إذا علم فقد كمل نحو العلم بموجودات العالم والعملي: ما لا يتم إلا بأن يعمل، كالعلم بالعبادات، ومن وجه آخر ضربان: عقلي وسمعي(١).

وبالتالي ينقسم التعليم حسب مجالاته إلى تعليم نظري، وتعليم عملي، والتعليم النظري هو الذي يعتمد على الفكر بشكل محض، وكما قال الإمام فإنه يكتمل بمجرد العلم به مثل معرفة الأحكام الشرعية،

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: محمد علي النجار، لجنة إحياء التراث الإسلامي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٢، ٤ / ٨٨.

حيث يتناول العالم المسألة الفقهية بالبحث الفكري حتى إذا ما توصل إلى حكم شرعي يكون قد اكتمل.

أما التعليم العملي فلا يكتمل إلا إذا تم تطبيقه فعليًّا في الواقع، فلا يكفي العلم النظري به حتى يمارسه المتعلم، مثل الصلاة وهو أظهر في الصناعات التي لا يتم العلم بها إلا إذا أتقنها المتعلم بشكل كاف لممارستها.

٣ـ التعليم باعتبار موضوعاته :

وفقًا لما سبق يمكن القول: إن أهم تصنيفات العلوم من المنظور الإسلامي هي تصنيفه إلى علوم الدين وعلوم الدنيا، أو العلوم الشرعية والعلوم الدنيوية.

ومما لا شك فيه أن المسلم يتعامل مع كل ما يجري في الحياة من منظور الدين والعقيدة، وبناء على ذلك فإن تصنيف العلوم وفق هذا التصنيف ليس دقيقًا في الفكر الإسلامي، إلا أنه وضع للتمييز بين العلوم المتصلة بمسائل الدين كالعقيدة، والعبادات، وأحكام المعاملات، مثل علوم القرآن، والحديث، والفقه، والتفسير والسيرة، وعلوم اللغة وغيرها من العلوم المتصلة بالدين، وبين العلوم التي تخدم الأمور الحياتية مثل الطب والحساب، وإن كانت الأخيرة أيضًا في الفكر الإسلامي تخدم الدين لأن انتظام أمور الحياة أحد عوامل التزام الإنسان بأمور الدين.

وفق كلام الإمام الغزالي فإن العلوم الشرعية هي «ما استفيد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، ولا يرشد العقل إليه»، فمصدر العلوم الشرعية كلام الأنبياء، أو بمعنى أوضح العلوم التي تساعد على فهم ما جاء به الأنبياء وتطبيقه على الوجه الذي أراده الله ووضحه الرسول، وبمفهوم المخالفة يمكن القول: إن العلوم الدنيوية هي العلوم التي يمكن التوصل إليها بالعقل ولا تحتاج إلى ما نقل عن الأنبياء.

أما قوله: ولا يرشد العقل فهو يعني أن مصدر العلوم أو الهدف من تلك العلوم هي معرفة الأمور التي لا يمكن معرفتها بالعقل، ولا يعني أن العقل ليس له دور في تلك العلوم، فالناظر إلى علوم التفسير، والحديث، والفقه يرى عجبًا من إنتاج العلماء العقلي، ويتضح له دقة فهمهم، وعمق الفكر، وقوة العقل، إنما المقصود أن المسائل التي يتناولها ويحاول إيضاحها ليست نتاج فكر عقلي، فأمور العقيدة ليس للعقل دخل معرفتها، إنما يقتصر دور العقل على فهم النصوص الواردة فيها حتى وإن كان هذا الفهم ناتجًا عن استخدام التفكير في فهم النصوص، ونفس الأمر في العبادات، فالكلام هنا عن مصدر العلم وليس عن فهم تفاصيل كل علم، وأيضًا ليس في نشأة العلم، فعلم التفسير أو الفقه مثلًا رغم أن العلماء قد وضعوا أسسه باستخدام العقل والفكر إلا أنه يدرس.

إلا أن هذا التعريف يخرج من العلوم الشرعية بعض العلوم الهامة في معرفة الدين ومنها علوم اللغة، مثل النحو والبيان، وهي علوم لم تصل إلينا عن طريق الأنبياء، وإنما وصلت بطرق أخرى بعضها بالنقل عن العرب وبعضها بالعقل عن طريق استنتاج القواعد اللغوية الحاكمة للغة وتطبيقها على المصادر.

وبالتالي يمكن التجاوز عن هذا التداخل في تصنيف العلوم والتمييز بين العلوم الشرعية وغيرها بأنها العلوم التي تخدم فهم العقيدة وأحكام الشريعة الإسلامية، وبالتالي تدخل فيها كافة العلوم التي تساعد على معرفة أمور الدين وأهمها العلوم التالية:

أ ـ علم التفسير :

القرآن هو مصدر المعرفة الأساسي في الإسلام، ولذلك فإن المعرفة بمعاني آيات القرآن الكريم والمقصد منها من أهم الوسائل لمعرفة الدين وأحكامه، ولذلك كان التفسير من أكثر العلوم التي اهتم بها المسلمون لإدراكهم أنهم يتعاملون مع كتاب الله عز وجل.

ويعرف علم التفسير بأنه العلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن وما يستفاد منها، والتفسير رأس العلوم الإسلامية وأولها ظهورا حيث كان النبي ﷺ يفسر للصحابة ما دق معناه واستشكل عليهم فقد سأل عمر رسول الله ﷺ عن الكلالة وسأله آخر عن الظلم، ويستمد علم التفسير من علم العربية وعلم الآثار وأخبار العرب وأصول الفقه وعلم الكلام وكل ما من شأنه الكشف عن مراد الله من كلامه، وينقسم إلى أنواع: التفسير بالمنقول (بالمأثور) التفسير بالمعقول (بالرأي) والتفسير الإشاري، والتفسير الباطني، والتفسير العلمي[١].

ومن هنا تظهر أهمية علوم القرآن الذي هو أصل كل العلوم الشرعية، يقول الإمام السيوطي رحمه الله: «وإن كتابنا القرآن لهو مفجر العلوم ومنبعها، ودائرة شمسها ومطلعها، أودع فيه سبحانه وتعالى علم كل شيء، وأبان فيه كل هدى وغي، فترى كل ذي فن منه يستمد، وعليه يعتمد، فالفقيه يستنبط منه الأحكام ويستخرج حكم الحلال والحرام، والنحوي يبني منه قواعد إعرابه ويرجع إليه في معرفة خطأ القول من صوابه، والبياني يهتدي به إلى حسن النظام ويعتبر مسالك البلاغة في صوغ الكلام، وفيه من القصص والأخبار ما يذكر أولي الأبصار، ومن المواعظ والأمثال ما يزدجر به أولو الفكر والاعتبار، إلى غير ذلك من علوم لا يقدر قدرها إلا من علم حصرها»[٢].

(١) معجم علوم القرآن علوم القرآن، التفسير، التجويد، القراءات، إبراهيم محمد الجرمي، دار القلم، دمشق، ٢٠٠١، ص٩٨.
(٢) الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٨، ص١٥.

ب ـ علوم الحديث :

إذا كان القرآن الكريم هو كلام الله فإن الحديث هو كلام النبي ﷺ المفصل لما أجمل في القرآن الكريم والمبين لما أبهم علينا فهمه منه، ولذلك جاءت علوم الحديث كأحد أهم العلوم الشرعية التي تعمل على التثبت من صحة النقل عن رسول الله ﷺ وبيان ما ورد بها من أحكام سواء تتعلق بالعقيدة أو بالفقه أو الأخلاق أو غيرها، ونظرًا لحرص المسلمين على صحة نقل سنة النبي ﷺ فقد قُعِّدت القواعد التي تضبط النقل وتضمن صحته وتفرز الصحيح منه من الضعيف.

وقد روى أبو داود في سننه أن رسول الله ﷺ: «نضر الله امرأ سمع منا حديثًا فحفظه حتى يبلغه، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه»(١).

وجاء الاهتمام بعلوم الحديث بسبب أهمية السنة في معرفة أحكام الدين، ولذلك اعتبره المسلمون من أشرف العلوم وأهمها لأنه حفظ للسنة النبوية التي هي المصدر الثاني للعلوم الإسلامية، «فإن العلم بحديث رسول الله ﷺ وروايته من أشرف العلوم وأفضلها؛ لأنه ثاني أدلة علوم الإسلام، ومادة علم الأصول والأحكام لا يرغب في نشره إلا كل صادق تقي، ولا يزهد في نصره غلا كل منافق شقي، قال أبو نصر بن سلام: ليس شيء أثقل على أهل الإلحاد ولا أبغض إليهم من سماع الحديث وروايته وإسناده، ولهذا العلم أصول وأحكام واصطلاحات وأوضاع يحتاج طالبه إلى معرفتها ومدار هذه الأمور على المتون والأسانيد والسند وغيرها»(٢).

وقد كان الحديث وعلومه من أكثر العلوم التي حرص العلماء في وضع ضوابطها وقواعد تمييز الحديث الصحيح من الضعيف وذلك لإدراك خطورة الكذب على رسول الله ﷺ، فلم يمر من تحت يدهم حديث إلا حققوه وفحصوه وعرفوا رواته وحالهم في الصدق والكذب وفي الضبط وغيرها من الأمور التي يمكن بناء الحكم على الحديث من خلالها، وذلك خوفا من الكذب على رسول الله ﷺ وقد قال ﷺ: «إن كذبًا علي ليس ككذب على أحد من كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»(٣).

بناء على ذلك فإن تقسيم التعليم بناء على موضوعاته لا يمكن حصره حيث تتعدد الموضوعات التي

---

(١) سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، بيروت، ٥ / ٥٠١، كتاب العلم، باب فضل نشر العلم، رقم (٣٦٦٠).

(٢) الخلاصة في معرفة الحديث، شرف الدين أبي محمد الحسين بن محمد بن محمد بن عبد الله الطيبي الدمشقي، تحقيق: أبو عاصم الشوامي الأثري، المكتبة الإسلامية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٩، ص٢٧.

(٣) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، القاهرة، ١٤٠٠هـ، باب ما يكره من النياحة على الميت، رقم (١٢٩١)، ١/ ٣٩٧.

تتناولها العلوم، وتزداد بتقدم الزمن، إلا أن أهم الموضوعات التي تناولتها العلوم الإسلامية تتمثل في الموضوعات التالية:

ج ـ علوم اللغة :

اللغة هي أداة الفهم الرئيسية، ولا يمكن إتقان أي علم، خصوصا العلوم الشرعية، إلا بإتقان اللغة العربية ومعرفة فنونها ودقائقها، فالمفسر لا يمكنه تفسير القرآن الكريم إلا إذا كان عالم لغة متقن، وكذلك المحدث الذي يحتاج إلى فهم ألفاظ الحديث والصيغ ومعانيه، وهو نفس الأمر بالنسبة للفقه الذي يستخلص الأحكام من خلال معرفته لمعاني المصادر من خلال علمه بالعربية فيمكنه فهم المعاني، وبالتالي يمكن القول إن العلم بالعربية شرط مشترك لأي دارس للعلوم الشرعية.

لذلك قال ابن فارس رحمه الله: «إن علم اللغة كالواجب على أهل العلم، لئلا يحيدوا في تأليفهم أو فتياهم عن سنن الاستواء، وكذلك الحاجة إلى علم العربية فإن الإعراب هو الفارق بين المعاني، ألا ترى أن القائل إذا قال: (ما أحسن زيد) لم يفرق بين التعجب والاستفهام والذم إلا بالإعراب، وكذلك إذا قال: (ضرب أخوك أخانا) و(وجهك وجهٌ حر) و(وجهك وجهُ حر) وما أشبه ذلك من الكلام المشتبه»[١].

ويؤكد الإمام السيوطي على أهمية الإعراب فيقول: «ومن فوائد هذا النوع معرفة المعنى؛ لأن الإعراب يميز المعاني ويوقف على أغراض المتكلمين، أخرج أبو عبيد في فضائله عن عمر بن الخطاب قال: تعلموا اللحن والفرائض والسنن كما تعلمون القرآن، وأخرج عن يحيى بن عتيق قال: قلت للحسن: يا أبا سعيد الرجل يتعلم العربية يلتمس بها حسن المنطق وقيم بها قراءته؟ قال حسن: يا بن أخي فعلمها، فإن الرجل يقرأ الآية فيعيا بوجهها فيهلك فيها، وعلى الناظر في كتاب الله تعالى الكاشف عن أسراره والنظر في الكلمة وصيغتها ومحلها ككونها مبتدأ أو خبرًا أو فاعلًا أو مفعولًا أو في مبادئ الكلام أو في جواب، إلى غير ذلك»[٢].

كل ذلك يؤكد أهمية دراسة العربية وفهمها فهمًا عميقًا، كأساس لدراسة كافة العلوم الشرعية من تفسير وحديث وفقه، فالعالم في أي فرع من فروع العلوم الشرعية لا يمكن له إلا أن يكون عالمًا باللغة، فاللغة هي أساس كافة العلوم.

---

(١) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧، ص٣٥.

(٢) الإتقان في علوم القرآن، الإمام السيوطي، ص٣٨٤.

د ـ الفقه :

الفقه الإسلامي من أهم العلوم الشرعية، إذ إن علوم التفسير والحديث واللغة وضعت لخدمة الفقه، فالهدف من التفسير أو من تصحيح الروايات هو استنباط الأحكام الشرعية، وأوامر الله سبحانه وتعالى ونواهيه، وهذا هو دور الفقه.

وقد أمر الله أن يتفقه بعض المسلمين في الدين ليعلموا الناس فقال جل شأنه: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

٤ـ التعليم باعتبار مستوياته :

يتدرج التعليم في المستويات حيث يجب على الإنسان أولًا تعلم ما يحتاج إليه على وجه الضرورة من أمور الدين والدنيا، ثم يتدرج في التعليم إلى مستويات أعلى كلما كان قادرًا على ذلك، وأشهر ما يميز الفكر الإسلامي خصوصًا في مجال التربية التدرج والرفق بحيث يسير الإنسان.

فالعلوم ليس لها نهاية ويجب أن يبدأ التعليم بالعلوم الأساسية التي لا يمكن للطالب الاستغناء عنها للاستمرار في التعلم بنجاح ويتمكن من التحصيل، ومن جهة أخرى يجب أن يتعلم الطالب حسب قدرته ولا ينتقل إلى مستويات أعلى حتى يتمكن من المستوى الأول.

يقول ابن جماعة رحمه الله في أداب المتعلم: «أن يبتدئ أولًا بكتاب الله العزيز فيتقنه حفظًا، ويجتهد على إتقان تفسيره وسائر علومه، فإنه أصل العلوم وأمها وأهمها، ثم يحفظ في كل فن مختصرًا يجمع فيه بين طرفيه من الحديث وعلومه والأصلين والنحو والتصريف، ولا يشتغل بذلك كله عن دراسة القرآن وتعهده وملازمة ورد منه كل يوم أو أيام أو جُمعة كما تقدم، وليحذر من نسيانه بعد حفظه فقد ورد فيه أحاديث تزجر عنه، ويشتغل بشرح تلك المحفوظات على المشايخ وليحذر من الاعتماد في ذلك على الكتب ابتداء بل يعتمد في كل فن من هو أحسن تعليمًا له وأكثر تحقيقًا فيه وتحصيلًا منه وأخبرهم بالكتاب الذي قرأه، وذلك مع مراعاة الصفات المقدمة من الدين والصلاح والشفقة وغيرها»[1].

ويقول أيضًا: إنه على طالب العلم «إذا شرح محفوظاته المختصرات وضبط ما فيها من الإشكالات والفوائد المهمات انتقل إلى بحث المبسوطات مع المطالعة الدائمة وتعليق ما يمر به أو يسمعه من الفوائد النفيسة والمسائل الدقيقة والفروع الغريبة وحل المشكلات والفروق بين أحكام المتشابهات من جميع

(١) تذكرة العالم والمتعلم، ابن جماعة، مرجع سابق ن ص١١٢.

أنواع العلوم، ولا يستقل بفائدة يسمعها أو يتهاون بقاعدة يضبطها، بل يبادر إلى تعليقها وحفظها، ولتكن همته في طلب العلم عالية، فلا يكتفي بقليل العلم مع إمكان كثيره، ولا يقنع من إرث الأنبياء بيسيره». [١]

(١) المرجع السابق ص١١٥.

ثالثا
مكانة التعليم في الكتاب والسنة

ظهر الاهتمام بالتعليم وبيان فضله كما ورد في القرآن الكريم، والسنة النبوية توضح إلى أي مدى بلغ اهتمام الإسلام بالعلم والتعليم، وإن لم يضع التزامًا تشريعيًّا؛ فإنه قد أسس لالتزام ديني مؤداه دفع المسلمين إلى طلب العلم، وتعليم أبنائهم.

وقد جاء الإسلام رافعًا راية العلم والتفكير والتدبر، وقد جاءت الآيات الكثيرة في مدح العلم والعلماء قال تعالى ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ * بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٣ – ٤٤].

وقال رسول الله ﷺ: «من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة». (١) قال الإمام أبو بكر بن العربي المالكي: إن في الحديث كلامًا طويلًا هذا لُبابه:

١ـ لا خلاف أن طريق العلم طريق إلى الجنة، بل أوضح الطرق إليها.

٢ـ أن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم فيها أقوال: الأول: تخاشع لعلمه ولفضله، الثاني: الرفق به، الثالث: تقف عنده لا تتجاوزه ولا تحركها إلى غيره لأنها طالبة للخير أبدًا فإذا وجدته لزمته، الرابع: معناه تحمله عليها فينال مطلوبه بتيسير الله على يديها.

٣ـ استغفار الحيوان في البحر له فقيل: إنه حقيقة وإنها مسخرة لذلك من الله. (٢)

فالعلماء هم صمام أمان الأمة وحماية لها من الأخطار التي تحيط بها، وكذلك طريق الأمة للتقدم والريادة وبيان للناس طريق النجاة في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النساء: ٨٣].

---

(١) الجامع الكبير لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٦، أبواب العلم، باب إذا أراد الله بعبد خيرًا فقهه في الدين، رقم (٢٦٤٥) ٤ / ٣٨٥، حديث حسن صحيح.

(٢) عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، ابن العربي المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت ١٠ / ١١٧.

فاتباع الحق يقتضي معرفته أولًا والمعرفة لا تأتي إلا بالعلم، ومن هنا ارتبط العمل بالعلم والمعرفة فلا عمل بلا علم، ويكون أفضل الناس عملًا وعقلًا أعلمهم، ولذلك فإن العلم سبب في رفعة شأن الناس في الإسلام، بل إن القرآن الكريم جعل العلم سببًا للملك قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

وينقل ابن جماعة (٢٠١٢، ٤٢) أقوال بعض العلماء فيقول: «قال بعض السلف: خير المواهب العقل وشر المصائب الجهل، وقال أبو مسلم الخولاني: العلماء في الأرض مثل النجوم في السماء إذا بدت للناس اهتدوا بها وإذا خفيت عليهم تحيروا، وقال أبو الأسود الدؤلي: ليس شيء أعز من العلم، الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك، وقال وهب: يتشعب من العلم، الشرف وإن كان صاحبه دنيًّا، والعز وإن كان مهينًا، والقرب وإن كان قصيًّا، والغنى وإن كان فقيرًا، والمهابة وإن كان وضيعًا، وعن معاذ: تعلموا العلم فإن تعلمه حسنة، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وبذله قربة وتعليمه من لا يعلمه صدقة، وقال الفضيل بن عياض: عالم معلم يدعى كبيرًا في ملكوت السماء، وقال سفيان بن عيينة: أرفع الناس عند الله منزلة من كان بين الله وبين عباده، وهم الأنبياء والعلماء، وقال أيضًا: لم يعط أحد في الدنيا شيئا أفضل من النبوة، وما بعد النبوة شيء أفضل من العلم والفقه، فقيل: عمن هذا؟ قال: عن الفقهاء كلهم، وقال سهل: من أراد النظر إلى مجالس الأنبياء فلينظر إلى مجالس العلماء فاعرفوا لهم ذلك». (١)

وقال الإمام الشافعي: إن «الناس في العلم طبقات، موقعهم من العلم بقدر درجاتهم في العلم به، فحق على طلبة العلم بلوغ غاية جهدهم في الاستكثار من علمه، والصبر على كل عارض دون طلبه، وإخلاص النية لله في استدراك علمه: نصًّا واستنباطًا، والرغبة إلى الله في العون عليه، فإنه لا يدرك خير إلا بعونه، فإن من أدرك علم أحكام الله عز وجل في كتابه نصًّا واستدلالًا ووفقه الله للقول والعلم بما علم منه فاز بالفضيلة في دينه ودنياه، وانتفت عنه الريب وتورت في قلبه الحكمة واستوجب في الدين موضع الإمامة». (٢)

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، بيروت: دار البشائر الإسلامية.، ٢٠١٢، ص٤٢.

(٢) الأم، محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: رفعت فوزي عبد المطلب دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ٢٠٠١، ص٦.

رابعا
حكم إلزامية التعليم بأنواعه ومجالاته ومستوياته على الجنسين

اتضح مما سبق المكانة التي احتلها التعليم في الفكر الإسلامي، فالعلم هو أساس كل شيء وهو الطريق إلى الإيمان الصحيح ومعرفة الله عز وجل كما أنه الطريق إلى عبادته سبحانه كما أراد، وعن طريق العلم تتحدد العلاقات بين الأفراد في المجتمع وتنتظم تعاملاتهم، وبالعلم تبنى العقول القادرة على التعامل مع تحديات الحياة، ونظرًا لتلك الأهمية فإن في تحصيل العلم منفعة كبيرة للمسلمين وفي الجهل ضرر عظيم يلحق بالأمة، وبناء على ذلك يكون لولي الأمر إلزام الناس بتعليم أبنائهم بناء على المصلحة المعتبرة.

والمصالح المعتبر هي المصالح التي اعتبرها الشارع وشهد بذلك وقام دليل على رعايتها، فهذه المصالح حجة لا إشكال في صحتها ولا خلاف في إعمالها ويرجع حاصلها إلى القياس، حيث إن الشارع إذا نص على حكم في واقعة ودل على المصلحة التي قصدها بهذا الحكم وأرشد بمسلك من المسالك إلى العلة الظاهرة التي ربط بها حكمه، لما في هذا الربط من تحقيق المصلحة فإن كل واقعة غير الواقعة التي نص عليها تتحقق فيها هذه العلة يحكم فيها بحكم الشارع في واقعة النص وهذا حكم النص.[1]

يتضح من ذلك أنه إذا كان هناك حكم شرعي ورد في بدليل من القرآن والسنة وضح الشارع فيه مصلحة معينة للأمة فإن تلك المصلحة تكون معتبرة في أي واقعة أخرى إذا كانت تحوي نفس المصلحة سواء في جلب منفعة أو دفع ضرر.

قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

فالأمر واضح أن تتخصص طائفة من المؤمنين في التعلم والعلة أن ينذروا قومهم لعلهم يحذرون، يقول الفخر الرازي: «دلت الآية على أنه يجب أن يكون المقصود من التفقه والتعلم دعوة الخلق إلى الحق، وإرشادهم إلى الدين القويم والصراط المستقيم، لأن الآية تدل على أنه تعالى أمرهم بالتفقه في الدين،

(١) اتحاف ذوي البصائر بشرح روضة الناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، عبد الكريم بن علي بن محمد النملة، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٩٦، ٤/ ٣٠٧.

لأجل أنهم إذا رجعوا إلى قومهم أنذرهم بالدين الحق، وأولئك يحذرون الجهل والمعصية ويرغبون في قبول الدين، فكل من تفقه وتعلم لهذا الغرض كان على المنهج القويم والصراط المستقيم». (١)

فالعلة من الأمر هي الحذر من الجهل والمعصية، وقد قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالمًا اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا». (٢)

يتضح من الحديث أن الخطر في قبض العلم هو تصدر الجهال للفتوى فيضلوا ويضلوا، وبالتالي فإن المصلحة المعتبرة في هذا الحديث هو دفع ضرر الجهل، ولا يحدث هذا الدفع إلا بالعلم، فيجوز لولي الأمر إلزام الناس بالعلم بالطريقة التي يراها تحقق المصلحة وتدفع الضرر.

وتلك العلل تتحقق في تعليم النساء كما تتحقق في تعليم الرجال، فالمرأة هي الأم المربية فإن كانت على علم ربت أبنائها على العلم، فجهل المرأة لا يقل خطرًا عن جهل الرجل، وقد روي عن أبي سعيد الخدري: قالت النساء للنبي ﷺ غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يومًا من نفسك، فوعدهن يومًا لقيهن فيه، فوعظهن وأمرهن فكان فيما قال لهن: «ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها إلا وكان لها حجابًا من النار» فقالت: امرأة واثنين؟ فقال: «واثنين». (٣)

وقد أمر الله سبحانه وتعالى نساء النبي ﷺ بتعلم القرآن فقال سبحانه وتعالى ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٤]، وقال جل شأنه ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وإذا كانت الآيات نزلت بمناسبات معينة إلا أن العبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص السبب، وهذا أمر مباشر بطاعة الله تعالى ورسوله ﷺ والطاعة تقتضي العلم، وفي تلاوة الآيات والحكمة مصلحة كبيرة في تعليم الناس أمور دينهم وطاعتهم لربهم سبحانه وتعالى؛ وبالتالي تدخل في باب المصلحة المعتبرة.

وإن كانت الأدلة السابقة تشير إلى العلوم الشرعية تذكر العلوم الشرعية فإن العلوم الأخرى هي أيضًا على درجة كبيرة من الأهمية، نظرًا لدورها في ارتقاء الأمم وتقدمها، وما احتُل العالم الإسلامي من العالم

(١) تفسير الفخر الرازي، محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر، دار الفكر، دمشق، ١٩٨١، ١٦/ ٢٣٤.

(٢) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، المكتبة السلفية، القاهرة، ١٤٠٠هـ، كتاب العلم، باب كيف يقبض الله العلم، رقم (١٠٠)، ١ / ٥٣.

(٣) صحيح البخاري، كتاب العلم باب هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم؟ رقم (١٠١)، ١ / ٥٣.

الغربي إلا نتيجة لتفوق الغرب في العلوم، وما تلك الهوة بين المسلمين والغرب إلا نتيجة للتقدم العلمي في الغرب بينما يقتصر دور المسلمين على استهلاك منتجات العلوم الغربية، وبالتالي تقدمت الدول الغربية وتحكمت في مصالح الدول الإسلامية ومصائر شعوبها، وقد قال تعالى: ﴿وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١]، والآية تقتضي ألا يرضى المسلم بمكانة دونية دون غيره من الأمم، فالعلة هنا هو امتلاك المسلمين لمصائرهم والتخلص من الهيمنة الغربية، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالتعليم.

وبناء على ما سبق فإن للحاكم المسلم إجبار الرعية على تعليم أبنائهم الحد الأدنى من التعليم الذي يراه يحقق المصلحة العامة في أمور الدنيا والدين.

يتضح مما سبق أن الاهتمام بالتعليم في العصور الإسلامية بدأ بالاهتمام بتعليم القرآن الكريم وتفسيره ومنه تفرعت الفروع رعاية لهذا الأصل، لذا كان الاهتمام بتعليم الصغار القرآن الكريم يعتبر الركيزة الأساسية في التعليم غير أن دراسة القرآن تحتاج إلى دراسة العديد من العلوم الأخرى كما سبق إيضاحه.

يقول ابن خلدون: اعلم أن تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق فيه على القلوب في رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث، وصار القرآن أصل التعليم الذي يبنى عليه ما يحصل بعده من الملكات، وسبب ذلك أن تعليم الصغار أشد رسوخًا وهو أصل لما بعده، لأن السابق الأول إلى القبول كالأساس للملكات وعلى حسب الأساس وأساليبه يكون حال ما يبنى عليه واختلفت طرقهم في تعليم القرآن للولدان باختلافهم في اعتبار ما ينشأ عن ذلك التعليم من الملكات.

ـ فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط، وأخذهم أثناء ذلك المدارسة بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه، لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب إلى أن يحذق في ذلك أو ينقطع دونه فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعًا عن العلم بالجملة.

ـ أما أهل الأندلس فمذهبهم تعليم القراءة والكتاب من حيث هو، وهذا هو الذي يراعونه في التعليم، إلا أنه لما كان القرآن أصل ذلك وأُسّه، ومنبع الدين، والعلوم جعلوه أصلًا في التعليم فلا يقتصرون لذلك عليه فقط، بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الغالب والترسيل وأخذهم بقوانين العربية وحفظها، وتجويد الخط والكتاب ولا تختص عنايتهم في التعليم بالقرآن دون هذه.

ـ وأما أهل إفريقية فيخلطون في تعليمهم للولدان القرآن بالحديث في الغالب ومدارسة قوانين العلوم

وتلقين بعض مسائلها، إلا أن عنايتهم بالقرآن واستظهار الولدان إياه ووقوفهم على اختلاف رواياته وقراءاته أكثر مما سواه، وعنايتهم بالخط تبعًا لذلك.

ـ أما أهل المشرق فيخلطون في التعليم كذلك على ما يبلغنا ولا أدري بم عنايتهم منها، والذي ينقل لنا أن عنايتهم بدراسة القرآن وصحف العلم وقوانينه في زمن الشبيبة لا يخلطون بتعليم الخط، بل لتعليم الخط عندهم معلمون له على انفراده كما تتعلم سائر الصنائع.[١]

(١) انظر: مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون تحقيق: عبد السلام الشدادي، خزانة ابن خلدون، بيت الفنون والعلوم والآداب، الدار البيضاء، ٢٠٠٥، ٣/ ٢٢٠- ٢٢٢ باختصار.

خامسًا
موقع التعليم في سلم الحقوق والواجبات في الإسلام

أصبح من المستقر عليه أن التعليم حق لكل إنسان يطلبه، فلا يجب منع أحد من تلقي التعليم، سواء كان الهدف هو معرفة أمور دينه أو الارتقاء والتقدم في المركز الاجتماعي أو إتقان عمل معين أو غيرها من أهداف التعليم، إلا أن التعليم له بُعد اجتماعي يتمثل في الارتباط القائم بين تقدم المجتمع ورقي الأمة وبين التعليم.

يقول الإمام النووي: أقسام العلم الشرعي هي ثلاثة: الأول وهو تعلم المكلف ما لا يتأدّى الواجب الذي تعين عليه فعله إلا به ككيفية الوضوء والصلاة ونحوهما، وعليه حمل جماعات الحديث المروي في مسند أبي يعلى الموصلي عن أنس عن النبي ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»[1]، وهذا الحديث وإن لم يكن ثابتًا فمعناه صحيح، وحمله آخرون على فرض الكفاية، وأما أصل واجب الإسلام وما يتعلق بالعقائد فيكفي فيه التصديق بكل ما جاء به رسول الله ﷺ واعتقاده اعتقادًا جازمًا سليمًا من كل شك، ولا يتعين على من حصل له هذا تعلم أدلة المتكلمين، هذا هو الصحيح الذي أطبق عليه السلف والفقهاء والمحققون من المتكلمين من أصحابنا وغيرهم، فإن النبي ﷺ لم يطالب أحدًا بشيء سوى ما ذكرناه، وكذلك الخلفاء الراشدون ومن سواهم ن الصحابة فمن بعدهم من الصدر الأول، بل الصواب للعوام وجماهير المتفقهين والفقهاء الكف عن الخوض في دقائق الكلام مخافة من اختلال يتطرق إلى عقائدهم يصعب عليهم إخراجه، بل الصواب لهم الاقتصار على ما ذكرناه».

كما يذكر الإمام الغزالي رحمه الله أن «العلوم التي ليست بشرعية تنقسم إلى ما هو محمود وما هو مذموم، وإلى ما هو مباح، فالمحمود ما يرتبط به مصالح أمور الدنيا كالطب والحساب، وذلك ينقسم إلى ما هو فرض كفاية وإلى ما هو فضيلة وليس بفريضة، أما فرض الكفاية فهو علم لا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا كالطب إذ هو ضروري في حاجة بقاء الأبدان، والحساب؛ فإنه ضروري في المعاملات،

(١) الحديث موضوع انظر: الموضوعات، عبد الرحمن محمد ابن الجوزي، تحقيق محمد عبد المحسن، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ١٩٦٦، ١ / ٢١٥، قال ابن الجوزي هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ فأما الحسن بن عطية فضعفه أبو حاتم الرازي، وأما أبو عاتكة فقال البخاري: منكر الحديث، قال ابن حبان : وهذا حديث باطل لا أصل له.

وقسمة الوصايا، والمواريث وغيرهما، وهذه هي العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج أهل البلد، وإذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين فلا يتعجب من قولنا: إن الطب والحساب من فروض الكفايات، فإن أصول الصناعات أيضًا من فروض الكفايات كالفلاح، والحياكة، والسياسة، بل والحجامة، والخياطة، فإنه لو خلا البلد من الحجام تسارع الهلاك إليهم وحرجوا بتعريضهم أنفسهم للهلاك، فإن الذي أنزل الداء أنزل الدواء، وأرشد إلى استعماله، وأعد الأسباب لتعاطيه فلا يجوز التعرض للهلاك بإهماله وأما ما يعد فضيلة الفرضة فالتعمق في دقائق الحساب وحقائق الطب وغير ذلك مما يستغنى عنه، ولكنه يفيد في زيادة قوة في القدر المحتاج إليه، وأما المذموم فعلم السحر والطلمسات وعلم الشعبذة والتلبيسات، وأما المباح منه فالعلم بالأشعار التي لا سخف فيها، وتواريخ الأخبار وما يجري مجراه». (١)

خلاصة ما سبق أن العلماء يصنفون العلوم وفقًا لحكمها الشرعي بناء على عدة أمور الأمر الأول: وهو مدى حاجة المسلم لها في دينه فتكون واجبة إذا كانت ضرورية لاستقامة أمور الدين.

ـ القسم الأول: وهو الواجب أو الفرض الذي لا يمكن لمسلم ألا يتعلمه، مثل أصول العقيدة وأحكام العبادات بدون تفصيلات المتكلمين.

ـ القسم الثاني: من العلم والذي يمكن أن يكون حكمه الجواز أو الكراهية أو التحريم بحسب أحوال المتعلمين، فيكون جائزًا إذا كان لم يحرمه الشارع لأن الأصل في الأشياء الإباحة، فكل علم يدرس أمورًا مباحة فهو جائز، ويكون من المستحبات إذا كان يستحب تعلمه في أمر يأمر به الشرع دون أن يوجبه مثل تعلم محاسن العادات، والشعر، والأدب، بينما يكون مكروهًا إذا كان لا يحقق منفعة، فالعلوم التي لا تحقق منفعة قد لا يحرمها الشرع وإن كان يكره إضاعة الوقت في تعلمها مثل البحث في أمور غير مفيدة.

ـ وكذلك قد يكون التعليم حرامًا إن كان موضوعه حرامًا مثل تعليم الغناء، والرقص، والمعازف، فتعليمها حرام لحرمة العلم، وكذلك قد تكون حرامًا لحرمة الوسيلة.

١ـ التعليم في سلم المصالح الضرورية والحاجية والتحسينية :

يقسم العلماء مقاصد الشريعة إلى عدة أقسام، منها ما تكون ضرورة للإنسان، أي أنه لا يمكنه الحياة بدونها، وكذلك تكون حاجية وأخرى تحسينية.

يقول الشاطبي رحمه الله: «ومجموع الضروريات خمسة، وهي: حفظ الدين، والنفس، والنسل والمال، والعقل، وقد قالوا: إنها مراعاة في كل ملة، وأما الحاجيات فمعناها أنها مفتقر إليها من حيث

(١) الغزالي (٢٠٠٥) إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٥، ص٢٤.

التوسعة ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة اللاحقة بفوت المطلوب، فإذا لم تراعَ دخل على المكلفين على الجملة الحرج والمشقة، ولكنه لا يبلغ مبلغ الفساد العادي المتوقع في المصالح العامة، وهي جارية في العبادات والعادات والمعاملات والجنايات، ففي العبادات كالرخص المخففة بالنسبة لحوق المشقة بالمرض والسفر وفي العادات كإباحة الصيد والتمتع بالطيبات مما هو حلال مأكلًا ومشربًا وملبسًا ومسكنًا ومركبًا وما أشبه ذلك، وأما التحسينات فمعناها الأخذ بما يليق من محاسن العادات وتجنب المدنسات التي يأنفها العقول الراجحات، ويجمع ذلك قسم مكارم الأخلاق». (١)

بالنسبة لموقع التعليم من سلم مقاصد الشريعة فإن معرفة مقاصد الشريعة في حد ذاته حفظ لتلك المقاصد، وبالتالي فإن التعليم هو الوسيلة الوحيدة لمعرفة مقاصد الشريعة وبالتالي حفظها، وبالنظر إلى مقاصد الشريعة فإن كلها تقتضي العلم بالأحكام الشرعية التي تحفظ تلك المقاصد

والتعليم بالمعنى المجمل يدخل في الضرورات فهو بشكل مباشر حفظ للعقل يحفظ العقل من الجهل ويحفظه من التطرف ويحفظه من الانحرافات العقدية، كذلك يعمل التعليم على تنمية عقل المتعلم، حيث يعرف كيفية التفكير والتحليل والبحث العلمي وغيرها.

أما كل نوع من أنواع التعليم يمكن أن يتدرج على سلم الحاجات والمقصود هنا حاجات المتعلم نفسه نظرًا لأن الحديث هنا عن التعليم باعتباره حقًّا، فيكون ضرورة إذا تعلق بحفظ أي من الضرورات الخمس فمن حق كل إنسان أن يتعلم ما يحفظ عليه تلك الضرورات، مثل تعلم مبادئ الإسعاف الأولية حماية لحياته أو تعلم العقيدة والعبادات حفظًا للدين، وكذلك تعلم أحكام الأسرة حفظًا لنسله، أو تعلم مبادئ القراءة والحساب حفظًا لماله وعقله.

وكذلك يكون من الكماليات إن كان المقصود منه رفع الحرج، كما يكون من التحسينات، مثل التعليم إذا كان المقصد منها تعليمه محاسن العادات، وتجنب المدنسات.

كان العلماء على مر العصور الإسلامية هم صفوة الأمة، وأصحاب القيادة الفكرية للناس تتبعهم الناس، وتكرمهم، وتعرف مكانتهم العلمية، وقد كان العلماء يخلصون النية لله سبحانه وتعالى فيتعلمون ويعلمون العلم لله سبحانه وتعالى، وقد وعدهم الله سبحانه وتعالى بحسن ثواب الآخرة، إلا أنه أكرمهم في الدنيا بمحبة الناس لهم وتقديمهم.

---

(١) الموافقات، الشاطبي، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، الخبر، ١٩٩٧، ٢ / ١٩.

سادسًا
حكم الإنفاق على التعليم وطلابه ، ومؤسساته ، وأجهزته ، ومخرجاته

إذا كانت إلزامية التعليم تعني التزام أولياء الطفل بتعليم أبنائهم وكذلك إلزام الدولة توفير الخدمة التعليمية المجانية للجميع بدون تمييز فإنه لا توجد نصوص صريحة في ذلك المعنى في القرآن الكريم أو السنة النبوية، والمقصود هنا نص تشريعي ملزِم يرتب التزامات وعقوبات على من يخل بالالتزامات، قال ﷺ: «كلكم راعي ومسئول عن رعيته، فالإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل في أهله راع، وهو مسئول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسئولة عن رعيتها، والخادم في مال سيده راع، وهو مسئول عن رعيته»(١).

وبناء على ذلك فإن مسئولية النفقة بشكل عام على الصغار ومنها النفقة على التعليم تجب في الفقه الإسلامي بين الأبوين ثم تنتقل إلى غيرهم حسب درجة القرابة ثم تكون على الدولة في حالة عدم وجود من ينفق على تعليم الصغير.

ويقول القابسي رحمه الله: «ولو ظهر على أحد أنه ترك أن يعلم ولده القرآن تهاونًا بذلك لجُهِّل وقُبِّح ونقص حاله، ووضع عن حال أهل القناعة والرضا، ولكن قد يخلف الآباء عن ذلك قلة ذات اليد فيكون معذورًا حسب ما يتبين من صحة عذره، وأما إن كان للولد مال فلا يدعه أبوه أو وصيه، إن كان قد مات أبوه، وليدخل الكتاب ويؤاجر المعلم على تعليمه القرآن من ماله حسب ما يجب، فإن لم يكن لليتيم وصي نظر في أمره حاكم المسلمين، وسار في تعليمه سيرة أبيه أو وصيه، وإن كان ببلد لا حاكم فيه نظر له في مثل هذا لو اجتمع صالحو ذلك البلد على النظر في مصالح أهله، فالنظر في هذا اليتيم من تلك المصالح، وإن لم يكن لليتيم مال فأمه وأولياؤه الأقرب فالأقرب به، هم المرغبون في القيام به في تعليم القرآن، فإن تطوع غيرهم بحمل ذلك عنهم فله أجره، وإن لم يكن لليتيم من أهله من يعني به في ذلك فمن عني به من المسلمين فله أجره، وإن احتسب فيه المعلم فعلمه لله عز وجل، وصبر على ذلك فأجره إن شاء الله يضعِّف في ذلك إذ هي صنعته التي يقوم منها معاشه، فإذا آثره على نفسه استأهل إن شاء الله حظًّا وافرًا من أجور المؤثرين على أنفسهم»(٢).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب العتق باب كراهية التطاول على الرقيق وقوله عبدي أو أمتي، رقم (٢٥٥٤)، ٢/ ٢٢٢.

(٢) الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، تحقيق: أحمد خالد، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٨٦، ص٩٤.

ويقول أيضًا رحمه الله: «وأما تعليم الأنثى القرآن والعلم فهو حسن ومن مصالحها، فأما أن تعلم الترسُّل والشعر وما أشبهه فهو مخوف عليها، وإنما تعلم ما يرجى له صلاحها ويؤمن عليها من فتنته وسلامتها من تعلم الخط أنجى لها، ولما أذن النبي ﷺ للنساء في شهود العيد أمرهن أن يخرجن العواتق ذوات الخدور أو العواتق وذوات الخدور، وأمر الحائض أن تعتزل مصلى الناس، وقال: يشهدن الخير ودعوة المسلمين، فعلى هذا يقبل في تعليمهن الخير الذي يؤمن عليهن فيه، وما خيف عليهن منه، فصرفه عنهن أفضل لهن، وأوجب على متولي أمرهن فافهم ما بينت لك واستهد الله يهد وكفى به هاديًا». (١)

أوضح القابسي رحمه الله عدة مسائل تتعلق بتعليم الأبناء بشكل عام أي يدخل فيها الصبيان والبنات فهي أحكام عامة، وكذلك يعيب القابسي رحمه الله على الآباء التخلف عن تعليم أبنائهم، وإن كان الكلام عن القرآن الكريم إلا أنه ينظر إلى تعليم القرآن أنه هو الحد الذي يتصور أن يتخطاه الآباء في إهمالهم لتعليم أبنائهم، فمهما بلغ به الإهمال فلا يمكنه أن يصل إلى درجة عدم تعليمه القرآن الكريم.

ويمكن القول: إن ما قاله القابسي رحمه الله عن تعليم القرآن يمكن أن يشمل كافة مجالات التعليم التي يحتاج إليها الفرد والمجتمع وبالتالي يمكن تعميم الأحكام التي ذكرها القابسي فالأحكام التي ذكرها تنطبق على توفير التعليم بشكله الحالي أو حد أدنى من التعليم والذي يكون إلزاميًا.

وقد تناول القابسي رحمه الله في رسالته عدة نقاط تتمثل فيما يلي:

١ـ العذر بقلة ذات اليد :

تعتبر عدم الاستطاعة عذرًا عامًّا يعفي الإنسان من التزاماته قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦] فالإنسان معذور في عدم أدائه التزاماته بعدم الاستطاعة، فلا يكلف الإنسان بشيء لا يقدر على القيام به.

قال الإمام القرطبي: «وهذا خبر جزم نص الله تعالى على أنه لا يكلف العباد من وقت نزول الآية عبادة من أعمال القلب والجوارح إلا وهي في وسع المكلف وفي مقتضى إدراكه وبنيته، وبهذا انكشفت الكبرة عن لمسلمين في تأولهم أمر الخواطر»(٢).

فالآية تؤكد على قاعدة عامة أنه لا يكلف الشخص ما لا يمكنه ولا يستطيعه، وبناء على ذلك فإن

(١) الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، ص٩٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي؛ ومحمد رضوان العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٦، ٤ / ٤٩٨.

كان الوالد غير قادر على الإنفاق على تعليم ابنه أو ابنته فلا يلتزم بتعليمهم، أما إن كان أولي الأمر موفرين التعليم المجاني، وقاموا بتهيئة سبل تحصيله بلا مشقة هنا يكون الأب ملزمًا شرعًا بتعليم أبنائه الحد الأدنى للتعليم والذي يتوقف على متطلبات العصر، فإن كان القابسي رحمه الله قد وضع حدًّا أن يكون أقل تعليم للأبناء هو تعليمهم القرآن الكريم، فيمكن أن يتسع هذا الحد ليشمل مجالات أخرى للتعليم.

٢ـ إن كان للولد مال :

يقرر القابسي رحمه الله: إنه إذا كان للولد مال فينفق على تعليمه من ماله، وهي قاعدة عامة في الفقه في الإنفاق على الولد من ماله إن كان له مال مستقل عن مال أبيه أو وصيه.

يقول الإمام الخرقي: «يجبر الرجل على نفقة والدَيه وولده الذكور والإناث إذا كانوا فقراء وكان له ما ينفق عليهم، وكذلك الصبي إذا لم يكن له أب أجبر وارثه الذكور والإناث على نفقته على مقدار ميراثهم منه». (١)

أي أن النفقة تجب فقط في حالة فقر الولد سواء وجبت على الوالدين أو على أقاربه حسب درجاتهم في الميراث، فتجب على كل منهم حسب نصيبه في ميراث الصغير.

وكذلك يقول الكاساني رحمه الله: «إن من شرائط وجوب النفقة ـ ويقصد بها نفقة الأقارب ومن بينها نفقة الوالد على ولده ـ التي يجب أن تتوافر في المنفق عليه إعساره فلا تجب لموسر على غيره نفقة في قرابة الولاد وغيرها من الرحم المحرم، لأن وجوبها معلول بحاجة المنفق عليه، فلا تجب لغير المحتاج، ولأنه إذا كان غنيًّا لا يكون هو بإيجاب النفقة له على غيره أولى من الإيجاب لغيره عليه»(٢).

ويقول الماوردي: «إن نفقة الأولاد مواساة فوجبت مع العدم وسقطت مع الغنى، وإذا سقطت نفقة الأولاد بالغنى فسواء كان الولد ذكرًا أو أنثى لا يخلو حال ماله من أحد أمرين، إما أن يكون حاضرًا أو غائبًا، فإن كان حاضرًا فلا فرق بين أن يكون قد ملكه بواجب كالميراث أو بتطوع كالهبة والوصية، ولا فرق بين أن يكون ناضًّا أو عقارًا ناميًا، كان أو غير نامٍ فلو كان أبوه قد وهب له مالًا فما لم يقبضه الابن فنفقته على الأب فإذا أقبضه إياه سقطت نفقته عن الأب»(٣).

---

(١) متن الخرقي على مذهب أبي عبد الله أحمد بن حنبل، لأبي القاسم عمر بن الحسين الخرقي، تحقيق: أبي حذيفة إبراهيم بن محمد، دار الصحابة، طنطا، ١٩٩٣، ص١٢١.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبو بكر بن مسعود الكاساني الحنفي، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣، ٥ / ١٨١- ١٨٢.

(٣) الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤، ١١ / ٤٨٤.

فإذا كانت نفقة الصغير على الأبوين مشروطة بعدم إعسار الابن، وحيث إن نفقة التعليم تدخل ضمن النفقات عمومًا فإن كان للابن مال فإن الوالد لا يجبر على نفقة التعليم.

٣ـ التزام الدولة بتوفير الخدمة التعليمية :

الإمام ولي من لا ولي له، وهو المسئول عن إصلاح الناس والاهتمام بشئونهم والعمل على سد حاجاتهم المختلفة، وعليه أن يبذل ما في وسعه من أجل خير الرعية والارتقاء بالدولة وتقدمها، لذلك فإن الدولة الإسلامية على مر العصور قد اهتمت بالتعليم، وقد بدأ هذا الاهتمام من القائد الأول للأمة الإسلامية وهو رسول الله ﷺ.

فيروي الإمام أحمد أن ابن عباس قال: كان الناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء، فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة، قال: فجاء غلام يومًا يبكي إلى أبيه، فقال: ما شأنك؟ قال: ضربني معلمي، قال: الخبيث يطلب بذحل بدر والله لا تأتيه أبدًا[١].

وبهذا يعلن رسول الله ﷺ أهمية التعليم كأساس من أسس بناء الدولة وواجب الحاكم في العمل ـ حسب إمكانياته ـ على نشر التعليم بين الناس وتوفيره للجميع، واستغلال أية فرصة لنشر التعليم.

ثم استمر هذا الحال في عهد الخلفاء بداية من الخلافة الراشدة وعلى مدار عصور الدول الإسلامية التي اعتبرت التعليم ودعمه من واجبات الدولة.

فقد عني الخلفاء المسلمون منذ فجر العهد الأموي بالكتاب العربي وتكثيره ونشره بين الناس وإنشاء الخزائن التي تضم الكتب والدفاتر والسجلات كما عنوا بالحصول على كتب العلم القديمة لتكون مرجعًا لهم ولأولادهم، وكانوا يزودون المساجد الجامعة في كل إقليم بالخزائن التي تضم المصاحب وكتب العلم، وكان كثير من العلماء منذ زمن قديم يقفون كتبهم وأوراقهم ومخطوطاتهم على خزائن المساجد ودور العلم يتقربون بذلك إلى الله ويرجون نشر العلم ومعرفة أصحابه. [٢]

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت، مسند عبد الله بن عباس، رقم (٢٢١٦)، ٤ / ٩٢، قال المحقق شعيب الأرنؤوط حديث حسن، وعلي بن عاصم ـ وإن كان فيه ضعف– فقد توبع، ومن فوقه ثقات من رجال الصحيح.

(٢) التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين، عبد الله عبد الدائم، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤ ص ١٥٧.

سابعًا
دعم التعليم الإبداعي والنقدي والبحث العلمي والابتكارات

تعتبر مهارات التفكير بأشكاله المتعددة من أهم الجوانب التي اهتم الشرع الإسلامي بتنميتها لدى الإنسان، وقد دعا الله سبحانه وتعالى للإنسان أن يتفكر في كل من حوله ليرى دلائل وجود الله ووحدانية عز وجل، كما ناقش القرآن الكريم العديد من الحجج وأظهر القدرات العقلية المختلفة للإنسان في القرآن الكريم وأشاد بها.

يقول الفيروزآبادي رحمه الله: «الفكر قوة مطرقة للعلم إلى المعلوم، والتفكر: جريان تلك القوة بحسب نظر العقل، وذلك مختص بالإنسان دون الحيوان، ولا يقال إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة في العقل، ولهذا قيل: تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله، إذ كان منزها أن يوصف بصورة قال تعالى ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِم﴾ [الروم: ٨]، ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥]... وقال المشايخ: الفكرة فكرتان: فكرة تتعلق بالعلم والمعرفة وفكرة تتعلق بالطلب والإرادة، فالتي تتعلق بالعلم والمعرفة فكرة التمييز بين الحق والباطل، والثابت والمنفي، والفكرة التي تتعلق بالطلب والإرادة هي الفكرة التي تميز بين النافع والضار، ثم تترتب عليها فكرة أخرى في الطريق إلى حصول ما ينفع فيسلكها، وطريق ما يضر فيتركها». (١)

يتضح من كلام الإمام أن هناك نوعين من الأفكار فكرة ناقضة تساعد على التمييز بين الحق والباطل، وبين النافع والضار، أي أنها فكرة تسعى لتقييم الأشياء فتميز بينها وهو التفكير الناقد، وفكرة تسعى إلى حصول ما ينفع وهذه الأخيرة تتطلب توضيح الطرق التي يسلكها الإنسان لتحصيل النفع وتجنب الضرر، وهذه الأخيرة تتطلب الإبداع والابتكار.

١ـ التعليم النقدي في الإسلام :

التفكير الناقد هو تفكير تأملي محكوم بقواعد المنطق والتحليل، وهو نتاج لمظاهر معرفية متعددة كمعرفة الافتراضات والتفسير وتقويم المناقشات والاستنباط والاستنتاج والتفكير الناقد عملية تقويمية

(١) بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي مرجع سابق، ص٢١٢.

تستخدم قواعد الاستدلال المنطقي في التعامل مع المتغيرات كما يعد عملية عقلية مركبة من مهارات وميول، والمفكر الناقد يعتمد التمحيص الدقيق للمعلومات المتوافرة للفرد وفق قواعد المنطق وبطريقة تدريجية بغية التوصل إلى نتائج سليمة ودقيقة ونجاحها في جميع معايير التدقيق والنقد الذاتي والخارجي[١].

والتفكير النقدي يعني عدم التحيز أو عدم إصدار أحكام مسبقة دون فحص وإنما يخضع أي شيء للدراسة وفقًا لقواعد علمية واضحة ثم الخروج برأي حول الموضوع إما بالتأييد أو الرفض.

وأول معنى للموضوعية هو أن تكون لدى المرء روح نقدية، ومعنى ذلك ألا يتأثر بالمسلمات الموجودة أو الشائعة، وأن ينقد نفسه ويتقبل النقد من الآخرين، فأهم ما يميز العالم قدرته على أن يختبر الآراء السائدة سواء على المستوى الشعبي العادي أو في الأوساط العلمية أو كليهما معًا بذهن ناقد، لا ينقاد وراء سلطة القدم أو الانتشار أو الشهرة، ولا يقبل إلا ما يبدو له مقنعًا على أسس عقلية وعلمية سليمة، ولا يعني ذلك أن يقف المرء موقف العناد المتعدي على كل ما هو شائع، بل يعني اختبار الآراء الشائعة وإخضاعها للفحص العقلي الدقيق، وربما عاد إلى قبولها آخر الأمر بعد أن يكون قد اطمأن إلى أنها اجتازت هذا الاختبار، أما لو تبين له ضعف أو تناقض أو تفكك في هذه الآراء، فإنه يتمسك بموقفه الجديد بكل ما يملك من تصميم وإصرار، مهما كانت التضحيات التي يعانيها في سبيل هذا الموقف.[٢]

يتضح من ذلك أن التعليم النقدي هدفه تقييم الأمور بطريقة منطقية قائمة على أسباب وأسس مقبولة عقلًا، وهذا النوع من التفكير ورد كثيرًا في القرآن الكريم والسنة النبوية، وهذا التفكير هو أبرز ما دعا إليه القرآن الكريم وأخذ على الكافرين تسليمهم بموروثهم الفكري والديني دون التفكير فيه، أو تقييمه وفق منهج عقلي سليم.

قال تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

وكما يتبعون آبائهم في العقيدة فهم أيضًا يتبعونهم في سلوكهم ومعاصيهم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ * قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٨- ٢٩].

---

(١) تنمية مهارات التفكير نماذج نظرية وتطبيقات عملية، عدنان يوسف العتوم؛ وعبد الناصر ذياب الجراح؛ وموفق بشارة، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ٢٠٠٩، ص٧٣.

(٢) التفكير العلمي، فؤاد زكريا، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٤، ص١٦٣.

٢ـ التعليم الإبداعي والابتكار:

الابتكار والإبداع هما وجهان لعملة واحدة أو يمكن القول: إن الابتكار هو شكل من أشكال الإبداع إن لم يكن هو المرادف للإبداع.

فالإبداع هو ملكة يتأتى من خلالها اكتشاف شيء جديد لم يسبق إليه المبدع[١]، وهو القدرة على إنتاج أي عمل بحيث يتصف بالجدة أي الأصيل والجديد واللامتوقع والملاءمة أي القابلية للتوظيف الاستخدام والتكيف مع متطلبات أداء أية مهمة. [٢]

أما الابتكار هو منهج في التفكير وأسلوب في الحياة، وهو لا يقتصر على مجال معين، كما أنه لا يخص دون الآخر، فكما أن لكل فرد قدرًا من الذكاء؛ فإن لكل فرد قدرًا من الإمكانيات الابتكارية، فالابتكار هو تلك العلمية التي يقوم بها الفرد، والتي تؤدي إلى اختراع شيء جديد بالنسبة له، وهو قدرة الفرد على الإنتاج إنتاجًا يتميز بأكبر قدر من الطلاقة الفكرية، والمرونة التلقائية، والأصالة، وبالتداعيات البعيدة، وغير ذلك كاستجابة لمشكلة أو موقف مثير، أو هو القدرة على إنتاج أفكار، أو تصورات، أو تكوينات جديدة تقبل على أنها مفيدة، وتتسم بالجدة والأصالة، والتنوع، واستمرارية الاثر كاستجابة لمشكلة أو موقف مثير. [٣]

وكما دعا القرآن الكريم إلى التفكير الناقد فقد دعا إلى التفكير الإبداعي والابتكاري، ولعل من أظهر ما جاء في القرآن الكريم يدل على التفكير الإبداعي ما جاء في قصة ذي القرنين عندما بنى السد، قال تعالى: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ۞ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا﴾ [الكهف: ٩٧]، وكذلك الحل الذي قدمه يوسف عليه السلام للمواجهة السنين العجاف التي رآهم الملك في منامه، قال تعالى ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ۞ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ۞ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف: ٤٧- ٤٩].

٣ـ البحث العلمي:

والنقد والابتكار هما عنصران أساسيان في البحث العلمي، فإذا كان النقد يعتمد على الموضوعية

(١) الإبداع العلمي، دراسة تأصيلية، أحمد بن علي القرني، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة ١٤٢٨هـ، ص١٧.

(٢) المرجع في علم نفس الإبداع، روبرت ستيرنبرج، ترجمة خالد عبد المحسن، ومحمد نجيب الصبوة، وأيمن عامر وفؤاد أبو المكارم، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥، ص١٩.

(٣) القاموس العربي الأول لمصطلحات علوم التفكير، عيسى سعد العوفي، وعبد الرحمن علوي الجميدي، ديبونو للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٠، ص١٥.

في التحليل والتقييم وبناء النتائج على أسبابها دون تحيز للموروث فإن النقد يؤدي إلى الإبداع والابتكار، فرفض الموروث هو الخطوة الأولى للأبداع، والذي ينتج عنه أفكار جديدة تخرج عن المألوف وهو الابتكار، فالنقد والابتكار جزء من أي بحث علمي.

حيث يتصف البحث العلمي بمجموعة مترابطة من الخصائص الأساسية التي لابد من توافرها لتحقق أهدافه والتي تتمثل في الموضوعية، والاختبارية، والدقة، وإمكانية تكرار النتائج والتبسيط، والاختصار، وأن يكون للبحث العلمي غاية أو هدف واستخدام نتائج البحث لاحقًا في التنبؤ بحالات ومواقف متشابهة. (١)

وقد أكد علماء الإسلام على أهمية البحث العلمي والاشتغال بالتصنيف والجمع والتأليف فيقول ابن جماعة رحمه الله: إن من آداب العالم «الاشتغال بالتصنيف والجمع والتأليف، لكن مع تمام الفضيلة وكمال الأهلية، فإنه يطلع على حقائق الفنون ودقائق العلوم للاحتياج إلى كثرة التفتيش والمطالعة والتنقيب والمراجعة، وهو كما قال الخطيب البغدادي: يثبت الحفظ ويذكي القلب ويشحذ الطبع ويجيد البيان، ويكسب جميل الذكر وجزيل الأجر ويخلده إلى آخر الدهر»، والأولى أن يعتني بما يعم نفعه وتكثر الحاجة غليه، وليكن اعتناؤه بما لم يسبق إلى تصنيفه متحريًا إيضاح العبارة في تأليفه معرضًا عن التطويل الممل والإيجاز المخل مع إعطاء كل مصنف ما يليق به ولا يخرج تصنيفه من يده قبل تهذيبه وتكرير النظر فيه وترتيبه». (٢)

فقد لخص ابن جماعة رحمه الله آداب وأصول البحث وهي تمام الفضيلة وكمال الأهلية وفي ذلك إشارة إلى تحلي الباحث بالأخلاق الفاضلة التي تمنعه من التعدي في بحثه سواء بسرقة مجهود غيره أو بالانحياز والتدليس فيما يعرضه من أدلة وبراهين، أما الأهلية فتشير إلى قدرته العلمية في المجال الذي يبحث فيه، وهو ما وضحه بعد ذلك بالنصيحة التي قدمها للباحث وهي كثرة التفتيش، والمطالعة، والتنقيب.

وكذلك أشار إلى أهمية أن يكون البحث مبتكرًا، فأكد على أهمية أن الأصالة في البحث حيث أكد على أهمية اعتنائه بما لم يسبق إلى تصنيفه، لأن الإبداع والابتكار في البحث العلمي هو ما يعطيه القيمة العلمية والأصالة، ثم تكلم عن صياغة البحث العلمي بشكل متوازن بين التطويل الممل والإيجاز المخل، ثم أخيرًا المراجعة المدققة للبحث للتعديل سواء بالإضافة أو الحذف أو إعادة الترتيب.

---

(١) مناهج وأساليب البحث العلمي النظرية والتطبيق، ربحي مصطفى عليان، وعثمان محمد غنيم، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٠، ص٢٣.

(٢) تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، ابن جماعة، مرجع سابق، ص٦٠.

الخاتمة
نسأل الله حسنها

تناول البحث موضوع أحكام إلزامية التعليم بشقيه الديني والدنيوي على كلا الجنسين في الإسلام، حيث اهتم الإسلام بتعليم المسلمين، والارتقاء بالتعليم في كافة المجالات التي يعتبرها الإسلام من قبيل العلم، فكانت النتيجة سيادة المسلمين على العالم، وقيادتهم الحركة العلمية العالمية لفترات طويلة من الزمن قبل ضعف الحضارة الإسلامية نتيجة لابتعاد المسلمين عن أصولهم الإسلامية التي تدعو إلى العلم والتعليم، فأهملوا التعليم بجانبيه الشرعي، والدنيوي فتخلفوا في حياتهم، وتراجعت أخلاقيًّا وروحيًّا.

فإذا كان السبب في التخلف هو الابتعاد عن أصول الإسلام وإهمال العلم، لذلك ساد الجهل، وظهرت اتجاهات منحرفة بعضها يدعو إلى التطرف تحت مسمى التمسك بالشرع والرجوع إلى الأصول، أو الاتجاه الآخر وهو الادعاء بأن سبيل التقدم، واللحاق بركب الحضارة هو التخلي عن الإسلام، والسير في ركب الدول المتقدمة.

وكلا الطرفين يجهل أو يتجاهل حقيقة الإسلام؛ فالإسلام دعا إلى العلم وقت أن ساد العالم الجهل والتخلف، ولكنه أقام العلم على أسس عقائدية وأخلاقية يفتقدها العلم الحديث في وقتنا الحالي، وبالتالي ضبط العلم وفق الحاجات والضرورات الفردية، والاجتماعية، وجعل العلم واجب على الأفراد أن يحصلوه، وكذلك هو حق لهم يجب توفيره لكل المسلمين.

وبناء على ذلك يمكن النظر لإلزامية التعليم سواء من حيث المستوى التعليمي، أو موضوع العلم نفسه، فيمكن إلزام الناس بتعليم أبنائهم لمستوى معين، مثل المرحلة الثانوية مثلًا، وكذلك يجوز إلزام الطلاب بالتوجه لنوع معين من التعليم يحتاجه المجتمع، مثل الطب، أو الزراعة، أو صناعة معينة تظهر الحاجة إليها مع وجود تقصير في تعليمها.

نتائج الدراسة :

١ـ يرتبط مفهوم التعليم بمفهوم التربية ارتباطًا كبيرًا فهما مفهومان متقاربان فالتعليم والتربية يهدفان إلى تنمية أخلاق الفرد ومواهبه المختلفة.

٢ـ يرتبط مفهوم التعليم بمفهوم التزكية من حيث إن التعليم هو تزكية للنفس من الجهل وما يترتب عليه من آثار.

٣ـ يرتبط مفهوم التعليم بالتنوير والتثقيف بمفهومهما الإسلامي حيث إن التعليم يؤدي إلى زيادة المعرفة والقدرات الذهنية المختلفة وهو بذلك يقترب من مفهوم التنوير والتثقيف.

٤ـ ينقسم التعليم باعتبار أهدافه إلى علوم شرعية وعلوم غير شرعية، وباعتبار مجالاته إلى تعليم نظري وتعليم عملي، وباعتبار موضوعاته حسب موضوع التعليم الذي يتناوله ومنها علوم التفسير وعلوم الحديث وعلوم الفقه وعلوم اللغة.

٥ـ تتعدد موضوعات التعليم وتزداد بتقدم الزمن الأمر الذي يجعل حصر موضوعات العلم صعبًا إن لم يكن مستحيلًا.

٦ـ يحتل العلم مكانة كبيرة سواء في القرآن الكريم أو السنة النبوية، وهذا ما أكدت عليه أقوال العلماء المسلمين.

٧ـ يجوز لولي الأمر وضع حد أدنى للتعليم وإلزام الرعية بتحصيله لما فيه من تحقيق مصلحة معتبرة تتمثل في تحصيل منافع العلم ودفع ضرر الجهل، وهي مصلحة معتبرة سواء في تعليم الذكور أو تعليم الإناث.

٨ـ التعليم يعتبر واجبًا من جهة ضرورته للأمة الإسلامية كما يعتبر حقًّا باعتبار حق كل طالب علم في الحصول على قدر من التعليم يتناسب مع قدراته.

٩ـ يعتبر التعليم بشكل عام من الضرورات التي لا غنى عنها في سلم الضرورات والحاجات والتحسينات، إلا أن تصنيف كل علم يتوقف على حاجة المجتمع والأفراد لهذا العلم.

١٠ـ يعتبر الفقه الإسلامي أن تعليم القرآن الكريم وما يحتاجه الفرد في عقيدته وعبادته من النفقات الواجبة على المسؤول عنها بينما تتوقف الزيادة في التعليم على حالة المنفق وإمكانياته.

١١ـ الإبداع والابتكار والبحث العلمي من الأمور التي حث عليها الإسلام وأكد عليها الفقهاء والمربون المسلمون، ومن هنا وجب دعم التعليم الإبداعي، والنقدي، والبحث العلمي والابتكارات.

التوصيات :

١ـ توعية الناس بمكانة العلم في الإسلام وأهميته لارتقاء المجتمع لزيادة حرصهم على تعليم أبنائهم.

٢ـ مراعاة أن يشمل التعليم الإلزامي في المدارس كل ما هو ضروري ونافع للطالب في دينه ودنياه.

٣ـ توفير الخدمة التعليمية المجانية لكافة الفئات وفي كافة المناطق وتيسير حصول الطلاب عليها مهما كانت قدراتهم المادية.

٤ـ الاهتمام بشكل خاص بالعلوم الشرعية في مراحل التعليم الإلزامي وضمان جودة تحصيل الطلاب لها وذلك لتحصين الطالب ضد الأفكار المنحرفة المتطرفة منها وكذلك المحاربة للدين، وذلك عن طريق تعريفه كيفية تحصيل العلم الصحيح من مصادره الصحيحة.

٥ـ متابعة أحوال انتظام الطلاب في المدارس في المراحل الإلزامية، والبحث في المعوقات التي تحول دون حصولهم على التعليم الإلزامي.

٦ـ تنشيط البحث العلمي والابتكارات في كافة المجالات بما يحقق ارتقاء المجتمعات الإسلامية وريادتها في مجال العلوم.

قائمة المراجع

ـ **الإبداع العلمي**، دراسة تأصيلية، لأحمد بن علي القرني، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة **١٤٢٨**هـ.

ـ **إتحاف ذوي البصائر بشرح روضة الناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل**، لعبد الكريم بن علي بن محمد النملة، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، **١٩٩٦**، ٤/ ٣٠٧.

ـ **الإتقان في علوم القرآن**، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، **٢٠٠٨**م.

ـ **آداب العالم والمتعلم والمفتي والمستفتي وفضل طالب العلم**، للإمام النووي، مكتبة الصحابة، طنطا، **١٩٨٧**م.

ـ **الأم**، لمحمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: رفعت فوزي عبد المطلب، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، **٢٠٠١**م.

ـ **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**، لعلاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، **٢٠٠٣**م.

ـ **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: محمد علي النجار، لجنة إحياء التراث الإسلامي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، **١٩٩٢**م.

ـ **تاج العروس من جواهر القاموس**، للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، الجزء **٣٣**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت **٢٠٠٠**م.

ـ **تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم**، لبدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، **٢٠١٢**م.

ـ **التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين**، لعبد الله عبد الدائم، دار العلم للملايين، بيروت، **١٩٨٤**م.

ـ **تفسير ابن عطية**، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، دار ابن حزم، د.ت.

ـ **تفسير الطبري**، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير الطبري، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، **٢٠٠١**م.

ـ **تفسير الفخر الرازي**، لمحمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر، دار الفكر، دمشق، **١٩٨١**م.

ـ **التفكير العلمي**، لفؤاد زكريا، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، **٢٠٠٤**م.

ـ **تنمية مهارات التفكير نماذج نظرية وتطبيقات عملية**، لعدنان يوسف العتوم؛ وعبد الناصر ذياب الجراح؛ وموفق بشارة، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، **٢٠٠٩**م.

ـ **الجامع الكبير**، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، **١٩٩٦**م.

ـ **الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان**، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي؛ ومحمد رضوان العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، **٢٠٠٦**م.

ـ **الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه**، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، **١٩٩٤**م.

ـ **حول التربية والتعليم**، لعبد الكريم بكار دار القلم، دمشق، **٢٠١١**م.

ـ **الخلاصة في معرفة الحديث**، لشرف الدين أبي محمد الحسين بن محمد بن محمد بن عبد الله الطيبي الدمشقي، تحقيق: أبي عاصم الشوامي الأثري، المكتبة الإسلامية للنشر، القاهرة، **٢٠٠٩**م.

ـ **الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين**، تحقيق: أحمد خالد، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، **١٩٨٦**م.

ـ **سنن أبي داود**، لأبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، بيروت.

ـ **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها**، لأحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، **١٩٩٧**م.

ـ **عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي**، ابن العربي المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

ـ **الغزالي (٢٠٠٥) إحياء علوم الدين**، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي، دار ابن حزم، بيروت، **٢٠٠٥**م.

ـ **القاموس العربي الأول لمصطلحات علوم التفكير**، لعيسى سعد العوفي، وعبد الرحمن علوي الجميدي، ديبونو للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، **٢٠١٠**م.

ـ **كتاب المجموع شرح المهذب للشيرازي**، لأبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي، تحقيق: محمد نجيب المطيعي، مكتبة الإرشاد، جدة، د.ت.

ـ **متن الخرقي على مذهب أبي عبد الله أحمد بن حنبل**، لأبي القاسم عمر بن الحسين الخرقي، تحقيق: أبي حذيفة إبراهيم بن محمد، دار الصحابة، طنطا، **١٩٩٣**م.

ـ **المرجع في علم نفس الإبداع**، روبرت ستيرنبرج، ترجمة خالد عبد المحسن، ومحمد نجيب الصبوة، وأيمن عامر وفؤاد أبو المكارم، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، **٢٠٠٥**م.

ـ **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت.

ـ **معجم التعريفات**، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، **٢٠٠٤**م.

ـ **المعجم الوسيط**، لشعبان عبد العاطي عطية وآخرين، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، **٢٠٠٤**م.

ـ **معجم علوم القرآن علوم القرآن**، التفسير، التجويد، القراءات، إبراهيم محمد الجرمي، دار القلم، دمشق، **٢٠٠١**م.

ـ **معجم مقاييس اللغة**، لأحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، دمشق، د.ت.

ـ **مقدمة ابن خلدون**، عبد الرحمن بن خلدون تحقيق: عبد السلام الشدادي، خزانة ابن خلدون، بيت الفنون والعلوم والآداب، الدار البيضاء، **٢٠٠٥**م.

ـ **مناهج وأساليب البحث العلمي النظرية والتطبيق**، لربحي مصطفى عليان، وعثمان محمد غنيم، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، **٢٠٠٠**م.

ـ **الموافقات**، الشاطبي، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، الخبر، **١٩٩٧**م.

ـ **الموضوعات**، لابن الجوزي، عبد الرحمن محمد، تحقيق: محمد عبد المحسن، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، **١٩٦٦**م.

ـ **النبي المربي**، لأحمد رجب الأسمر، دار الفرقان للنشر والتوزيع، **٢٠٠١**، ص **٣٢٣**.

بحث فضيلة الشيخ أبو بكر سيد عبد الله جمل الليل

عضو المجمع

مفتي جمهورية القمر المتحدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله الذي فضّل بني آدم بالعِلم والعقل، وكرّمه بإرسال الرُّسل وإنزال الكتب، والصّلاة والسّلام على نبيّنا محمّد، سيّد العرب والعجم، وعلى آله وأصحابه ينابيعِ العلومِ والحِكم، وسلّم تسليمًا كثيرًا.

أمّا بعد،

فإنّ تميُّز الشخصيّة الإسلاميّة في جميع مجالات الحياة وأنشطتها إنما يعود في الأصل إلى تميُّز الفكر الإسلامي في رؤيته للكونِ بشموله، والإنسانِ بأعماقه، ومعالجته لقضايا الحياة بأكملها؛ وذلك يعود بالأخصِّ إلى تميُّز نظريّة الفكر الإسلامي في التربية والتعليم عمّا سواها من نظريات، بدوافعها وأهدافها وطرائقها.

إنّ التربية والتعليم هما الأساس في بناء الأمم، وتطوّر الحضارات، ورقيّ الأفراد، وتعقد الدُّول الآمال على التربية والتعليم في تحقيق التقدُّم والتطوُّر وتنمية الفرد والمجتمع؛ فبالعلم تنضج العقول وتولد عظيمُ الأفكار، ويتم البناء والإعمار؛ فالتربية والتعليم تصنع الأجيال الصّاعدة التي تبني المجتمعات والأوطان، وتغيّر من ثقافة المجتمعات وحالتهم المعيشية من الفقر إلى الغنى، سواءٌ أكان هذا الغنى بالموارد البشرية أم المادية.

وإذا كان الفكر هو الموجِّه لحركة المجتمع؛ فإنّ التعليم هو الأساس الأول لرقيّ الفكر وتطوّره؛ فبقدر تطوّر التعليم وتقدُّمه في المجالات جميعًا، يرتقي الفكر ويستقيم أمره ويقوم بدوره على النحو الذي يؤثّر التأثير العميق في البناء الحضاري والنماء الاقتصادي والحراك الاجتماعي.

فالعلم منير الظلمة، وكاشف الغمة، وباعث النهضة، وهو سلاحٌ لكلِّ فردٍ ولكلِّ مجتمعٍ يريد أن يتحصن ويهابه العدو، وهو أساس سعادة الفرد، ورفاهية المجتمع ورخاء الشعوب، والبشر جميعًا.

ولا يخفى شرفُ العِلم على أحدٍ؛ إذ هو المختصُّ بالإنسانيّة؛ لأنّ جميع الخصال سوى العلمِ يشترك فيها الإنسانُ وسائرُ الحيوانات، كالشّجاعة، والقوة، والجود، والشفقة، وغيرها، وبه أظهر الله تعالى فضل آدم عليه السلام على الملائكة، وأمرهم بالسجود له[1].

(١) ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ [البقرة:٣٤، الإسراء:٦١، الكهف:٥٠، طه:١١٦].

لقد استشعر «**مجمع الفقه الإسلامي الدّولي - بجدّة**» أهمية التعليم ولزومه؛ فاختار هذا الموضوع؛ ليكون ضمن موضوعات البحث والدّراسة في الدورة الخامسة والعشرين لمؤتمر المجمع؛ المقرّر عقده في مدينة جدة، من **١٩-٢٥** فبراير **٢٠٢٣**م؛ تأكيدًا على أهميّة ترسيخ واجب التّعليم وتجذيره ولزومه، والتحوُّل به من ثقافة النُّخبة إلى ثقافة شعبيّة عامّة، وعملًا على تأصيل نظريّة فقهيّة معاصِرة ترسِّخ لإلزاميّة التعليم بشقّيه الدّيني والدنيوي على كلا الجنسين، وتعمل على تحقيق آثاره ونتائجه في الفرد والمجتمع؛ تأكيدًا لرسالة مجمع الفقه الإسلامي الدولي في عرض الشريعة الإسلاميّة عرضًا صحيحًا معتدلًا، وإبراز مزاياها، وقدرتها التامّة على معالجة مشكلات الحياة، وعلى تحقيق السعادة والاستقرار والأمن والأمان للإنسان في الدنيا والآخرة.

فكان هذا البحث العلمي المقدّم إلى هذا المؤتمر؛ بعنوان «**إلزاميّة التّعليم بشقّيه الدّيني والدُّنيوي على كلا الجنسين في الإسلام**».

وقد جعلته في مقدّمة وستة مباحث وخاتمة، على النحو الآتي:

المبحث الأول: مفهوم التعليم والتربية والعلاقة بينهما
المبحث الثاني: مكانة التعليم وأهميته في الكتاب والسنة والآثار
المبحث الثالث: مجالات التعليم وآثاره ونتائجه على الفرد والمجتمع
المبحث الرابع: حكم إلزامية التعليم بشقيه على الجنسين
المبحث الخامس: موقع التعليم في سلّم المصالح والحقوق
المبحث السادس: الإنفاق على التعليم
الخاتمة: وفيها مشروع قرارات وتوصيات

أسألُ المولى تعالى أن يكُون التّوفيقُ والنجاحُ حليف هذا المؤتمر، وأن ينفع الله بهذا الجهد المتواضِع، وأن يحفظ اللهُ بلاد الحرمين الشريفين المملكة العربية السعودية -قيادةً وحُكومةً وعُلماءً وشعبًا-، وسائر بلاد المسلمين، ويديم عليهم الأمن والرّخاء والتنمية والاستقرار؛ ويحفظ الله العالم أجمع؛ إنه سميعٌ مجيب.

الشيخ أبو بكر سيد عبد الله جمل الليل
مفتي جمهورية القمر المتحدة
موروني، بتاريخ ٣٠/ ١/ ٢٠٢٣م

المبحث الأول
مفهوم التعليم والتربية والعلاقة بينهما

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: مفهوم التعليم

وفيه فرعان

الفرع الأوّل: مفهوم التعليم لغةً

التّعليم في اللغة: مشتقٌّ من الفعل علّم، وعلّمه الشيء تعليمًا فتعلّم، بمعنى جعله يعلم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة:٣١]، وعلِم الشّيء -بِالكسرِ- يعلمُهُ عِلمًا، أي عرفهُ وتيقّنه. وعلّمه الكتابة والرماية، بمعنى درّبه عليها.

قال ابن فارس (ت**٣٩٥**هـ): «العينُ واللّامُ والمِيمُ أصلٌ صحِيحٌ واحِد، يدُلُّ على أثرٍ بِالشّيءِ يتميّزُ بِهِ عن غيرِهِ» قال: «والعِلمُ: نقِيضُ الجهل... وتعلّمتُ الشّيء، إذا أخذتُ عِلمه، والعربُ تقُولُ: تعلّم أنّهُ كان كذا، بِمعنى اعلم»[(١)]. وقال في الصحاح: «وعلّمهُ الشّيء، تعلِيمًا، فتعلّم، وليس التّشدِيدُ هُنا لِلتّكثِيرِ، بل لِلتّعدِية. ويُقالُ أيضًا: تعلّم بِمعنى اعلم»[(٢)]. فالتعليم في اللغة يأتي بمعنى التعريف والتلقين والتفهيم والتدريب.

الفرع الثاني: مفهوم التعليم اصطلاحًا

يعرّف التعليم بعبارات كثيرة، ونرى أن نعرِّف التعليم اصطلاحًا بوجهين، عام وخاصّ.

فالتّعليم بوجهٍ عام: هو عمليّة تيسير التعلُّم، وهو اكتساب المعرفة والمهارات والمبادئ والمعتقدات والعادات، التي تساعد على تحقيق الأهداف. يحدث التعليم في وضع نظامي أو وضع غير نظامي، وهي عملية تأخذ عدة سنوات أو تستمرُّ مدى الحياة[(٣)].

---

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ٤/ ١٠٩.

(٢) الرازي، مختار الصحاح، ص٢١٧.

(٣) موقع اليونيسكو www.unesco.org

وأمّا التّعليم بوجهٍ خاصّ: فيعرّف أنّه: عملية منظّمة ترمي إلى اكتساب الشخص المتعلّم الأسُس العامّة البانية للمعرفة، ويتمُّ ذلك بطريقةٍ منظّمةٍ ومقصودةٍ وبأهدافٍ محدّدة ومعروفة(١).

يحدث التّعليم بوجه عام داخل المؤسّسة التعليمية أو خارجها، وهو عمليّة شاملة؛ فيشتمل على المهارات، والمعارف، والخبرات، كالسباحة، وقيادة السيارة، والحساب، والكيمياء، والشجاعة، والأخلاق، وما إلى ذلك، كما يُطلَق مصطلح التعليم على كل عملية تتضمن تعليم الأفراد، سواء كان ذلك بطريقةٍ مقصودة أو غير مقصودة؛ حيث إنّه من الممكن أن يكون مخطّطًا له بشكلٍ مُسبَق، أو أنّه حدث في التو واللحظة دون تخطيطٍ مسبقٍ؛ كأن يتعلّم الفرد أمورًا جديدة من متابعته لفيلمٍ معيّنٍ على التلفاز.

التّعليم وسيلةٌ لا غاية، فهي وسيلةٌ لتنمية قدرة الأفراد وتطويرها على التفكير الصّحيح، والتصرُّفِ بشكلٍ سليم، وتقدير الحياة، كما أنّه السِّلاح الذي سيمكِّن الأفراد من الاستخلاف في الأرض وعمارتها، وتغيير العالم نحو الأفضل؛ من أجل تحقيق السّعادة والفلاح للإنسان في الدُّنيا والآخرة. قال الزرنوجي (ت٥٩١هـ): «وإنما شرُف العلم بكونه وسيلة إلى البرّ والتقوى، الذي يستحقُّ بها المرء الكرامة عند الله، والسّعادة الأبديّة»(٢).

المطلب الثاني: مفهوم التربية

وفيه فرعان

الفرع الأوّل: مفهوم التربية لغة

استُخدِمت كلمة التربية في المعاجم العربيّة لعدّةِ معان، يمكن إرجاعها إلى أصولٍ خمسة:

١- **النماء والزيادة**: مِن ربا يربُو بمعنى زاد ونما، يقول ابن منظور: «وربّ المعروف والصّنيعة والنِّعمة، أي: نمّاها وأتمّها وأصلحها»(٣).

٢- **النشأة**: قال ابن منظور (ت٧١١هـ): «ربى يربي على وزن خفي يخفى، أي: نشأ وترعرع، وعليه قول ابن الأعرابي: فمن يكون سائلًا عني فإني بمكة منزلي، وبها ربيت»(٤).

٣- **الحفظ والرعاية**: قال تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ [الشعراء:١٨]، أي «ألم ننعم عليك ونقم بتربيتك منذ كنت وليدًا في مهدك ولم تزل كذلك، ولبثت فينا من عمرك سنين»(٥).

---

(1) "education", https://www.dictionary.com, Retrieved 30-3-2022

(٢) الزرنوجي، تعليم المتعلم طريق التعلم، ص٦١-٦٢.
(٣) ابن منظور، لسان العرب ١/ ٣٩٩.
(٤) ابن منظور، لسان العرب ١٤/ ٣٠٤.
(٥) السعدي، تيسير الكريم الرحمن ١٩/ ٣٦٧.

٤- الإصلاح: قال ابن فارس (ت**٣٩٥**هـ): «الرّاءُ والباءُ يدُلُّ على أُصُول. فالأوّلُ: إصلاحُ الشّيءِ والقِيامُ عليه. والرّبُّ: المُصلِحُ لِلشّيء. يُقالُ: ربّ فُلانٌ ضيعته، إذا قام على إصلاحِها»(١). ونقل ابن سيّده عن أبي عبيد: «ربيتُ الزقّ بالربّ، أصلحته بِهِ»(٢).

٥- الرسوخ في العلم: قال ابن فارس (ت**٣٩٥**هـ): «والرِّبِّيُّ: العارِفُ بِالرّبِّ»(٣). وقال ابن منظور (ت**٧١١**هـ): «الرّباني: قال ابن الأثير: هو منسوب إلى الرّبِّ بزيادة الألف والنون للمبالغة، قال: وقيل: هو من الرّبِّ بمعنى التربية، كانوا يُربُّون المُتعلِّمين بِصغار العُلوم قبل كبارِها، والرّبّانِيُّ العالم الرّاسِخُ في العِلم والدين، أو الذي يطلُب بِعلمِه وجه الله، وقيل: العالِم العامِلُ المُعلِّم، وقيل: الرّبّانِيُّ العالي الدّرجةِ في العِلم. قال أبو عبيد: سمعت رجلًا عالمًا بالكُتب يقول الرّبّانِيُّون العُلماءُ بالحلال والحرام والأمرِ والنّهي»(٤).

الفرع الثاني: مفهوم التربية اصطلاحًا

التربية اصطلاحًا هي: عملية تنمية وظائف الإنسان العقليّة والجسمية والخُلقية حتى تكتمل، من التعليم والتثقيف والتدريب. فهي «كلُّ عمليّة أو مجهودٍ أو نشاطٍ تؤثّر إيجابًا في سلوك الإنسانِ أو تكوينه، أيًّا كان مصدر هذه العمليّة: سواءٌ أكان الإنسان بنفسه، أم البيئة الطبيعية، أم المجتمع الذي يعيش فيه»(٥).

فالإنسان يخضع باستمرار لعمليات تغيير في تكوينه الجسمي والعقلي والنفسي والخلقي والاجتماعي، فغاية التربية هي مساعدة الإنسان على تنمية ملكاته وقدراته واستعداداته ودوافعه جميعها، وتكييفها، وإيجاد التوازن بينها وبين البيئة التي يعيش فيها.

التربية طريقة لإعداد الإنسان الصّحيح والصّالح والمتميّز بسلوكه الفكري والإنساني، والقادر على توظيف مصادر المعرفة لديه في حل مشاكله ومشاكل مجتمعه.

المطلب الثالث: العلاقة بين التربية والتعليم

تربط بين التربية والتعليم علاقة ضرورية وحتميّة، متكاملة الأهداف والغايات، ولا يمكن الفصل بينهما إلاّ لضرورة البحث.

فالتعليم هو بدايةُ الطريق للتربية والتكامل على مستوى النفس، والتربية هي تنمية سلوك الفرد وترقيه نحو القِيم العليا، وإنها لا تستقيم إلاّ بالتعليم والعكس صحيح.

---

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ٢/ ٣٨١.
(٢) ابن سيده، المخصص ٣/ ١٠.
(٣) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ٢/ ٣٨٢.
(٤) لسان العرب، ابن منظور ٣/ ١٥٤٩ ط. دار المعارف.
(٥) مدخل إلى أصول التربية الإسلامية، محمد الدخيل، ص١٢.

والإسلام يحثُّ على تعلُّم وتعليم كلِّ علمٍ نافع للإنسان ولمجتمعه وللإنسانيّة جمعاء، فالمعلومات والمعارف من أهمِّ محتويات التربية الإسلامية، ونظرةُ الإسلام العميقة إلى اكتساب المعارف والعلوم ترفع عملية التربية والتعليم إلى درجة العبادة والقداسة.

والتعليم الجيِّد هو الذي يكون له هدفٌ تربويٌّ؛ ذلك أنه يحقِّق أهدافًا معرفية، وأخرى سلوكية قِيمِيّة في آنٍ واحد.

ويدلُّ على العلاقة الضّرورية والتلازم الحتميّ بين التربية والتعليم في الإسلام ما رواه الطبراني في الكبير عن أَبِي ثعلبة، قال: لقِيتُ رسُول اللهِ ﷺ، فقُلتُ: يا رسُول الله، ادفعنِي إلى رجُلٍ حسنِ التّعلِيم، فدفعنِي إلى أَبِي عُبيدة بنِ الجرّاحِ ثُمّ قال: «**قد دفعتُك إلى رجُلٍ يُحسِنُ تعلِيمك وأدبك**»[1].

ولهذا؛ فإنه يمكن أن نخلص إلى اعتبار التربية والتعليم من المصطلحات التي إذا اجتمعت افترقت، وإذا افترقت اجتمعت.

لكن عند البحث؛ فإنّ التربية والتعليم ليستا كلمتين مترادفتين، بل هما مختلفتان في بعض الوجوه ومرتبطتان في كثير من الوجوه؛ فالتربية تشمل التّعليم؛ إذ يمثِّل التعليم جزءًا من التربية.

التربية هي عملية تنمية متكاملة لكافة قوى الفرد وملكاته، بمختلف الأساليب والطرق؛ ليكون سعيدًا وعضوًا صالحًا في مجتمعه، وهي بذلك تشمل جميع جوانب شخصيته الروحية والعقلية والخُلقية والاجتماعية والوجدانية والجمالية والبدنية.

أما التعليم فهو - كجزء من العلمية التربوية الكاملة - يرمي أساسًا إلى تنمية عقل الفرد وتمكينه من اكتساب المعرفة والمهارات اللازمة لحياته، ودرايته بعلم ما، أو فنٍّ ما، أو حرفة أو مهنة ما ونحو ذلك.

يتّضح بهذا أنّ عملية التربية أكثر وأوسع شمولية وتكاملية من عملية التعليم[2]؛ إذ التربية تُعِدُّ الإنسان

---

(١) المعجم الكبير، للطبراني ١/ ١٥٧، برقم ٣٦٨.

(٢) حيث تقتضي التربية الإسلامية فروعًا متعددة ومتنوعة تتناول قوى الإنسان وملكاته كافة: تنمية لجسمه وحفظًا لصحته، وهي التربية البدنية-الصحية. وتقويمًا للسانه وإصلاحًا لبيانه، وهي التربية الأدبية. وتثقيفًا لعقله وتسديدًا لتفكيره وأحكامه، وهي التربية العقلية. وتزويدًا له بالمعلومات النافعة؛ للتعرف على الحقائق الكونية، وهي التربية العلمية. وترويضًا له على وسائل الكسب لعيشه، وهي التربية المهنية. وإيقاظًا لشعوره بجمال الكون والتعبير عن هذا الشعور، وهي التربية الفنية. وتعريفًا له بحقوق المجتمع وبما فيه من نظم وظواهر، وهي التربية الاجتماعية. ووصلًا لشعوره بالأخوة العالمية، وهي التربية الإنسانية. وإعدادًا لأعماله وعاداته أن تكون وَفق الاستقامة، وهي التربية الأخلاقية. وتساميًا بروحه إلى الأفق الأعلى، وهي التربية الروحية. انظر: مروان قباني، مقدمة تحقيق كتاب تعليم المتعلم طريق التعلم، للزرنوجي، ص١٣-١٤، نقلًا عن عبد الرحمن الباني، مدخل التربية، ص٧١-٧٢.

للحياة جميعها، في حين أن التعليم يُعِدُّ الإنسان لحرفة أو لمهنة أو لشيء معين[١].

ولهذا؛ فإنّ مجرّد التعليم وحده بحشو العقول بالمعلومات المقرّرة وتوصليها إلى الأذهان لا يؤدّي إلى تربية الرجال ويرتقي بهم إلى الكمال، كما لا يؤدّي إلى نموٍّ الإنسان وارتقائه من جميع جوانبه مثل الروحي والأخلاقي وما إلى ذلك. ويدلُّ على هذا أنّ ارتفاع معدل نسبة التعليم في المجتمعات لم يؤدّ إلى إقلال الشرور والجرائم، وإننا نرى اليوم الفساد والجرائم في مختلف القطاعات من الموظفين والمسئولين المتعلّمين، بنسبة لا تقلُّ عما لدى غير المتعلمين، حتى في أكثر الدول تقدمًا في المجالات العلمية.

إنّ عمليّة التعليم إذا زالت عنها السِّمة التربوية أصبحت مجرّد حشوٍ وتكديس لمعلومات لا تفيد في تشكيل الشخصيّة أو تعديل اتجاهاتها بالشكل الإيجابي المرغوب منها.

لقد كان السّلف يهتمون بالتربية اهتمامهم بالعلم؛ فلم يكن يكتفون بتلقين المتعلمين المعلومات والمتون، بل كانوا يبادرون إلى تأديبهم بالآداب الكريمة والأخلاق الفاضلة، فكانوا يقولون لتلاميذهم: «نحن إلى قليلٍ من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم»[٢].

ولذ؛ فإنّ الحاجة الماسّة تكون دائمًا في «المعلّم المربّي» الذي يمكنه القيام بعمليتي التربية والتعليم معًا؛ بحيث يستغلُّ المواقف الواردة بالنصوص أو البحوث الداعمة والتجارب العلمية الهادفة، ليستثمرها أخلاقيًّا وروحيًّا بما ينفع المتعلمين في تعاملهم وسلوكهم مثلما استثمرها علميًّا، فيساعد على تكوين الشخصية السويّة المتكاملة، وليس المعلّم الذي يقتصر دوره على تلقين الدروس والمعارف[٣]. فيجب على المؤسّسات التعليميّة أن تهتمّ بالجانب التربوي إلى الجانب التّعليمي، فتكون بذلك قد ربطت الجانب النظري بالجانب التطبيقي والعملي للعلم.

(١) طبيعة العلاقة بين التربية التعليم، د. طارق عبد الرؤوف /https://al3loom.com

(٢) ابن القيم، مدارج السالكين ٢/ ٣٧٦.

(٣) طبيعة العلاقة بين التربية التعليم، د. طارق عبد الرؤوف /https://al3loom.com

المبحث الثاني
مكانة التعليم وأهميته في الكتاب والسنة والآثار

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: مكانة التعليم وأهميته في الكتاب الكريم

تضافرت نصوص الكتاب الكريم في بيان فضل التعليم وأهميته ومكانته؛ فلقد احتفى القرآنُ الكريم بالعلم احتفاءً كبيرًا؛ يتضح ذلك من تناول هذا المصدر الكريم لمصطلح «العلم» ومتعلّقاته وتكرّره فيه لمئات المرّات(١).

لقد جاء الاهتمام بالعلم في الكتاب وبيان مكانته ومنزلته بشكلٍ واضحٍ وجليٍّ؛ فلقد كانت أولى آيات الوحي المطهّرة التي نزلت على قلب النبي ﷺ آمِرةً بالقراءة، ومعلومٌ أنّ القراءة هي الطريق الأساس في تحصيل العلم؛ قال تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۞ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۞ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۞ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق: ١-٥].

- لقد نزلت أوّل سورة مفتتحة بِقسمٍ في القرآن في سورة القلم، قال تعالى: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ [القلم: ١]، والقسم بالقلم إشارة إلى شرف العلم وعلوّ شأنه وأهميته في الحياة، فالقلم أداة التعليم؛ حيث يدوّن أفكاره وعلمه، ويفهم ما يحيط به وما يجري حوله.

- لقد بيّن ربُّنا عزّ وجلّ أنّ الذين يعلمون أعلى درجة ومكانة من غيرهم؛ فقال تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩]، قال الشوكاني (ت١٢٥٠هـ) رحمه الله: «المراد: العلماء والجهال، ومعلومٌ عند كلِّ من له عقلٌ أنه لا استواء بين العلم والجهل، ولا بين العالم

(١) وردت كلمة «علم» نكرة ومعرفة ثمانين (٨٠) مرة في القرآن الكريم، أما مشتقاتها: عِلم ويعلم ويعلمون وعلّم ويُعلِّم وعليم ... إلخ فقد ذُكِرت مئات المرات. كما تكررت كثيرًا في كتاب الله كلمات لها ارتباط وثيق بالعلم، ككلمة النُّهى، الألباب، فكر، فقه، حكمة، برهان ... إلخ. هذه اللمحة السريعة عن كلمة العلم في القرآن الكريم تُعطي دلالة واضحة على أهمية هذا الجانب المعرفي في حياة المسلم، وتوجه الانتباه إلى مزيد عناية واهتمام نحو التحصيل المعرفي والاهتمام بالعلم وآدابه. انظر: سلطان بن عمر الحصين، قواعد وآداب في طلب العلم، ص١٨.

والجاهل»[١].

- لقد رفع الإسلام من قيمة العلم والعلماء في كلِّ زمانٍ ومكانٍ عن غيرهم من الناس في الدُّنيا والآخرة، فقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

- كما مجد الإسلامُ العلماء وجعل منزلتهم عالية، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨].

- لقد جعل الله سبحانه وتعالى من جملة الأوامر لرسوله -ﷺ- هو طلب العلم والدُّعاء بالاستزادة منه؛ فقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، يدلُّ ذلك أن لا شيء أشرف وأكثر أهميةً من العلم، ولو كان هناك أفضل لطَلَب الله من نبيّه أن يستزيد منه.

المطلب الثاني: مكانة التعليم وأهميته في السُّنة المطهَّرة

كذلك احتفت السنة النبوية المطهَّرة بالعلم احتفاءً كبيرًا؛ حيث تناول هذا المصدر الشريف لمصطلح «العلم» ومتعلّقاته وتكرّر فيها لآلاف المرات[٢].

لقد حثّ النبيُّ ﷺ على طلب العلم مؤكّدًا أنّ طلب العلم فريضةٌ على كلّ المسلمين، كما ورد في حديث أنسِ بنِ مالِكٍ قال: قال رسُولُ اللهِ ﷺ: «**طلبُ العِلمِ فرِيضةٌ على كُلِّ مُسلِمٍ**»[٣].

وأكّدت الأحاديث النبويّة الشريفة على مكانة العلم والتعليم ومنزلة العلماء، فقال عنهم إنهم ورثة الأنبياء، بل وأكثر من ذلك أن الإسلام فضّل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب: «**وإنّ فضل العالِمِ على العابِدِ كفضلِ القمرِ على سائِرِ الكواكِب، إنّ العُلماء ورثةُ الأنبِياء، إنّ الأنبِياء لم يُورِّثُوا دِينارًا ولا دِرهمًا، إنّما ورّثُوا العِلم، فمن أخذهُ أخذ بِحظٍّ وافِرٍ**»[٤].

---

(١) الشوكاني، فتح القدير ٤/ ٤٥٣.

(٢) وإذا طالعنا كتب الحديث النبوي وجدنا في جل الكتب المصنفة كتابًا حافلاً موضوعه العلم، كما في الصحيحين والسنن وموطأ مالك وغيرها.

(٣) رواه ابن ماجه في السنن ١/ ١٥١، برقم ٢٢٤ باب فضل العلماء والحث على طلب العلم. وبوّب له ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ١/ ٢٣، حديث ١١، فقال: بابُ قولِهِ ﷺ: «**طلبُ العِلمِ فرِيضةٌ على كُلِّ مُسلِمٍ**». وهذا الحديث قد روي من طرق عديدة، عن عدة من الصحابة، جمعها الشيخ العلامة الألباني في كتابه «تخريج أحاديث مشكلة الفقر» ص٤٨-٦٢، وهو حديث حسن بطرقه وشواهده فيما ذهب إليه المزي والسيوطي وغيرهما من أهل العلم، وصحح الألباني الشطر الأول منه في صحيح سنن ابن ماجه. وانظر: تخريج أحاديث الإحياء، للعراقي ١/ ٥٥-٥٧، والمقاصد الحسنة ص٢٧٥-٢٧٧.

(٤) حديث صحيح، رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم والبيهقي وغيرهم.

وجعلت السنة المطهّرة طريق العلم طريقًا شريفًا ودربًا مباركًا، أوّله في الدنيا وآخره في الجنة؛ فجعل الإسلامُ التعلُّم سبيلًا لدخول الجنّة «**من سلك طرِيقًا يلتمِسُ فِيهِ عِلمًا سهّل اللهُ لهُ بِهِ طرِيقًا إلى الجنّةِ**»(١).

كما جعلت السنة الشريفة تعلُّم العلم وإفادة الآخرين به من أبواب الصّدقة الجارية للإنسان قبل موته وبعد موته، فقد قال ﷺ: «**إذا مات الإنسانُ انقطع عنهُ عملُهُ إلّا مِن ثلاثةٍ: إلّا مِن صدقةٍ جارِية، أو عِلمٍ يُنتفعُ بِه، أو ولدٍ صالِحٍ يدعُو لهُ**»(٢). قال النووي (ت٦٧٦هـ) رحمه الله: «وفِيهِ دلِيلٌ لِصِحّةِ أصلِ الوقفِ وعظِيمِ ثوابِه، وبيانُ فضِيلةِ العِلمِ والحثُّ على الِاستِكثارِ مِنهُ والتّرغِيبُ فِي توريثِهِ بِالتّعلِيمِ والتّصنِيفِ والإيضاح، وأنّهُ ينبغِي أن يختار مِن العُلُومِ الأنفع فالأنفع»(٣).

ولقد كان التعليم من أهمّ وظائف النبي ﷺ وأبرزها؛ حيث قال: «**وإنّما بُعِثتُ مُعلِّمًا**»، وفي لفظ: «**إنّ الله لم يبعثنِي مُعنِّتًا، ولا مُتعنِّتًا، ولكِن بعثنِي مُعلِّمًا مُيسِّرًا**»(٤)، وقد قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

المطلب الثالث: مكانة التعليم وأهميته في الآثار

لقد وردت آثارٌ كثيرة عن الصّحابة والتابعين وتابعيهم في فضل العلم وبيان أهميته وعظيم أثره وذكر مكانته والحثّ عليه؛ نذكر منها:

قول معاذ بن جبل (ت١٨هـ) رضي الله عنه: «تعلموا العلم؛ يرفع الله تعالى به أقوامًا ويجعلهم في الخير قادة وأئمّة، تقتص آثارهم، ويقتدى بفعالهم، وينتهى إلى رأيهم، ترغب الملائكة في خلتهم، وبأجنحتها تمسحهم، يستغفر لهم كل رطب ويابس، حتى الحيتان في البحر وهوامه، وسباع الطير وأنعامه؛ لأن العلم حياة القلوب من الجهل، ومصابيح الأبصار من الظلم»(٥).

- وقال كعب الأحبار (ت٣٢هـ) رضي الله عنه: «أوحى الله تعالى لموسى عليه السلام، أن تعلم يا موسى الخير، وعلمه للناس؛ فإني منور لمعلم الخير ومتعلمه قبورهم حتى لا يستوحشوا بمكانهم»(٦).

---

(١) صحيح مسلم ٤/ ٢٠٧٤، برقم ٢٦٩٩ بابُ فضلِ الِاجتِماعِ على تِلاوةِ القُرآنِ وعلى الذِّكرِ. وبوب عليه البخاري في صحيحه ١/ ٢٤ كتاب العلم: بابٌ: العِلمُ قبل القولِ والعملِ.

(٢) صحيح مسلم ٣/ ١٢٥٥، برقم ١٦٣١ بابُ ما يلحقُ الإنسان مِن الثّوابِ بعد وفاتِهِ.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ١١/ ٨٥.

(٤) رواه مسلم في صحيحه ٢/ ١١٠٤، برقم ١٤٧٨ كتاب: بابُ بيانِ أنّ تخيير امرأتِهِ لا يكُونُ طلاقًا إلاّ بِالنِّيّةِ.

(٥) حلية الأولياء، أبو نعيم الأصفهاني ١/ ٢٣٩.

(٦) مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة المقدسي، ص١٥.

فالعلم أفضل من المال، والعلماء باقون ما بقي الدهر؛ فعن كميل بن زياد النخعي (ت٨٢هـ) قال: أخذ عِلِيُّ بنُ أبِي طالِبٍ بيدِي، ثُمّ قال: «يا كُميلُ بن زِياد، احفظ ما أقُولُ لك: القُلُوبُ أوعِيةٌ خيرُها أوعاها. النّاسُ ثلاثةٌ: فعالِمٌ ربّانِيّ، ومُتعلِّمٌ على سبِيلِ نجاة، وهمجٌ رِعاع، أتباعُ كُلِّ ناعِق، يمِيلُون مع كُلِّ رِيح، لم يستضِيئُوا بِنُورِ العِلم، ولم يلجأُوا إلى رُكنٍ وثِيق. العِلمُ خيرٌ مِن المال، العِلمُ يحرُسُك وأنت تحرُسُ المال، العِلمُ يزكُو على العمل، والمالُ تنقُصُهُ النّفقة، العِلمُ حاكِمٌ والمالُ محكُومٌ عليه، وصنِيعةُ المالِ تزُولُ بِزوالِه، ومحبّةُ العالِمِ دِينٌ يُدانُ بِها، تُكسِبُهُ الطّاعة فِي حياتِه، وجمِيل الأُحدُوثةِ بعد موتِه، مات خُزّانُ الأموالِ وهُم أحياء، العُلماءُ باقُون ما بقِي الدّهر، أعيانُهُم مفقُودة، وأمثالُهُم فِي القُلُوبِ موجُودةٌ»[١].

- العلم أنيس في الوحدة وصاحب في الخلوة، قال معاذ بن جبل (ت١٨هـ) رضي الله عنه: «تعلموا العلم؛ فإن تعلمه لله تعالى خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعلميه لمن لا يعلم صدقة، وبذله لأهله قربة، وهو الأنيس في الوحشة، والصاحب في الغربة، والمحدث في الخلوة»[٢].

(١) أخرج هذا الأثر الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه ١/ ١٨٢-١٨٣، وأبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء ١/ ٧٩-٨٠، وأورده الشيخ الأمين الشنقيطي في أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٧/ ٣١١، وقال: «وهو حديث مشهور عند أهل العلم يستغنى عن الإسناد لشهرته عندهم».

(٢) حلية الأولياء، أبو نعيم الأصفهاني ١/ ٢٣٩.

المبحث الثالث
مجالات التعليم وآثاره ونتائجه على الفرد والمجتمع

وفيه مطلبان

المطلب الأول: مجالات التعليم وأنواعه

لقد وردت لفظة «العلم» مطلقة في كتاب الله عزّ وجلّ وفي سنّة رسوله الكريم ﷺ ودونما تقييد أو تحديد؛ فهو يشمل كلّ علمٍ نافعٍ يرمي إلى خير الدنيا وعمارة الأرض، ويشمل كلّ علمٍ يرمي إلى صلاح الناس، والقيام السليم بواجبات الخلافة البشرية على هذا الكوكب.

ويُفهَم من هذا أنّ التعليم يتنوّع إلى أنواع كثيرة باعتبار مجالاته وموضوعاته وباعتبار مستوياته ومراتبه وباعتبار مدارسه ومؤسّساته.

وقد قسّم العلماءُ العِلم إلى قسمين كبيرين يشملان كلّ علمٍ نعرفه أو نحتاج إليه، وهذان القسمان هما: العلوم الدّينيّة (أو الشرعيّة) والعلوم الدنيويّة (أو الحياتية).

١- **العلوم الدينيّة (أو الشّرعيّة)** هي العلوم التي يُعرف بها الله تعالى، ويُعرف بها كيف تكون العبادة الصحيحة، ويشمل ذلك كلُّ العلوم المتعلقة بدراسة الدين وفقه الشريعة، مثل علوم القرآن، وعلوم السنة، وعلوم العقيدة، وعلوم الفقه وأصوله، وعلوم الأخلاق، وغير ذلك مما يتعلق بالشريعة والدّين. ويرتبط بهذا القسم بعض العلوم الأخرى التي يُحتاج إليها في فقه تلك العلوم الشرعية، مثل علوم اللغة والأدب والتاريخ، ونحو ذلك.

٢- **العلوم الدُّنيويّة (أو الحياتيّة)** وهي العلوم النافعة التي يحتاج إليها الإنسان ليصلح بها حياته، ويعمِّر بها الأرض، ويستكشف بها الكون والبيئة، وذلك مثل علوم الطب، والهندسة، والفلك، والفيزياء والكيمياء والجغرافيا وعلوم الأرض والنبات والحيوان، وغير ذلك من العلوم المشابهة.

فكلمة العلم التي كثُرت الإشارة إليها في الكتاب والسنة إنما تعني -في أكثر الأحيان- العلم بشقّيه الدّيني والدنيوي، وكلُّ ما جاء من مدحٍ للعلماء، فهو لكلِّ عالمٍ نفع الناس بعلمه، سواءٌ كان دينيًّا أم

دنيويًّا[١].

وقد فصّل هذه القسمين الشيخ زكريا الأنصاري (ت٩٢٦هـ)، فحصر أنواع العلوم في سبعة وأربعين علمًا، قال: «وأمّا حصر أنواع العلم فهي سبعة وأربعون علمًا، وهي: **إمّا شرعية**، وهي ثلاثة: الفقه، والتفسير، والحديث. **وإمّا أدبية**، وهي أربعة عشر: علم اللغة، وعلم الاشتقاق، وعلم التصريف، وعلم النحو، وعلم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع، وعلم العروض، وعلم القوافي، وعلم قريض الشعر، وعلم إنشاء النثر، وعلم الكتابة، وعلم القراءات، وعلم المحاضرات، ومنه التواريخ. **وإمّا رياضية**، وهي عشرة: علم التّصوف، وعلم الهندسة، وعلم الهيئة، والعلم التعليمي، وعلم الحساب، وعلم الجبر والمقابلة، وعلم الموسيقى، وعلم السياسة، وعلم الأخلاق، وعلم تدبير المنزل. **وإمّا عقلية**، وهي عشرون: علم المنطق، وعلم الجدل، وعلم أصول الفقه، وعلم أصول الدين، والعلم الإلهي والطبيعي، وعلم الطب، وعلم الميقات، وعلم النواميس، وعلم الفلسفة، وعلم الكيمياء، وعلم الأرتماطيقي، وعلم المساحة، وعلم البيطرة، وعلم الفلاحة، وعلم السحر، وعلم الطلسمات، وعلم الفراسة، وعلم أحكام النجوم»[٢].

- وهناك من يقسِّم التعليم باعتبار موضوعه من حيث النظر والتطبيق إلى تعليم نظري، وتعليم تطبيقي.

١- **التعليم النظري**: هو الذي تدور مباحثه ومسائله حول قضايا وموضوعات لا تخضع للحسّ والتجربة، وينتظم في هذا النوع سائر المعارف والفنون والمعتقدات والقيم والمبادئ غير المحسوسة، وبناءً على ذلك يعدُّ التعليم الديني تعليمًا نظريًّا بحتًا؛ باعتبار أن مباحثه ومسائله تدور حول قضايا لا تخضع للحسّ والتجربة.

٢- **التعليم التطبيقي**: هو الذي تدور مباحثه ومسائله حول قضايا وموضوعات تخضع للحسّ والتجربة. وينتظم في هذا النوع المعارف والفنون والمهارات الطبيعية المحسوسة.

وتحت كلِّ نوع من هذين النوعين الرئيسين تصنيفات فرعية كثيرة.

ويتنوع التعليم كذلك باعتبار مدارسه ومؤسّساته؛ إلى أنواعٍ كثيرةٍ بحسب نوع التعليم والمنهج الدراسي الخاص به والأهداف المرجوة منه، أشهرها أربعة[٣]:

٣- **التّعليم الأكاديمي (Enseignement académique)**: وهو التعليم الذي يحصل عليه المتعلمون

(١) د. راغب السرجاني، العلم وبناء الأمم -دراسة تأصيلية في بناء الدولة وتنميتها، ص١٧، القاهرة: مؤسسة اقرأ، ٢٠٠٧م.
(٢) زكريا الأنصاري، اللؤلؤ النظيم في روم التعلم والتعليم، ص٢٣-٢٤.
(3) "Types of Education: Formal, Informal & Non-formal", https://www.passionineducation.com, Retrieved 30-3-2022.

في كافة مراحلهم الدراسية بما فيها مراحل التعليم العالي في المؤسسات التعليميّة غير المهنية، وهو نوع التعليم الأكثر شيوعًا لأغلب المراحل التعليميّة.

٤- **التعليم المهني الفني (Enseignement professionnel et technique)**: وهو التعليم الذي يرمي إلى تأهيل الطلبة لممارسة مهنة معيّنة من متطلباتها أن يكون لديهم قدرات فنية ومهنية محددة، ومن الأمثلة عليه: التعليم الزراعي، والتعليم الصناعي.

٥- **التعليم الحِرفي (Education artisanale)**: وهو التعليم الذي يرمي إلى امتلاك المتلقي حِرفة معيّنة؛ كالغزل، والنسيج، وتصليح الأجهزة الدقيقة، ويشبه إلى حدٍّ ما التعليم المهني إلّا أنّه أسهل، ومدة تلقّيه أقلّ.

٦- **التعليم الشامل (Education inclusive)**: وهو نوع التعليم الذي يضم التعليم الأكاديمي والمهني، فمثلًا في التعليم المهني تتواجد دورس لها علاقة باللغة والتاريخ إلى جانب الصناعة والزراعة.

ودون ذلك أقسام كثيرة للتعليم، فهناك التعليم الأدبي والتعليم العلمي، والتعليم الذاتي والتعليم غير الذاتي، والتعليم النظامي والتعليم غير النظامي، والتعليم بالانتظام والتعليم بالانتساب، والتعليم الحضوري والتعليم عن بُعد... إلى غير ذلك من التقسيمات والتنويعات بالنظر إلى عدة اعتبارات.

هذه الأقسام والأنواع اجتهاديّة مصلحيّة؛ وُجِدت من أجل تنظيم العمليّة التعليميّة؛ لتيسير السير في التعليم وضمان تحقيق أهدافه وغاياته، مع الإحاطة بالقضايا والمسائل التي تتصل بالإنسان والحياة والمجتمع والكون، مع القضايا والمسائل التي تتصل بالدّين، وليس في الشرع ما يمنع من هذه التقسيمات ما دامت تحقق مصلحة.

ونلاحظ أن هذه التقسيمات اعتبرت التعليم مراحل تراكميّة، تعتمد فيه كل مرحلة على سابقتها؛ ولذلك يجب أن يكون أساس التعليم قويًّا، حتى يكون البناء والنتائج العمليّة التعليميّة على أعلى مستوى.

المطلب الثاني: آثار التعليم ونتائجه على الفرد والمجتمع

وفيه فرعان:

الفرع الأول: آثار التعليم ونتائجه على الفرد

التعليم هو الوسيلة الوحيدة التي تقود الفرد، لتحقيق أهدافه في الحياة، بجعل الفرد قادرًا على الإبداع والابتكار.

يوفّر التعليم للفرد منافع عديدة، من أهمّها:

١- **اكتساب المعرفة**: المعرفة كنزٌ من الكنوز؛ ليس فقط من أجل زيادة الوعي، ولكن أيضا تزيد من قدرة الفرد على العيش في الحياة، وتكسبه المهارات المطلوبة في كل موقف على حدة، وتنمي عقل الإنسان وذكائه؛ ليكون قادرًا على التعاطي مع مختلف الأمور بفاعلية أكبر وتركيز أكثر. وقد سهّلت التكنولوجيا الحديثة على الأفراد اكتساب العلوم والمعارف المختلفة والانفتاح على العالم الخارجي، ومنه يتمكّن الفرد من التطور وتوسيع مداركه، ليُطوّع كلّ شيءٍ لخدمته، ويرفع الله عنه به الحرج والضرر.

٢- **تحسين الوعي وزرع القيم والسلوك الحسن**: يعمل التعليم على تحسين وعي الفرد ويسهم في زرع العديد من القيم النبيلة والأخلاق الحميدة في الفرد؛ فيؤثر التعليم إيجابًا على سلوك الفرد في جميع نواحي الحياة.

٣- **امتلاك المهارات اللازمة للحياة**: فالإنسان يحتاج إلى اكتساب العديد من المهارات في هذه الحياة، ولا يحصل الإنسان على هذه المهارات إلاّ من العملية التعليميّة التي تساعد على تنميتها وتهذيبها؛ فالتعليم يُمكّن الفرد من اكتساب مهارات التفكير والنقد والمنطق والإدراك الحسّي التي تساعده على التمييز بين الصّحيح والخاطئ، وتساعده كذلك على الحكم على الأمور بشكل متَّزنٍ واعٍ.

٤- **القدرة على التمييز بين الصّواب والخطأ**: خلق الله الإنسان وميّزه عن سواه بالعقل الذي يستطيع به التمييز بين الصواب والخطأ، وتزداد جوانب الوعي في العقل من التعليم والوصول إلى المعلومات؛ فالعلم ينير العقل ويهدي إلى الحق والصواب إذا استُخدِم في الخير وقُصِد به النفع للنفس وللناس.

٥- **حفظ الدّين ودرء الفتن**: يُعَدُّ التعليم الشرعي أساس حفظ دين المرء وسلامته من الوقوع فيما حرم الله تعالى؛ بمعرفته الحق من الباطل والطاعة من المعصية، كما يُسهِم التعليم الشرعي في درء الفتن المضعفة للدين والإيمان، والمشوشة على القلب والذهن من الوصول إلى الحق، والجالبة للقتل والاقتتال، وإهلاك الحرث والنسل، وإحلال الخوف والتشريد، وحصول الجوع والفقر وضعف الاقتصاد.

٦- **التصرُّف بعقلانية**: يساعد التعليم الفرد على التصرُّف بعقلانيّة وموضوعيّة ومنهجيّة في العديد من المواقف التي يتعرض لها، من أجل الوصول إلى حلٍّ للمشكلات الحياتية التي تواجهه؛ حيث ينير التعليمُ العقلَ ويوسِّع من مدارك الفرد وقدرته على الفهم والاستيعاب والتحليل والنظر إلى القضية من أكثر من زاويةٍ ولا يتسرَّع في الحكم.

٧- **تعزيز الثقة بالنّفس ونيل احترام المجتمع وتقديره** العلم يُكسِب الفرد الاحترام الذاتي والاحترام والتقدير من قِبل الآخرين ويرفع درجته، كما أخبر بذلك القرآن الكريم؛ حيث يساعد التعليم الفرد على أن

يؤمن بنفسه ويثق بقدراته، ويكون ذا هدفٍ واضحٍ في الحياة، كما يجعله منفتحًا للحوار مع الآخر دون أن يشعر بنقصٍ أو قلّة كفاءة، فهو واثق من نفسه ومن قدرته على مشاركة آرائه ومعارفه مع الآخرين.

٨- **تحقيق فرص عمل والحماية والأمان**: يسهم التعليم بشكل مباشر في تسهيل الأمان المالي للفرد بالحصول على فرص وظيفيّة أكثر؛ إذ إنه من الصّعب أن يصل الإنسان إلى الحياة العمليّة إلاّ بعد التعلُّم والتدريب ومعرفة جميع الجوانب والمعلومات التي تخصُّه، وبعد ذلك يستطيع الفرد أن يبدأ العمل في تخصصه، ويخوض التجارب العملية التي تُشكِّل خبرته في العمل، ولا يقتصر الأمان على الجانب المادي فقط، بل يوفّر التعليم للفرد الحماية والأمان من المعلومات الزائفة والوهميّة، التي من الممكن أن يستغلّها بعض النّاس للإضرار بالآخر وخداعه.

٩- **دفع الظلم وسوء الاستغلال ومحاربته**: التعليم هو السّلاح القوي الذي يواجه فيه الفرد الظلم الواقع عليه، ولا سيما في المجتمعات التي تكثر فيها مشكلات التعنيف والاضطهاد على أساس الجنس أو اللون أو غيرهما، فمن دون التعليم يتفاقم تعرّض الأفراد للاستغلال والاضطهاد، في حين يظلُّ الفرد المتعلّم في صالحه المعرفة والمهارة الكافية للتغلّب على المشكلات وصور الاستغلال.

وعن أهمية العلم وآثاره ونتائجه على الفرد، قال الله تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [الزمر:٩]. ويُروى عنِ ابنِ عبّاس، قال: قال رسُولُ الله ﷺ: «**خُيِّر سُليمانُ النّبِيُّ ﷺ بين المُلكِ والمالِ والعِلم، فاختار العِلم، فأُعطِي المُلك والمال والعِلم؛ لاختِيارِهِ العِلم**»(١).

الفرع الثاني: آثار التعليم ونتائجه على المجتمع

يعدُّ التعليم عنصرًا أساسيًّا في نموّ المجتمع وتطوّره، فعند ما يتعلّم الفرد يؤثر بشكل كبير في عائلته، والمجتمع المحيط به في كافة الجوانب المختلفة، ما يخلق مجتمعًا نشطًا ومستقرًا، يتطلع لتحسين حياة أفراده، كما يعدُّ التعليم صانع الأجيال الصّاعدة التي تبني المجتمعات والأوطان، فالمجتمعات التي تملك المعرفة هي من أقوى المجتمعات وأكثرها هيمنة في هذا العالم، كما أن هذه المعرفة تُغيِّر من ثقافة المجتمعات وحالتهم المعيشية من الفقر إلى الغنى.

وآثار التّعليم ونتائجه على المجتمع كثيرة، من أهمّها:

(١) رواه أبو الطاهر السلفي في المشيخة البغدادية، من فوائد القاضي أبي العلاء الواسطي ص١٣٧، برقم ٩١. والضياء المقدسي في المنتقى من مسموعات مرو، ص٢٧، برقم ٣٩. وابن حجر في الغرائب الملتقطة من مسند الفردوس ١/ ١٤٧٩، برقم ١٥٤٦. والسيوطي في الجامع الصغير، برقم ٦٦٧٨. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير، وقال عنه: موضوع. ورواه أيضا ابن عبد البر عن عبد الله بن المبارك، جامع بيان العلم وفضله ١/ ٢٣٧، برقم ٢٦٦.

١- تعزيز المساواة والتمكين: يُسهم التعليم بشكل كبير في جعل المجتمعات أكثر مساواة، فبتوفير الفرص التعليميّة للجميع ستنخفض الطبقيّة الاجتماعيّة في المجتمع، وبالتالي يتساوى الجميع أمام الفرص المتاحة حسب الكفاءة والرصيد المعرفي، ويخلُص المجتمع من التحيُّز والتمييز والوساطة؛ بحيث يتميّز كلُّ فرد بما يمتلكه من علم مختصٍّ به؛ الأمر الذي يُسهم في تطور التعليم ويخلق ثقة كبيرة بالنفس والشعور بالتمكين في المجتمع المحيط به؛ فبالتعليم تتغيَّر ثقافة عدم المساواة وثقافة توفير الفرص بحسب اعتبارات غير علميّة ولا مهنية بعيدة عن الكفاءة.

٢- تحقيق النمو الاقتصادي: يساعد التعليم الأفراد في أداء أعمالهم بطرقٍ أكثر كفاءةً، ما يخلق فرص عمل أكثر استدامة، وبالتالي يتحقق النمو الاقتصادي في الحاضر والمستقبل، عدا أنّ التعليم يعدُّ المحرّك الأول في التطور والازدهار الاقتصادي، وقد أثبتت الدراسات بأن التعليم يزيد من نمو الناتج المحلي الإجمالي، وكلما ازداد التعليم ازداد الإنجاز وكانت الخيارات أوسع وأشمل، وبهذا ستقِلُّ معدَّلات الفقر بالمجتمع ويتحسّن الاقتصاد بلا شك[١]. وهناك اتفاق بين الاقتصاديين على أهمية التعليم بالنسبة إلى الاقتصاد الوطني، ومن ثمّ، بدأت الاتجاهات الجديدة في علم الاقتصاد تتناول دور التعليم في تكوين الدخل، ودور الاستثمار في التعليم لتكوين رأس المال البشري، والعلاقة بين الإنفاق على التعليم وإنتاجيته، فقد توسّع الاقتصاديون في ضرورة التخطيط للتعليم وربطه بتأهيل القوى العاملة اللازمة للاقتصاد الوطني؛ مستندًا إلى فرضية أساسيّة مفادها أنه توجد علاقة سببيّة بين حجم الإنفاق على التعليم والنمو الاقتصادي من مؤشر الناتج المحلي الإجمالي[٢].

٣- تعزيز قيم المواطنة وزيادة الوعي: يدرك المواطنون بالتعليم الجذور التاريخيّة والثقافية والاجتماعية لمجتمعهم، وبالتالي يصبح الفرد الواحد على معرفة تامّة بحقوقه وواجباته ومسؤولياته المترتبة عليه من أجل مجتمع أفضل، وهذا يُسهم في إعلاء قِيم المواطنة الصّالحة لدى الأفراد، كما يساعد التعليم في رفع مستوى الوعي وإدراك الأحداث المحيطة الداخلية والخارجية بصورة أفضل، بحيث يمكّن الأفراد داخل المجتمع الواحد من التكافل لمواجهة الأحداث والمستجدات بصورة حضارية سليمة.

٤- تحقيق الأمن المجتمعي والتقليل من معدّلات العُنف والجرائم في المجتمع: تعدُّ المجتمعات التي تضمُّ أفرادًا متعلِّمين من كلا الجنسين من المجتمعات التي تكون فيها نسبة العنف المجتمعي منخفضة؛

(1) "The importance of education in building society", worldmisc, Retrieved **1/8/2022**.

(٢) زينب توفيق السيد عليوة، العلاقة بين حجم الإنفاق على التعليم والنمو الاقتصادي، المجلة العربية للإدارة .https://aja journals.ekb.eg/article_18423.html

لأنّ الأفراد المتعلّمين يعملون جاهدين على محاربة العنف المجتمعي والعنف المنزلي الذي يندرج منه، بالإضافة إلى كافة أنواع العنف الاجتماعي الذي يقف عائقًا في تطوُّر المجتمع وبنائه، كما يساعد التعليم في تمييز الخطأ والصواب، وبالتالي ستقلُّ ميول المتعلّم لارتكاب الجرائم، فبزيادة أعداد المتعلمين في المجتمع تقلُّ الجريمة والظواهر السلبية في المجتمع كالتسوُّل وعمالة الأطفال والمراهقات، ويتحول المجتمع إلى بيئة حضارية ينشغل أفراده باكتساب العلوم والمعارف ويصبحون أكثر حكمة وتميزًا، وبالتالي تقلّ نسبة المشكلات والمصادمات المنطلقة من الجهل وقلة الوعي.

٥- **تعزيز التسامح والسلم في المجتمع ومحاربة التطرُّف والإرهاب**: يعدُّ التعليم آكد طريق لتعزيز التسامح والسّلم في المجتمع؛ فالتعليم يجعل الشخص أكثر انفتاحًا على الآخر ويجعله متقبلًا لكلّ الآراء المخالفة، ومن ثم توظيف الاختلاف وترشيده ودفعه باتجاه غايته الأسمى من أجل إظهار الآراء والأفكار والتجارب، كما يُعدُّ التعليم أمرًا ضروريًّا لكشف الشُّبهات وتفنيد الأباطيل بالسير في طريق الاستدلال الصحيح، وبيان وجاهة الحق ورونقه، وقيام الحجة والبينة على الطرف الآخر؛ ما يرفع الجهل ويدفع الشبهة، ويكشف خطأ الغلوّ والتقصير المؤدّي إلى التطرُّف والإرهاب.

٦- **توفير حياة مجتمعيّة إيجابيّة**: يساعد التعليم الأفراد ليعيشوا أسلوب حياةٍ أكثر راحة، بالعثور على وظائف بأجور جيّدة تجعلهم راضين عن أنفسهم وأكثر سعادة ورفاهية، كما أنّ التعليم يساعد الفرد على إتاحة الفرص أمامه ليصعد السلّم الوظيفي بطريقة أسرع وأكثر سلاسة، وهي ذاتها الفرص التي تحقق حياة أكثر استقرارًا، ما يزيد من ثقتهم بأنفسهم، وتؤدي في النهاية لبناء مجتمع إيجابيٍّ مُرفّهٍ وقادرٍ على الإنجاز والإنتاج لتطويره وبنائه[1].

تحقيق الرّيادة والصّدارة: العلم يجعل المجتمع يحقق الريادة في العلوم والصدارة في مراكز القوة والمال والأعمال ويصبح من الدُّول الأكثر سيطرة على العالم.

(1) helps people become better,rights, laws, and regulations. "10 Benefits Showing Why Education Is Important to Our Society", habitatbroward, Retrieved 1/8/2022.

المبحث الرابع
حكم إلزاميّة التعليم بشقّيه على الجنسين

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: حكم إلزامية التعليم

يُقصَد بإلزامية التعليم أو التعليم الإلزامي: أن تأخذ الدولة على عاتقها نشر التعليم، وتيسيره لكلِّ الأطفال الذين هم في سنِّ التعليم، وتوفير مستلزماته؛ من أبنية وتجهيزات ولـوازم، ومعلمِـينَ، وكتب، وما إليها، وأن تُسنّ الدولة التشريعات التي تُلزِمُ الآباء بإرسال أولادهم إلى المـدارس متـى بلغوا سنّ التعليم، وأن تُضمّن هذه التشريعات الغرامات والعقوبات الرادعة التي تحول دون امتنـاع الأهل عن إرسال أولادهم إلى المدارس(١).

لقد ظهر التعليم الإلزامي في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر في أوربا الغربية، وأمريكا اللاتينية فيما بعد، جعلت تلك الدول هذا التعليم عامًا يشمل أبناءها جميعًا، ذكورًا وإناثًا. وتُعد سن الرابعة عشرة الحد الأدنى لمرحلة التعلـيم الإلزامـي فـي أكثـر الـبلاد الغربية(٢)، في حين تبلغ به دول أخرى إلى سن السادسة عشرة، وحتى سن الثامنة عشرة(٣).

لقد أمر القرآن الكريم والسنة المطهّرة بالعِلم، ولا يتحقَّقُ ذلك إلاّ بالتعلُّم والتعليم.

لقد فطن نبيُّ الإسلام ﷺ إلى أهمية التعليم، فأمر بتعليم القراءة والكتابة، وصيّره واقعًا عمليًّا حينما جعل النبيُّ ﷺ فداء الأسير وتخلية سبيله يوم بدر بتعليم عشرة من الصبيان الكتابة، ويومئذٍ تعلّم الكتابة زيد بن ثابت وجماعة من الأنصار.

---

(١) محمد زهير مشارقة، مشكلات التعليم الإلزامي في القطر العربي السوري، ص٢٤. وانظر: فرج علية علي، الإلزام في النظم التعليمية، صحيفة التربية، القاهرة، العدد/ ٤/ ١٩٧٧م، ص٣٩-٤٠.

(٢) د. صالح العلي، التعلم الإلزامي في القرآن والسنة وفقه الأئمة، ص٤٦٠، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد٢٢-العدد الثاني-٢٠٠٦م.

(٣) ينص قانون التعليم المعدّل في جزر القمر في المادة (٤) من الفصل (١): أن التعليم لازم على كل أحد من (٣) سنين إلى (١٦) سنة. قانون التعليم، مراجعة معتمدة ٢٠٢٠م.

وذكر ابن عبد البر (ت٤٦٣هـ) في باب العبادلة أنّ عبد الله بن أم مكتوم الأعمى القرشي العامري (ت١٥هـ) كان قديم الإسلام بمكة، وهاجر إلى المدينة، وقدمها بعد بدر، ونزل بدار القُرّاء[١]. ففي قوله هذا إشارة إلى وجود دار القُرّاء مخصّصة للتعليم.

وهكذا سار الخلفاء من بعد النبي -ﷺ- على تعاليمه في الاهتمام بالتعلم والتعليم؛ فلقد أمر الخليفة عمر بن الخطاب (ت٢٣هـ) رضي الله عنه ببناء الكتاتيب إلى جانب كلِّ مسجدٍ لتعليم صبيان المسلمين؛ اقتداءً بعمل النبي ﷺ في بناء الصفّة[٢] في شمال المسجد[٣].

وقد أوجب الفقهاء التّعليم على المسلمين؛ مستندين في ذلك إلى الحديث النبوي: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**»[٤]، وهم وإن اختلفوا في نوع هذا العلم المفروض طلبه على كلِّ مسلم، فإنهم طرًّا مجمعون على إلزام تعليم ضروريات الدّين، ولا يُتوصل إلى تعليم تلك الضروريات الدّينية إلا بتعلُّم مبادئ القراءة والكتابة ودراسة القرآن الكريم، وبتعلُّم تلك المبادئ ودراسة القرآن يخرج المرء من الأمية إلى العِلم.

وقد توسّع الفقهاء في الكلام عن إلزاميّة التعلُّم والتعليم حينما تحدّثوا عن حكم التعلُّم وأقسامه، فجعلوا تعلُّم بعض العلوم فرض عينٍ على كلِّ مكلّف، وبعضِها فرض كفاية.

قال النووي (ت٦٧٦هـ) في المجموع: «بابُ أقسامِ العِلم الشَّرعيّ، هِي ثلاثةٌ: الأوّل: فرض العين: وهو تعلُّم المكلّف ما لا يتأدّى الواجِبُ الذي تعيّن عليه فِعلُهُ إلّا به، ككيفية الوضوء والصّلاة ونحوِهما...»[٥].

وقال أيضا: «(فرعٌ) أمّا البيعُ والنِّكاحُ وشبهُهُما مِمّا لا يجِبُ أصلُه، فقال إمامُ الحرمَينِ والغزالِيُّ وغيرُهُما: يتعيّنُ على من أرادهُ تعلُّمُ كيفِيّتِهِ وشرطِه، وقِيل: لا يُقالُ يتعيّن، بل يُقالُ: يحرُمُ الإقدامُ عليهِ إلّا

(١) ابن عبد البر، الاستيعاب ١٠/ ٣٤٧.

(٢) الصفّة: مكان مظلل في مسجد المدينة، كان يأوي إليه فقراء المهاجرين، ويرعاهم الرسول ﷺ، وهم أصحاب الصفّة. المعجم الوسيط ١/ ٥١٧.

(٣) د. صالح العلي، التعلم الإلزامي في القرآن والسنة وفقه الأئمة، ص٤٦٥، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد٢٢-العدد الثاني-٢٠٠٦.

(٤) رواه ابن ماجه في السنن ١/ ١٥١، برقم ٢٢٤ باب فضل العلماء والحث على طلب العلم. وبوّب له ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ١/ ٢٣، حديث ١١، فقال: بابُ قولِهِ -ﷺ-: «**طلبُ العِلمِ فرِيضةٌ على كُلِّ مُسلِمٍ**». وهذا الحديث قد روي من طرق عديدة، عن عدة من الصحابة، جمعها الشيخ العلامة الألباني في كتابه «تخريج أحاديث مشكلة الفقر» ص٤٨-٦٢، وهو حديث حسن بطرقه وشواهده فيما ذهب إليه المزي والسيوطي وغيرهما من أهل العلم، وصحح الألباني الشطر الأول منه في صحيح سنن ابن ماجه. وانظر: تخريج أحاديث الإحياء، للعراقي ١/ ٥٥-٥٧، والمقاصد الحسنة ص٢٧٥-٢٧٧.

(٥) النووي، المجموع شرح المهذب ١/ ٢٤.

بعد معرِفةِ شرطِه. وهذه العِبارةُ أصحّ، وعِبارتُهُما محمُولةٌ عليها»[١].

وقال أيضًا: «(القِسمُ الثّانِي) فرضُ الكِفاية، وهُو تحصِيلُ ما لا بُدّ لِلنّاسِ مِنهُ فِي إقامةِ دِينِهِم من العُلُومِ الشّرعِيّة، كحِفظِ القُرآنِ والأحادِيثِ وعُلُومِهما والأُصُولِ والفِقه... وأمّا ما ليس عِلمًا شرعِيًّا ويُحتاجُ إليهِ فِي قِوامِ أمرِ الدُّنيا، كالطِّبِّ والحِساب، ففرضُ كِفايةٍ أيضًا، نصّ عليهِ الغزالِيّ، واختلفُوا فِي تعلُّمِ الصّنائِعِ الّتِي هِي سببُ قِيامِ مصالِحِ الدُّنيا، كالخِياطةِ والفِلاحةِ ونحوِهِما، واختلفُوا أيضًا فِي أصلِ فِعلِها، فقال إمامُ الحرمَينِ والغزالِيُّ: ليست فرض كِفاية، وقال الإمامُ أبُو الحسنِ علِيُّ بنُ مُحمّدِ بنِ علِيٍّ الطّبرِيُّ المعرُوفُ بِالكِيا الهِرّاسِيِّ صاحِبُ إمامِ الحرمَينِ: هِي فرضُ كِفاية، وهذا أظهرُ»[٢].

وقال ابن عابدين (ت١٢٥٢هـ) في حاشيته: «مِن فرائِضِ الإسلامِ تعلُّمُهُ ما يحتاجُ إليهِ العبدُ فِي إقامةِ دِينِهِ وإخلاصِ عملِهِ لِلهِ تعالى ومُعاشرةِ عِبادِه. وفرضٌ على كُلِّ مُكلّفٍ ومُكلّفةٍ بعد تعلُّمِهِ عِلم الدِّينِ والهِدايةِ تعلُّمُ عِلمِ الوُضُوءِ والغُسلِ والصّلاةِ والصّوم، وعِلمِ الزّكاةِ لِمن لهُ نِصاب، والحجِّ لِمن وجب عليه، والبُيُوعِ على التُّجّارِ لِيحترِزُوا عن الشُّبُهاتِ والمكرُوهاتِ فِي سائِرِ المُعاملات. وكذا أهلُ الحِرف، وكُلُّ من اشتغل بِشيءٍ يُفرضُ عليهِ عِلمُهُ وحُكمُهُ؛ لِيمتنِع عن الحرامِ فِيهِ»[٣].

وقال أيضًا: «وأمّا فرضُ الكِفايةِ مِن العِلم، فهُو كُلُّ عِلمٍ لا يُستغنى عنهُ فِي قِوامِ أُمُورِ الدُّنيا، كالطِّبِّ والحِسابِ والنّحوِ واللُّغةِ والكلامِ و... وكذا عِلمُ الآثارِ والأخبارِ والعِلمُ بِالرِّجالِ وأسامِيهِم... وأُصُولِ الصِّناعاتِ والفِلاحةِ والحِياكةِ والسِّياسةِ والحِجامةِ»[٤].

وقال الإمام الغزالي (ت٥٠٥هـ): «فالعلوم التي ليست بشرعيّة تنقسم إلى ما هو محمود وإلى ما هو مذموم وإلى ما هو مباح، فالمحمود ما يرتبط به مصالح أمور الدنيا، كالطب والحساب، وذلك ينقسم إلى ما هو فرض كفاية، وإلى ما هو فضيلة وليس بفريضة. أما فرض الكفاية: فهو علمٌ لا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا، كالطب؛ إذ هو ضروري في حاجة بقاء الأبدان، وكالحساب؛ فإنه ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرهما، وهذه هي العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج أهل البلد، وإذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين، فلا يُتعجَّب من قولنا: إن الطب والحساب من فروض الكفايات؛ فإن أصول الصناعات أيضًا من فروض الكفايات، كالفلاحة والحياكة والسياسة والحجامة

(١) النووي، المجموع شرح المهذب ١/ ٢٥.
(٢) النووي، المجموع شرح المهذب ١/ ٢٦.
(٣) ابن عابدين، حاشية ابن عابدين ١/ ٤٢.
(٤) ابن عابدين، حاشية ابن عابدين ١/ ٤٢.

والخياطة؛ فإنه لو خلا البلد من الحجام تسارع الهلاك إليهم وحرجوا بتعريضهم أنفسهم للهلاك... فلا يجوز التعرض للهلاك بإهماله»[١].

وقال برهان الإسلام الزرنوجي (ت٥٩١هـ): «ويفترض على المسلم طلب ما يقع له في حاله، في أيِّ حالٍ كان؛ فإنه لا بدّ له من الصّلاة، فيفترض عليه علم ما يقع له في صلاته بقدر ما يؤدّي به فرض الصلاة... وكذلك في الصوم، والزكاة إن كان له مال، والحجّ إن وجب عليه، وكذلك في البيوع إن كان يتّجر... وكذلك في سائر المعاملات والحِرف، وكلُّ من اشتغل بشيءٍ منها يفترض عليه علم التحرُّز عن الحرام فيه»[٢].

وكلام الفقهاء متضافرة في هذا المعنى من لزوم ووجوب التعليم بأنواعه وجوبًا عينيًّا وكفائيًّا.

ويدلُّ على إلزاميّة التّعليم في الإسلام أدلة كثيرة، منها:

- قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۞ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۞ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۞ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق: ١-٥]، حيث تأمر الآية بالقراءة التي هي أداة التعلُّم والتعليم، والأمر يفيد الوجوب، ولمّا كانت القراءة واجبة والتعلُّم لا يكون إلاّ بها؛ فإنّ التعلم يكون واجبًا من باب مقدمة الواجب، وأيضًا فإن القراءة وسيلة إلى التعلم، فكان التعلم واجبًا؛ لكونه غاية الواجب.

- قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]، قال القرطبي (ت٦٧١هـ): «هذه الآيةُ أصلٌ في وُجُوب طلب العلم؛ لأنّ المعنى... وفي هذا إيجابُ التّفقُّه في الكِتاب والسُّنّة، وأنّه على الكِفاية دُون الأعيان»[٣]. وقال الزمخشري (ت٥٣٨هـ): «اللام لتأكيد النفي، ومعناه: أنّ نفير الكافة عن أوطانهم لطلب العلم غير صحيح ولا ممكن، وفيه أنه لو صح وأمكن ولم يؤدّ إلى مفسدة لوجب؛ لوجوب التفقّه على الكافّة؛ ولأنّ طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة. ﴿فَلَوۡلَا نَفَرَ﴾ فحين لم يمكن نفير الكافة ولم يكن مصلحة، فهلّا نفر ﴿مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ﴾، أي من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم يكفونهم النفير، ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ﴾ ليتكلفوا الفقاهة فيه، ويتجشموا المشاق في أخذها وتحصيلها»[٤].

- قوله تعالى: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، الآية تأمر بسؤال أهل الذكر -الذين

(١) الغزالي، إحياء علوم الدين ١/ ١٦.
(٢) الزرنوجي، تعليم المتعلم طريق التعلم، ص٥٩-٦٠.
(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٨/ ٢٩٣-٢٩٤.
(٤) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٢/ ٣٢٢-٣٢٣.

هم أهل العلم- عمّا لا يُعلَم من أمور الدين والدنيا، والأمر بالسؤال أمرٌ بالتعلُّم، والأمر يفيد الوجوب، فيكون التعلُّم واجبًا، قال القرطبي (ت٦٧١هـ): «فدخل فِي هذا من لا يعلمُ الكِتاب والسنن»[١].

- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، قال الغزالي (ت٥٠٥هـ): «وهو إيجابٌ للتّعليم»[٢]؛ حيث إنَّ الآية تحضُّ على بيان العلم وتنهى عن كتمانه، وذلك أمرٌ بتعليم العلم ونشره؛ إذ النهي عن الشيء أمرٌ بضدّه، كما هو مقرّر في الأصول[٣]؛ فيكون التعلُّم والتعليم مأمورًا به في الآية.

كما اشتملت السنّة النبوية المطهَّرة على الكثير من النصوص التي تحضُّ على العلم والتعلم وتأمر به، من ذلك:

- حديث أنس بن مالكٍ -المشهور- قال: قال رسُولُ الله ﷺ: «**طلبُ العِلمِ فرِيضةٌ على كُلِّ مُسلِمٍ**»[٤]. قال النووي (ت٦٧٦هـ) في أقسام العلم الشرعي: «الأوّلُ: فرض العين: وهو تعلُّم المكلّف ما لا يتأدّى الواجِبُ الّذِي تعيّن عليهِ فِعلُهُ إلّا به، ككيفية الوضوء والصّلاةِ ونحوِهما، وعليهِ حمل جماعاتٌ الحدِيث المروِيّ فِي مُسندِ أبِي يعلى الموصِلِيِّ عن أنسٍ عن النّبِيِّ ﷺ «**طلبُ العِلمِ فرِيضةٌ على كُلِّ مُسلِمٍ**»، وهذا الحدِيثُ وإن لم يكُن ثابِتًا فمعناهُ صحِيح، وحملهُ آخرُون على فرضِ الكِفايةِ»[٥].

فهذا الحديث نصٌّ صريحٌ في وجوب التعلُّم وإلزاميته على كلِّ مسلم، سواء أكان ذكرًا أم أنثى. والعلم هنا مطلق، وقد اختلف الفقهاء في المراد بالعلم الذي طلبه فريضة على أقوال كثيرة، والأولى -عندي- الإبقاء على إطلاقه فيشمل كلُّ علمٍ نافعٍ يحتاج إليه الفرد والمجتمع والأمّة. وبهذا نعلم أنّ الإسلام عرف

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٨/ ٢٩٣.

(٢) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين ١/ ٩.

(٣) الزنجاني، شهاب الدين محمود بن أحمد، تخريج الفروع على الأصول، ص٢٥١.

(٤) رواه ابن ماجه في السنن ١/ ١٥١، برقم ٢٢٤ باب فضل العلماء والحث على طلب العلم. وحديث أنس هذا روي من طرق عديدة، عن عدة من الصحابة، جمعها الشيخ العلامة الألباني في كتابه «تخريج أحاديث مشكلة الفقر» ص٤٨-٦٢، وقد بوّب له ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ١/ ٢٣، حديث ١١، فقال: بابُ قولِهِ -ﷺ-: «**طلبُ العِلمِ فرِيضةٌ على كُلِّ مُسلِمٍ**». وهذا الحديث المشهور على الألسنة محل اختلاف بين علماء الحديث، فمنهم من يضعفه، ومنهم من يرى أنه حديث حسن أو صحيح. قال البيهقي: «متنه مشهور وإسناده ضعيف، وقد روي من أوجه كلها ضعيفة». وقال العلامة القاري «لكن كثرة الطرق تدل على ثبوته ويقوى بعضه ببعض». وقال المزي تلميذ النووي «إن طرقه تبلغ رتبة الحسن». وقال السيوطي: «جمعت له خمسين طريقًا وحكمت بصحته لغيره». وصحح الألباني الشطر الأول منه في صحيح سنن ابن ماجه. وانظر: تخريج أحاديث الإحياء، للعراقي ١/ ٥٥-٥٧، والمقاصد الحسنة ص٢٧٥-٢٧٧، المرقاة ١/ ٤٧٨، فيض القدير ٤/ ٣٥٣.

(٥) النووي، المجموع شرح المهذب ١/ ٢٤.

فكرة التعليم الإلزامي منذ فجر الإسلام قبل عصرنا الحالي، فهو لم يكتفِ بجعل التعلُّم أمرًا متروكًا لمشيئة الفرد، يكون المرء مخيّرًا فيه، وإنما جعل منه فريضة، أي واجبًا مفروضًا عليه.

– حديث عبد الله بنِ مسعُود، قال: قال رسُولُ الله ﷺ: «**تعلّمُوا العِلم وعلِّمُوهُ النّاس، وتعلّمُوا القُرآن وعلِّمُوهُ النّاس، وتعلّمُوا الفرائِض وعلِّمُوها النّاس؛ فإِنِّي امرُؤٌ مقبُوض، وإِنّ العِلم سيُقبض، وتظهرُ الفِتن، حتّى يختلِف الِاثنانِ فِي الفرِيضةِ لا يجِدانِ أحدًا يفصِلُ بينهُما**»[(١)]. قوله: «**تعلّمُوا العِلم**» أمرٌ بالتعلُّم، والأمرُ للوجوب، فالتعلُّم واجب.

– توعد النبي ﷺ بالعقوبة على ترك التعلُّم والتعليم؛ وذلك فيما رواه عبدِ الرّحمنِ بنِ أبزى قال: «خطب رسُولُ الله ﷺ ذات يوم، فأثنى على طوائف مِن المسلمِينَ خيرًا، ثُمّ قال: «**ما بالُ أقوامٍ لا يُفقِّهُون جيرانهُم، ولا يُعلِّمُونهم، ولا يعظُونهُم، ولا يأمُرونهُم، ولا ينهونهم. وما بالُ أقوامٍ لا يتعلّمون من جيرانِهم، ولا يتفقّهُون، ولا يتّعظُون. والله ليُعلِّمنّ قومٌ جيرانهم، ويُفقِّهُونهم ويعظُونهم، ويأمُرونهم، وينهونهم، وليتعلّمنّ قومٌ مِن جيرانِهم، ويتفقّهُون، ويتفطّنُون، أو لأُعاجِلنّهُم العُقُوبة**»[(٢)]. ففيه تشديد على ترك التعلُّم والتّعليم؛ حيث شدّد في الحديث على كلتا الطائفتين اللتين تركتا العلم تعلُّمًا وتعليمًا، هذا وإن كان عنى بالقوم طائفة مخصوصة؛ لكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، كما هو مقرّرٌ في الأصول؛ فلم يعذر أحدٌ في ترك التعلُّم، بل يجب بذل الجهد في التعلُّم والتعليم بقدر الوسع والطاقة؛ لقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

المطلب الثاني: إلزامية التعليم بشقيه الديني والدنيوي

ومما ينبغي ملاحظته أنّ إلزامية التعليم وفرضيّته في الإسلام ليس قاصرًا على تعليم العلوم الشرعيّة، بل يتعدّى ذلك إلى ما هو نافعٌ للناس من علوم الدنيا (تكنولوجيا، هندسة، طب... إلخ). فالعلم في الإسلام كما يُطلَق على العلوم الدينيّة والشرعية كذلك يُطلَق على العلوم الدنيوية الحياتية؛ كما قال ﷺ: «**أنتُم أعلمُ بأمرِ دُنياكُم**»[(٣)].

---

(١) رواه الدارمي في المسند ١/ ٢٩٨، برقم ٢٢٧. وأبو يعلى في المسند ٨/ ٤٤١، برقم ٥٠٢٨. وأبو داود الطيالسي في المسند ١/ ٣١٨، برقم ٤٠٣. والنسائي في السنن الكبرى ٦/ ٩٧، برقم ٦٢٧١. والدار قطني في السنن ٥/ ١٤٤، برقم ٤١٠٤. والحاكم في المستدرك ٤/ ٣٦٩، برقم ٧٩٥٠. وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

(٢) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٦٤، برقم ٧٤٨ باب في تعليم من لا يعلم. قال الهيثمي: «رواهُ الطّبرانيُّ فِي الكبير، وفيه بُكيرُ بنُ معرُوف، قال البُخارِيُّ: ارمِ بِه. ووثّقهُ أحمدُ في رواية، وضعّفهُ في أُخرى. وقال ابن عدِيٍّ: أرجو أنّه لا بأس به». وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب، برقم ٩٧.

(٣) صحيح مسلم ٤/ ١٨٣٦، برقم ٢٣٦٣ بابُ وُجُوبِ امتِثالِ ما قالهُ شرعًا، دُون ما ذكرهُ -ﷺ- مِن معايِشِ الدُّنيا على سبِيلِ الرّأيِ.

وعليه؛ فإنّ العلوم -سواء علوم الدين أو علوم الدنيا- تنقسم بدورها إلى قسمين: علوم فرض عين، وعلوم فرض كفاية.

وفرض العين: هو ما طلب الشارع فعله طلبًا جازمًا من كل مكلف بعينه، فلا يكفي أن يقوم به البعض دون البعض الآخر، مثل: فعل العبادة، النفقة على الزوجة وغيرهما.

وعليه فالعلوم التي تُعد من فروض العين هي تلك التي يتعيّن على كلّ مسلمٍ ومسلمة ممّن اتصف بالعقل والبلوغ أن يُحصِّلها ويتعلّمها، وإذا لم يحصلها أثِم بسبب ذلك، وركبته السيئات بحجم التفريط الذي فرّط، فهذا النوع من العلوم حتميٌ على كلّ المسلمين.

وفرض الكفاية: هو ما طلب الشارع حصوله طلبًا جازمًا من جماعة المكلفين، فإن أقامه أحدهم أو بعضهم على الوجه المطلوب، سقط الإثم عن الباقين، وإن لم يقمه أحد أثم الجميع، ومنه: الجهاد في سبيل الله، والصلاة على الميت ودفنه، وغيرها[١].

فالعلوم التي هي فرض كفاية، هي تلك العلوم التي إن قام بها بعض المسلمِينَ على الوجه الأكمل، واستطاعوا أن يكفوا بقيّة الأمة فيها، فإنهم يثابون عليها ويسقط الإثم عن باقي الأمة، حتى أولئك الذين لم يقوموا بها، وأمّا إذا لم توفر الأمّة من العلماء ما يكفي حاجتها في فرع معيّن، فإنّ الإثم يقع على الجميع إلى أن تكفي الأمة حاجتها في ذلك الفرع، فتوفر الكمّ والنوع اللازم لسدّ كلِّ الثغرات[٢].

وهذا النوع من العلوم -دينيّة ودنيويّة- كثيرة جدًّا[٣]، والأمّة النجيبة الواعية هي التي توزِّع فروض الكفاية على أفرادها بحيث تسدُّ كلّ الثغرات لديها، وتكفى كلّ حاجاتها، بحيث لا يصبح هناك -مثلًا-

---

(١) انظر: النووي، المجموع شرح المهذب ١/ ٤٩.

(٢) قال الغزالي: «فإنه لو خلا البلد من الحجام تسارع الهلاك إليهم وحرجوا بتعريضهم أنفسهم للهلاك... فلا يجوز التعرض للهلاك بإهماله» إحياء علوم الدين ١/ ١٦.

(٣) دينية، مثل: دقائق علم العقيدة، ودقائق الفقه مثل فقه المواريث، ودقائق فقه التجارة لغير التجار، ودقائق الاقتصاد لغير الاقتصاديين، ودقائق تفسير القرآن، وأسباب النزول، وتفاصيل حياة الرسول وحياة أصحابه، والعلم برواة الحديث، ودرجاتهم من حيث الجرح والتعديل، وتفاصيل التاريخ الإسلامي، وفنون اللغة ودقائقها. ونحو هذا العلوم الدنيوية: فمثلًا: علم الطب يُعد فرض عينٍ على الطبيب، وعلم الهندسة يُعد فرض عينٍ على المهندس، وعلم الكيمياء فرض عينٍ على الكيميائي وهكذا. فإذا تعلم كل واحدٍ من هؤلاء مهنته وأتقنها وبرع فيها، ووصل إلى درجة من الابتكار وحل المشكلات في مجاله، وهكذا في كل تخصص، فإن الفرض يكفى، وبذلك يسقط الإثم عن المسلمين. أما إذا فشلت الأمة في إخراج عدد مناسب، وبكفاءة متميزة يكفون حاجة المسلمين، فإن الإثم يقع على الأمة جميعًا؛ وذلك لفشلها في تحقيق ذلك الأمر. وليس غريبًا بعد ذلك أن يكون من نتيجة ذلك الفشل أن تتخلف الأمة عن ركب الحضارة، وأن تكثر أزماتها ومشكلاتها، فضلًا عن سقوطها في أعين غيرها من الأمم الأخرى، فتصبح وقد اقتادها غيرها، وقد أضحت فريسة سهلة للطامعين، فلا يُستبعد أن تنتهك سيادتها، وأن تحتل أرضها، وأن تسلب ثرواتها.

تكدسٌ في أحد المجالات، ونقصٌ وقصورٌ في مجالات أخرى، وهذا يحتاج إلى اتساع أفقٍ وشمولِ نظرة.

لقد حثّ الرّسول ﷺ على تعلُّم اللغات الأخرى، وأمر به زيد بن ثابت أن يتعلم العبريّة[١]. ودعا الرسول ﷺ لمعاوية، فقال: «**اللهُمّ علِّمهُ الكِتاب والحِساب**»[٢].

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في تربية الأولاد وتعليمهم: «علموا أولادكم العوم والرماية، ومروهم فليثبوا على الخيل وثبًا، ورووهم ما يجمل من الشعر»، وذُكِر أنه كتب إلى الأمصار: «أما بعد، فعلموا أولادكم العوم والفروسية، ورووهم ما سار من المثل وحسُن من الشعر»[٣].

وتاريخ الأمّة حافلٌ بمئات، بل بآلاف العلماء المبدعِينَ في شتى مناحي العلوم، أمثال محمد بن موسى الخوارزمي (ت بعد **٢٣٢**هـ) أعظم علماء الرياضيات، وأبو بكر الرازي (ت**٣١١**هـ) الذي نبغ في علم الطب، وابن سينا (ت**٤٢٧**هـ) أشهر علماء الحضارة الإسلامية على الإطلاق، حتى إنه لُقب بالمعلم الثاني، تشبيها له بأرسطو، المعلم الأول، وكذلك الحسن بن الهيثم (ت**٤٣٠**هـ) الذي تفوق في البصريات والضوء، وجابر بن حيان الكوفي (ت**٨١٥**هـ) أبرز علماء المسلمين في الكيمياء[٤].

قال الزرنوجي (ت**٥٩١**هـ): «وأمّا حفظ ما يقع في الأحايين، ففرض على سبيل الكفاية؛ إذا قام البعض في بلدة سقط عن الباقين، فإن لم يكن في البلدة من يقوم به اشتركوا جميعًا في المأثم؛ فيجب على الإمام أن يأمرهم بذلك ويجبر أهل البلدة على ذلك»[٥].

ويعني هذا أن يهتمّ القائمون على البلدان بالبحث والدراسة عن احتياجاتهم؛ لتوجيه أبنائهم لدراستها، ويدخل في ذلك أيضًا تَفَقُّد الموجّهِينَ التربويينَ في المدارس أحوال الطلاب وتوجيههم نحو التخصُّصات التي تفتقر إليها البلد، وهم يقدرون عليها.

فالواجب هو لزوم التعليم وإلزاميته في مختلف المجالات والتخصُّصات النافعة التي تحتاج إليها الأمة في دينها ودنياها.

---

(١) عن خارجة بن زيدِ بن ثابت، قال: قال زيدُ بنُ ثابت: «أمرني رسولُ الله ﷺ فتعلمتُ له كتاب يهود، وقال: «**إني والله ما آمنُ يهود على كتابي**»، فتعلمتُه، فلم يمُرّ بي إلا نصفُ شهرٍ حتّى حذِقتُه، فكُنتُ أكتبُ له إذا كتب، وأقرأُ له إذا كُتِب إليه». حديث صحيح، رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن حبان والطبراني والبيهقي.

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير **١٩/ ٤٣٩**، برقم **١٠٦٦**. وأحمد في فضائل الصحابة **٢/ ٩١٤**، برقم **١٧٤٩**. وابن عساكر في المعجم **٢/ ١٠٤١**، برقم **١٣٤١**.

(٣) د. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام **١٢/ ١٣٤**.

(٤) د. سعيد عبد الفتاح عاشور، حضارة الإسلام، القاهرة: المعهد العالي للدراسات الإسلامية، **٢٠٠٥**م.

(٥) الزرنوجي، تعليم المتعلم طريق التعلم، ص٦٣.

وهذا دور الدولة الناجحة، أن ترقُب باستمرارٍ أوجه النقص، ومن ثمّ تسدُّ الخلل وتحرص على تكميله، والمسؤولية الضخمة في هذا الأمر تتحمله الدولة ممثلة في الحكومة، التي من أبرز واجباتها أن تسعى لرفعة شعبها وإعزاز أمّتها في كل المجالات، وهي غير معذورة في أيّ تقصير في هذا الأمر، كما أنه ليس هناك مبررٌ للبقاء في ذيل الأمم.

كما أنه دور الأفراد في أن يتوجهوا إلى سدّ الثغرات المهمّة والضعيفة، وألا يترك أصحاب التخصص منهم تخصصهم وينشغلوا بغيره من الأعمال التي لم يُكلَّفوا أصلًا بأدائها، ولم توجب عليهم، كما لا يستقيم لطالب رفعةٍ لهذه الأمة، وراجي التمكين لها في الأرض، أن يكون فاشلًا في مجاله، متخلفًا في صنعته أو في مهنته أو في علمه الذي وُكِّل به؛ إذ إن تقدم الأمة معتمدٌ على تقدُّمِه، وتخلفها هو نتيجة لتخلفه.

المطلب الثالث: إلزامية التعليم بشقّيه على كلا الجنسين

إذا علمنا إلزاميّة التعليم؛ وأنّ ذلك شاملٌ لجميع العلوم التي تحتاج إليها الأمّة؛ فإنّ الأصل في الخطاب الشرعي أنه خطابٌ موجّهٌ للجنسين ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ﴾ [النجم: ٤٥].

فالتّعليم حقٌّ مشاع، وهو حقٌّ مقدّس، فهو إذن حقٌّ لكلا الجنسين بجميع مراحله وجميع تخصُّصاته.

فطلب العلم في الإسلام ليس واجبًا على الذكور فقط، وإنما هو واجبٌ كذلك على الإناث، لا فرق في ذلك بينهنّ وبين الذكور، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم: ٦]. يقول المفسرون في شرح هذه الآية: يأمر الله بها تعليم أهل البيت وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر[١]، وروي عن عليّ في قوله: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ﴾ قال: «علّموا أنفسكم وأهليكم الخير»، وقال الحسن: «تعلمهم وتأمرهم وتنهاهم»، قال أبو بكر الجصاص (ت٩٨١هـ): «وهذا يدلُّ على أنّ علينا تعليم أولادنا وأهلينا الدّين والخير وما لا يستغنى عنه من الآداب»[٢]. يستوي في ذلك الأولاد والبنات؛ لقول رسول الله ﷺ: «**إنّما النِّساءُ شقائِقُ الرِّجالِ**»[٣]، أي نظائِرُهُم وأمثالُهم في الأخلاق والطباع؛ كأنهن شُقِقن منهم؛ ولكون حواء خلقت من آدم عليه الصلاة والسلام[٤].

لقد أولت الشريعة الإسلاميّة اهتمامًا كبيرًا بالمرأة باعتبارها قوام الأسرة وركيزتها الأساسيّة، وفي صلاحها صلاح حال الأسرة، ومن ثمّ صلاح المجتمع المسلم ككل.

---

(١) انظر: ابن جرير الطبري، جامع البيان ٢٣/ ١٠٣، الألوسي، روح المعاني ٢١/ ١٠١.

(٢) أبو بكر الجصاص، أحكام القرآن ٥/ ٣٦٤.

(٣) حديث صحيح، رواه أحمد وأبو داود والترمذي والبيهقي وغيرهم من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ٤٩٢.

والمرأة لغير المتعلّمة لن تقدر على تعليم وتربية أولادها، ولن تقدر على تنشئة أجيال واعية تشارك في نهضة وبناء مجد الأمة، كما قال شوقي:

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبًا طيب الأعراق

وإذا كان النبي ﷺ قد أمر بتعليم الأرقاء والإماء، فكيف يكون الأمر مع الأبناء والبنات، قال البخاري (ت٢٥٦هـ) رحمه الله تعالى في صحيحه: «بابُ تعليم الرّجُل أمتهُ وأهلهُ» ثم ساق حديثًا رواه أبُو بُردة عن أبيه قال: قال رسُولُ الله ﷺ: «**ثلاثةٌ لهُم أجرانِ: رجُلٌ مِن أهلِ الكِتابِ آمن بنبيِّه وآمن بمحمد ﷺ، والعبدُ المملُوكُ إذا أدّى حقّ الله وحقّ موالِيه، ورجُلٌ كانت عندهُ أمةٌ فأدّبها فأحسن تأدِيبها وعلّمها فأحسن تعلِيمها ثُمّ أعتقها فتزوّجها فلهُ أجرانِ**»[(١)]. وفيه حضٌّ على التعليم وتعليم المرأة خاصّة.

كما ساق البخاري رحمه الله حديثًا آخر في «باب هل يُجعلُ للنِّساء يومٌ على حِدةٍ في العِلمِ» عن أبِي سعِيدٍ الخُدرِيّ، قالت النِّساءُ للنّبيِّ ﷺ: غلبنا عليك الرِّجال، فاجعل لنا يومًا مِن نفسِك، «فوعدهُنّ يومًا لقِيهُنّ فِيهِ فوعظهُنّ وأمرهُنّ»[(٢)]. ووقع في رواية سهل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هُريرة بنحو هذه القصة، فقال: «**موعِدُكُنّ بيتُ فُلانة**»، فأتاهُنّ فحدّثهُنّ[(٣)]. فيه تعليم النساء، وفيه فضل نساء الصحابة وتوضيح مدى حرصهن على التعلُّم.

وهذا هو نبيُّنا الكريم ﷺ يأمر بتعليم زوجته السيدة حفصة رضي الله عنها، فقد روي عن الشِّفاءِ بِنت عبد الله قالت: دخل عليَّ رسُولُ الله ﷺ وأنا عند حفصة، فقال لي: «**ألا تُعلِّمِين هذه رُقية النّملةِ كما علّمتِيها الكِتابة**»[(٤)].

فالمرأة لها دور عظيم في بناء المجتمع ونهضته، وحتى تتمكن من المشاركة في بناء نفسها ومجتمعها وأمّتها لا بد من منحها كامل حقوقها وعلى رأس هذه الحقوق حقُّها في التعليم.

ومما يدلُّ على إلزاميّة التعليم للمرأة بوجهٍ خاصّ مع ما سبق:

- قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٤]، أمرت الآية أزواج النبي ﷺ أن ينشرن العلم من آيات الله والحكمة، وكان خصوص أمرهن بذلك أنهن يشاهدن من أحوال رسول الله ﷺ ويشهدن منه ما لا يشهده كثير ممن سواهن. وفي الآية حضّ المرأة

(١) صحيح البخاري ١/ ٣١، برقم ٩٧ كتاب العلم: بابُ تعلِيم الرّجُل أمتهُ وأهله.
(٢) صحيح البخاري ١/ ٣٢، برقم ١٠١ كتاب العلم: بابٌ: هل يُجعلُ للنِّساء يومٌ على حِدةٍ فِي العِلم؟
(٣) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري ١/ ١٩٦.
(٤) حديث صحيح، رواه أحمد وأبو داود وابن حبان والبيهقي وغيرهم.

خاصة وأمرها بالتعلُّم والتعليم.

- كذلك حديث أنسِ بنِ مالِكٍ -المتقدم-: «**طلبُ العِلمِ فريضةٌ على كُلِّ مُسلِمٍ**». فقد دل الحديث على وجوب التعلُّم وإلزاميته على كلِّ مسلم، ذَكرًا كان أم أنثى؛ إذ لا فرق بين الجنسين من حيث وجوب التعليم وإلزاميّته؛ ولأنّ لفظ (مسلم) الوارد في الحديث يشمل (المسلمة)، وقد ألحق بعض المصنّفين في آخر هذا الحديث «**ومُسلِمةٍ**»[١]. قال النووي في المجموع: «وهذا الحديث وإن لم يكن ثابتًا، فمعناه صحيح»[٢].

- أثر عائشة رضي الله عنها قالت: «**نِعم النِّساءُ نِساءُ الأنصار، لم يكُن يمنعُهُنّ الحياءُ أن يتفقّهن فِي الدِّينِ**»[٣]. وفيه فضيلة لنساء الأنصار خاصّة في توجههن نحو العلم والتفقه في الدين؛ لا يحول بينهنّ وبين تحصيل العلم شيء، وهكذا يجب على النساء في كلِّ زمانٍ ومكانٍ أن لا يمنعهنّ الحياء ولا غيره عن التعلُّم ما يعود عليهن وعلى الأمّة بالنفع والفائدة.

(١) الحديث ورد بدون زيادة لفظ «ومسلمة» فهذه اللفظة لم ترد في أي من طرق الحديث الكثيرة، قال الحافظ السخاوي: «تنبيه: قد ألحق بعض المصنفين بآخر هذا الحديث «ومسلمة» وليس لها ذِكر في شيء من طرقه، وإن كان معناها صحيحًا». المقاصد الحسنة ص٢٧٧.

(٢) النووي، المجموع شرح المهذب ١/ ٢٤.

(٣) البخاري ومسلم.

المبحث الخامس
موقع التعليم في سلم المصالح والحقوق

وفيه مطلبان

المطلب الأول: موقع التعليم في سلم المصالح

لا خلاف بين العلماء على أهمية المصلحة في الشريعة الإسلاميّة، وأنّ الأحكام والتصرُّفاتِ الدّينيّة منها والدنيوية جميعها وُضِعَت ابتداءً لتحقيق مصالح العباد في الدنيا والآخرة؛ لذلك ظهرت القاعدة «الشريعة الإسلاميّة كلُّها مصلحة»، وهذه القاعدة هي أمُّ القواعد المقاصديّة وأعمّها وأوسعها؛ بحيث لا يُتَصَوّر الخُلف عن هذه القاعدة في أحاد جزئيّات الشريعة، وقد وصفها ابن عاشور (ت١٣٩٥هـ) بأنها «قاعدة كلية في الشريعة»[١]، وافتتح بها الشاطبي (ت٧٩٠هـ) الجزء الخاصّ بالمقاصد في كتابه الموافقات[٢]؛ ذلك أنّ التشريعات الإسلامية في جميع مجالاتها الدّينية والدنيويّة موضوعةٌ لتحقيق مصالح الناس، سواء من حيث تكثير المنفعة أو دفع أضداد المنفعة وهي المفاسد. ووصف القرافي (ت٦٨٤هـ) مراعاة المصلحة بأنها عادة الله تعالى في الخلق وفي وضع التشريعات، حيث قال: «إنّ عادة الله تعالى في الشرائع أنّ الأحكام تتبع المصالح»[٣]، ويتّضح من ذلك أنّ الفعل حين يعتبر عادة؛ فإنه يكون صفة ملازمة للفاعل في كلّ وقتٍ وحين، ولذا يستحيل أن يخلو حكم في الشرع من مصلحة تناسبه.

والمصلحة في اللغة: هي المنفعة -وزنًا ومعنى-، مشتقٌّ من الصّلاح وهو ضد الفساد[٤].

أمّا المصلحة اصطلاحًا: فقد عرَّفها ابن قدامة (ت٦٢٠هـ) بأنها: جلب المنفعة، ودفع المضرّة[٥].

وعرَّفها الغزالي (ت٥٠٥هـ) بأنها: المحافظة على مقصود الشرع؛ فقال: «أما المصلحة فهي عبارة في الأصل عن جلب منفعة أو دفع مضرة[٦]، ولسنا نعني به ذلك؛ فإن جلب المنفعة ودفع المضرة مقاصد

(١) ابن عاشور، مقاصد الشريعة ٣/ ١٩٧.
(٢) الشاطبي، الموافقات ٢/ ٩.
(٣) القرافي، أحمد بن إدريس، الفروق ٣/ ٩٥، ط. عالم الكتب.
(٤) المعجم الوسيط ١/ ٥٢٠.
(٥) ابن قدامة، روضة الناظر ١/ ٤٧٨.
(٦) المنفعة: عبارة عن اللذة أو ما يكون طريقًا إليها، والمضرة: عبارة عن الألم أو ما يكون طريقًا إليه. وهذا شامل لما هو حسي ولما هو معنوي من اللذات والآلام، ولهذا عمد ابن عبد السلام إلى مزيد من التوضيح في تعريفه، فقال: «المصالح أربعة

الخلق وصلاح الخلق في تحصيل مقاصدهم، لكنا نعني بالمصلحة المحافظة على مقصود الشرع، ومقصود الشرع من الخلق خمسة، وهو أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوّت هذه الأصول فهو مفسدة ودفعها مصلحة»[١].

فالمحافظة على هذه الأصول الخمسة، هي أمُّ المصالح، ولا يعني ذلك حصر المصلحة في هذه الخمسة فقط؛ لأنّ المصلحة الشرعيّة هي المصلحة التي تعود بالنفع على الإنسان في جسمه وروحه، وحاضره ومستقبله، وفرده وجماعته، وقومه وإنسانيته، ودنياه وآخرته، فهي عامة وشاملة؛ وعليه يمكن تعريف المصلحة بتعريف جامع أنها: المنفعة التي قصدها الشّارع الحكيم لعباده، في أمور دينهم ودنياهم، وليس في الشرع ما ينفيها[٢].

وهذه المصالح على ثلاثة مراتب:

المرتبة الأولى: المصالح الضّرورية: وهي التي لا بدّ منها في قيام مصالح الدين والدنيا، ويترتب على فقدانها اختلال وفساد كبير في الدنيا والآخرة، وبقدر ما يكون من فقدانها بقدر ما يكون الفساد والتعطل في نظام الحياة. وهذه الضرورات خمس، وهي: الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال. وقد أتى في الدين من التشريعات ما يحفظ به هذه الضرورات. قال الغزالي (ت٥٠٥هـ): «ومقصود الشرع من الخلق خمسة، وهو أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة ودفعها مصلحة»[٣].

المرتبة الثانية: المصالح الحاجية: وهي التي يتحقق بها رفع الضيق والحرج عن حياة المكلفين، والتوسعة فيها، مثل: الرخص للمسافر لسبب السفر، وإباحة الصيد، وغيرهما.

المرتبة الثالثة: المصالح التحسينيّة: وهي المصالح التي تليق بمحاسن العادات ومكارم الأخلاق والآداب، مثل: آداب الأكل والشرب... وغيرها، شأنها أن تتمّ وتحسن تحصيلها[٤].

أنواع: اللذات وأسبابها، والأفراح وأسبابها. والمفاسد أربعة أنواع: الآلام وأسبابها، والغموم وأسبابها. وهي منقسمة إلى دنيوية وأخروية». فقد فرق في المصالح بين اللذات والأفراح. وفرق في المفاسد بين الآلام والغموم. وذلك للتنبيه على المعنويات من المصالح والمفاسد. انظر: الريسوني، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، ص٢٣٤.

(١) الغزالي، المستصفى ١/ ٤١٦.

(٢) د. مرضي العنزي، المصلحة في الفقه الإسلامي، موقع الألوكة https://www.alukah.net/sharia/

(٣) الغزالي، المستصفى ١/ ٤١٦.

(٤) الشاطبي، الموافقات ٢/ ٢١، الريسوني، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، ص١٤٥.

والحاصل من ذلك كلّه؛ أنّ المصلحة تمثّل محورًا أساسيًّا في الشريعة الإسلاميّة؛ لذلك اعتبرت أحد مصادر التشريع الإسلامي، وتتأكّد هذه الحقيقة من الأصول والقواعد التشريعيّة المتنوّعة التي ترجع إلى اعتبار المصلحة، ومن أصرحها وأشهرها أصل «المصلحة المرسلة» التي اعتمدها بعض المذاهب، بل اعتبرها جميع المذاهب في التحقيق دون خلاف(١).

وإذا نظرنا إلى التّعليم وأهميته ومكانته وحكمه الشرعي، ونظرًا لكونه أصل وأساس حفظ المصالح ودرء المفاسد؛ واعتبارًا بما يترتب على عدمه من آثار وخيمة؛ كان التّعليم بشقّيه الدّيني والدنيوي مصلحة، وكانت مصلحة ضروريّة؛ ينبغي تحصيلها وجلبها ونشرها لكلا الجنسين؛ لما يترتب على التعليم من صلاح الدنيا والدين، ويترتب على عدمه من فساد وتهارج واضطراب.

المطلب الثاني: موقع التعليم في سلّم الحقوق

يُعدُّ الإنسانُ مخلوقًا اجتماعيًا لا يُمكن أن يعيش وحده بمعزلٍ عن الآخرين، لذلك ظهر مفهوم الحقوق والقوانين؛ فالقانون عبارة عن مجموعةٍ من القواعد والأنظِمة التي تُنظّم علاقة الأفراد في المجتمعات مع بعضهم بعضا، وبذلك فهو يحمي الحُقوق التي يمتلكها هؤلاء الأفراد، وبالتالي استمرار استقرار المجتمع وتوازنه.

والحقّ في اللغة: هو الثابت والواجب والمؤكّد، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ﴾ [القصص: ٦٣]، أي ثبت ووجب عليهم، وقال أيضا: ﴿وَلِلۡمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢٤١]، أي واجبا عليهم(٢).

قال ابن فارس (ت**٣٩٥**هـ): «الحاءُ والقافُ أصلٌ واحِد، وهُو يدُلُّ على إحكامِ الشّيءِ وصِحّتِه. فالحقُّ نقِيضُ الباطِل، ثُمّ يرجِعُ كُلُّ فرعٍ إليهِ بِجودةِ الِاستِخراجِ وحُسنِ التّلفِيقِ»(٣).

وقد جاءت لفظة «الحق» في القرآن على معانٍ كثيرةٍ، منها: الثبوت، والوجوب، والنصيب، والصدق، ونقيض الباطل، والحقُّ اسمٌ من أسماء الله تعالى.

الحق اصطلاحًا: لم يهتمّ فقهاء المسلمين القدامى بتعريف كلمة الحقّ على الرّغم من كثرة استخدامهم

(١) قال القرافي: «أما المصلحة المرسلة، فغيرنا يصرح بإنكارها ولكنهم عند التفريع تجدهم يعللون بمطلق المصلحة ولا يطالبون أنفسهم عند الفوارق والجوامع بإبداء الشاهد لها بالاعتبار بل يعتمدون على مجرد المناسبة، وهذا هو المصلحة المرسلة». انظر: القرافي، أحمد بن إدريس، الذخيرة ١/ ١٥٢، ط. الأولى، ١٩٩٤م، دار الغرب الإسلامي، لبنان.

(٢) الرازي، مختار الصحاح، ص١٦٧، المعجم الوسيط ١/ ١٨٨، معجم لغة الفقهاء، ص١٨٣.

(٣) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ٢/ ١٥.

لها في كتاباتهم، فلم يذكروا تعريفًا اصطلاحيًا للحقّ، وكان تعريفهم يدور حـول معنى الحقِّ من الناحية اللغوية.

وعرّف الحقّ الفقهاء المعاصرون بعدّة تعريفات، منها تعريف الأستاذ مصطفى الزرقا (ت١٤٢٠هـ) بأنه «اختصاص يقرّر به الشرع سلطة أو تكليفًا»(١). وقال بعضهم: الحق: «اختصاص يقر به الشرع سلطة على شيء، أو اقتضاء أداءٍ من آخر؛ تحقيقًا لمصلحة معيّنة»(٢).

الحق في القانون: عرّف القانونيون الحقّ بعدّة تعريفات، ولعل أجمعها تعريف الدكتور حسن كيرة، حيث قال: الحق هو «الرابطة القانونية التي بمقتضاها يخوِّل القانون شخصًا من الأشخاص –على سبيل الانفراد والاستئثار– التسلُّط على شيء أو اقتضاء أداءٍ معين من شخص آخر»(٣).

هذا الحقُّ أنواع كثيرة(٤)، من أبرزها: حقُّ التعليم.

التعليم حقٌّ من الحقوق الأساسيّة للإنسان، والله تعالى قد ميّز الإنسان بالعقل، ورأس العقل المعرفة، والواجب على الإنسان أن يستثمر هذه النعمة العظيمة التي أنعم الله بها عليه.

وحقُّ الإنسان في التعليم من الحقوق التي كفلتها الأمم المتحدة، كحقٍّ من حقوق الإنسان، سواء كان طفلًا أو شابًا أو شيخًا. وهو حقٌّ من الحقوق الاقتصاديّة والاجتماعيّة التي نصّت عليها العهود والمواثيق

(١) د. وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته ٤/ ٣٦٦.

(٢) د. فتحي الدريني، الحق ومدى سلطان الدولة في تقييده، ص١٩٣، ود. كمال المصري، الحق بين اللغة والشرع والقانون، ص٥-٦.

(٣) د. كمال المصري، الحق بين اللغة والشرع والقانون، ص٨، تعريف الحق بين اللغة والشرع والقانون، موقع إسلام أون لاين: https://islamonline.net/archive/

(٤) تقسم الحقوق إلى قسمين كبيرين، هما: الحقوق السياسية، والحقوق غير السياسية (المدنية). الحقوق السياسية: وهي الحقوق التي تُتيح للشّخص حريّة الانتماء للجماعات السياسية ضمن قوانين واعتبارات مُحدّدة. والحقوق غير السياسية (المدنية): هي الحقوق اللازمة لحياة الفرد المدنية، حيث تثبت للجميع دون استثناء. وتقسم الحقوق المدنية إلى: الحقوق العامة: وهي الحقوق التي تثبت للشخص بصِفته إنسانًا، وتلازمه منذ ولادته إلى حين وفاته، ومنها حقّ الإنسان في الحياة، وسلامة جسده، وخلوّه من الأمراض، وعدم الاعتداء على ماله وعرضه، والحق في العمل والزواج والإنجاب وغيرها. والحقوق الخاصة: وهي التي لا تثبت للجميع، وإنما تثبت للأشخاص بقدر أحوالهم، وتقسم إلى: الحقوق العائلية: هي الحقوق التي تثبت للشخص بصفته عضوًا في الأسرة، كحق الزوج في الطاعة، وحقّ العشرة الطيبة. الحقوق المالية، تقسم إلى: الحقوق العينية: هي عبارة عن قُدرة أو ميزة تُمنح لصاحب الحق من قِبل القانون على شيءٍ مُعيّن ومحدّد، حيث يمكن له التصرف به واستعماله واستغلاله كيفما يشاء. الحقوق الشخصية: هي السلطة التي يمنحها القانون لشخصٍ ما يطلق عليه اسم الدائن اتجاه شخصٍ ما يطلق عليه اسم المدين. الحقوق المعنوية: هي الحقوق التي لا يُمكن تخصيصها بشيءٍ مُعيّن مثل حق التأليف وحق الحصول على الاسم التجاري. انظر: موقع موضوع https://mawdoo3.com/

الدولية ودساتير معظم الدول في العالم[١].

وكان للإسلام فضل السّبق في إقرار هذا الحقِّ حينما حثّ على طلب العلم وأكّد على أنه فرض، وأنه مصلحة ضرورية، يتوقف عليه صلاح الإنسان وفلاحه في الدنيا والآخرة، وأنه حقٌّ مشاع لجميع الأجناس وجميع الأعمار، يبدأ منذ المهد وحتى اللحد[٢].

وعليه؛ فإنّ التّعدي على حقّ التّعليم، ومنعه وحرمانه بعض الناس بسببٍ وبدون سبب، يُعدُّ اعتداءً وظلمًا لا مبرّر له، ولا يقبله التشريع السّماوي ولا قوانين الأرض؛ ويستحق فاعله العقوبة الرادعة.

وإذا كان التعليم حقٌّ من حقوق الإنسان؛ فإنه واجبٌ على الدُّول والحكومات توفير التعليم المجاني لشعوبهم في جميع المراحل الدراسيّة ولمختلف المجالات والتخصُّصات.

ومما يؤسف له، أن نشهد الكثير من التنظيمات والمحافل في هذا العصر التي لا زالت تناقش حقّ الطفل في التعليم، رغم أنه حقٌّ أصيل لا ينبغي أن يكون موضع جدالٍ أو خلاف، في حين يجب على الحكومات ومؤسّسات المجتمع المدني أن تؤمِّن للطفل بيئة اقتصاديّة واجتماعيّة سليمة تسمح له بممارسة حقه الخالص في التعليم، أما الأطفال الذين لا يجدون فرصة للتعليم، الذين يتركون مدارسهم للعمل من أجل قوت يومهم، فمسئولية هؤلاء يجب أن تتعلق برقاب حكوماتهم قبل مجتمعهم وأهليهم.

بل الواجب في هذا العصر أن ينصبّ الحديث على حقوق أعلى مستوى من الحق المجرد، وهي حق الطفل في التعليم المميّز، أو حقّه في التعليم الإلكتروني، فالحقُّ ليس في التعليم فقط، وإنما في التعليم المميّز الذي يخلق المبدعِينَ.

(١) ومنها قانون التعليم في جزر القمر، المراجع عام **٢٠٢٠**م، حيث وردت فيه **٧** مواد قانونية في الفصل (١) منه، تحت عنوان: حق التعليم.

(٢) حديث: «**اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد**» لا أصل له، لكن شواهد الدين تقرّر ذلك.

المبحث السادس
الإنفاق على التعليم

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: الإنفاق على التعليم... مفهومه وأهمّيته وحكمه

وفيه ثلاثة فروع

الفرع الأول: مفهوم الإنفاق على التعليم

الإنفاق على التعليم يقصد به: النفقات التي تصرف على العمليّة التعليميّة بجوانبها المختلفة؛ فهو يشمل جميع مصارف الإنفاق المادية، وكذلك كلّ ما يتعلق بالنواحي البشرية.

والمراد بالإنفاق على التعليم: إيجاد مصادر مالية قادرة على تغطية احتياجات المؤسّسات التعليميّة كاملة، حتى تتمكن من تحقيق أهدافها ورسالتها التربوية والبحثية.

والإنفاق الحكومي على التعليم: يعني الإنفاق الجاري والإنفاق الرأسمالي على التعليم من قبل الإدارات المحليّة والإقليمية الوطنية / المركزية، بما فيها البلديات[١].

والإنفاق على التّعليم له جانبان: إنفاق استهلاكي، وإنفاق استثماري؛ لأنه وبفضل تطور النّظرة الاقتصادية والاجتماعيّة للعمليّة التعليميّة، أصبح يُنظَر إلى التّعليم كخدمة استهلاكيّة تقدّمها الدّولة والمؤسّسات لتحقيق الإشباع لأفرادها، ثم تطوّر إلى أن أصبح النّظر إليه على أنّه استثمار يحقِّق عائدًا اقتصاديًّا[٢].

الفرع الثاني: أهمية الإنفاق على التعليم

يُعَدُّ الإنفاق على التّعليم مدخلًا مهمًّا لأيِّ نظام تعليمي؛ ذلك أنه من عوامل تحريك كفاءة التعليم، وبدون الإنفاق اللازم على التعليم يقف التّعليم عاجزًا عن أداء مهامه الأساسية. وتُقاس مدى أهمية

(١) معهد اليونسكو للإحصاء – الموجز التعليمي العالمي ٢٠٠٤ /https://www.unescwa.org

(٢) التعليم بين الاستهلاك والاستثمار، موقع أبحاث أوراق تربوية /http://abhath.awraqtarbawia.net

التعليم لأيّ دولة من الدُّول بمدى إنفاقها وتمويلها عليه؛ لأنه يزوّد المجتمع بالقوى الاقتصادية الضرورية التي تمكنها من الحصول على احتياجاتها من الموارد البشرية والمادية. وتبذل الحكومات كلّ ما في وسعها لنشر التعليم على كافة المستويات بين الأهالي؛ ذلك أن التعليم يعدُّ أعظم استثمار للمجتمع في أفراده وفى شبابه وأُسره.

وتأتي أهمّية الإنفاق على التعليم من أهمية التّعليم نفسه؛ كما أنه يمكّن من تحقيق أهداف التعليم، التي من أهمّها ما يلي:

١- تطوير عمليّة التعليم.

٢- تأمين مستقبل الأجيال، بتأمين انتفاع جميع الطلبة بالخدمات التعليميّة وتلقي العلم في المدارس والجامعات والمعاهد والكليات المختلفة.

٣- النهوض بالمجالات الأخرى، حيث إنّ التعليم المتطوّر، الذي يتلقى الدّعم الحقيقي المنظم يخرّج أجيالًا تحمل خبرات تعليميّة جيّدة، تنفع المجتمع والدولة في جميع المجالات.

٤- إيجاد نوع من التناسق بين الخدمة التعليميّة وغيرها من الخدمات التي تتنافس على الموارد المتاحة للدولة.

٥- تقويم التعليم؛ حيث يعدُّ الإنفاق على التعليم بمثابة تقويمٍ له، فيمكن التعرف على مواطن القوى والضعف في المشروع التعليمي والعمل على وضع البدائل المناسبة للإنفاق، بحيث تتحقق الأهداف المرجوة منه.

٦- الرقابة على الأنشطة التعليميّة؛ حيث تمثل ميزانية التعليم أداة رقابة؛ لأنها تحدّد الأنشطة التي تُمولها بشرط أن تكون مرنة.

الفرع الثالث: حكم الإنفاق على التعليم

لقد قرّر فقهاء الإسلام أنه يلزم على المسلمين كفاية طالب العلم إذا خرج للطلب؛ ولو امتنعوا عن كفايته يُجبرون كما يجبرون في الزكاة إذا امتنعوا عن أدائها.

كما اتفقوا على جواز صرف الزكاة لطالب العلم ولو كان غنيًّا إذا فرّغ نفسه لإفادة العلم واستفادته، بل صرّحوا بجواز نقل الزكاة من بلدٍ إلى بلدٍ آخر لطالب العلم، مع أنّ الأصل منع نقلها ما دام فيهم محتاج

إليها[١]. قال النووي (ت٦٧٦هـ): «ولو قدر على كسبٍ يليقُ بحالهِ إلاّ أنّهُ مُشتغِلٌ بتحصيلِ بعض العُلُومِ الشّرعيّةِ بحيث لو أقبل على الكسبِ لانقطع عن التّحصيلِ حلّت لهُ الزّكاةُ؛ لأنّ تحصيل العِلمِ فرضُ كِفايةٍ»[٢].

كما جعل العلماءُ الصّرف على المواد التي يحتاج إليها طالب العلم -كالكتب والمقررات الدراسية ومستلزمات ذلك من حبر وورق- من مصارف الزكاة؛ لأنّ ذلك من جملة ما يحتاجه طالب العلم فهو كنفقته، وعمّموا في العلوم بحيث تشمل كلّ ما فيه مصلحة دينه ودنياه. سُئِل ابنُ تيمِيّة (ت٧٢٨هـ) عمّن ليس معهُ ما يشترِي بِهِ كُتُبًا يشتغِل فِيها، فقال: «يجُوزُ أخذُهُ من الزّكاةِ ما يحتاجُ إليه من كُتُبِ العِلمِ التي لا بُدّ لمصلحةِ دِينِهِ ودُنياهُ منها»[٣]. قال البُهُوتِيُّ (ت١٠٥١هـ): «ولعل ذلِك غيرُ خارِجٍ عن الأصنافِ؛ لِأنّ ذلك من جُملةِ ما يحتاجُهُ طالِبُ العِلمِ فهُو كنفقتِهِ»[٤].

كما جعل الفقهاء رعاية طلاب العلم والعلماء واجبًا على الدولة، وأثبتوا لهم حقًّا معلومًا في بنود ميزانيتها؛ فقد ذكر الإمام ابن عابدين الحنفي في حاشيته أنّ من مصارف بيت المال كفاية العلماء وطلاب العلم المتفرّغين[٥].

فتبيّن من هذا؛ أنّ الإنفاق على التعليم أمرٌ واجبٌ على المسلمين أفرادًا وجماعاتٍ ودُولًا؛ نظرًا لأهمية التعليم ولزومه؛ ولا يتم التعليم إلا بنفقة، فكانت واجبة من باب ما لا يتمُّ الواجب إلاّ به فهو واجب.

المطلب الثاني: الإنفاق على التعليم في الحضارة الإسلاميّة

لقد جاء القرآنُ الكريم والسنّة النبويّة المطهّرة بتفضيل أهل العلم على من سواهم، وكان الرسول ﷺ يحضُّ أصحابه -خاصّةً من «أهل الصُّفة» الفقراء- على التعلُّم، ويفرّغهم لاكتسابه؛ حيثُ كان يتولّى تعليمهم بنفسه، كما جاء في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «**أقبل أبُو طلحة يومًا فإذا النّبِيُّ ﷺ قائِمٌ يُقرِئُ أصحاب الصُّفّةِ**»[٦]، قال أبو نعيم (ت٤٣٠هـ): «كان شُغلُهُم تفهُّم الكِتابِ وتعلُّمهُ»[٧].

---

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية ٢٨/ ٣٣٦.

(٢) النووي، المجموع شرح المهذب ٦/ ١٩٠.

(٣) السلمان، الأسئلة والأجوبة الفقهية ٢/ ٩٩، الموسوعة الفقهية الكويتية ٢٨/ ٣٣٧.

(٤) منصور البهوتي، كشاف القناع عن متن الإقناع ٢/ ٢٧١.

(٥) ابن عابدين، حاشية ابن عابدين ٤/ ٢١٧.

(٦) رواه الطبراني في المعجم الكبير ٢٥/ ١١٤، برقم ٢٨٤. وأبو نعيم في الحلية ١/ ٣٤٢، ذكر أهل الصفة.

(٧) أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ١/ ٣٤٢.

وكان عليه الصّلاة والسّلام يجعلهم مصرفًا للزكاة والصدقات والهدايا، وخصّص لهم حصصًا غذائية يوميّة مقدارها مدٌّ من تمرٍ بين رجلين؛ كما رواه ابن حبان في الصحيح عن طلحة بن عمرو قال: «**فكُنتُ فِيمن نزل الصُّفّة، قال: فرافقتُ رجُلًا، فكان يُجرى علينا مِن رسُولِ الله ﷺ كُلّ يومٍ مُدٌّ مِن تمرٍ بين رجُلينِ**»[1]. (والمدّ النبوي يساوي نحو نصف كيلوغرام).

وكان عدد أهل الصفة يقدّر بسبعين رجلًا، وقد ذكر منهم أبو نعيم **٥٢** اسمًا؛ بينهم عدد من ذوي المكانة العلميّة الكبيرة مثل أبي هريرة وسلمان الفارسي وأبي سعيد الخدري وأبي ذر الغفاري، وكلُّ هؤلاء من كبار علماء الصّحابة وفقهائهم الذين كان الناسُ يفزعون إليهم في التعلّم والفتيا أيام الصحابة ومن بعدهم.

وبعد غزوة بدر؛ جعل النبيُّ ﷺ فداء بعض الأسرى بتعليم أحدهم عشرة من أبناء الأنصار القراءة والكتابة؛ يقول ابن قيم الجوزية (ت**٧٥١**هـ): «وفادى أسرى بدرٍ بالمالِ بِأربعةِ آلافٍ إلى أربعِمِائة، وفادى بعضهُم على تعلِيمِ جماعةٍ مِن المُسلِمِين الكِتابة»[2]. وكما ذكر ابن القيم في فداء أسرى بدر أنّ أقلّ مبلغٍ لفداء الأسير المشرِكِ هو أربعمئة درهم إلى أربعة آلاف درهم؛ فإنه يمكن أن يقدّر تكلفة الإنفاق على التعليم الأولي للطالب الواحد **٤٠٠** درهم فضي (**٥٠٠** دولار أمريكي تقريبًا).

انقضى العصر النبوي وتتابعت العصور والمسلمون (خلفاء ووزراء وعلماء وأغنياء) على نهج نبيّهم ﷺ في الاهتمام بالإنفاق على التعليم بكل جوانبه.

وقد اتخذ الإنفاق على التعليم أشكالًا مختلفة، وتعدّدت أغراضه وأهدافه، وتنوّعت الفئات التي استفادت منه من العلماء وأرباب شتى الفنون والتخصُّصات، وسادت ثقافة الإنفاق على التعليم وتنوَّعت طُرقه؛ حتى صار من أعظم أبواب البرّ، وصار يؤدّى من بلدٍ إلى بلد، وأصبحت رعاية طلاب العلم شرفًا يتسابق إليه الأمراء والكبراء من التجار والعلماء وغيرهم إلى هذا اليوم، عدا ما كانت الدُّول تقوم به من إنشاء المدارس وتمويله في شتى أصقاع البلاد الإسلاميّة.

وقد دُهش الرّحالة الأندلسي ابن جبير (ت**٦١٤**هـ) حين زار مصر من كثرة المدارس التي بناها صلاح الدّين، وضخامة مخصّصاتها المالية المرصودة للمدرسِينَ والدارسِينَ فيها صغارًا وكبارًا. فقال: «وللأيتام من الصبيان محضرة (كُتّاب) كبيرة بالبلد، لها وقف كبير يأخذ منه المعلم لهم ما يقوم به، وينفق منه على

(١) صحيح ابن حبان **١٥**/ ٧٧-٧٨، برقم ٦٦٨٤. وشعب الإيمان، للبيهقي ٧/ ٢٨٤، برقم **٩٨٤٢**. وحلية الأولياء، لأبي نعيم **١**/ **٣٣٩**، ذكر أهل الصفة.

(٢) ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد **٥**/ ٦٠.

الصبيان ما يقوم بهم وبكسوتهم؛ وهذا أيضًا من أغرب ما يُحدّث به من مفاخر هذه البلاد»[١].

لقد كان الإنفاق على التعليم في التاريخ والحضارة الإسلامية فائدة عظيمة على العلم؛ إذ جعل التعليم المتميّز مشاعًا بين أبناء المسلمِينَ من كلِّ المذاهب والمشارب؛ فألغت بذلك النخبوية في المجتمع واحتكار العلم على فئة دون فئة، ولم تعرف ما أصبح مشاهدًا لدينا اليوم من التّمايز بين الجامعات العالمية، حيث ارتبطت جودة التعليم بثراء المنتسبِ إليها.

المطلب الثالث: الإنفاق على التعليم في هذا العصر

يبرز دور الدولة في التنمية البشرية المستدامة من ثلاثة مؤشرات أساسية، هي:

١- حجم نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي.

٢- الإنفاق العام على الصحة كنسبة مئوية من الناتج المحلي الإجمالي.

٣- الإنفاق على التعليم كنسبة مئوية من الناتج المحلي الإجمالي، وكذلك كنسبة مئوية من مجموع الإنفاق الحكومي.

كما يعدُّ التعليم أحد مرتكزات الأمن القومي لأيّ دولة، فمن طريقه يتحدّد مستوى الدولة ومكانتها بين دول العالم؛ لأنّ التقدُّم في نظام التعليم يعني التقدُّم في كلِّ مسارات الحياة. فلا يكفي أن يتوافر لدولة ما موارد اقتصادية وطبيعية كبيرة لتحقيق التنمية، بل يجب عليها أيضًا أن تجتهد لإيجاد رأسمال بشري مؤهل وقادر على إدارة تلك الموارد بكفاءة وفعالية[٢].

ويتزايد الاهتمام بموضوع الإنفاق على التعليم حديثًا مع بروز تحديات عالمية تجعل كثيرًا من الدُّول عاجزة عن الاستمرار في الإنفاق على التعليم اعتمادًا على ميزانيتها الحكومية، ما يستلزم البحث عن مصادر غير حكومية لتمويل التعليم؛ نظرًا لتزايد نفقات التعليم الناشئ عن زيادة أعداد الطلاب وزيادة الطلب الاجتماعي على التعليم، وتبني مفاهيم الجودة الشاملة، ما يرفع تكلفة التعليم، ويستلزم البحث عن مصادر إضافية للإنفاق على التعليم؛ كالمصادر الخاصة، والمصادر الذاتية، والمصادر الخارجية، والأوقاف، والزكاة.

وبحسب اليونيسكو؛ فإنّ المصادر الرئيسة لتمويل التعليم ثلاثة، هي: الحكومات والجهات المانحة والأسر المعيشية.

---

(١) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٢٢٠.

(٢) د. نصر عبد الكريم، الإنفاق الحكومي على التعليم العام في العالم العربي، ص٢.

ويقدّر تقرير اليونيسكو الإنفاق السنوي على التعليم بمبلغ ٤,٧ تريليونات دولار أمريكي في جميع أنحاء العالم. وينفق من ذلك ٣ تريليونات دولار أمريكي (٦٥٪ من المجموع) في البلدان المرتفعة الدخل، و٢٢ مليار دولار أمريكي (٠,٥ ٪ من المجموع) في البلدان المنخفضة الدخل، على الرغم من أن المجموعتين متساويتان تقريبًا في عدد الأطفال الذين هم في سنّ الالتحاق بالمدرسة. ويمثل إنفاق الحكومات ٧٩ ٪ من الإنفاق الكلي، في حين يمثل إنفاق الأسر المعيشية ٢١ ٪، كما يمثل إنفاق المانحِينَ ١٢ ٪ من مجموع نفقات التعليم في البلدان المنخفضة الدخل، و٢٪ في البلدان المتوسطة الدخل الأدنى[١].

يُعدُّ التعليم من أهمّ الوسائل التي تُنمَّى القوى البشريّة، حيث تعكس اتجاهات النموّ الاقتصادي الحديث الطلب المتزايد على التعليم والتدريب والمزيد من المهارات في القوى العاملة، فقد أجمع الاقتصاديون القدماء منهم والمحْدَثون على أنّ التعليم هو استثمار في البشر، وأصبح يُنظَر إلى العملية التعليميّة على أنها نوع من الاستثمار البشري في العملية الإنتاجية، فالقدرات التعليمية تُعدُّ ركنًا أساسيًّا في العملية التنموية، كما أن للتعليم أثرًا في تكوين المواطن الصالح والعامل ذي الإنتاجية المرتفعة والمنظم الاقتصادي السليم الذي يحسن تجميع رأس المال واستثماره، وعندئذ يستطيع المجتمع أن يرقى بموارد الثروة التي في حوزته.

إن الإنفاق على التعليم يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالدّخل القومي، ومستوى المعيشة، وكذلك أسعار السلع والخدمات، والمستوى التكنولوجي العام في المجتمع؛ حيث يزداد معدل الإنفاق كلما زاد الدخل القومي للبلد، في حين يؤثر سلبًا في ارتفاع مستوى المعيشة، وكذلك أسعار السلع والخِدمات على مستوى الإنفاق، فيؤدي إلى تذبذب نسب الإنفاق ما بين الزيادة والنقصان، كما أن مستوى أجور العامِلِينَ بالمؤسسات التعليميّة يؤدّي إلى زيادة معدّلات الإنفاق على التعليم، وكذلك ما يتمخض عن الهدر التربوي الناتج عن عاملي الرسوب والتسرّب، فكلُّ تلك العوامل تؤثِّر بشكل مباشرٍ وملموسٍ وواضحٍ في زيادة النفقات التعليمية، سواء كانت الدورية أو الرأسمالية[٢].

---

(١) اليونيسكو، منظمة الأمم المتحدة للتربية والتعليم والثقافة https://gem-report-2019.unesco.org/ar/chapter

(٢) على الصّعيد المحلّي، بلغ معدل إنفاق جزر القمر على التعليم من الناتج المحلي الإجمالي ٢,٧٤ عام ٢٠١٤م، في حين انخفض هذا المعدل عام ٢٠١٥م إلى ٢,٥٥٪. كما بلغ معدل الإنفاق على التعليم العالي فقط من الناتج المحلي الإجمالي ٠,٢١٪ عام ٢٠١٥م، في حين ارتفع هذا المعدل إلى ٠,٢٧٪ عام ٢٠١٦م، بحسب تقرير مرصد الألكسو https://observatory.alecso.org، في حين أنه عند الرجوع إلى جدول توزيع ميزانية الدولة لعامي ٢٠٢٢م، ٢٠٢٣م، نجد ميزانية التعليم هي الأعلى من بين الدوائر الأخرى، إذ بلغت عام ٢٠٢٢م (١٤,١١٥,٣٤٢,٥٠٦) فرنك قمري، في حين بلغت في عام ٢٠٢٣م (١٤,٤٠٠,٧٦١,٧٥٨) فرنك قمري، أي بفارق زيادة ما نسبته (٢,٠٢٪).

وإلى هذا الحدّ ينتهي بنا التجوال حول هذا الموضوع المهمُّ الموسوم بـ«**إلزاميّة التعليم بشقّيه الدّيني والدُّنيوي على كلا الجنسين**»، الذي تطرقنا فيه من هذا البحث إلى أهمّ المباحث والمسائل المتصلة به تأصيلًا وحكمًا وتوثيقًا، ونخلص الآن إلى خاتمة هذا البحث؛ حيث نلخص فيها أهم نتائج البحث وتوصياته.

الخاتمة

في نهاية هذا البحث أخلص إلى مشروع قرارات وتوصيات للموضوع؛ يتمثل في ما يلي:

النتائج:

أولًا: أهمية التعليم في استقرار البشر ونهوض المجتمعات والدُّول، وأنه مِن آكد الواجبات وأعظم القُرُبات عند الله.

ثانيًا: التربية والتعليم ضرورتان متلازمتان لا ينفكُّ أحدهما عن الآخر؛ وهما مصطلحان مما إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا.

ثالثًا: التعليم هو عمليّة منظّمة ترمي إلى اكتساب الشخص المتعلّم الأسس العامّة البانية للمعرفة، ويحدث ذلك بطريقةٍ منظّمةٍ ومقصودةٍ وبأهدافٍ محدّدة ومعروفة.

رابعًا: التربية هي: كلُّ عمليّة أو مجهودٍ أو نشاطٍ تؤثّر إيجابًا في سلوك الإنسانِ أو تكوينه، أيًّا كان مصدر هذه العمليّة، وسواءٌ أكان من الإنسان نفسه، أم البيئة الطبيعية، أم المجتمع الذي يعيش فيه.

خامسًا: اهتمّت الشريعة الإسلامية بالتربية والتعليم اهتمامًا بالغًا، فهو فريضة على كل مسلم، ووعدت بالأجر العظيم على طلبه، وأعلت مكانة العلماء حتى اعتبرتهم ورثة الأنبياء، وأرست قِيمًا ثقافية تضمن استمرار التقدُّم العلمي، فالعلم حقٌّ للجميع وليس حكرًا لفئة معينة، ما يؤدي لارتفاع المستوى الثقافي لجمهور الأمة.

سادسًا: وجوب إلزام التعليم بشقّيه الدّيني والدّنيوي على كلا الجنسين؛ للأدلة العامّة في لزوم التعليم وفرضيّته، من غير تفريقٍ بين رجلٍ وامرأة، ولا بين تعليم ديني وتعليم دنيوي؛ حتى يقوم فرضُ العين ويحصل الاكتفاءُ بالفرض الكفائي.

سابعًا: لقد عرف الإسلام فكرة التعليم الإلزامي منذ فجره؛ بما ذكر من الأدلة؛ ما يُعدُّ سبقًا للشريعة الإسلامية والفكر التربوي الإسلامي في النصّ على مبدأ إلزامية التعلم والتعليم بإتاحة فرصة التعلُّم لأبناء المجتمع بكل أجناسه وأطيافه وطبقاته.

ثامنًا: التعليم في الإسلام استمراري، ويستمرُّ طول الحياة؛ لقوله تعالى مخاطبًا رسوله ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ

زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ٤١]؛ ولقوله: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦].

تاسعًا: التعليم وسيلة لتحقيق غاية كبرى، هي خلافة الله في الأرض واستعمارها وإقامة العدل فيها؛ حتى يسعد الإنسانُ في هذه الحياة ويكون من الفائزين في الآخرة.

عاشرًا: بهذا يتبين سماحة الإسلام ووسطيّته وبُعده عن الغلوّ والتفريط، وصلاحيّته لكلِّ زمانٍ ومكانٍ؛ ما يستدعي مزيد التمسك به والمحافظة على وسطيته.

مشروع قرارات وتوصيات:

أولًا: يجب على الدول والحكومات والمؤسّسات والأفراد الاهتمام بالتعليم والحرص عليه؛ لما فيه من السّعادة والفلاح في الدنيا والآخرة.

ثانيًا: يجب على القائمِينَ على العمليّة التعليميّة الاهتمام بالتربية الشاملة إلى جانب التعليم؛ لكي يحقق التعليم أهدافه في ارتقاء الإنسان ونهضته وتقدُّمه، وتقدُّم الأوطان.

ثالثا: إنّ مِن أهمِّ واجبات الدُّول والحكومات السّعي لتوفير التعليم المجاني، المتميّز لشعوبها ومواطنيها، بمختلف مراحله وتخصُّصاته.

رابعًا: يجب أن تهتمّ الدُّول والحكومات والمنظّمات بالتعلُّم والتعليم الإلزامي المجاني، وتنظيم عملية التعلُّم والتعليم بحسب مقتضيات العصر، وبما يحقق أهداف المجتمع ومصالح الناس.

خامسًا: وجوب الاهتمام بالتعليم الدّيني مع عدم إهمال التعليم الدُّنيوي، ومتابعة الطلاب وتوجيههم إلى التخصُّصات التي تحتاج إليها الأوطان؛ حتى يكون هناك اكتفاء ذاتي في مختلف المجالات.

سادسًا: وجوب الاهتمام بتكافؤ الفرص في التعليم للجميع، وأفراد المجتمع الإسلامي متساوون في التعليم وفي كلِّ الحقوق؛ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

سابعًا: يجب على الدُّول الإسلاميّة الإنفاق بسخاءٍ على العمليّة التعليميّة بجميع أنواعها ومجالاتها؛ من أجل الاستقرار والتنمية.

ثامنا: استمرارية التمويل الحكومي خاصّة في التعليم الأساسي والمهني والتقني؛ نظرًا لأهميته مع تشجيع القطاع الخاص في المساهمة في بعض القطاعات التربوية؛ لأن هذا المصدر يعدُّ مصدرًا أساسيًّا في دول العالم.

تاسعًا: تشجيع التّواصل وتعزيز العلاقات مع الشركات الوطنية والدُّولية ورجال الأعمال لتأمين الحصول على الدّعم المالي كهباتٍ منتظمة خصيصًّا للأنشطة التربوية التي تخدم المجتمع.

وصلى الله على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم

موروني

يوم الإثنين ٧/ ٧/ ١٤٤٤هـ

الموافق ٣٠/ ١/ ٢٠٢٣م

مراجع البحث

ـ **إحياء علوم الدين**، لمحمد بن محمد الغزالي أبو حامد (**٥٠٥**هـ)، دار المعرفة.

ـ **الإنفاق الحكومي على التعليم العام في العالم العربي**، للدكتور نصر عبد الكريم، بحث مقدم إلى المؤتمر الاقتصادي الأول – عمان – الأردن، عام **٢٠١٣**م.

ـ **التربية والتعليم في الإسلام**، لمحمد أسعد أطلس، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة – **٢٠١٢**م.

ـ **تعليم المتعلم طريق التعلم**، لبرهان الإسلام الزرنوجي، تحقيق: مروان قباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى **١٤٠١**هـ-**١٩٨١**م.

ـ **التعلم الإلزامي في القرآن والسنة وفقه الأئمة**، للدكتور صالح العلي، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد**٢٢**، العدد الثاني، **٢٠٠٦**م.

ـ **جامع بيان العلم وفضله**، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت **٤٦٣**هـ)، تحقيق: أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي، مؤسسة الريان، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، **١٤٢٤**هـ-**٢٠٠٣**م.

ـ **حاشية ابن عابدين (رد المحتار على الدر المختار)**، لابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (ت **١٢٥٢**هـ)، دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، **١٤١٢**هـ-**١٩٩٢**م.

ـ **الحق بين اللغة والشرع والقانون**، للدكتور كمال المصري.

ـ **الذخيرة**، لشهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، **١٩٩٤**م.

ـ **زاد المعاد في هدي خير العباد**، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت **٧٥١**هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون، **١٤١٥**هـ-**١٩٩٤**م.

ـ **الفروق (أنوار البروق في أنواء الفروق)**، لأبي العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي القرافي (ت **٦٨٤**هـ)، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، **١٤١٨**هـ-**١٩٩٨**م.

ـ **لسان العرب**، لابن منظور، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف،القاهرة.

ـ **اللؤلؤ النظيم في روم التعلم والتعليم**، لأبي يحيى زكريا بن محمد بن زكريا السنيكي الأنصاري (ت **٩٢٦**هـ)، تحقيق: الدكتور جميل عبد الله عويضة، **١٤٣٠**هـ **٢٠٠٩**م.

ـ **المجموع شرح المهذب (مع تكملة السبكي والمطيعي)**، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت **٦٧٦**هـ)، دار الفكر.

ـ **مختار الصحاح**، لزين الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت **٦٦٦**هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، الطبعة: الخامسة، **١٤٢٠**هـ-**١٩٩٩**م.

ـ **المخصص**، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت **٤٥٨**هـ)، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، **١٤١٧**هـ **١٩٩٦**م.

ـ **معجم الفروق اللغوية**، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى نحو **٣٩٥**هـ)، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة: الأولى، **١٤١٢**هـ.

ـ **معجم مقاييس اللغة**، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت **٣٩٥**هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، **١٣٩٩**هـ-**١٩٧٩**م.

ـ **الموافقات**، لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت **٧٩٠**هـ). تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة: الأولى، **١٤١٧**هـ-**١٩٩٧**م.

ـ **نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي**، أحمد الريسوني، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الطبعة: الثانية، **١٤١٢**هـ-**١٩٩٢**م.

مواقع إلكترونية:

ـ **أبحاث أوراق تربوية** http://abhath.awraqtarbawia.net

ـ **إسلام أون لاين**: https://islamonline.net

ـ **الأكاديمية التعليمية الحرة** https://independent.academia.edu

ـ **الألوكة** https://www.alukah.net

ـ **مرصد الألكسو** https://observatory.alecso.org

ـ **معهد اليونسكو للإحصاء** https://www.unescwa.org

ـ **موضوع** https://mawdoo3.com

ـ **اليونيسكو** https:// www.unesco.org